المسلمون في الهند

من الفتح العربي إلى الإستعمار البريطاني

الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبرى

لنظام الدين أحمد بخشى الهروى

ترجمة عن الفارسية

د. أحمد عبد القادر الشاذلى

كلية الآداب - جامعة المنوفية

الجزء الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

الغلاف والاخراج الفنى

اميمة على احمد

إهـــداء

الى كل من أسهم فى بناء الحضارة الاسلامية الزاهرة ..

الى كل من شارك فى اثراء تراثنا الفكرى ..

الى كل من نقب فى دررنا الثقافية الاسلامية ..

الى كل من أزاح الستار عن نتاجنا العلمى والأدبى ..

الى كل صناع الحضارة .

د . أحمد الشاذلى

منهج ترجمة طبقات أكبرى

طبقات أكبرى كتاب جامع ، يتناول أكثر من عصر ، ويدور بأحداثه فى أقاليم شتى ويمتد بأحداثه من القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الهجرى ، ونظرا لهذا التنوع والشمول ، فقد تعددت مصادره ، وتنوعت الأصول التى استمد منها مادته العلمية وقد لزم هذا أن أعود بالنص الى أصوله ومصادره بقدر المستطاع عند الترجمة وتحقيق الأحداث والأعلام ٠

وقد راعيت فى الترجمة الجوانب التالية :

أولا : ان طبقات أكبرى كتاب نادر ، لا تتوافر نسخه ، ولا يوجد بين يدى سوى نسختين ، احداهما ناقصة والثانية كاملة ، وقد اتخذت هذه النسخة الكاملة بمثابة النسخة « الأم » وهى نسخة « أوده » أما النسخة الناقصة فهى نسخة كلكتا ، واختيارى نسخة أوده كنسخة أم يرجع لاعتبارين :

الأول : أنها النسخة الوحيدة الكاملة ٠

الثانى : أنها أقدم نسخة موجودة فهى منشورة سنة ١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٥ م بينما نسخة كلكتا نشرت سنة ١٩١١ م ٠

ثانيا : على الرغم من أن نسخة أوده هى النسخة الأقدم كما أنها النسخة الوحيدة الكاملة فانها مليئة بالألفاظ المحرفة والمصحفة ، وهذا ناتج عن جهل الناشر بأصول تحقيق النص ٠

ثالثا : ومن أجل ترجمة سليمة ، وتحقيق للاحداث والأعلام والمسميات تحقيقا صحيحا اتبعت ما يلى :

١ ـ مراجعة مصادر المؤلف :

ذكر نظام الدين احمد أنه رجع الى عدة مصادر ومراجع ، وهذه المصادر للاسف الشديد لا تتوافر بين يدى ما عدا ثلاثة مراجع وهى :

زين الأخيار ، وروضة الصفا ، وتاريخ يمينى بالعربية ، وأحداث هذه الكتب الثلاثة تتلاقى مع أحداث طبقات أكبرى فى النذر اليسير ، وقد أثبت هذا فى موضعه بالحواشى ·

٢ ـ مراجعة المؤلفـــات المماثلة :

صنفت عدة مصنفات فى عهد نظام الدين على شاكلة كتابه ، وان كانت تختلف عنه فى خطة البحث ، وهـذه المصنفات أهمها : منتخب التواريخ وأكبر نامه وتاريخ كجرات وقد استخدمت هذه المصنفات فى تحقيق الأسماء والأعلام والأحداث وأثبت ذلك فى الحواشى ، وأوضـحت الاختلاف والاتفاق بين هذه المصنفات وبين طبقـات أكبرى ·

٣ ـ مراجعة النقـــول من الكتاب :

نقل العديد من الكتاب والمؤرخين عن نظام الدين أحمد ، وقد جـاءوا من بعدهبزمن قصير ومن هؤلاء ملا عبد الباقى صـاحب مآثر رحيمى ومحمد قاسم فرشته صاحب تاريخ فرشـــته وقد أوردت مدى الاتفـــاق والاختلاف وأثبت ما قام به المؤرخون من بعده من نقل حـــرفى عنه أو اختلاف فى بعض الأحداث ·

٤ ـ تخـــريج النص :

وهذا التخريج يقوم على تحقيق الأعلام والمسميات والأحداث التى لم ترد ذكرها فى المصادر السابقة ، وشرح بعض المعلومات من المراجـــع القديمة منها والحـــديث والمعاجم منها والقـــواميس وقد أثبت ذلك فى الحواشى ·

٥ ـ مقابلة نسخة أوده بنسخة كلكتـا :

نسخة أوده غير محققه وغير مطبـوعة ، كثرت فيهـا التصحيفات والتحريفات غير المتعمدة ، أما نسخة كلكتا ، فهى نسخة مطبوعة وغيـر محققة · أيضا وقد قابلت النص بين النســـختين وأثبت مدى التحريف والتصحيف فى حواشى الترجمة ، الا أنه للأسف فان نسخة كلكتا أيضـا لا تساوى سدس نسخة أوده حيث أنها توقفت بالأحداث عند ذكر السلطان فيروزشاه وهو ما يعادل مائة وثلاث عشرة صفحة من نسخة أوده ·

٦ ـ مقابلة نسخة أوده بما ترجمة اليوت الى الانجليزية :

قام اليوت بترجمة نماذج من الكتب التى الفها وصنفها مؤرخون من الهند ، ومن ضمن هؤلاء نظام الدين أحمد وقد ترجم اليوت الى الانجليزية

جزءا من طبقات أكبرى ، أسقط فيه كثيرا من الأحداث وأضاف فقــرات وجمل أخرى غير موجودة فى نسخة أوده « وقد أثبت ما أضافه اليــوت فى الحواشى ، ولم اذكره فى متن الترجمة العربية والجــزء المترجم فى الجزء الخامس من كتاب :

« History of India As Told By Its Own Historians »

وهو كتاب يقع فى ثمانية مجلدات ضخمة ·

كما أن هناك نسخة أخرى لترجمة اليوت نشرتها الهند تحت عنــوان « اكبر » Akbar

٧ ـ النقد الموضوعى :

وأقصد به نقد النص لنفسه ، وهو ما يتعلق بذكر الأعلام والمسميات، فهو يذكر الاسم أكثر من مرة يقع فى التصحيف مرة أو اكثر وبذلك يكون الاسم الأصوب هو حالته على ما ذكر به أكثر من مرة ، وهذا ينسحب على السنوات التى أخطأ فيها فالمعروف أن الكتاب يتسلسل تاريخيا من سنة الى أخرى ، فى بعض الأحوال يذكر احــــدى السنوات خطأ فعنــــد مقارنتها بالسنة التى قبلها والتى بعدها يتضح الصواب ·

٨ ـ بقى لى أن أوضح اننى فى الترجمة ابقيت على المسميات الهندية والتركية والفارسية والمغولية كما هى مع اثبات ترجمتها فى الحاشية فى المرة الأولى مثل كلمة « مندوى » المسئول عن السوق ، أو ذكر كوتوال « رئيس المدينة » أو «بخشى» وآخته بيكى وخاصه خيل ، وداكجوكى · نظرا لأن اللفظ له دلالات تفوق دلالة اللفظ المترجم ·

٩ ـ نسخة اوده يرمز لها بالرمز « ا »

نسخة كلكتا يرمز لها بالرمز « ك »

ترجمة اليوت وهى ترجمة طبعة الهند واخرى طبعة لندن ، وقد اثبت ما هى طبعة الهند (ط ـ الهند) ·

هذه هى ملامح ترجمة طبقات اكبرى ، وأسال الله التوفيق والسداد، فانه نعم المولى ونعم النصير ·

وفى الختام اقدم خالص شكرى وتقديرى لهؤلاء الذين بذلوا جهدا من أجل أن يرى هذا العمل الضخم النور وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور السباعى محمد السباعى أستاذ اللغات الشرقية بآداب القاهرة ومدير

مركز الدراسات الشرقية لما بذله من جهد فى مراجعـة ومتابعة هذا العمل العلمى الكبير ٠

كما أقدم الجهود الطيبة التى بذلها الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان المؤرخ والأستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية لما بذله من جهـد لاظهار هذا العمل التاريخى الى النور ٠ فجزاهما الله خير الجزاء ٠

د٠ أحمد عبد القادر الساذلى

كلية الآداب جامعة المنوفية

مصطلحات

وردت بالكتاب عدة مصطلحات هندية وفرسية وتركية وهى

آفتابكير : عاكس الشمس

آلاع : جواد البريد

استيفاء كل : المستوفى العام

أشرفى : عملة ذهبية نسبة الى السلطان اشرف

أمراء بلينى : أمراء السلطان بلين

أمراء شمسية : أمراء السلطان شمس الدين التمش

امير صده : امير مائة

أمير هزاره : أمير الف

ايلك : لفظ أولغورى بمعنى أمير

باره : عملة نحاسية

بخشى : المسئول عن رواتب الجند

بتوارى : المحاسب

تنخواه : ما يقدمه السلطان من مقاطعة أو قرية يحصل منها صاحبها على رزقه ·

تنكه : عملة فضية

تواجيان : المسئول عن خيل السلطان

توره : جوال ملىء بالتراب

جتر : مظلة ترفع فوق الحاكم

جريب : مساحة تعادل ٢٥٠٠ متر

جلالى : نسـبة الى جلال الدين اكبر

جمعكى : أيام الجمع

جودهرى : المسئول الهندى المشارك لرئيس القرية

جوه : حسـاء هندى

جوهر : طريقة قتل جماعى كان الهنادكة يستخدمونها عندما يضيق بهم الحال فيشعلون نارا ويحرقون نساءهم وأولادهم قبل القدوم على الحـرب ٠

جيتل : عملة

خالصـة : أرض تابعة للسـلطان

خالصـات : ارض تابعة للسلطان

خان : أمير

خان خانان : أمير الأمراء ـ (وظيفة)

ختا = خطا : قبيلة تركية

داروغكى : مختار القرية ومسئول العسس

داكجوكى : جواد البريد

دبير : كاتب

دكن : أرض الجنوب ، وتطلق على جنوب الهند

دورباش : عصاة يمسكها الحاكم فى يده

دولت خانه : مقد الحكومة

راجـا : ملك هندوكى

راجوات : ملوك هنادكة

رانا : ملك هندوكى

رومى خان : الأمير المسئول عن المدفعية

زمنيداران : حكام القرى والمقاطعات من أهل البلاد

سراى عدل : قصر العدل

سرجاندار : رئيس حرس السلاح

سلاحدار : امير الســلاح

سيرى : مكيال

الشــالى : أرز غير مقشور

شاهرخى : عملة ذهبية نسبة الى الساطان هامرخ

شحنة بازار غله : مسئول سوق الغلال

شحنة شهر : حاكم المدينة

شحنة قيل : المسئول عن الأفيال

شقدار : حاكم ناحية ـ اقليم

شكاربيك : امير الصيد

صوبة دار : حاكم اقليم

صولجان : لعبة يلعبها الملوك وهى عبارة عن كرة تضرب بعصاة معقوفة واللاعبون يركضون وراءها وهم يركبون الأفيال ٠

عارض الممالك : المسئول عن المالية

عراق عجمى : ايران

علوف : ما يقدمه السلطان من مقاطعة أو قرية أو مزرعة يعيش صاحبها على ما تغله ٠

عمال : ولاة

فرمان : أمر وحكم

فرمانات : أحكام

فيلخــانة : دار الأفيــال

قزلباش : أصحاب القبعات الحمراء وتطلق على الجنود الفرس

قمرغه : طريقة صيد مغولية تعتمد على الألتفاف حول منطقة الصيد فى دائرة تضيق بالتدريج على الحيوانات داخل الدائرة ·

كرور : عشرة ملايين

كوتوال : حاكم القلعـة

لك · لكم : عشرة آلاف

انكاه : جماعة هندية مقاتلة

مدد معاش : معاش شهرى أو سنوى يؤخذ من البلاط دون مقـابل يقدم للشعراء والأمباء والعلماء وكبار السن ·

مست : نوع من الأفيال الهندية القوية يقوم على خدمته خمسة أفراد وصبى ·

مشرف ديوان : المسئول عن الايرادات والمنصرف فى الدين

مشرف الممالك : المسئول عن الشئون المـالية ·

مقدم : رئيس قرية

مندل : قلعة

مندوى : المسئول عن السوق

مهر : نوع من العملة

مير آخور : أمير الاصطبل

مير الحاجب : المسئول عن شئون البلاط

مير عرض : المسئول عن الشئون المالية للقوات

مير صده : أمير مائة

مير هزاره : أمير الف

نقاره : فرقة الطبول

نو مسلم : المسلم الجديد (المغول المسلمون)

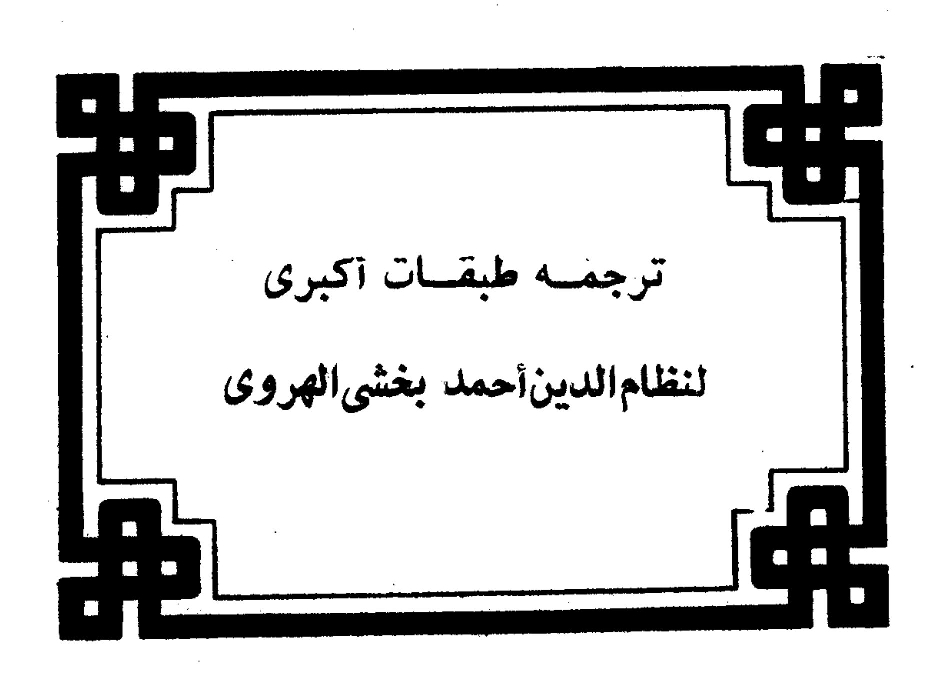
هزارستون : اسم قصر ـ الألف عمود

هندوسـتان : بلاد الهند وتطلق على الشـمال

وقايع نويس : كاتب الوقائع

وكيل نويس : نائب البلاط

يوزباشى : أمير مائة


ترجمه طبقات أكبرى
لنظام الدين أحمد بخشى الهروى

- دیباجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الرفعة أساس الملك الحقيقى ، ومعلم زمام حل وعقد نظام العالم ، وضبط وربط بنى آدم ، فى الوجود العالى لأهل العدل والانصاف ، وجعل استقرار قوانين الدين والدولة واستحكامها فى اثر جلال وجمال ، ولطف وقهر ورحمة وسياسة هذه الطبقة العالية ، وهداهم ليصعدوا بالعرش على قافلة الصراط المستقيم ، ويرشدوا الناس من ظلمات الضلالة الى نور الهداية ، وافاض بالأنوار الربانية والأسرار الالهية على المنزل المقصود لهداية الضالين فى بادية الحيرة ، وأخص أكمل أفراد الكون وأتم مظاهر التأييد والعون ، من هو جوهره عالى ، ونوره ربانى وعطره عالى وجوهره قدسى ، السماء والأرض ظل نوره ، الكون والمكان من نور ظهوره ، هو قدوة المرشدين الذين سلكوا سلوكه والتحقوا بركابه .

أما بعد ، يعرض العبد الفقير نظام الدين أحمد بن محمد مقيـــم الهروى ، من أتباع بلاط وأحباب جلالة السلطان الأعظم ، سلطان سلاطين العالم ، الظل الجليل للحق ، خليفة الله المطلق ، مشيد أركان العالم ، مؤسس قوانين العالمين ، ملك الدنيا والناس ، رب الزمان وأهل الزمان ، جامع الأسرار الالهية ، صاحب الملكات الروحانية ، الفاتح عظيم الصولة، الملك قوى الدولة ، الأسد المقاتل الغازى ، أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بادشاه غازى (١) خلد الله سلطانه ، وأيد موائد عدله واحسانه ، انه منذ صغر السن (٢) وبموجب اشارة الأب العزيز (٣) بأن يهتم بقراءة كتب التواريخ التى هى عقل أرباب الاستعداد ، وبصيرة أصحاب البصيرة ، وأن يطالع أحوال المسافرين فى رحلة الوجود وهى السير المعنوية ، ولما كـــان السواد الأعظم للهندوستان مملكة واسعة مركبة من عدة أقاليم ومســاحات

---

(١) بادشاه غازى ـ بالباء المفردة او المثلثة بمعنى واحد ـ السلطان الغازى .

(٢) يقصد نفسه . نظام الدين أحمد .

(٣) محمد مقيم الهروى والد المؤلف .

بسيطة غبراء يقولون انها أركان العالم الأربعة ، وقد استولى فى أكثـر الأزمنة والأوقات فرد من الأفراد على ناحية من هذه المملكة الواسعة ولقب نفسه بالسلطان ، وظل يحكم ، وأرخ مؤرخو هذا العصر التـواريخ فى أحوال حكم وملك هذه الناحية ، تركوها ذكرى ، ونظـرا لأن تاريخ دهلى (٤) وتاريخ كجرات ، وتاريخ مالوه وتاريخ البنغال وتاريخ السـند وأمثالهم من تواريخ سائر أقطاع وأكتاف ممالك الهندوستان قد ذكر منفصلا فى الكتب ، والأكثر من ذلك عجبا هو أنه ما من كاتب تصدى لكتابة تاريخ يكون جامعا لأحوال ناحية من النواحى • كما أنه لم يؤلف كتـاب جامع قط فى الماضى أيضا عن الهندوستان ، وعاصمة هذه الممالك دار الملك دهلى ، والكتاب الذى اشتهر هو طبقات ناصرى الذى كتبه منهاج (٥) عن السلطان معز الدين غورى وتاريخ بهادرشاهى وتاريخ يهمنى، وتاريخ ناصرى،مظفر شاهى، وتاريخ ميرزا حيدر(٦)، وتاريخ كشمير، وتاريخ السند، ووقعات بابرى(٧)، وتاريخ بابرى، وتاريخ ابراهيم شاهى ووقعات مشتاقى ، ووقعات حضرت جنت آشيانى همايون (٨) بادشاه أنار الله برهانه ، ولما كان هذا المؤلف مشتملا على طبقات جميع حكام الهندوستان وانتهاء جميع الطبقات بالطبقة العالية لجلالة السلطان ، لذا سمى بطبقات أكبر شاهى ومن جملة الصدف السعيدة أن لفظ نظامى ، وهو نسب اسـم المؤلف ، هو تأريخ لهذا الكتاب (٩) ، وآمل أن يصبح هذا الكتاب موجبـا لمزيد من المعـرفة لأرباب العلم وجالبا للسعادة •

وموضوع هذا الكتاب اشتمل على مقدمة وتسع طبقات وخاتمة •

المقـدمة : « فى بيـــان أحـوال الغزنويين »

---

(٤) سقطت كلمة « تاريخ دهلى من نسخة كلكتا » «ك» ص ٢ •

(٥) أبو عمرو منهاج بن سراج الدين الجوزجانى صاحب كتاب طبقات ناصرى وهو كتاب يقع فى ثلاثة وعشرين فصلا ، ويدور حول تاريخ بنى اسرائيل والمسيح ومحمد عليه السلام والمسلمين الأوائل والخلفاء الراشدين وبنى أمية وبنى العباس وملوك الفرس واليمن والدويلات الاسلامية فى ايران والهندوستان ، وكانت هناك نسخة بدار الكتب المصرية برقم س ٦١٧٤ ولكنها فقدت •

(٦) تاريخ رشيدى ويقع فى ٧٢٩ صفحة •

(٧) واقعات بابرى أو توزك بابرى ألفه بالتركية السلطان بابر ، وهو سيرة ذاتية لصاحبه ، ترجم فى عهد السلطان أكبر على يد عبد الرحيم خانخانان •

(٨) يوجد ثلاثة كتب باسم همايون نامه ، أحدهما لجوهر والآخر لخواند مير والثالث كلبدن بيكم •

(٩) بحساب الحروف = سنة ١٠٠١ هـ •

من بداية سبكتكين سنة ٣٦٧ هـ حتى سنة ٥٨٢ هـ (١٠) ، مائتـــان وخمس عشرة سنة ، خمسة عشر حاكما ·

طبقـــة دهـــلى :

من بداية عهد السلطان معز الدين غورى الذى استولى على بـلاد دهلى وحكمها ، حتى عهد السلطان خليفة الهى ، ستة وثلاثون حاكما من سنة ٥٧٤ هـ حتى سنة ١٠٠٢ هـ ، أربعمائة وثمان وأربعـــون ســـنة (١١) ·

طبقـــة الدكـن :

ستة وثلاثون حاكما ، من بداية سنة ٧٤٨ هـ الى ســـنة ١٠٠٢ هـ مائتان وأربع وخمسون سنة ·

طبقـــة الكجـرات :

مدة سلطنتهم من سنة ٧٩٣ هـ حتى سنة ٩٨٠ هـ ، مائة وســـبع وثمانون سنة ، وستة عشر حاكما ·

طبقـــة البنغـــال :

واحد وعشرون حاكما ، مائة وثمان وتسعون سنة ، من سنة ٧٤١ هـ الى ســـنة ٩٢٩ هـ ·

طبقـــة مالـــوه :

اثنا عشر حاكما ، مائة وثمان وخمسون سنة ·

طبقة جـــونيـــور :

سبع وتسعون سنة ، خمسة حكام ·

طبقـــة السند :

واحد وعشرون حاكما ، مائتان وست وثلاثون سنة ·

طبقـــة كشـــمير :

ستة وعشرون حاكما ، مائتان وخمس وأربعون سنة ·

---

(١٠) أهمل المؤلف وضع علامة هجرى عقب التواريخ فى أغلب المخطوط ، مع العلم أن هناك عدة تقاويم كانت موجودة فى تلك الفترة أشهرها التقويم المسمى بالالهى ·

(١١) الصواب هو أربعمائة وثمان وعشرون سنة ·

طبقـــة الملتـــان :

خمسة حكام ، ثمانون ســنة ٠

خاتمـــة :

فى ذكر بعض خصوصيات الهندوستان ومقالات متفرقة ٠

ـ مقدمة

مقدمة فى ذكر الغزنويين

ناصر الدين سبكتكين : مدة سلطنته عشرون سنة ، يمين الدولة السلطان محمود ومدته خمس وثلاثون سنة ، محمد بن السلطان محمود ومدة حكمه خمسون يوما ، السلطان مسعود بن السلطان محمود ومـدة حكمه احدى عشرة سنة ، السلطان مودود بن مسعود ومده حكمه تسـع سنوات ، السلطان محمد بن مودود ومدة حكمه خمسة أيام ، السلطان على بن مسعود ومدة حكمه ثلاثة اشهر ، عبد الرشيد بن مسعود ومـدة حكمه اربعة أعوام ، فرخ نزاد بن مسعود (١) ومدة حكومته ست سنوات ، ابراهيم بن مسعود ، ومدة حكمه ثلاثون عاما ويقول آخر اثنتان وأربعون سنة ، مسعود بن ابراهيم ومدته ست عشرة سنة ، ارســلان شـاه بن مسعود (٢) وحكومته ثلاث سنوات ، بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم ومدة حكومته خمس وثلاثون سنة ، خسرو شاه بن بهرامشاه ومدة حكومته ثمانى سنوات ، خسرو ملك بن خسرو شاه ، ومدة حكومته ثمان وعشرون سـنة .

ذكر الأمير ناصر الدين سبكتكين :

غلام تركى الأصل ، وهو مملوك البتكين غلام الأمير منصور بن نوح السامانى ، وقد بلغ درجة امير الأمراء فى خدمة منصور بن نوح ، وقد وصل الأمير ناصر الدين الى بخارى مع أبى اسحق ابن البتكين فى أيام

---

(١) فرخ زاد ـ نسخة ك ص ٣٢ .

(٢) حكم شيرزاد قبل ارسلان شاه (بداونى جلد اول ص ٣٨) .

حكومة الأمير منصور (٣) ، وبلغ فى خدمته درجة الوكالة ، « وعندما حكم أبو اسحق حكومة غزنين نيابة عن الأمير منصور ، ترك أمر الحكومة للأمير ناصر الدين ، واستقل بها استقلالا تاما » (٤) ، وعندما طوى أبو اسحق لباس اقامته الى العالم الآخر ، ولم يكن له وريث ، اختار الجيش والرعية راضين حكومة ناصر الدين ، واهتم بأمر الأمارة ، ورفع راية الحكم ·

وفى سنة ٣٦٧ هـ فر طغان نامى ـ الذى كان يحكم ولاية بست ـ من يد بايتور نامى ـ الذى استولى على بست ، وجاء الى الأمير ناصر الدين ، وطلب منه المساعدة ، وقاد الأمير ناصر الدين الجيش ، وخلص بست من يد بايتور وسلمها لطغان ، وقبل طغان تقديم هدايا كثيرة ، وعاهد ألا يخرج عن طريق الولاء ، ولما لم يف بوعده ، وصدر منه نقض العهد ، استولى الأمير ناصر الدين على بست وتركها لنائبه (٥) ، ولما كانت قلعة قصدار(٦) فى جوار مملكته وكان حاكمها مستقلا ، غافله الأمير ناصر الدين ، وقبض عليه ، وأخيرا انتظم فى سلك التابعين ، فعينه على « قصدار » ضمن ولاياته ، وعقد العزم على الغزو والجهاد ، فاتجه صوب الهندوستان ، وعاد بالأسرى والغنائم ، وبنى مسجدا فى كل مكان فتحه ، يرفع الأذان فى خراب ولاية راجه (٧) جيبال (٨) ، الذى كان فى ذلك الوقت « راى » الهندوستان (٩) ، وضاق راجه جيبال بالخراب والدمار الذى أحدثه الأمير ناصر الدين بولايته ، فتوجه لمهاجمة الأمير ناصر الدين بجيوش منظمة وأفيال ضخمة وأسرع ناصر الدين أيضا لاستقباله والتقى على حدود ولايته بجيبال ، ووقعت معركة حامية ، وأبدى الأمير محمود بن ناصر الدين فى هذه المعركة شجاعة وبطولة ، ومرت عدة أيام والطرفان فى قتال وجدال ، ويقال انه كان فى هذه النواحى عين ماء ، وكان من المتفق عليه أن تلقى القاذورات والأوساخ فى العين ، وهبت الرياح وهطلت الأمطار وسقطت الثلوج ، وأمر السلطان محمود أن يلقوا القاذورات فى العين ، وسقطت أمطار وثلوج كثيرة ، واستاء جيش جيبال الذى لم يعتد البرد،

---

(٣) حكم من ٣٥٠هـ ـ ٣٦٥ هـ ويلقب بالأمير الشديد · (تاريخ بخارى ـ فامبرى ترجمة أحمد الساداتى ص ١١٧) ·

(٤) الجزء بين علامتى التنصيص ورد بنسخة « ك » فقط ص ٥ ·

(٥) تاريخ يمينى : العتبى ص ١٧ ·

(٦) قصدار : احدى مدن السند (المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٥٧) ·

(٧) راجه وراجا لفظ هندى لا يستخدم الا فى الهند ويطلق على ملوك الهنادكة فقط ·

(٨) اجيبال : زين الأخبار لابى سعيد عبد الحق بن الضحاك بن محمد كرديزى تحقيق محمد ناظم ص ٦٦ ·

جيبال : روضة الصفا لمحمد بن خاوند شاه بمبى ١٣٧١ هـ جلد جهارم ص ٣٦٧ أ ·

(٩) راى ورانه ورانا لفظ هندى بمعنى ملك ومؤنثه رانى ·

ونفقت جياد وحيوانات كثيرة ، واضطر جيبال عقد الصلح ، وقرر أن يرسل خمسين فيلا ومبلغا كبيرا الى الأمير ناصر الدين ، وترك عدة أشخاص ذوي شأن رهينة ، وأرسل عدة أشخاص الى الأمير ناصر الدين لدفع المال وتقديم الأفيال ، وعندما وصل الى مكانه ، نقض العهد ، وقيد نواب الأمير ناصر الدين عوضا عن رجاله الذين كانوا رهينة ،وعند سماع هذا الخبر قاد الأمير ناصر الدين الجيش بهدف الانتقام ، وطلب جيبال أيضا المساعدة من راجوات الهند ، وجمع قرابة مائة الف فارس وافيال كثيرة ، وأسرع للقتال ، ووقعت في نواحي لمغان معركة حامية بين الفريقين ، وحقق الأمير ناصر الدين الفتح والظفر ، واستولى على غنائم كثيرة من الأسرى والأفيال والأموال ، وفر جيبال الى الهند ، واستولى الأمير ناصر الدين حتى لمغانات ونشر سكته وخطبته فى هذه الديار ، وبعد ذلك توجه لمساعدة الأمير نوح ابن نصر السامانى ، واتجهت الفتوحات الى خراسان وما وراء النهر (١٠) وفي شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لبى دعوة الحق ، وكانت أيام حكومته عشرين سنة ٠

ذكر السلطان محمود سبكتكين :

بعد وفاة سبكتكين ، حل الأمير اسماعيل الابن الأكبر لسبكتكين محل والده ، وأراد أن يحرم الأمير محمود من الميراث ، وتغلب الأمير محمود عليه ، وحل محل أبيه ، وقاد الجيش الى بلخ ، واستولى على ولاية خراسان ، وبعد أن طهر هذه البلاد من الأخساء والأراذل المعارضين ، وبلغ صوت طبول دولته الى الأطراف ، أرسل خليفة بغداد القادر بالله العباسى (١١) ، خلعة فاخرة جدا لم يرسل مثلها قط خليفة الى أى سلطان من قبل ، ولقبه يامين الملة ويمين الدولة (١٢) وتوجه السلطان فى أواخر ذى القعدة سنة تسعين وثلاثمائة من بلخ الى هرات ، ومن هناك ذهب الى سيستان ، وأدخل خلف بن أحمد حاكمها فى طاعته ، وجاء الى غزنين ، وتوجه من غزنين الى الهندوستان ، واستولى على عدة قلاع ، وعاد ، وتقارب مع ايلك خان وقرر أن تكون ما وراء النهر لايلك خان (١٣) والباقى للسلطان ، وفى شوال سنة ٣٩١ هـ عاد من غزنين الى الهندوستان ، وهجم

---

(١٠) ما وراء النهر ، سقطت من نسخة أ ص ٥ ٠

(١١) القادر بالله تولى الخلافة من ٣٨١ هـ ـ ٤٢٢ هـ (الحضارة الاسلامية فى ظل الخلافة العباسية احمد الحفناوى ، ص ٥٢) ٠

(١٢) يمين الدولة وامين الملة ابو القاسم محمود ولي امير المؤمنين (زين الاخبار ٦٢) ٠

(١٣) ايليك أو أيلك لفظ ايغورى بمعنى أمير أو حاكم أو وصى (تاريخ بخارى ، ص ١٢٠) ٠

على « برشاور » بعشرة آلاف فارس ، وتقدم راجه جيبال بعشرة أو اثنى عشرة ألف فارس ومشاه كثيرين وثلاثمائة فيل لمواجهته ، وأعد ميدان المعركة ، والتحم الفريقان ، وقاتلا ببسالة . وكان الفتح والنصر اخيـرا من نصيب السلطان محمود ، وأسر راجه جيبال وخمسة عشر شخصا من أبنائه واخوته ، وقتل خمسة آلاف كافر فى هذه المعركة ، ويقال أنه كان فى رقبة جيبال حمائل مرصعة يسمونها بلغة الهندوستان « مالا » وقيمها من شاهدوها بمائة وثمانين ألف دينار ، ووجدوا فى رقاب اخوته الآخرين أيضا حمائل قيمة ، وكان هذا الفتح يوم السبت الثامن من المحرم سـنة ٣٩٢ هـ ، وتوجه من هناك الى قلعة بالهند (١٤) كانت مقـرا لجيبال ، واستولى على هذه الولاية ، وعندما حل الربيع عاد الى غزنين .

وفى المحرم سنة ٣٩٣ هـ ، عاد الى سيستان ، وأدخل خلف (١٥) فى طاعته ، وأحضره الى غزنين ، وتوجه ثانية الى الهند ، وقصد بهاريته (١٦) وكان بجرا (١٧) راجه هناك مغرورا بكثرة جيشه ، وأفياله ومتانة قلعته، وترك جيشه لمواجهة السلطان ، وتوجه بنفسه مع عدد معدود الى شاطىء نهر السند ، وأدرك السلطان هذا الأمر ، فأرسل جيشا لمهاجمته ، وعنـدما أحاط به جيش السلطان ، انتحر بطعنة خنجـر ، وأحضروا رأسـه الى السلطان ، ولاحق السلطان تابعيه بالسيف البتار ، وقتـل خلقا كثيرين ، واستولى على غنائم كثيرة من أسرى وأفيال ، ونفائس الهندوستان وتوجه الى غزنين وكان من جملة الغنائم مائتان وثمانون فيلا .

ويروى أنه لما كان حاكم الملتان داود بن نصر (١٨) من الملاحدة ، ويدرك ما لدى السلطان من حمية دينية وأنه أيضا سيسعى لتأديبه ، لـذا عزم التوجه الى الملتان ، ومن الملاحظ انه لم يكن يدرك أنه يسير على طريق العداء ، وكان آنندبال بن جيبال يقف حائلا على رأس الطـريق ، وأمر السلطان الجيش بالقتال والنهب والسلب ، وهزم آنندبال ، وفر الى كشمير وتوجه السلطان من طريق الهند الى الملتان ، وحاصرها سبعة أيام ، وقبل حاكم الملتان دفع عشرين الف درهم سنويا (١٩) ، وتعهد بتنفيذ الأحـكام

---

(١٤) « قلعة نهدة » « أ » ص ٥ ، « قلعة بهند » « ك » ص ٨ ، بويهند (زين الأخبار ٦٦) .

(١٥) خلف بن أحمد (زين الأخبار ٦٦) و (تاريخ يمينى ١٥٠) .

(١٦) بهاتيه « ك » ص ٨ ، بهاطية (زين الأخبار ٦٦) .

(١٧) بحيرا « ك » ص ٨ ، مجراو (زين الأخبار ٦٧) .

(١٨) ساسند (زين الأخبار ٦٧) .

(١٩) داود بن نصر من غلاة الاسماعيلية الذين استغلوا ضعف الحكومة العربية بالسند فأخذ الدعوة لمذهب الاسماعيلية ، وقد سبقه فى دعواه جلم بن شيبان والشيخ حميد (تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم ، أحمد الساداتى ص ٥٧ ، ٥٨) . (زين الأخبار ٦٨) .

الشرعية ، وتاب ، وعاد ، وبناء على هذا الصلح عاد السلطان الى غزنين، وكان هذا فى سنة ٣٩٦ هـ ٠

ولما كان السلطان قد انشغل فى سنة ٣٩٧ هـ بميدان الحرب مع الأتراك ، طبقا لما هو مسطور فى الكتب باسهاب ، وفرغ من هذه الحرب فى ربيع الآخر سنة ٣٩٨ هـ بالنصر المظفر ، علم أن سوكبال حفيد راجه الهند (٢٠) الذى كان قد وقع أسيرا فى يد أبى على سمجورى (٢١) وأسلم قد سلك طريق الارتداد وفر ، وتعقبه السلطان محمود ، وأسره ، وحبسه حتى مات فى هذا الحبس ٠

توجه السلطان محمود فى سنة ٣٩٩ هـ الى الهندوستان مرة أخرى، وتقاتل مع آنندبال ، وهزمه ، وغنم منه ثلاثين فيلا وغنائم كثيرة ، وتوجه من هناك الى قلعة بهيم نكر ، وحاصرها وطلب أهلها الأمان ، وفتحوا الباب ، ودخلها السلطان مع عدد من خاصته ، واستولى على خزائن وذهب وفضة وماس وما كان مخفيا منذ عهد بهيم ، وعاد ، وأمر أن يضعوا الذهب والفضة فى البلاط ، وأن يصبوا جميع هذه الأموال فى ميدان فسيح ليتمتع الجيش والرعية بالتفرج عليها ، وكانت هذه الواقعة فى أوائل سنة ٤٠٠ هـ ٠

وتوجه السلطان محمود (٢٢) الغازى سنة ٤٠١ هـ من غزنين قاصدا الملتان ، واستولى على ما كان قد بقى من ولاية الملتان ، وقتل أكثر القرامطة والملاحدة الذين كانوا هناك ، وقطع دابرهم ، وسجن البعض بالقلعة حتى ماتوا هناك ، وفى هذه السنة حمل داود بن نصر الى غزنين، وأرسله حبيسا الى قلعة غورك حتى مات هناك ، وعندما علم السلطان أن تهانيسر مدينة بالهند بها معبد أصنام كبير فيه صنم اسمه « جكرسوم » يعبده أهل الهند ، جمع السلطان الجيش للجهاد ، وتوجه الى تهانيسر سنة ٤٠٢ هـ ، وعلم نرو جيبال (٢٣) ، فارسل سفارة ورسالة قائلا « لو رجع السلطان عن هذا العزم ، أرسل اليه خمسين فيلا هدية » ، ولم يهتم السلطان بهذا العرض ، وعندما وصل الى تهانيسر ، رأى المدينة خالية ، فاغار على الجنود الذين كانوا بها ، وحطم الأصنام ، وحمل صنم جكرسوم الى غزنين ، وأمر السلطان أن يضعوا هذا الصنم تحت العتب ليطأه الناس ٠

---

(٢٠) سوكبال بن راجه هند « ا » ص ٦ ، سوكبال حفيد راجه هند « ك » ص ٩ ٠

(٢١) أبو على سيمجورى بن أبى الحسن سيمجورى ، ويشتهر بسوء الخلق مثل أبيه (تاريخ بخارى ص ١١٩) ٠

(٢٢) سقطت كلمة « محمود » من نسخة « ا » ص ٦ ٠

(٢٣) بروجيبال (زين الأخبار كرديزى (٧١) ٠

وفى سنة ٤٠٣ هـ فتح السلطان غرجستان ، وأسر « شار » حاكمها ، وفى أواخر هذه السنة لجأ أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٢٤) الى السلطان محمود من غلبة تسلط الأخوة ، وكتب السلطان الرسائل ليعقد الصلح بينهم ، وفى هذه السنة أيضا وصل رسول عزيز مصر (٢٥) الذى كان ماهرا فى الحديث ، وأسر العلماء والفقهاء الى السلطان من أن هذا الرسول على مذهب القرامطة ، فأمر السلطان بالتشهير به وطرده (٢٦) ٠

فى سنة ٤٠٤ هـ هاجم السلطان قلعة نندنه فى جبل بالناتهه (٢٧) ، وترك تروجيبال رجلا محنكا للحفاظ على القلعة ، ودخل بنفسه وادى كشمير ، ووصل السلطان الى نندنه ، وحاصر القلعة ، وشرع فى النقب والحصار ، فطلب أهل القلعة الأمان ، وسلموا القلعة ، فدخلها السلطان محمود مع عدد من خاصته (٢٨) ، وحمل الأمتعة والأموال التى كانت هناك كلها ، وأعطى صرة منها للكوتوال (٢٩) واتجه صوب وادى كشمير حيث كان نروجيبال هناك ، وفر نروجيبال من هناك ، ودخل السلطان هذا الوادى ، واستولى على غنائم كثيرة من الأسرى والذهب ، ودخل كثير من الكفار دين الاسلام ، ورفع راية الاسلام ، وعاد الى غزنين ، واتجه الى كشمير فى سنة ٤٠٧ هـ وحاصر قلعة كوة كوت (٣٠) التى كانت مشهورة بالرفعة والمتانة ، وعندما انقضى زمن على هذا واشتد البرد والمطر ، ووصل المدد الى الكشميريين ، ترك السلطان الحصار ، وعاد الى غزنين فى فصل الربيع ٠

فى نفس هذه السنة كتب أبو العباس بن مأمون خوارزم مشاه من خوارزم رسالة الى السلطان محمود ، طالبا أخته ، ولبى السلطان محمود طلبه ، وأرسل أخته الى خوارزم ، وفى سنة ٤٠٧ (٣١) هـ هجم جمع من

---

(٢٤) أبو الغورس بن بهاء الدولة « أ » ص ٦ ٠

(٢٥) عزيز مصر — وهو حاكم مصر ، وكان الحاكم بأمر الله هو الخليفة فى ذلك الوقت (٣٨٦ — ٤١٤ هـ) وكان المذهب الشيعى الاسماعيلى الفاطمى هو مذهبهم ، بينما محمود الغزنوى سنى المذهب (القاهرة من جوهر القائد الى الجبرتى — أحمد زكى ص ٢٣) ٠

(٢٦) أمر أن يسلموه لحسن بن طاهر بن مسلم العلوى (زين الأخبار ٧١) ٠

(٢٧) بالتانه أ ص ٧ ٠

(٢٨) ينقل نظام الدين كثيرا عن زين الأخبار فى أحوال الغزنويين ٠

(٢٩) كوتوال هو حاكم المدينة أما حاكم القرية فهو مقدم ، وأفضل استخدام كلمة كوتوال فى الترجمة لأن كتوال هو الحاكم المدنى والعسكرى وهو لفظ هندى ولا يستخدم الا فى الهند (ماجمدار — ص ٥٥٨) ٠

(٣٠) لوه كوت « أ » ص ١١ ، زين الأخبار ٧٢ ٠

(٣١) سنة ٤٠٦ ، (زين الأخبار ٧٣) ٠

الأوباش على خوارزمشاه ، وقتلوه ، وجاء السلطان من غزنين الى بلخ ، وتوجه الى خوارزم ، وعندما وصل الى « حصربند » على حدود خوارزم عين ابراهيم الطائى على مقدمة الجيش وأرسله أمامه ، وعندما اتخذوا اماكنهم ، وانشغلوا بأداء صلاة الفجر ، هجم عليهم خمارتاش (٣٢) الذى كان قائدا للخوارزميين (٣٣) من كمين ، وقتل جمعا كبيرا ، وفرق هذا الجماعة وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان ، عين جيشا كبيرا من خاصة غلمانه لتعقبه وتعقبوه ، واسروه واحضروه عند السلطان ، وعندما وصل السلطان الى قلعة « هزاراسب » تجمع جيش خوارزم بكامل استعداداته وقامت معركة حامية ، واخيرا وقعت الهزيمة على جيش خوارزم ، واسر اليتكين بخارى قائدهم ، وتوجه السلطان بجيشه الى خوارزم ، واقتص اولا من قتلة ابى العباس ، ولقب امير حاجب التونتاش (٣٤) بلقب « خوارزمشاه » وولاه ولاية خوارزم واركنج (٣٥) وجاء من هناك الى بلخ ، واعطى ولاية هرات لابنه الأمير مسعود ، وارسل برفقته ابا سهيل محمد بن حسين روزنى وكيسلا له ، واعطى ولاية جرجان (٣٦) لمير محمد وجعل ابا بكر قسهتانى برفقته .

وفى سنة ٤٠٩ هـ . قاد السلطان محمود الجيش بعزيمة ، فتح ولاية قنوج ، وعبر سبعة انهار كبيرة (٣٧) وعندما وصل الى حدود قنوج ، اطاعه « كوره » حاكمها ، وطلب الأمان ، وقدم الهدايا واتجه السلطان من هناك الى قلعة « برن » (٣٨) فسلم « هروت » القلعة الى قومه واختفى ، ولم يستطع اهل القلعة المقاومة ، فطلبوا الأمان وقدموا « ألف » حمل والف درهم بما يعادل مائتين وخمسين ألف روبية ، وثلاثين فيلاً هدية ، واتجه السلطان الى قلعة مهاون (٣٩) الواقعة على شاطىء جون (٤٠) ، فركب راى هذه القلعة كلجندر فيلا واراد أن يعبر النهر ، ويفر وهجم عليه جيش السلطان ، وعندما وصلوا اليه ، انتحر .

---

(٣٢) خمارناس « أ » ص ٧ ، خمار تاش (زين الاخبار ٧٣) .

(٣٣) سبه سالار .

(٣٤) النويتاس « أ » ص ٧ .

(٣٥) كركانج (زين الاخبار ٧٤) .

(٣٦) كوركانان (زين الاخبار ٧٤) .

(٣٧) عبر نهر السند المتجه الى بشاور ثم نهر جهيلم وبياه وجيناب وراوى ورافى وستلج .

(٣٨) برنه أ ص ٧ ، زين الاخبار ٧٥ .

(٣٩) يهاؤن ص ٧ .

(٤٠) نهر جون فرع من نهر الجانج ويمر بدهلى واكره .

« عندما تكون الحياة بفضل العدو
فالموت أفضل كثيرا من الحياة »

وفتحت القلعة ، وسقط خمسة وثمانون فيلا وغنائم لا حصر لها في يد جيش الاسلام ، ووصلوا من هناك الى مدينة متورة (٤١) ، ومتورة ، هذه مدينة كبيرة تضم معابد أصنام كثيرة ، وهى موطن ميلاد كشن ابن باس ديو ، الذى يبجله الهنود تبجيلا كبيرا ، المهم ، عندما وصل السلطان الى هذه المدينة لم يتقدم أحد للقتال ، وأغار جيش السلطان على المدينة كلها ، وحرقوا المعابد ، واستولوا على أموال لا حصر لهـا ، وحطموا بأمر السلطان صنما ذهبيا وزنه ثمـان وتسـعون ألف وثلاثمائة وخمسون مثقالا من الذهب ، ووجدوا قطعة ياقوت كحلية ، وكان وزنها أربعمائة وخمسين مثقالا ، ويقولون أن « جندارى » أحد ملوك الهندوستان ، كان لديه فيلا قويا جدا ومشهورا ، وأراد السلطان أن يشتريه بسعر مرتفع ، ولكنه لم يتيسر له ، وتصادف أنه عند العودة من رحلة قنوج ، فر هذا الفيل ذات ليلة بدون سائسـه ، ووصل الى خيمة السلطان وأمسك به السلطان ، فهدأ الفيل ، وأسماه « خداداد » (٤٢) ، وعندما وصـل الى غزنين أحصوا (٤٣) غنائم رحلة قنوج ، فكانت عشرين « داند » (٤٤) أو ألف ألف درهم وثلاثمائة وخمسين ألف أسير وثلاثمائة وخمسين « داند » فيل ٠

ويروى أنه عندما سمع السلطان محمود أن نندا نام راجه قد قتل راى قنوج بسبب اطاعته ، وولائه للسلطان محمود ، صمم السلطان على استئصال نندا ، وتوجه الى الهندوستان سنة ٤١٠ هـ وعندما وصل الى نهر جون ، جاء نروجيبال (٤٥) الذى فر عدة مرات من جيش السلطان ، لمساعدة ومعاونة نندا فى مواجهة السلطان ، ولما كان النهر بينهما عميقا ، لم يدع السـلطان أحدا يعبر النهر دون أمر ، وتصادف أن عبر النهر ستون شخصا من خاصة غلمان السلطان ، وهجموا على جيش نروجيبـال وهزموه ، وفر نروجيبال مع عدة أشخاص من الكفار ، ولم يأت الغلمان الى السلطان وتوجهوا الى مدينة كانت فى هذه الناحية ، ووجدوا المدينة

---

(٤١) ماتوره (زين الأخبار ٧٥) ٠

(٤٢) هبة الله ٠

(٤٣) غير معروف ما هو المقصود من « داند » ربما يقصد بها « حمل » وربما يقصد بها دانق ، لكن المعنى الأول أقرب للصواب ، واند (زين الأخبار ٧٥) وربما يعنى «ونيف » ٠

(٤٤) لم ترد كلمة « هزار » فى نسخة « أ » ص ٨ ، وزين الأخبار ٧٦ ٠

(٤٥) جاءت هكذا نزد ، وفزو ، فى نسخة « أ » ٠

خالية ، فانتهبوها ، وحطموا معابدها ، وتوجه السلطان الى ولاية ننداً ، وكان ننداً مستعداً للقتال وجمع جيشاً كبيراً ، ويقال انه كان لديه ستة وثلاثون الف فارس ، ومائة وخمسة وأربعون ألف من المشاة ، وثمانمائة وأربعون فيلاً ، وعندما نزل السلطان فى مواجهته ، أرسل اليه فى البداية رسولاً ليدعوه الى الطاعة والاسلام ، ولوى ننداً عنقه عن الطاعة ، وقرر القتال ، بعد ذلك صعد السلطان على ربوة ، ليحصى جيش ننداً ، وعاين كثرة جيشه ، وندم على المجيء ، وخفض جبينه خاشعاً ، وطلب العون والمدد من الله ، وعندما حل المساء ، تسلل رعب كبير فى نفس ننداً ، فترك متاعه وأدواته ، وسلك طريق الفرار مع خاصته •

وفى اليوم التالى علم السلطان بهذا الأمر ، فركب ، وأرسل عدة كمائن لتعقب جيشه ، لما يعلمه من مكره وغدره ، وأطلق يد السلب والنهب ، وسقطت غنائم كبيرة فى يد جيش الاسلام وتصادف أن وجدوا فى غابة خمسمائة وثمانين من أفيال جيش ننداً ، فأخذوهم غنيمة ، وعاد السلطان بالظفر والنصر الى غزنين •

فى هذه الأيام وصل الخبر أن قيرات ونور واديان أهلهما جميعاً كفار ، ولديهم حصون محصنة ، فأمر السلطان بجمع الجيوش ، وأخذ برفقته كثيراً من الحدادين والنحاتين والنحاسين ، وتوجه الى هذه البلاد ، وعندما اقترب من هذا المكان ، قصد أولاً قيرات ، وهو مكان بارد وملىء بالثمار وأهالى هذه المدينة يعبدون الخمر (٤٦) ، وسلك حاكمها طريق الولاء وأسلم ، وسعد جميع أهالى هذه البلاد بالاسلام ، وأرسل صاحب على بن ألت أرسلان (٤٧) لتسخير نور ، وذهب ، وفتح هذه البلاد وبنى القلعة ، وعين على بن قدر جوق كوتوالاً لهذه القلعة ، وانتشر الاسلام فى هذه الديار طوعاً أو كرهاً ، وفى سنة ٤١٢ هـ توجه الى كشمير ، وحاصر كوه كوت ، وأقام هناك شهراً ولم يستطع تسخير القلعة لاستحكامها وارتفاعها ، وتوجه من هناك الى لاهور وباكره ، وأشاع الجيش النهب والسلب فى هذا الجبل ، وسقطت غنائم لا حصر لها فى يد جيش الاسلام ، وعاد الى غزنين بالنصر والظفر فى أول الربيع •

وفى سنة ٤١٣ هـ توجه الى ولاية ننداً ، وعندما وصل الى قلعة كواليار ، حاصرها وأرسل حاكمها الرسل بعد مرور أربعة أيام ، وقدم خمسة وثلاثين فيلاً هدية ، وطلب الأمان وقبل السلطان هذا الصلح وتوجه الى قلعة كلنجر (٤٨) التى لا يوجد مثلها فى الحصانة والاستحكام

---

(٤٦) زين الأخبار ٧٨ •

(٤٧) على بن أيل أرسلان (زين الأخبار ٧٨) •

(٤٨) كلينجر ، كالنجر ، كلنجر : قلعة حصينة فى الهندوستان •

وحاصرها ، وقدم ننـدا حاكم هذه القلعة ثلاثمائة فيل بعد مرور فترة على الحصار ، وطلب الأمان ولما كان قد قدم هذه الأفيال بدون حراسها ، أمر السلطان أن يركب الأتراك هذه الأفيال ويأخذونها ، وتعجب أهل القلعة معاً يشاهدونه ، وأخذوا العبرة من الأتراك ، وقال ننـدا شعرا باللغـة الهندية فى مدح السلطان ، وأرسله وعرض السلطان هذا الشعر على فصحاء الهند والشعراء الآخرين الذين كانوا فى ركابه (٤٩) ، وأثنوا عليه جميعا ، فسر السلطان ، وأرسل منشور حكومة خمس عشرة قلعة مع تحف أخرى اليه على سبيل الصلة ، وأرسل ننـدا أيضا مالا وجواهر لا حصر لها الى السلطان ، وعاد السلطان من هناك الى غزنين منصورا وظافرا .

وفى سنة ٤١٤ هـ استعرض السلطان جيشه والجيوش التى كانت فى الأطراف فكانت أربعة وخمسين ألفا من الفرسان وألف وخمسـمائة فيل .

وفى سنة ٤١٥ هـ توجه الى بلخ ، وتظلم أهالى ما وراء النهر فى ذلك الحين من على تكين ، وعبر السلطان جيحون لدفعه ، وأسرع حكام ما وراء النهر فرادى للاستقبال ، يقدمون الهدايا كل حسب سـعته ، واستقبل يوسف قدر خان ، الذى كان سلطانا على جميع التركستان ، والتقيا على طريق المحبة والصداقة ، وسر السـلطان لمجيئه ، ونظم الاحتفالات ، وقدم كل منهما الى الآخر الهدايا ، وقدم السلطان من نفائس الهندوستان الجواهر القيمة والأفيال الضخمة واقترنا بالصلح والرضا ، وعلم على تكين (٥٠) بالخبر ، وأرسل السلطان أشخاصا لتعقبـه وأسره ، وحبسه السلطان وأرسله الى قلعة من قلاع الهندوستان ، وعاد من هناك الى غزنين وقضى الشتاء فيها (٥١) .

وكعادته قاد الجيش الى الهندوستان قاصدا تسخير سومنات ، وسومنات هذه مدينة كبيرة على ساحل البحر المحيط (٥٢) وهى معبد البراهمة ، وكانت فى المعبد أصنام ذهبية ، ويسـمون الصـنم الأكبر « منات » (٥٣) وورد فى التواريخ أن هذا الصنم رفع فى عهد خاتم

---

(٤٩) عرض الشعر على شعراء الهندية والفارسية والعربية (زين الاخبار ٨٠) .

(٥٠) على تكين « أ » ص ٩ ، زين الاخبار ٨١ .

(٥١) يلاحظ ان نظام الدين ينقل عن زين الاخبار .

(٥٢) يقصد به المحيط الهندى .

(٥٣) يقصد صنم مناة الذى ورد ذكره فى الآية الكريمة « افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » النجم ٢٠ .

الأنبياء صلى الله عليه وسلم من الكعبة ، واحضر الى هنا ، ولكن فى كتب السلف من البراهمة يتضح أنه ليس كذلك ، وأن هذا الصنم من عهد كشن الذى كان منذ أربعة آلاف سنة ، وهو معبود البراهمة ، ويقول البراهمة أن كشن قد اختفى هناك .

المهم ، عندما وصل السلطان الى مدينة نهرواله بتن (٥٤) رأى المدينة خالية ، فأمر بحمل الغلال ، وتقدم صوب سومنات (٥٥) وعندما وصل سومنات ، أغلق أهلها باب القلعة فى وجه جيش السلطان ، وبعد قتال وجدال فتحت القلعة ، وقام بالنهب والسلب وقتل وأسر خلق كثيرون ، وحطم المعابد واقتلعها من أساسها وكسر سومنات الى أجزاء ، ووضعوا جزءا تحت عتبة المسجد الجامع بغزنين ، وظل هذا الحجر هناك سنوات .

رفع السلطان لواء العودة من هناك ، وبسبب وجود « برم ديو » راجه من راجوات الهندوستان على الطريق ، وجد أن الوقت ليس فى صالحه للقتال فتوجه الى الملتان عن طريق السند ، وفى هذا الطريق واجه الجيش صعوبات بالغة فى بعض الأماكن بسبب نقص الماء وفى أخرى بسبب نقص العلف (٥٦) ، وجاء الى غزنين سنة ٤١٧ هـ بمشقة بالغة .

فى هذه السنة كتب القادر بالله رسالة الى السلطان محمود ، وأرسل لواء خراسان وهندوستان ونيمروز وخوارزم ، ولقب السلطان وأبناءه واخوته فى هذه الرسالة بالألقاب ، لقب السلطان بكهف الدولة والاسلام ، والأمير مسعود بشهاب الدين وجمال الملة (٥٧) والأمير محمد جلال الدولة وجمال الملة والأمير يوسف بعضد الدولة ومؤيد الملة ، وكتب أن أى شخص توليه العهد ، نحن نرضى به أيضا ، ووصلت هذه الرسالة الى السلطان فى بلخ ، وفى هذه السنة قاد جيشا عظيما لتاديب الجته الذين أصابوا الجيش أثناء العودة من سومنات بأضرار ، فى الملتان وعندما وصل الى الملتان ، أمر بأن يصنعوا ألفا وأربعمائة مركب ، ويضعوا على كل مركب ثلاثة قرون حديدية كاملة وقوية ، الأول فى مقدمة المركب والاثنان على جانبيها ، وكلما كانت تقترب سفينة من هذه القرون

---

(٥٤) نرواله بتن ١ ص ٩ .

(٥٥) سومنات بالصاد المهملة أو السين المهملة التعرف ببلاد « اللار » وهى فى ناحية داخلة فى البحر . (العرب والهند فى عهد الرسالة ـ القاضى أطهر مباركبورى ص ٩٢).

(٥٦) بى ادبى ا ص ٩ .

(٥٧) جملال ك ص ١٧ .

تتحطم وتغـرق ، والقى بهـذه المراكب فى نهـر واسـع (٥٨) وأجلس فى كل مركب عشرين شخصـا بالسـهام والأقواس وقارورة نفـط ، وتوجه لاستئصال الجتة وعلم الجتة بالخبر فأرسلوا أهاليهم وعيالهم الى الجزر ، وتجردوا للمواجهة ، وألقوا بأربعة آلاف وبرواية أخـرى ثمانية آلاف مركب فى النهر ، واستقرت جماعة مسلحة فى كل مركب ، وأسرعوا للمقاتلة ، وعندما التقى الطرفان ، والتحما فى قتال ، كانت كل مركب من مراكب الجتة تتحطم وتغرق عندما تقترب من مركب رجـال السلطان ويصلها القرن ، حتى غرق الجتة جميعا ، وصار البقية منهم علفا للسيوف ، وتوجه جيش السلطان الى عيالهم ، وأسرهم جميعا ، وعاد السلطان الى غزنين ظافرا ·

وفي سنة ٤١٨ هـ أرسل السلطان محمود أمير طوس أبا الحرب (٥٩) ارسلان ليستأصل التركمان وكتب أمير طوس الى السلطان بعد معـارك عظيمة ، ان تدارك فسادهم غير ممكن بدون توجه السلطان بنفســه ، وتوجه السلطان بنفسه لاستئصال التركمان ، ومن هناك اتجه الى الرى ، واستولى بدون مشقة على خزائن ودفائن الرى التى كان حـكامها قد ادخروها فى سنوات طويلة ، وقتل كل من يثبت عليه أنه من أتباع مذهب القرامطة ، وأعطى ولاية الرى وأصفهان للأمير مسـعود الى غزنين ·

وفى فترة وجيزة أصيب بمرض السـل ، وكان يزداد عليه يوما بعد يوم ، وكان يتحامل على نفسه أمام الناس ، حتى وصل الى بلخ ، وعندما حل الربيع ، توفى بنفس المرض فى غزنين يو مالخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ رحمة الله عليه ، وكانت مدة حكمه خمس وثلاثون سنة ·

ويقال أن السلطان أمر وهو فى سكرات الموت أن يجمعوا الخزائن والأموال النفيسة أمامه وتحسر على مفارقتها ، وتأوه ، ولم يعط أحدا دانقا (٦٠) سافر اثنتا عشرة مرة الى الهند للجهاد ·

---

(٥٨) سيحون (زين الاخبار ٨٨) ·

وربما يقصد نهر السند : جيحون فى ما وراء النهر وليس فى الملتـان ، كما أن الجته هؤلاء من الأقوام التى سكنت الملتان والسند ويسمون الزط والجات (العرب والهند فى عهد الرسـالة تأليف ، القاضى أطهر مباركيورى الهندى ترجمة عبد العزيز عزت ص ٤٥) ·

(٥٩) أبو الحرب ١ ص ٩ ، أبو الحرث (زين الأخبار ٨٩) ·

(٦٠) اقل شىء حيث أن المثقال = ٦ دانق (أبو الفضل بن المبارك ـ آئين أكبرى ج ٢ ص ١٤) ·

ذكر جلال الدولة جمال الملة محمد بن محمود سبكتكين (٦١) :

حين رحل السلطان محمود كان الأمير مسعود فى « سباهان »(٦٢) والأمير محمد فى كوركان (٦٣) ، استدعى الأمير على بن آيل (٦٤) أرسلان ـ وكان قريبا للسلطان محمود ـ الأمير محمد ، وأجلسه على العرش فى غزنين ، اهتم الأمير محمد اولا بالمظلومين ، وبحث شكواهم واهتم بتعمير الولاية ، وفتح الخزائن ، وأفاد الوضيع والشريف ، وجعل يعقوب بن يوسف بن ناصر الدين عمه « شبه سالاز » وانعم عليه بالخلع ، واختار خواجه أبا سهيل أحمد بن الحسن الحمدوى (٦٥) للوزارة ، وسلمه جميع مهام المملكة ، وظهر الغنى فى عهده ، وتوجه التجار من الأطراف الى غزنين ، ونعم بالرفاهية الرعية والجيش ، وعلى الرغم من ذلك كانت قلوب الناس تميل الى سلطنة الأمير شهاب الدين أبى سعيد مسعود ، وبعد مرور خمسين يوما من وفاة السلطان محمود اتجه الأمير اياز مع الغلمان الى مسعود ، واقسم الأيمان ، وارسل شخصا الى أبى الحسن على بن عبد الله المسمى بعلى دايه ، واتفقوا معه أيضا وفى اليوم التالى تجمع الغلمان وركبوا الجياد الخاصة وخرجوا جميعا ، واتجهوا من طريق بست ، وارسل الأمير محمد سونديراى هندو (٦٦) بجيش جرار لتعقبهم ، وعندما وصل سونديراى اليهم، قامت المعركة ، وقتل سونديراى وجمع كبير من الهنود ، وقتل ايضا جمع كبير من الغلمان ، وارسلوا رؤوسهم الى الأمير محمد ، وتوجه اياز وعلى داية بسرعة مع الغلمان حتى وصلوا الى الأمير مسعود فى نيشابور ، وقدموا الولاء ، وسر الأمير مسعود ، واعتذر وسأل عن الأحوال ٠

اهتم الأمير محمد فى غزنين باللهو والمرح ، وعندما مرت عليه أربعة أشهر ، أمر أن يقيموا معسكرا فى جانب بست ، وخرج الجميع من غزنين ، وعندما وصل الى تيكيناباد (٦٧) ، اتفق جميع قواد الجيش، وارسلوا رسالة الى الأمير محمد انه « لما كان جميع الناس طائعين وموالين للأمير مسعود ، فمن الأجدر الا تقاومه والصواب هو أن يحل محلك ،وسنذهب اليه ، وسنعتذر نيابة عنك ، وسيدعوك ، حتى تأمن على

---

(٦١) لم ترد كلمة سبكتكين فى نسخة « أ » ص ١٠ ٠
(٦٢) سباهان اسم مدينة اصفهان القديمة ٠
(٦٣) كوزكانان (زين الاخبار ٩٢) ٠
(٦٤) اصل ارسلان « أ » ، ايل ارسلان حاجب (زين الأخبار ٩٣) ٠
(٦٥) الميمندى ـ « أ » ص ١٧ ، الحمدوى (زين الاخبار ٩٣) ٠
(٦٦) سوندهراى (زين الاخبار ٩٤) ٠
(٦٧) نيكناباد « أ » ص ١١ ، تيكيناباد « ط » ص ٢٠ ، تكيناباد (زين الاخبار ٩٤)

أرواحنا وروحك » ، ولم يجد الأمير محمد أحدا بجانبه ، رحل الأمير يوسف وعلي حاجب وقواد آخرون لجيش الأمير محمد الى قلعة ذنج ، وتوجهوا بالجيش كله والخزائن الى الأمير مسعود ،وتوجهوا الى هرات ، ولم تتعد حكومته خمسة أشهر ٠

ذكر أبى سعيد مسعود بن يمين الدولة السلطان محمود الغزنوى (٦٨) :

عندما التحق اياز بن ايماق وعلى دايه بالأمير مسعود فى نيشابور ، قوى ساعده ، وسعى للعدل والانصاف ، وبعد مرور عدة أيام ، جاء أبو سهيل مرسل بن منصور بن أفلج كرديزى (٦٩) بلواء من أمير المؤمنين القادر بالله ، فنال الانعام والاكرام ، وجاء الأمير مسعود من نيشابور الى هرات ، ووصل على حاجب فى ذلك الوقت الى الأمير مسعود ، ونال كل الاكرام ، ووصل جميع حشم وخزائن الأمير مسعود من هرات الى بلخ ، وقضى الشتاء هناك ، واستدعى أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندى ؛ الذى كان قد سجن في قلعة كلنجر بأمر السلطان محمود ، وعينه على الوزارة ، وأمر الأمير جنك ميكائيل بالرحيل ، واستئصال شأفة الأشخاص الذين خالفوا الأمير مسعود واتفقوا مع الأعداء ، ونفى الأمير احمد بن نيالتكين (٧٠) خازن السلطان محمود ، وأخذ منه أموالا كثيرة ، وارسله الى الهندوستان (٧١) وعندما وصل احمد الى الهندوستان أعلن العصيان ٠

جاء أبو طالب رستم مجد الدولة بأمر الأمير مسعود من الهند الى غزنين ، وحضر الأمير حسين بن معدان أمير مكران الى الأمير مسعود للشكوى من اخوته ، فأمر الأمير مسعود أمير تاش فراش بالاقتصاص من اخوته وانصاف الأمير حسين ، ويجلسه على مكران ، وجاء الأمير مسعود من بلخ الى غزنين ، وفرح أهل المدينة واستقبلوه ، ونشروا الدراهم والدنانير ، واتجه من غزنين الى سباهان والرى ، وعندما وصل الى هرات اشتكى أهالى سرخس وباورد (٧٢) من التركمان فأرسل الأمير أبا سعيد عيدروس (٧٣) بن عبد العزيز بجيش جرار لمهاجمة التركمان ، ووصل اليهم وقامت المعركة ، وقتل كثيرون من الطرفين ، وقاتل جيش الأمير مسعود عدة مرات ، وعاد ٠

---

(٦٨) ذكر ابى سعيد مسعود يمين الدولة السلطان محمود « أ » ص ١١ ٠

(٦٩) كردى « أ » ص ١١ ، أبو سهل مرسى بن منصور بن أفلح كرديزى (زين الاخبار ٩٥) ٠

(٧٠) احمد بن ماليكش « أ » ص ١١ ، نيالتكين (زين الاخبار ٩٧) ٠

(٧١) محل اليارق (ارياق) حاجبها (زين الاخبار ٩٧) ٠

(٧٢) اعتقد أنها ابيورد وهى قرب سرخس ٠

(٧٣) عيدروس « أ » ص ١١ ، أبو سعيد عبدوس بن عبد العزيز (زين الاخبار ٩٨) ٠

وفى سنة ٤٢٣ هـ (أصدر أمرا الى خواجه أحمد بن حسن بالتوجه الى خوارزم) (٤٧) ووزر محله خواجه ابا نصر احمد بن محمد عبد الصمد الذى كان مشهورا برأيه الصائب وحسن تدبيره ، وتوجه الى خوارزم ، وعمر هذه النواحى ، وعاد من هناك الى الأمير مسعود ، وعاد الأمير مسعود الى غزنين ٠

وفى سنة ٤٢٤ هـ توجه الى الهندوستان ، وهجم على قلعة سرستى التى كانت فى وادى كشمير ، وحاصرها ، وفتح القلعة فى النهاية ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعاد من هناك الى غزنين ٠

وفى سنة ٤٢٥ هـ توجه الى آمل وسارى ، وتجمع أهالى هذه البلاد ، واستعدوا للقتال ، ونال جيش غزنين الفتح والنصر ، وأرسل كاليخا (٧٥) أمير طبرستان الرسل ، وقبل الخطبة باسم الأمير مسعود ، وأرسل ابنه بهمن وابن أخيه شروين بن سرخاب (٧٦) رهائن ، وتوجه الأمير مسعود من هناك الى غزنين ، وعندما وصل نيشابور ، تظلم الأهالى من التركمان (٧٧) ، فارسل الأمير مسعود بكتعدى (٧٨) وحسين بن على بن ميكائيل بجيش جرار لمهاجمتهم ٠

وعندما وصل الجيش الى « شنيد انفاق » جاء رسل التركمان ، وقدموا رسالة « اننا عبيد وطائعو البلاط ، فلو حددت لنا حدود المرعى ، فلن يكون لنا علاقة بأحد ، ولن نؤذى أى شخص » ولكن يكتعدى أجاب الرسل بجفاء وقال « ليس بيننا وبينكم الا السيف ، فان أطعتم ، وعدتم عن أعمالكم القبيحة ، ارسلوا رسولا الى الأمير مسعود، واحضروا من عنده مكتوبا ، وعندئذ أكف عنكم»، سمع التركمان هذا القول من أفواه الرسل ، وتقدموا ، ووقعت معركة حامية ، ووقعت الهزيمة على التركمان ، فتقهقروا ، وتعقبهم يكتعدى ، وأسر أهاليهم وزوجاتهم ، واستولى على غنائم كثيرة ، وأثناء العودة حيث كان جيش يكتعدى متفرقا وراء الغنائم هجمُ داود تركمان من ممرات الجبل على جيش يكتعدى ، واستمرت الحرب ليلتين ويوم ، وقال يكتعدى لحسين بن على ، « ان التوقف ليس مناسبا » وثبت حسين وقامت الحرب ، وأسر فى يد التركمان ، وفر يكتعدى الى الأمير مسعود ٠

(٧٤) جملة غير موجودة فى نسخة « ك » ص ٢١ ، وموجودة بزين الأخبار ٩٩) ٠
(٧٥) كالنجار (زين الاخبار ١٠٠) ٠
(٧٦) شهروين سرخاب (زين الاخبار ١٠٠) ٠
(٧٧) ينقل نظام الدين احمد عن كرديزى بتصرف ٠
(٧٨) بكمندى « ا » ص ١٢ بكتغدى (زين الأخبار ١٠٢) ٠
(٧٩) احمد بن ماليكن « ا » ص ١٢ ، احمد ينالتكين ، ينال تكين (زين الأخبار ١٠٢) ٠

وعندما وصل الأمير مسعود الى غزنين ، بلغه خبر طغيان أحمد بن نيالتكين (٧٩) فأرسل الأمير مسعود بانتهه بن محمد على قائد الهنود لمهاجمته ، وعندما التقيا ، والتحما فى القتال قتل بانتهه (٨٠) وتفرق جيشه ، وعندما وصل هذا الخبر الأمير مسعود أرسل تلكبن حسين (٨١) قائد قواد الهنود ، فذهب وحارب ، وهزم احمد ، وقطع أذن وأنف كل من وقع فى يده من جيش أحمد ، وفر أحمد الى منصورة (٨٢) بالسند وأراد أن يعبر نهر السند ، وتصادف أن حدث سيل ، فغرق وفقد ، وعندما ألقاه الماء على الشاطىء ، قطعوا رأسه ، وأحضروها الى تلك (٨٣) ، وأرسل تلك هذه الرأس الى الأمير مسعود .

وفى سنة ٤٢٧ هـ تم بناء القصر الجديد ، ووضعوا عرشا ذهبيا مرصعا بالجواهر فى هذا القصر ، وعلقوا تاجا ذهبيا مرصعا بجواهر وزنها سبعون منا (٨٤) يتدلى من أعلى هذا العرش بجنزير ذهبى ، وجلس السلطان على هذا العرش ووضع هذا التاج المعلق على الرأس ، وأعلن العفو العام ، وفى نفس هذه السنة سلم « الطبل والعلم » للأمير مودود ، وأرسله الى بلخ ، وقاد الجيش نحو الهندوستان ، وعندما وصل الى قلعة هانسى (٨٥) فتحها ، وغنم غنائم كثيرة ، وقاد الجيش من هناك الى قلعة « سونى بت » وعلم حاكمها دانيال هرنام (٨٦) ، ففر ، واختفى فى الغابات ، وفتح جيش الاسلام هذه القلعة ، وحطم جميع المعابد ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعندما عرفوا بخبر دانيال ، هاجموه ، وأدرك ذلك ، ففر وحيدا وأصبح جميع جيشه ما بين قتيل وأسير ، وتوجه من هناك الى وادى « رام » وعندما علم رام قدم هدايا كثيرة وأرسل رسالة اعتذر فيها لشيخوخته وضعفه ، وقبل الأمير مسعود عذره وكف يده عنه ، وأعطى « الطبل والعلم » للأمير أبو الحمد (٨٧) بن مسعود وأرسله الى لاهور وعاد الى غزنين .

وفى سنة ٤٢٨ هـ جاء من غزنين الى بلخ لتدارك فساد التركمان ، وترك التركمان بلخ بمجرد سماع هذا الخبر ، وتوجهوا الى الأطراف ،

---

(٨٠) تتهه « ا » ص ١٢ ، بانهه بن محمد مللى (زين الأخبار ١٠٢) .

(٨١) تلك بن جهلن (زين الأخبار ١٠٢) .

(٨٢) بناها محمد بن القاسم سنة ٩١ هـ ، منصورة وسند (زين الأخبار ١٠٣) .

(٨٣) ملك « ا » ص ١٢ .

(٨٤) المن نوع من المكاييل والأوزان مازال مستعملا حتى الآن فى بعض الدول وكان المن فى ذلك الوقت يساوى ٥٠ سيرا .

(٨٥) قلعة هاسى « ا » ص ١٢ .

(٨٦) دبيال هريانه (زين الأخبار ١٠٤) .

(٨٧) أبو الحمد « ا » ص ١٢ ، مجدود (زين الأخبار ١٠٤) .

وفى تلك الأثناء ، جاء الخبر أنه بعد أن مات قدرخان وحل بورتكين محله نفر الرعية منه ، واضطربت جميع بلاد ما وراء النهر ، وعبر نهر جيحون على أمل أن يسيطر على ولاية ما وراء النهر ، واتجه نحوها ، وأخلى المتمردون جميعا منازلهم وفروا ، ولم يتقدم شخص قط للقتال ، وبعد أن مرت عدة أيام أرسل خواجه أحمد بن محمد عبد الصمد الوزير رسالة من بلخ ، وهى أن داود تركمان قد قصد بلخ بجميع جيشه ، وليس لدى مقدرة لمقاومة هذا العدو وهذه الآلات « ففضل الأمير مسعود العودة من ولاية ما وراء النهر فى ساعته وتوجه الى بلخ ، وانحرف داود تركمان صوب مرو ، ووصل الأمير مسعود الى بلخ ، وتوجه عقب داود الى جورجان (٨٨) ، وهناك جاء عدة أشخاص الى الأمير مسعود للشكوى من ظلم على قندرى (٨٩) وكان على قندرى هذا ظالما وعيارا ، وأطلق يده فى هذه النواحي ودعا الأمير مسعود لطاعته ، ولم يقبل ، وظل يؤذى الناس ، وحمل أهله وزوجاته الى قلعة ، كانت فى هذه النواحي وتحصن ، وأرسل الأمير مسعود جيشا ، وسخر هذه القلعة ، وحملوه الى الأمير مسعود ، فقتله ، وعندما سمع التركمان بخبر تحرك الأمير مسعود الى مرو ، ارسلوا رسالة « اننا مازلنا اتباعك ، فلو حددت لنا مرعانا حتى يكون فيها دوابنا وأهلنا وعيالنا ، نكون دائما فى خدمتك (٩٠) » وقبل الأمير مسعود التماسهم ، وأرسل رسولا الى بيغو قائدهم ، ليوثق العهد ، وألا يرتكبوا مثل هذه الأعمال القبيحة ، وعين لهم حدود مرعاهم ، وأقروا هذا العهد ، وتوجه الأمير مسعود من هناك الى هرات ، وتعرض فى الطريق جماعة من التركمان لجيش الأمير مسعود فقتل بعضهم ، وسلب بعض أمتعتهم ، وأرسل الأمير مسعود جماعة لتعقبهم ، فقتلوهم جميعا وأسروا أهاليهم وزوجاتهم ، واحضروا رؤوسهم الى الأمير مسعود ، فأرسل الأمير مسعود كل هذه الرؤوس على حمير الى بيغو ، وأرسل رسالة « أن هذا هو مصير من ينقض العهد » واعتذر بيغو بأنه ليس عنده علم ، ولا نريد لهذه الجماعة الا ما اراده الأمير ، وتوجه الأمير مسعود من هرات الى نيشابور ومن نيشابور الى طوس ، وتقدم بالقرب من طوس جماعة من التركمان للقتال ، فقتل اكثرهم ، وعلم فى ذلك الوقت أن أهالى باورد قد سلموا قلعتهم للتركمان ففتح الأمير مسعود هذه القلعة ، وقتل أهلها ، وعاد الى نيشابور وقضى الشتاء هناك ٠

وعندما حل الربيع فى سنة ٤٣٠ هـ توجه الى طغرل تركمان بجانب

---

(٨٨) داودتركمان (زين الأخبار ١٠٥) ٠

(٨٩) على تعندرى « ١ » ص ١٣ ، على قهندرى (زين الاخبار ١٠٥) ٠

(٩٠) وردت هذه العبارة من قبل « ١ » ٠ ص ١١ ، وردت بزين الأخبار ١٠٦) ٠

باورد (٩١) ، وعلم طغرل فتوجه الى ترن باورد ، وعاد الأمير مسعود من طريق مهته الى سرخس ، ولما كان اهالى مهته (٩٢) لم يدفعوا الخراج فقد قبض عليهم وقتل جماعة منهم ، وقطع أيادى جماعة أخرى وضرب قلعتهم وتوجه صوب ديدانقان (٩٣) وعندما وصلها ، هجم التركمان من جميع النواحى ، وسدوا الطريق أمام جيش غزنين ، رتب الأمير مسعود الصفوف واستعد للقتال ، ونظم التركمان أيضا صفوفهم وتقابلا ، ووقعت معركة حامية ، وأثناء ذلك تقهقر أكثر قواد جيش غزنين ، والتحقوا بالعدو وظل السلطان (٩٤) وحيدا فى الميدان ، وضرب عدة أشخاص من قواد التركمان بالسيف والدبوس والحربة ، وتقهقر جمع من جيش غزنين خلف المعركة ، وفر الى غزنين ، ولما لم يبق أى شخص بجوار الأمير مسعود ، خرج من هذه المعركة بقوته وشجاعته ، ولم يستطع أى شخص أن يتعقبه لقتله ، وقد حدثت هذه الواقعة فى الثامن من رمضان سنة ٤٣١ هـ ، وعندما دخل مرو (٩٥) التحق به عدد من جنوده ، وتوجه من هنـاك عن طريق الغور الى غزنين ، وقبض على القواد الذين كانوا قد تقهقروا فى المعركة النكرة وهم على داية وحاجب برزك سباهى ومكتعدى (٩٦) حاجب ونفاهم الى الهندوستان ، وحبسهم فى القلاع ، وماتوا فى هذا الحبس جميعا ، وأراد الأمير مسعود أن يرحل بجيشه الى الهند حتى يستعيد قوته ، وتجمع حوله جيش كبير ، وهجم على التركمان لكى يضعهم فى ذيل الزمان ، ثم أمر مودود امارة بلخ ، وأرسل برفقته خواجة محمد ابن عبد الصمد (٩٧) الوزير ، وعين وارتكين (٩٨) حاجب حاجبا له ، ورافقه اربعة آلاف شخص ، وعين الأمير محمد مع ألفين على الملتـان ، وأرسل أمراء البلاد الى كوه بايه غزنين لكى يطلعوا على الأفغان العصاه هناك ولا يدعوهم يضرون البلاد ، وأحضر جميع خزائن السلطان محمود التى كانت فى القلاع الى غزنين وحملها على الجمال واتجه صوب الهند ، وأرسل أثناء الطريق رسولا ليحضر أخيه الأمير محمد من قلعة ترغفد (٩٩).

---

(٩١) ماورد « أ » ص ١٣ .

(٩٢) مهندن « أ » ص ١٣ .

(٩٣) دامغان « أ » ص ١٣ ، داندانقان (زين الأخبار ١٠٧) .

(٩٤) اول مرة يطلق عليه لقب سلطان ، أمير شهيد (زين الأخبار ١٠٧) .

(٩٥) مروا الرود : (زين الأخبار ١٠٨) .

(٩٦) ورد من قبل باسم يكتعدى ، على دايه وحاجب بزرك شباش ويكتعد ، حاجب (زين الأخبار ١٠٨) .

(٩٧) هو أحمد بن محمد عبد الصمد .

(٩٨) وارتكين (زين الأخبار ١٠٨) .

(٩٩) برغند (زين الأخبار ١٠٩) .

وعندما وصل الى رباط باريكله (١٠٠) وصل غلمانه بالخزانة ، وسلبوا الجمال ، وأثناء ذلك وصل الأمير محمد الى هنـاك ، وعندما أدرك الغلمان أن هذا التعدى لن يمر الا اذا كان هناك أمير آخر فتوجهوا الى الأمير محمد ، وجعلوه يقبل السلطنة ، وهجموا على الأمير مسعود ، وتحصن الأمير مسعود فى هذا الرباط ، وهجم الجيش فى اليوم التالى مرة أخرى ، وأخرجوا الأمير مسعود من داخل الرباط ، وحبسوه فى قلعة كرى ، وظل هناك حتى الحادى عشر من جمادى الأول سنة ٤٣٢ هـ وأرسلوا رسالة كاذبة بلسان الأمير محمد الى كوتوال كرى ليقتل الأمير مسعود ، وأن يرسل رأسه اليه ، وبموجب هذه الرسالة فصل كوتوال رأسه وأرسلها الى الأمير محمد ، وبكى الأمير محمد كثيرا ، ولام هؤلاء الذين سعوا هذا السعى .

ذكر شهاب الدين والدولة وقطب الملة ابى الفتح مودود بن مسعود :

عندما وصل خبر قتل الأمير مسعود الى ابنـه الأمير مودود فى قهستان ، أراد أن يتوجه الى باريكله للانتقام لأبيه ، وأثناه أبو نصر أحمد ابن محمد بن عبد الصمد عن عزمه ، وجاء الى غزنين ، واستقبله أهالى غزنين جميعـا ، وعزوه ، وبايعوه ، وتوجه من هناك بجيش جرار قاصدا عمه الأمير محمد ، وعندما وصل الى دنتور ، استقبله الأمير محمد ، وأعد الصفوف ، وتقاتلا ، وكانا يتقاتلان طوال النهار ، وعندما يحل المساء ، يبتعد كل منهما عن غريمه ، ويعود إلى مكانه وأرسل الأمير مودود فى ليلة الى ميراجل (١٠١) سيد منصور ، الذى كان فى جيش الأمير محمد رسولا وجعله يآزره ، وعندما اتخذ ميراجل سيد منصور أثنـاء الحرب جانبا ، وأخذ يتفرج ، لم ير شجاعة فى أى جانب ، والتقى الطرفان فى اليوم التالى ، وتقاتلا ببسالة وأخيرا صار النصر حليفا للأمير مودود ، وأرسل الأمير محمد ابنه أحمد وسائر أعيان الجيش ، وقتلهم وبنى الأمير مودود هناك رباطا وسوقا ، وأسماه فتح آباد (١٠٢) ، وأمر باحضار

---

(١٠٠) أباركه « أ » ص ١٤ ، أما الرباط فهو منطقة على الحدود ، وقد انشئت الرباط فى الاسلام لجمع الاهالى للعلم والجهاد ، وهو مكان يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات ، وهى أيضا منشاة دينية وحربية والرباطات تعد من الثغور الاسلامية .

(١٠١) مراحل « أ » ص ١٤ ، سيد أبو منصور (زين الاخبار ١١١) .

(١٠٢) فتح باد « أ » ص ١٤ .

تابوت أبيه واخوته من كرى (١٠٣) الى غزنين ، وكان هذا النصر فى شهر شعبان سنة ٤٣٢ هـ ٠

وفى سنة ٤٣٣ هـ استاء الأمير مودود من خواجه أحمد عبد الصمد ، فحبسه فى قلعة غزنين ، ومات فى الحبس ، واختار أبا طاهر بن محمد مستوفى للوزارة ، وأرسل فى نفس هذه السنة أبا نصر محمد بن احمد الى الهند لمحاربة نامى محمد بن محمود ، وقتل نامى فى هذه الحرب وفى سنة ٤٣٤ أرسل الأمير مودود أرتكين الى طخرستان (١٠٤) وعندما وصل أرتكين (١٠٥) الى طخرستان علم أن ابن أبى داود تركمان جاء الى « أرمن » فهاجمه ، وعندما اقترب منه تنبه ، فترك الجيش هنـاك ، وفر مع عدد معدود ، وتعقبه ارتكين وقتل كثيرا من جيشه ، وعاد من هناك الى مدينة بلخ ، واستولى عليها ، وقرأ الخطبة باسم الأمير مودود ، وبعد فترة توجه اليه التركمان ، واقتربوا من بلخ ، ولما لم يكن جيشـه كبيرا ، طلب المدد من الأمير مودود ، ولما لم يجد قبولا لطلبه ، جاء الى غزنين بجيشه ، وفى سنة ٤٣٥ هـ بوشاية البعض استاء من أبى على « كوتوال » غزنين وحبسه ، واخيرا عنـدما علم براءته ، أطلق سراحه وجعله « ديوانا للمملكة « وكوتوالا » لغزنين ، وحبس سورى بن العبر الذى كان ديوانا من قبل حتى مات فى الحبس ، وصدرت من ارتكين اشياء ساءت خاطر الأمير ، فاطاح برأسه أمام الجميع ٠

وفى سـنة ٤٣٦ هـ وزر خواجـه (١٠٦) طاهر ، وعين خواجـه امام (١٠٧) سيد أبا الفتح عبد الرازق بن أحمد حسين محله بالوزارة ، وأرسل فى نفس السنة طغرل حاجب الى بست ، وأسر أخو أبى الفضل درنكى (١٠٨) أبا منصور ، وجاء الى غزنين ، وفى سنة ٤٣٧ هـ تجمع التركمان ، واتجهوا الى غزنين ، وعندما مروا من بست ، وانتهبوا رباط الأمير (١٠٩) وصل اليهم جيش غزنين ، ووقعت معركة حامية ، وأصابت الهزيمة التركمان ، وقتلوا أكثرهم ، وبعد هذا النصر توجه طغرل الى كرمسير ، وقتل تركمان هذه الولاية والذين يسمونهم « سرخ كلاه » (١١٠)

---

(١٠٣) كراى « أ » ص ١٤ ٠
(١٠٤) طخرستان « أ » ص ١٤ ٠ وربما يقصد طخارستان ٠
(١٠٥) وردت ارتكين وارتكين بالكاف الفارسية ٠
(١٠٦) خواهر « أ » ص ١٥ ٠
(١٠٧) أيام « أ » ص ١٥ ٠
(١٠٨) ورنكى « أ » ص ١٥ ٠
(١٠٩) رباط أمر « أ » ص ١٥ ٠
(١١٠) أصحاب العمامة الحمراء ٠

وأسر كثيرين وعاد الى غزنين ، وفى سنة ٤٣٨ هـ أرسل الأمير مودود طغرل ثانية بجيش جرار الى هذه الناحية ، وعندما وصل طغرل الى بتكيناباد (١١١) ابدى العصيان ، وعلم الأمير مودود بهذا الخبر ، فأرسل عدة أشخاص اليه لاستمالته ، فأجاب طغرل : « طالما أن الجماعة التى تلازم الأمير تضمر لي العداء فلن أستطيع الملازمة » وبعد هذا أرسل الأمير مودود على ابن ربيع بعشرة (١١٢) آلاف فارس طالبا طغرل ، وعندما اقترب على بن ربيع من طغرل ، فر طغرل مع عدة أشخاص ، واقتحم على جيشه ، وانتهبه ، وأسر عدة أشخاص ، وجاء الى غزنين ، وفى نفس هذه السنة أرسل الأمير مودود حاجب بزرك بايتكين الى الغور ، وعندما توجه الى الغور ، اتبعه بشيربجه ، ووصل الى قلعة « أبى على » وفتح هذه القلعة ، وأسر أبا على ، وهذه القلعة لم يستطع أحد أن يسيطر عليها منذ سبعمائة سنة ، وقيد شيربجه أبا على ، وجاء الى غزنين ، وفى نفس هذه السنة أرسل الأمير مودود أمير حاجب بايتكين لمهاجمة « بهرام بسال » قائد التركمان ، والتقى الطرفان فى نواحى بست ، وتقابلا ، وفر التركمان مهزومين ، وفى سنة ٤٣٩ هـ تمرد أمير قزدار (١١٣) فأرسل الأمير مودود ، حاجب بزرك بايتكين لمهاجمته ، وقاتل قزدار ، وهزم ، وبعد فترة ، دخل من طريق الطاعة وقبل دفع الخراج فعاد أمير حاجب الى غزنين .

وفى سنة ٤٤٠ هـ ، سلم الأمير مودود ولديه أبا القاسم محمود ومنصور فى يوم واحد « الخلعة والطبل والعلم » وأرسل أبا القاسم محمود الى لاهور ، ومنصور الى برشور (١١٤) وأرسل أبا على حسن كوتوال غزنين الى الهندوستان ، ليؤدب المتمردين فى الهند ، واتجه أبو على الى قلعة ماهية (١١٥) وعندما علم آهنين حاكم القلعة ، فر وحيدا ، وفر كل قائد هندى كان يلازمه فى عهد السلطان محمود وقضى عمره فى خدمته ، وبسبب بعض الأمور استاء ، وفر الى الهندوستان ، واختفى فى جبال كشمير ، وأرسل الكوتوال رسولا اليه ، واستماله كثيرا ، واستدعاه لديه ، وعاهده وأرسله الى غزنين ، ورعى الأمير مودود مقامه ، واهتم به ، وخلال هذه المدة التى كان فيها أبو على كوتوال فى الهند ، سعى الأعداء بالوشاية به عند مودود ، وعندما جاء أبو على

---

(١١١) بكناباد « أ » ص ١٥ .

(١١٢) دو « أ » ص ١٥ ، ده « ك » ص ٢٩ .

(١١٣) أمير قردار « أ » ص ١٥ ، قزدار (روضة الصفا جلد جهارم ٣٧٤) .

(١١٤) يرسوز (أ) ص ١٥ . برشور « ك » ص ٣٠ .

(١١٥) ما هيته « أ » ص ١٥ .

كوتوال الى غزنين ، أمر الأمير مودود بحبسه ، وسلمه الى ميرك حسن ، وبعد عدة أيام قتله الأعداء فى هذا الحبس ، ولما كان ارتكاب هذا الفعل دون موافقة الأمير مودود ، سعوا لاخفاء هذا الأمر وحرضوا الأمير على السفر ، لأنه لو سافر الآمير من غزنين فان عملهم سيظل مستورا ، وأخيرا فضل الأمير السفر الى كابل ، وعندما وصل الى قلعة سانكوه ، أصابه مرض القولنج وأخذ المرض يزداد يوما بعد يوم ، واضطر الأمير مودود للعودة الى غزنين ، وعندما وصل الى غزنين ، كلفه ميرك وهو فى أثناء المرض ، أن يطلق سراح أبى على كوتوال من الحبس ويحضره ، واحتال ميرك ، وطلب أسبوعا مهلة ولم يكد يمر أسبوع حتى توفى الأمير مودود وفى الرابع والعشرين من رجب سنة (١١٦) هـ ، ووصلت أيام حكومته تسع سنوات ، وجلس ابنه محمد بن مودود ، الذى كان فى الثالثة من عمره بسعى على بن ربيع على عرش السلطنة ، وبعد خمسة أيام تغير رأى الأمراء ، ورفعوا على بن مسعود على السلطنة .

ذكر على بن مسعود :

عندما استقر على الحكم كان عبد الرزاق بن أحمد ميمندى ؛ الذى كان الأمير مودود قد عينه فى سيستان ، قد وصل الى قلعة بين بست واسفراين (١١٧) ، وعلم أن عبد الرشيد محبوس فى هذه القلعة بأمر الأمير مودود ، فأطلق سراح عبد الرشيد ، وجعله يقبل السلطنة ، وأمر الجنود أيضا بطاعته ، واخذ منهم البيعة ، وأيام حكومة على قرابة ثلاثة أشهر .

ذكر عبد الرشيد بن مسعود :

بعد أن وصل الى الحكم ، توجه مع عبد الرزاق والجنود الآخرين الى غزنين ، وعندما وصلوا الى غزنين ، فر على بن مسعود من المعركة ، وحكم عبد الرشيد واتجه طغرل حاجب الذى كان من أفراد السلطان محمود الى سيستان ، وسخر طغرل سيستان ، وتجمع له جمع ، وتوجه من هناك الى الأمير عبد الرشيد ، للغدر به وعندما اقترب من غزنين ادرك الأمير عبد الرشيد غدره فدخل غزنين مع تابعيه وتحصن ، وأخذ طغرل المدينة ، وقتل الأمير عبد الرشيد مع أولاد السلطان محمود الآخرين ، وتزوج ابنة مسعود ، وجلس يوما على العرش ، وأعلن العفو

---

(١١٦) روضتا الصفا جلد جهارم ٣٧٤ أ .

(١١٧) سفراين ٩ ١٦ ، اسفراين ك ٣١ .

العام ، ولكن جماعة من الأبطال الغيورين دخلوا عليه ، ومزقوه اربا بالسيوف وألقوه على تراب المذلة ، وأيام حكومته (١١٨) أربع سنوات ٠

ذكر فرخ بن مسعود (١١٩) ٠

عندما قتل طغرل ، أطلق أمراء وأعيان الدولة سراح فرخ زاد الذى كان محبوسا ، وأجلسوه على العرش ، وتوجه جيش كبير من السلاجقة (١٢٠) الى غزنين وأرادوا النهب والسلب ، وتوجه « حرحر » بأمر فرخ زاد لاستقبالهم ، وقتل أكثرهم ، وأسر عددا من أعيانهم ، وأحضرهم أمام الأمير (١٢١) فرخ زاد ، فأمر الأمير بحبسهم ، وتوجه ألب أرسلان مرة أخرى بجيش عظيم لمحاربة الغزنويين ، وغلبهم ، وأسر كثيرا من قواد غزنين ، وحملهم الى خراسان ، وأخيرا قرر الصلح وتحرر الأسرى من الطرفين ، ولم تكد تمر ست سنوات على حكم فرخ زاد حتى انتقل من العالم الفانى ، وجلس أخوه ابراهيم بن مسعود مكانه على الحكم ٠

ذكر ابراهيم بن مسعود ابن السلطان محمود :

كان سلطانا عادلا وزاهدا ، اشتهر بحسن التدبير واصابة الرأى ، وكان يكتب خطا جميلا ويرسل كل عام مصحفا وأموالا كثيرة الى مكة ، المهم ، بعد ما عقد الصلح مع السلاجقة ، ارتاح خاطره ، وتوجه الى الهندوستان ، وفتح كثيرا من القلاع والبقاع منها مدينة فى نهاية المعمورة كان سكانها من نسل الخراسانيين ، الذين طردهم أفراسياب (١٢٢) من خراسان ، وكان فى هذه المدينة حوض ، قطره نصف فرسخ ، مهما شرب منه الانسان والحيوان ، لا ينضب ماؤه قط ، وبسبب كثرة الغابات ، التى كانت حول القلعة ، لم يظهر طريق الذهاب والاياب ، وفتح هذه القلعة بالقوة ، وأسر مائة الف شخص ، وجاء الى غزنين ، واستولى على غنائم اخرى ، وكانت وفاته سنة ٤٨١ هـ ، حكم ثلاثين عاما ، وبرواية صاحب (١٢٣) بناكتى اثنتين واربعين سنة ٠

---

(١١٨) أيام حكومة عبد الرشيد ، أهمل محمد خاوندشاه ذكر على بن مسعود وعبد الرشيد ٠

(١١٩) فرخزاد « ك » ص ٣٢ ٠

(١٢٠) وهم الترك الغز فى بلاد ما وراء النهر من سنة ٢٩٥ــ٥٢٨ هـ (تاريخ بخارى ص ١٢٧) ٠

(١٢١) روضة الصفا ٤/٣٧٥ أ ٠

(١٢٢) بطل أسطورى تورانى حارب رستم حروبا طويلة وأخيرا قتل على يديه ٠

(١٢٣) لم ترد كلمة « صاحب » بنسخة « أ » ٠

ذكر مسعود بن ابراهيم :

حل محل الأب ، ولقب بالسلطان جلال الدين ، ولم نجد أحوالا له أكثر من ذلك مدة حكومته ست عشرة سنة (١٢٤) ٠

ذكر ارسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم :

حل محل أبيه ، وقفز على كرسى الحكم ، وقبض على جميع اخوته ، وحبسهم الا بهرامشاه الذى فر وتوجه الى السلطان سنجر (١٢٥) بخراسان ، وكلما كتب الرسائل وألح حول أمر بهرامشاه يرفض أرسلان شاه ، وأخيرا هجم السلطان سنجر بجيش جرار على أرسلان شاه ، وبمجرد أن اقترب بمسافة فرسخ من غزنين حتى خرج أرسلان شاه بثلاثين ألفا ، وصف الجيش ، ووقعت معركة حامية ، ووقعت الهزيمة على أرسلان شاه ، وتوجه الى الهندوستان ، ودخل السلطان سنجر غزنين ، وتوقف هناك اربعين يوما ، وسلم هذه الولاية لبهرامشاه ، وعاد الى ولايته ، وعلم ارسلان شاه بعودة السلطان سنجر ، فجاء الى غزنين بجيش جرار من الهندوستان ، ولم يجد بهرامشاه نفسه قادرا على المقاومة فترك غزنين ، وذهب الى قلعة باميان ، وعاد لمهاجمة غزنين بمساعدة جيش السلطان سنجر ، فاخلى أرسلان شاه المدينة خوفا من جيش السلطان سنجر ، واختفى ، وتعقبه السلطان سنجر ، وقبض عليه ، وسلمه الى أخيه بهرامشاه ، وقتل بيد أخيه ، وكانت مدة حكومته ثلاث سنوات ٠

ذكر بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم :

كان سلطانا صاحب شوكة ، صاحب العلماء والفضلاء ، وقال الشيخ ثنائى شعرا باسمه ، وصنفت فى عهده كتب كثيرة ، وألف باسمه كليلة ودمنة ، وأنشد سيد حسن غزنوى يوم جلوسه قصيدة مطلعها :

« هبط النداء من السماء السابعة ، ان بهرامشاه ملك للعالم »

قاد الجيوش الى بلاد الهند ، وسخر الأماكن التى لم يستطع أن يستولى عليها اسلافه ، وترك أحد أمرائه لضبط ممالك الهندوستان (١٢٦)، وعاد الى غزنين ، وبعد فترة طويلة كفر هذا الوالى بالنعمة ، وسلك طريق العصيان ، وتوجه بهرامشاه بمجرد سماع هذا الخبر الى

---

(١٢٤) مدة سلطنة مسعود خمس عشرة سنة (روضة الصفا جلد جهارم ٣٧٥ أ) ٠

(١٢٥) حكم من سنة ٤٨٢ هـ ـ ٥٢٢ هـ ٠

(١٢٦) كان هذا أول والى من قبل الغزنويين يحكم الهندوستان ٠

الهندوستان لدفعه ، وعندما وصل الى الملتان ، وقعت بين الطـرفين معركة حامية ، واسر هذا الشخص من شؤم بغيه ، وقتله ، وتوفى سنة ٥٤٧ هـ كانت مدة حكمه خمسة وثلاثين سنة ٠

ذكر خسروشاه بن بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم :

ارتقى السلطان بعد أبيه ، وعندما توجه علاء الدين غورى الى غزنين ، فر الى الهندوستان ، وحكم فى لاهور ، وعندما فضل علاء الدين حسين العودة ، عاد خسروشـاه الى غزنين ، وعنـدما اسر « الغز » السلطان سنجر توجهوا الى غزنين ، ولم يجد خسروشاه طاقة لمقاومتهم ، وتوجـه الى لاهور ، وتوفى سـنة ٥٥٥ هـ ، وامتـدت حـكومته الى ثمانى سنوات (١٢٧) ٠

ذكر خسروملك بن خسروشاه :

جلس فى لاهور بعد وفاة والده ، واتصف بالحلم والحياء ، واصاب الفساد التام المملكة بسبب كثرة اللهو والطرب :

« شاع الفساد فى هذا العرش والملك ، لأن تدبير الملك كان اقل من راعى الغنم » ٠

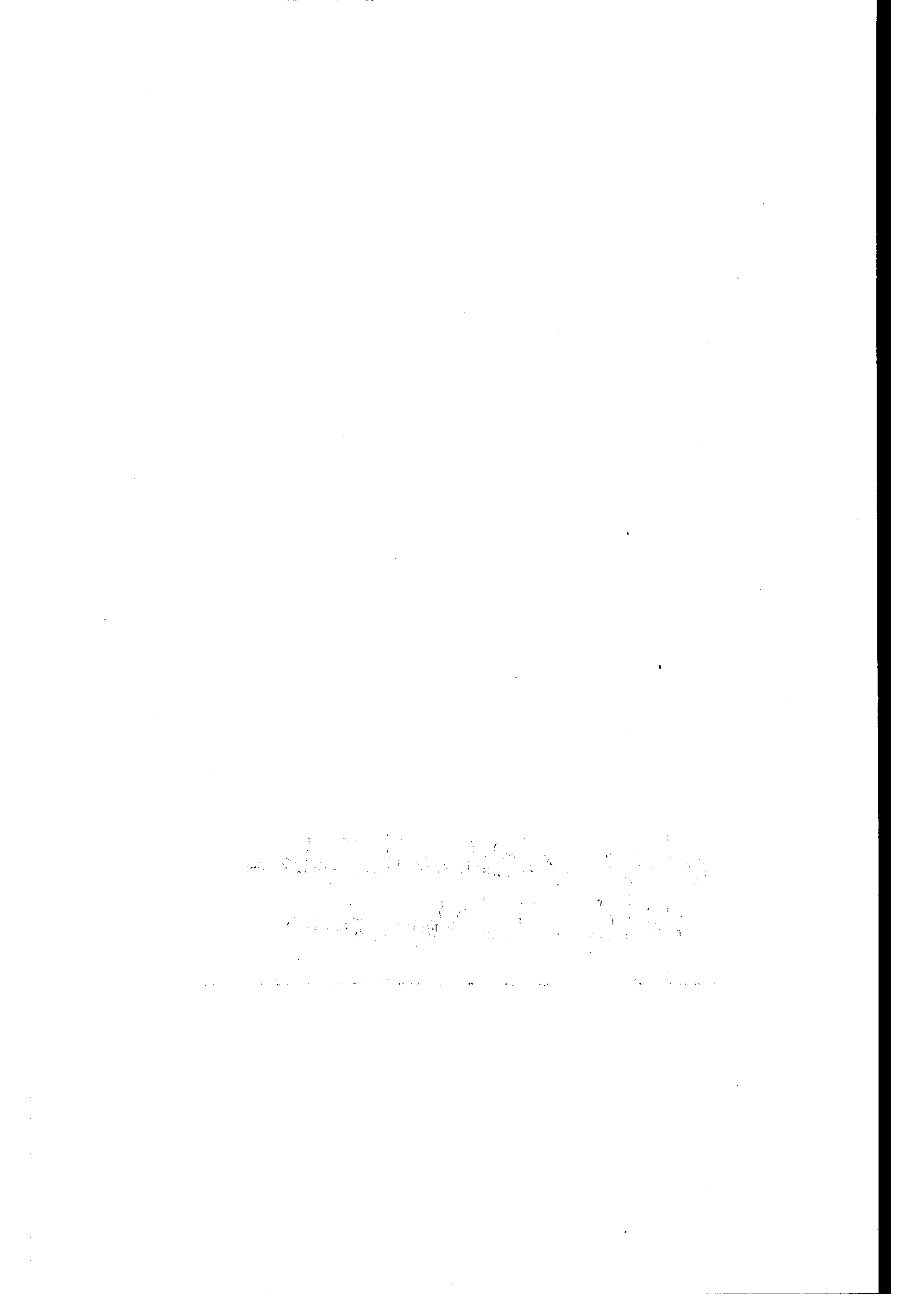
وعندما اتخذ السلطان معز الدين محمد سام غزنين حاضرة له ، وقاد الجيش الى الهند استولى على ما هو حول لاهور ، وطلب خسروملك الأمان ، وتوجه اليه فى سنة ٥٨٣ هـ ، وارسله السلطان معز الدين محمد الى غزنين ، وتجرع من كأس الفناء ، وكانت مدة حكومته ثمان وعشرين سنة ، وولت دولة الغزنويين ، وانتقل السلطان من اسرتهم ٠٠٠ والله اعلم (١٢٨) ٠

---

(١٢٧) وردت بنسخة « ا » « بيست » وهى خطأ ص ١٧ ، وفى نسخة « ك » بهشت ص ٣٥ ٠

(١٢٨) والله اعلم وردت بنسخة « ا » ص ١٧ ، ولم ترد فى نسخة « ك » ٠

- طبقة سلاطين دهلى
حتى جلال الدين أكبر



طبقة سلاطين دهلى

ذكر السلطان معز الدين محمد سام غورى :

اشتهر بشهاب الدين ، كان له أخ يسمى شمس الدين ، أصغر منه ، أطلقوا عليه بعد السلطنة غياث الدين ، بعد أن وصل السلطان غياث الدين الى حكم الغور وضم بعض الولايات ، ترك أخاه الأصغر معز الدين فى تكناباد من بلاد كرمسير ، وعندما حكم السلطان معز الدين تكناباد أخذ يهاجم غزنين ، ويقود الجيش من تكناباد ، وأخذ فى مضايقة هذه البلاد ، حتى سنة ٥٦٩ هـ حيث فتح السلطان غياث الدين غزنين ، وترك أخاه الأصغر سلطان معز الدين محمد هناك ٠

وعندما حلت سنة ٥٧٠ هـ حكم معز الدين حكومة غزنين نيابة عن أخيه « وبعد سنة قاد الجيش صوب أجه » (١) واستولى على الملتان من يد القرامطة ، وتحصنت طائفة بهاتيه (٢) فى قلعة أجه ، وحاربت عدة أيام (٣) وأخيرا تم الفتح ، وسخر الملتان أيضا ، وسلم أجه والملتان الى على كرماخ ، وعاد الى غزنين ، وفى سنة ٥٧٤ عاد الى أجه والملتان ، وتوجه الى الكجرات من طريق صحراوى ، وتقدم راى بهيم ديو حاكم هذه الولاية لمقاتلته ، وبعد المقابلة وقعت الهزيمة على السلطان ، وعاد السلطان بمشقة بالغة الى غزنين ، واستقر عدة أيام ، وفى سنة ٥٧٥ هـ قاد الجيش الى ناحية بشاور ، التى تشتهر فى كتب السلف ببكرام (٤) وبرسبور وفرشور ، وسخر هذه الناحية ٠

وفى السنة التالية هاجم لاهور ، وتحصن السلطان خسروملك ، وكان من نسل السطان محمود الغزنوى ، ويحكم لاهور ، فى قلعتها ،

---

(١) سقطت هذه الجملة من نسخة « أ » ص ١٨ ٠

(٢) مهنته « أ » ص ١٨ ٠

(٣) سيعد روز « أ » ص ١٨ ، چند روز « ك » ص ٣٦ ٠

(٤) بكرام أ ص ١٨ ٠

وبعد الرسل والرسائل أرسل خسرو ملك ابنه بفيل هدية ، وعقد السلطان معز الدين الصلح ، وعاد ، وفى السنة التالية قاد الجيش الى ديول وهى جزء من تهته (٥) واستولى على جميع بلاد شاطىء البحر ، واستولى على أموال كثيرة ، وعاد ، وفى سنة ٥٨٠ هـ دخل ولاية لاهور ثانية ، وتحصن خسرو ملك مرة أخرى وانتهب السلطان معز الدين نواحى لاهور ، وبنى قلعة سيالكوت (٦) وهى بين نهر راوى ونهر جناب وعين حسين خرميل عليها ، وعاد ، بعد ذلك حاصر خسرو ملك بالاتفاق مع كهوكران وقبائل أخرى قلعة سيالكوت مدة وعاد خائبا ، وعاد السلطان معز الدين فى سنة ٥٨٢ الى لاهور ثانية ، وتحصن خسروملك ، وحارب عدة أيام وأسرع فى آخر الأمر لمقابلة السلطان معز الدين لعجزه ، وحمله السلطان معه الى غزنين ، وأرسله عند أخيه غياث الدين فى فيروزكوه ، وحبسه غياث الدين في احدى قلاع غرجستان ، وتوفى فى حبسه ، وسلم السلطان معز الدين لاهور ، لعلى كرماخ (٧) حاكم الملتان وعاد .

وفى سنة ٥٨٧ هـ توجه من غزنين الى الهندوستان ، وسخر قلعة سرهند التى كانت فى هذه الأيام حاضرة راجوات عظام ، وترك ملك ضياء الدين توكلى أو تولكى (٨) ، مع ألف ومائتين فارس من خيرة الفرسان فى هذه القلعة ، وسلمهم متاع القلعة وعندما أراد العودة سمع بخبر مجىء راى بتهورا راجه اجمير ، فاستقبله فى قرية تراين (٩) على نهر سرستى وهى على مسافة سبعة فراسخ من تهانيسر ، وتشتهر الآن بتراورى ، وهى على مسافة أربعين فرسخا من دهلى ووقعت معركة حامية ، وأصابت الهزيمة جيش الاسلام ، وأبدى السلطان فى هذه المعركة شجاعة ، وتقدم فى مواجهة كهاندى راى أخى بتهورا والى دهلى ؛ والذى كان راكبا على فيل ، وأصابه بحربة فى فمه ، وضرب السلطان أيضا بحربة ، فجرح ساعده ، وكان خلج بجه قريبا من السلطان يسير مترجلا ، فشاهده فأركب السلطان خلفه على جواده وأخذه وخرج من المعركة ووصلا الى المعسكر ، وسكنت الغوغاء التى حدثت فى الجيش لعدم مجىء السلطان ، وعندما عاد السلطان الى غزنين ، جاء راى بتهورا ، وحاصر قلعة سرهند ، التى كان ضياء الدين

---

(٥) تهه « أ » ص ١٨ .

(٦) سيالكوت « أ » ص ١٨ ، سيالكوت « ك » ص ٣٧ .

(٧) قلى كرماخ « أ » ص ١٨ .

(٨) توكلى فقط فى نسخة « أ » ص ١٨ .

(٩) نراين « أ » ص ١٨ .

توكلى فيها ، لمدة عام وشهر ، وتصالحا ، وفى سنة ٥٨٨ هـ توجه السلطان معز الدين الى الهندوستان ثانية ، وفى نفس قرية تراين (١٠) التقى مع بتهورا ، ووقعت معركة حامية ، وقسم السلطان جيشه أربعة أفواج ، وقاتلوا على دفعات وحقق النصر ، وأسر بتهورا وقتله ، وهزم كهاندى راى أخوه فى المعركة ، وقتل ، وفتح قلعة سرستى وهانسى ، وانتهب أجمير التى كانت دار ملك بتهورا ، وترك ملك قطب الدين ايبك غلامه وخليله فى قصبة كهرام على مسافة سبعين فرسخا من دهلى ، ونهب جبل سوالك شمال الهندوستان ، وعاد الى غزنين ، وسخر ملك قطب الدين أيبك فى نفس السنة المذكورة قلعة دهلى وميرت (١١) واستولى عليهما من يد أقارب بتهورا وكهاندى راى وفى سنة ٥٨٩ هـ سخر قلعة كول ، واتخذ دهلى دارا للملك ، واستقر هناك ، واستولى على نواحى دهلى ، ومنذ هذا التاريخ صارت دهلى حاضرة السلاطين ، وفى السنة المذكورة توجه السلطان معز الذين من غزنين الى الهندوستان، وسار الى قنوج ، واستقبله راى جيجند والى قنوج بثلاثمائة ونيف من الأفيال ، وحارب فى نواحى قصبة جندوار (١٣) وأشاوه ، وهزم ، واستولوا على أفياله وحشمه ، وترك السلطان ملك قطب الدين فى دهلى ، وعاد الى غزنين بغنائم كثيرة ظافرا منتصرا واستولى ملك قطب الدين أيبك على قلعة تهنكر وكواليار وبداون ، وقاد الجيش الى نهرواله (١٤) بالكجرات لينتقم للسلطان من راى بهيم ديو واليها ، واستولى على غنائم كثيرة .

كان السلطان معز الدين فى طوس وسرخس : حين وصله خبر وفاة أخيه الأكبر السلطان غياث الدين ، وتقلد السلطنة ، وتوجه الى بادغيس ، وتلقى العزاء ، وقسم ممالك أخيه على آل سام ، فأعطى ابن عمه ملك ضياء الدين عرش فيروزكوه والغور ، لأنه كان صهر السلطان غياث الدين وأعطى بست وقره (١٥) واسفراين الى السلطان محمود بن غياث الدين ، وسلم حكومة هرات وتوابعها لناصر الدين غازى ابن أخته ، وجاء من بادغيس الى غزنين ، وتوجه الى خوارزم لتسخيرها ،

---

(١٠) نراين « أ » ص ١٩ .
(١١) هرت « أ » ص ١٩ .
(١٢) راى جند « أ » ص ١٩ .
(١٣) راى جند « أ » ص ١٩ .
(١٣) قصة جند « أ » ص ١٩ .
(١٤) بهرواله « أ » ص ١٩ .
(١٥) فره « ك » ص ٤٠ .

وهزم خوارزمشاه ، ودخل خوارزم ، وعندما وصل السلطان الى خوارزم ، قامت المعركة عدة أيام ، وبدأ أهل خوارزم القتال على شاطىء نهر كان محفورا شرقى خوارزم ، واستشهد كثير من أمراء الغور فى هذه المعركة ، ولما لم يتيسر فتح خوارزم ، عاد من واديها وشط جيحون الى بلخ ، وكان جيش الخطا وملوك التركستان قد جاءوا لمساعدة السلطان محمد على شاطىء نهر جيحون ، وقطعوا الطريق على السلطان معز الدين ، وعندما وصل السلطان الى « اندخود » وقعت معركة حامية بين الطرفين ، وحارب السلطان فى هذه المعركة بشجاعة وبطولة مع مائة فارس بقوا معه ، ولما لم يستطع المقاومة ، دخل قلعة اندخود ، وتحصن ، وسلمهم القلعة مقابل الصلح وطلب الأمان ، وعاد الى غزنين ، وفى هذه الأثناء أعلنت جماعة كهوكهران فى نواحى لاهور العصيان ، وقاد السلطان جيشه لمهاجمة كهوكهران ، وتوجه قطب الدين أيبك اليه من دهلى لتقديم الخدمة ، وأدب كهوكهران ، وعاد الى غزنين ، وأثناء العودة استشهد فى دميك ، وهى قرية من توابع غزنين بيد فدائى كهوكهرانى وقالوا هذه القطعة فى تأريخه :

« شهادة ملك البحر والبر ، شهاب الدين الذى لم يأت مثله منذ بداية العالم »

« سقط فى الثالث من شعبان سنة ٦٠٢ هـ فى طريق غزنين بقرية دميك » .

كانت أيام سلطنته من بداية فتح غزنين (١٦) حتى آخر العمر ، اثنتين وثلاثين سنة وعدة أشهر ، ولم يبق له وريث سوى أخته ، ويقال أنه ترك خزائن من الذهب والفضة والجواهر من جملتها خمسمائة « من » (١٧) من الماس وهى جواهر نفيسة ، وترك نقودا أخرى وأموالا تفوق الحصر ، سافر الى الهند تسع مرات ، وهزم مرتان ، ونال التوفيق فى آخر حياته ، كان سلطانا عادلا رحيما على الخلق ، يخاف الله ، وكان يكرم العلماء والصالحين ، ويرعاهم .

ذكر السلطان قطب الدين أيبك :

كان غلام السلطان معز الدين سام ، أحضره من التركستان فى أول الأمر القاضى فخر الدين عبد العزيز الكوفى وهو من أولاد الامام

---

(١٦) سقطت كلمة « فتح » من نسخة « ك » ص ٤٠ .

(١٧) نوع من الوزن والمكيال مازال مستعملا حتى الآن فى بعض الدول الاسلامية ومنها دول الخليج .

أبى حنيفة الكوفى الذى اشتراه ، وعلمه القرآن مع أبنائه ، وأكسبه الآدب ، واشتراه بعد ذلك تاجر بثمن مرتفع ، وقدمه هدية الى السلطان معز الدين فى غزنين ، فاشتراه منه بثمن باهظ ، وعندما انكسر أصبعه الخنصر قالوا له « أيبك » ؛ كان يخدم السلطان باخلاص لذا نال فى فترة قصيرة القرب والاختصاص ، وذكروا أن السلطان معز الدين عقد ذات ليلة حفلا ، وجلس مع المقربين والخاصة ، وأنعم فى هذا الحفل على خاصته والمقربين جميعا بانعامات كثيرة ، وخص ملك قطب الدين بمزيد من الانعـام ، وعندما انفض المجلس ، قسم ملك قطب الدين ما كان قد ناله من انعام على جميع الفراشين والخدم ، وعلم السلطان بالخبر صباحا ، فأثنى عليه وأكرمه ورفعه الى درجة الامارة ، ونال الاكرام من الحاضرين وأهل البلاط وأخذ نجمه فى الارتفاع ٠

وفى الأيام التى قاد سلاطين الغور وغزنين وباميان جيوشـهم لدفع سلطان خوارزم فى خراسان ، كانوا قد تركوا ملك قطب الدين أيبك على حدود مرو ، أى نهر مرغاب ، والتقى بجيوش سلطانشاه ، وقاتل بشجاعة ، ولما كان جيشه قليلا ، سقط فى أيديهم ، وحملوه الى سلطانشاه وقيده السلطان ، وعندما قامت الحرب بين سلاطين الغور وسلطانشاه ، وهزم سلطانشاه أحضروا ملك قطب الدين جالسـا فى هودج على ظهر جمل لملازمة السلطان ، وأكرمه السلطان معز الدين محمد سام ، وأنعم عليه ٠

وعندما عاد من الهند الى غزنين ، تركه نيابة عنه فى كهرام ، وقد ذكرت الأعمال التى قام بها ملك قطب الدين فى أيام حياة السلطان ، وبعد استشهاد السلطان معز الدين أرسل السلطان غياث الدين محمد خليفة السلطان غياث الدين محمد جترو امارة السـلطنة (١٨) من فيروزكوه الى ملك قطب الدين ، ولقبه بلقب « سلطان » وفى سنة ٦٠٢ هـ جاء من دهلى الى لاهور ، وجلس يوم الثلاثاء السادس عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة على عرش السلطنة وفتح يد العطاء والانعـام والسـخاء ، وأنعم بمئـات الآلاف وأعطى المستحق أكثر مما يتوقع ، وفى هذا الصدد قال بهاء الدين أوشى أحد فضلاء عصره :

« يا واهبا مئات الألوف ، فتحت باب الدنيا ، وجعلت كفيك منجما »
« من ثقل كفك أخذ الدم من قلب المنجم ، وقدم من الياقوت الكثير »
وقد لقبه أهل زمانه بقطب الدين « لكبخشى » وحتى الآن فان أهل

---

(١٨) اشارت « أ » ص ٢٠ ، امارت « ك » ٤٢ ٠ وجتر مظلمة ترفع على السلطان ٠

الهند يمتدحون الشخص الكريم السخى فيقولون « كل قطب الدين »(١٩) ويقولون كل بكاف عربية مفتوحة ولام مكسورة زمانه ، يعنى قطب دين زمانه ، وبعد مدة اتجه لمهاجمة لاهور تاج الدين يلدوز أحد المماليك المعزية وكان قد حكم غزنين بعد السلطان معز الدين ، وأطلق على نفسه لقب السلطنة ، وقصد كل منهما الآخر ، واشتعلت نار الحرب ، وبعد القتال والجدال هزم تاج الدين ، فتوجه الى كرمان ، وذهب السلطان قطب الدين الى غزنين ، وأقام أربعين يوما وأمر باللهو واللعب ، ونظرا لكثرة اللهو واللعب ولغفلته أرسل أهـالى غزنين رسـولا خفيـة الى السلطان تاج الدين ، واستدعوه ، وعندما وصل السلطان تاج الدين فجأة لم يستطع السلطان قطب الدين مقاومته ، واتجه الى لاهور من طريق سنك سوراخ :

« عندما يتمايل السلطان من الخمر ، يسقط تاج الملك سهوا من فوق رأسه » ٠

وفى سنة ٦٠٧ هـ سقط من فوق الجواد وهو يلعب «الصولجان»(٢٠) ودخلت فى صدره حدية السرج فأصابت قلبه ، مدة ملكه من فتح دهلى حتى آخر عمره ست سنوات ، من جملتها أربع سـنوات كان فيهـا سلطانا ٠

ولما كان سبعة أشخاص من مماليك وأمراء السلطان شهاب الدين سام قد بلغوا السلطنة فمن المناسب ذكرهم فى هذا المكان ٠

ذكر السلطان تاج الدين يلدوز :

كان سلطانا كبيرا كريما صاحب أخلاق حميدة ، يمتاز بجمال زائد ، اشتراه السلطان معز الدين وهو صغير السن ، وخصه بالقرب ، ورفع درجته ، وميزه عن سائر مماليكه بالرعاية والاهتمام ، وكان كلما سافر السلطان الى الهندوستان وكرمان استضافه ملك تاج الدين ومعه جميع أمرائه وقدم ألف قلنسوة وعباءة هدية ، وأنعم على جميع الحشم

---

(١٩) الكل لغة بمعنى التعب ، وشرعا الشخص الذى لا أب له ولا ابن ، ولا أب يعوله فى الطفولة ولا ابن يرعاه فى العجز والشيخوخة ، والكل أيضا هو الاكليل ، وهو ما يلف حول الرأس ويقصد به من يحيطون بالشخص ولا اتصال بدم به ويعيشون عالة عليه وعلى نعمته ، قال تعالى « وهو كل على مولاه » والكل أيضا اليتيم (مختار الصحاح ص ٥٧٦) ٠

(٢٠) لعبة الجولف وهى لعبة عبارة عن كرة تضرب بعصاة معقوفة واللاعبون يركضون وراءها وهم يركبون الخيول ٠

كل حسب سعة حاله ، وكان لديه اختان وبفرمان السلطان كانت احداهما زوجة للسلطان قطب الدين أيبك والثانية زوجة للملك ناصر قباجه (٢١) وكان للملك تاج الدين ولدان سلم أحدهما لمعلم ، ورفع المعلم جرة قاصدا تأديبه ، وضربه ، ولما كان أجل الابن قد حان ، فقد توفى بأثر الضربة ، وعندما وصل الخبر الى ملك تاج الدين ، أعطى المعلم نفقة الطريق ، وودعه ، وقال له : ينبغى أن تختفي بسرعة قبل أن تعلم والدة الابن ، وفضل السفر ، وهذه الحكاية دليل واضح على حسن سيرته وعندما جاء السلطان معز الدين فى أواخر سلطنته الى كرمان ، خص ملك تاج الدين يلدوز (٢٢) بكسوة خاصة ، وأعطاه شارة سوداء ، وكان فى خاطره أن يكون ولى عهد غزنين بعد وفاة السلطان .

وعندما توفى السلطان ، أراد ملوك وأمراء الترك أن يستدعوا السلطان غياث الدين محمود بن محمد سام من نواحى كرمسير ليجلسوه على عرش عمه فى غزنين ، وكتبوا هذا المعنى وعرضوه على السلطان غياث الدين محمود ، فأجابهم السلطان غياث الدين محمود « ان عرش أبى ، هو فيروز كوه وممالك الغور أولى » . وأرســل الى السلطان تاج الدين خلعة ، وأعطاه مرسوم العتق ، وسلمه عرش غزنين ، وبحكم هذا الفرمان دخل ملك تاج الدين غزنين وجلس على العرش ، وحــكم هذه الممالك ، وقد ابتعد مرة عن غزنين وعاد واستقر بها ، وقاتــل السلطان قطب الدين أيبك على حدود البنجاب وهزم ، ودخلت غزنين تحت سيطرة السلطان قطب الدين ، وعاد الى حكومة غزنين ثانية طبقا لما ذكر ، وذات مرة أرسل جيشا لمساعدة السلطان غياث الدين لمهاجمة هرات ، وهزم ملك هرات عز الدين حسين خرميل ، ومرة قاد الجيش صوب سيستان ، وحاصرها ، وعاد ملك تاج بعد عقد الصلح ، وأثناء الطريق اختلف مع ملك نصير الدين حسين « ميرشكار » (٢٣) وحاربه وهزم ، وبعد فترة قاد الجيش الى الهندوستان وتقاتل مع السلطان شمس الدين على حدود تراين ، وأسر ، وكانت مدة حكومته تسع سنوات (٢٤) .

ذكر السلطان ناصر الدين قباجه :

من مماليك السلطان معز الدين ، سلطان كبير فى غاية الذكاء والكياسة والمهارة ، خدم السلطان فى كل المجالات ، وأبدى مقدرة على قيادة الجيش والحكم ، وعندما حارب جيش الخطا السلطان معز الدين ،

---

(٢١) قباجة « أ » ص ٢١ .

(٢٢) يذكره مرة بملك ومرة بسلطان .

(٢٣) أمير الصيد .

(٢٤) سه سال « أ » ص ٢٢ ، نه سال « ك » ص ٤٥ .

واستشهد ملك ناصر الدين أيتمز (٢٥) حاكم أجه فى هذه المعركة نصب السلطان ملك ناصر الدين قباجه محله على أجه ، كان صهرا للسلطان قطب الدين بأختيه (٢٦) ودخل تحت سيطرته أجه والملتان وسائر القلاع والقصبات ، ومملكة السند وتبرهنده (٢٧) وكهرام حتى سرستى بعد وفاة السلطان قطب الدين ، وأستولى على لاهور عدة مرات ، وحارب جيش السلطان تاج الدين يلدوز الذى جاء من غزنين ، وهزم مرة من خواجه مؤيد (٢٨) الملك سنجرى وزير مملكة غزنين ، وعندما استقر أمر مملكة السند له التحق بخدمته كثير من أكابر خراسان والغور ، وغزنين من ممر حادثة جنكيزخان ، وبذل الانعام والاكرام لكل واحد منهم ، وفى سنة ٦٢١ هـ جاء جيش المغول وحاصر مدينة الملتان أربعين يوما ، وفتح السلطان ناصر الدين خزانته ، وأنعم على الناس ، فأبدوا شجاعة وبطولة ، وبعد ذلك بسنة وستة أشهر استولى جيش الخلج وجيش خوارزم على حدود سوستان التى تشتهر بسهسوان ، وتوجه ملك ناصر الدين لصدهم ، ووقعت معركة حامية ، وأخيرا انهزم جيش الأعداء ، وقتل خان الخلج ، وعاد السلطان ناصر الدين قباجه الى الملتان ، وبقية أحواله مذكورة ضمن أحوال السلطان شمس الدين (٢٩) مدة حكومته اثنتان وعشرون سنة .

ذكر السلطان بهاء الدين طغرل :

كان من المماليك الكبار والأمراء المشاهير للسلطان معز الدين محمد سام ، يتصف بأوصاف حميدة وأخلاق سديدة ، عندما فتح السلطان معز الدين محمد سام قلعة تهنكر (٣٠) عين ملك بهاء الدين طغرل عليها ، وبنى قلعة فى ولاية بيانه ، وفضل الاقامة هناك ، وكان يركب دائما الى كوالير ، ويهاجم نواحيها ، وأثناء عودة السلطان معز الدين محمد سام من جانب قلعة كواليار قال لملك بهاء الدين طغرل ، لو فتحت هذه القلعة سأسلمها لك ، وبنى على مسافة فرسخين من كواليار قلعة حصينة ، وجمع فيها جيشه ، وأخذ يهاجم هذه النواحى ، وعندما مر عام على هذا وضاق الحال بأهل القلعة أرسلوا الرسل

---

(٢٥) أتميز « أ » ص ٢٢ .
(٢٦) أى تزوج أختين له واحدة بعد الأخرى .
(٢٧) سر هند « أ » ص ٢٢ .
(٢٨) وردت كلمة مؤيد فى « أ » « ك » .
(٢٩) السلطان بهاء الدين طغرل « أ » ص ٢٢ .
(٣٠) قلعة بهكر « أ » ص ٢٢ .

بالتحف والهدايا الى السلطان قطب الدين أيبك ، وسلموا القلعة له ، وكان هذا المعنى سببا فى العداء بين السلطان قطب الدين أيبك وملك بهاء الدين طغرل ، ومات بعد مدة وجيزة ٠

ذكر حكومة اختيار الدين محمد بختيار خلجى : (٣١)

كان من أكابر بلاد الغور وكرمسير ، امتاز بالسخاء والشجاعة واصابة الرأى ، وصل فى عهد السلطان معز الدين محمد سام الى غزنين ، ومن هناك توجه الى الهندوستان ، والتحق بخدمة ملك معظم حسام الدين وغلبك (٣٢) الذى كان حاكما على بعض المقاطعات بين النهرين ، وعندما ظهرت عليه آثار الشجاعة ، سلمه مقاطعات كنيلة ويتيالى (٣٣) ، وبسبب شجاعته وبطولته كان يركب دائما الى نواحى بهار ومنير ، ويهاجمها ، ويأتى بالغنائم ، وعندما وصلت أخبار شجاعته الى السلطان قطب الدين أرسل اليه لواء السلطنة ، وفتح ملك اختيار الدين بمعونة واهتمام ورعاية السلطان قطب الدين قلعة بهار ، ونهب هذه الولاية كلها ، واستولى على غنائم كثيرة ، وأطاح برقاب أهالى هذا المكان الذى كانوا جميعا شيوخا براهمة كبارا ، وصاروا علفا للسيوف ، ويطلقون عليهم بلغة الهند (٣٤) « مدرسة بهار » ، ولأنها موطن العلم اشتهرت ببهار ٠

بعد ذلك التحق بخدمة السلطان قطب الدين ، ونال أنواع الانعام والاكرام ، ولما كان محل حسد الأمراء أخذ الأمراء الضعاف يجرون على ألسنتهم فى مجلس السلطان كلمات تتضمن الاهانة والاحتقار لشأنه ، وتصادف ذات يوم أن كان السلطان قطب الدين فى القصر الأبيض وعقد مجلسا وأعلن العفو العام ، وأحضروا فيلا « مستى » (٢٥) يقال انه فى جميع ممالك الهند لا يستطيع أن يواجهه أى فيل ويتحمل قوته ، وأشار السلطان لمحمد بختيار بمحاربة هذا الفيل ، وأحال محمد بختيار الحربة التى كانت فى يده الى هذا الفيل ، وعندما طعنه فى خرطومه الضربة الأولى ، سلك طريق الفرار ، وتعجب السلطان من هذا المنظر ، وأنعم

---

(٣١) ذكر ماك بختيار الدين خلجى « أ » ص ٢٢ ٠

(٣٢) أوعليك « أ » ص ٢٢ ٠

(٣٣) بتهالى « أ » ص ٢٢ ٠

(٣٤) ربما يقصد بها اللهجة البنغالية التى بدأت تظهر تدريجيا فى البنغال وبهار ٠

(٣٥) « مستى » نوع من الأفيال يقوم على خدمته خمسة أفراد وصبى وهو أقوى أنواع الأفيال (اقبالنامة اكبرى ، ٥/٦٦٣ ٠

عليه بأنواع الانعامات ، وفوضه على حكومة بلاد لكهنوتى ، وعينه لتسخير هذه الناحية ۰

ولما كان قد فتح قلعة بهار من قبل ، فان أخبار شجاعته وبطولته وصلت الى أهالى هذه البلاد وجاء جميع البراهمـــة والمنجمين الى لكهيمينه (٣٦) ابن راى لكهمن الذى كانت عاصمته مدينة «نوديا »(٣٧) وكان جميع ملوك الهند يعتبرونه قائدهم ، ويحترمونه ، ويكرمونه كثيرا ، رعرفوا أنه مكتوب فى الكتب القديمة أن الأتراك ، أى المسلمين (٣٨) سيستولون على هذه البلاد ، وهذا الوعد قد أقترب ، لأنهم استولوا على بهار ، وفى السنة القادمة سيستولون على المملكة كلهـــا ، وسألهم لكهيمينه ، من سيستولى على هذه البلاد ، وأى علامة مسطورة فى كتب التنجيم ؟ قالوا : نعم يقف على قدميه مستقيما ، ويداه مفرودتان ، وأنامله تظهر من مرآه ساعده (٣٨) ، وأرسل راى لكهيمينه أشخاصا لاستكشاف هذه العلامات والآثار ، ولما ظهر أن هذه العلامة تتحقق فيه . انتقل جميع البراهمة والمنجمين وتوجهوا الى بلاط كامـــرور (٣٩) وجكناتهه ، ولم يجد راى لكهيمينه مصلحة فى ترك مملكته ، وفى السنة التالية توجه ملك محمد بختيار من بهار وتوجه برحيل متواتر بجماعة قليلة الى مدينة نوديا ، فاضطرب راى لكهمينه وركب مركبا وحده ، وسلك طريق الفرار ، وسقطت خزائنه وحشمه كله فى يد ملك محمد بختيار وكانت تفوق الحصر ، وخرب مدينة نوديا وبنى بدلا منها مدينة أخرى بمكان قرب لكهنوتى ، واتخذها دارا للملك ، والآن هذه المدينة خربة ، وتشتهر بكور (٤٠) ، المهم رفع « جتر » وقرأ الخطبة وسك العملة باسمه ، وأحدث المساجد والخوانق والمدارس مكان معابد الكفار ، وأرسل من هذه الغنائم التى وقعت بيده نفائس كثيرة الى السلطان قطب الدين أيبك ۰

وبعد مرور فترة ، وصلت قوته وشوكته الى درجة أن فكر فى حكم التبت والتركستان ، وأخذ برفقته اثنى عشرة ألف فارس مسلح ، واتجه الى التركستان والتبت بارشاد أمير على ميج (٤١) الذى كان قد أسلم

---

(٣٦) لكميشن بن راى لكيمن « أ » ص ٢٣ ۰

(٣٧) نودبار « أ » ص ٢٣ ۰

(٣٨) نظرا لأن الغزاة الأوائل كانو أتراكا ۰

(٣٩) كامرو « أ » ص ٢٣ ۰

(٤٠) كور « أ » ص ٢٣ ۰ وهى مدينة فى البنغال تقع على نهر براهمابترا اتخذها ملوك البنغال مقرا لحكمهم ۰

(٤١) أمير على شيخ « أ » ص ٢٤ ۰

على يديه ، ووصل الى مدينة يسمونها « بردهن » (٤٢) وكان أمام هذه المدينة نهر مثل البحر عمقه وعرضه يعادل الكنك أربع مرات ، ويسمى بيكمتى » (٤٣) ، ويقال انه عندما غاد شاه كرشاسب (٤٤) من بلاد التركستان الى الهندوستان من طريق بروهن (٤٥) أقام على هذا النهر جسرا ، وعبر عليه ، وتوجه الى كامرود ، المهم ، عندما وصل ملك محمد بختيار الى رأس هذا الجسر ، ترك أميرين أكفاء من أمرائه هناك ليحرسا الجسر ، وعبر بنفسه من النهر ، ودخل أرض التبت ، وقطع الطريق فى عشرة أيام بين جبال صعبة ، ووصل الى صحراء ، حيث كان هناك قلعة حصينة فى غاية الاستحكام ، وتقدم أهل هذه القلعة للقتال ، وامتد القتال حتى آخر النهار ، وقتل كثير من جيشه ، وتعبوا ، وعندما حل المساء أقام معسكرا هناك ، وترك حصار القلعة ، وعندما تفقد هذه الولاية ووقف على أحوالها وخصوصياتها ، وتأكد أنه على بعد خمسة فراسخ توجد قرية كرم سين بها خمسون ألف تركى متوحشين ومقاتلين أشداء ، وعندما قطع جيش الاسلام الطريق ، لم يجدوا فى أنفسهم طاقة للمقاومة والقتال ، فانتقلوا من هذا المكان بعد استماع هذا الخبر ، ووصلوا الى جسر بردهن (٤٦) وحدث أن أصيب الجسر بفتحتين بسبب نزاع الأميرين هناك ، فأختاروا ، وقرروا أن يتحصنوا فى مكان حصين حتى يتم صناعة السفن وأدوات العبور ، وأورد العيون خبرا انه فى هذه الناحية معبد اصنام فى غاية الارتفاع والاستحكام ، ودخل ملك محمد بختيار وجميع الأمراء فى هذا المعبد وتحصنوا ، وأثناء ذلك علم راى كامرود أن محمد بختيار وحيد ومضطرب ، وانه دخل المعبد الفلانى وتحصن ، ونادى الراى فى ممالكه حتى يأتى الناس جماعات ، ويلتفون حول المعبد وأطبقوا على جدار المعبد ، عندما رأى ملك محمد بختيار نفسه أسيرا في فخ البلاء ، خرج من المعبد ، ونزل على شاطىء نهر بيكمتى (٤٧) واهتم بالعبور، وفجأة قفز فى النهر بفرسه وسار مقدار رمية سهم ، وأدرك الناس أن القاع سيبتلعهم مرة واحدة ، وألقوا بانفسهم فى الماء ولما لم يكن أكثرهم سباحا فقد غرق الكثير رحمة الله عليهم ، وبعد غرق جيش ملك محمد بختيار ، عبر من نهر بيكمتى مع عدد محدود بصعوبة بالغة ووصل الى ديوكوت (٤٨) ٠

---

(٤١) دهن « أ » ص ٢٤ ٠

(٤٢) بتمكدى « أ » ص ٢٤ ـ ٠

(٤٣) كرشاسب ٠

(٤٤) بروهين « أ » ص ٢٤ ٠

(٤٥) أبروس « أ » ص ٢٤ ٠

(٤٧(بتكمندى « أ » ص ٢٤ ٠

(٤٨) ديوكوت أ ص ٢٤ ٠

ولما كان الفكر قد تسلل الى خاطره من شدة الحزن ، فقد مرض ، وكان يقول : « لو واجهت هذه الحادثة السلطان معز الدين محمد سام لما ولى عنا الزمان ، وأفل بختنا » ، وتصادف أن كانت نفس هذه الأيام هى أيام شهادة السلطان معز الدين ، ورحل ملك محمد بختيار بنفس المرض الى منزل الخلود ، ويروى أن على مردان ، وهو من الأمراء الكبار لملك محمد بختيار عندما علم بهذه الحادثة جاء من مقاطعة بارسول الى ديوكوت ، وفى هذا الوقت كان ملك محمد بختيار طريح الفراش ، ولم يكن أحد يقترب منه ، وتوجه اليه على مردان ، ورفع الغطاء عنه وأنهى أمره بخنجر ، وكانت هذه الحادثة فى سنة ٧٠٢ هـ (٤٩) .

ذكر عز الدين محمد شروان :

كان هو وأخوه من الأمراء الكبار لمحمد بختيار ، وكان محمد شروان هذا فى غاية الشجاعة والبطولة والذكاء ، ومثال ذلك أنه عندما فتح محمد بختيار مدينة نوديا (٥٠) وهزم لكهيمينه ، وفرق جيشه كان محمد شروان قد احتفظ بثمانى عشرة فيل مع حراسها فى غابة وحده ، وعندما مر على هذا ثلاثة أيام ، وعلم ملك محمد بختيار بالخبر ، أرسل عددا من الفرسان ليقودوا جميع الأفيال ويحضرونها عنده .

عندما قاد ملك محمد بختيار الجيش الى التبت وكامرود ، أرسل محمد شروان وأخاه مع جماعة من الحشم الى جاجنكر ، وبعدما حدث ما حدث لملك محمد بختيار ، جاء محمد شروان وأخوه من جاجنكر الى ديوكوت ، وقدما العزاء ، وذهب محمد شروان وأخوه مع جماعة من حشم جاجنكر الى بارسول ، وقبضا على على مردان قاتل ملك محمد بختيار ، وسجنه ، وسلمه الى كوتوالى يقال له « بابا كوتوال اصفهانى » (٥١) وعاد الى ديوكوت ، وقبل جميع أمراء الخلج قيادته ، وقدموا له الطاعة ، الى أن أطلق الكوتوال المذكور على مردان من قيده ، والتحق بخدمة السلطان قطب الدين أيبك فى دهلى ، والتمس أن يعين السلطان قطب الدين قيماز رومى (٥٢) على لكهنوتى ، وصدر فرمان لكى يستقر كل أمير من أمراء الخلج فى المقام المناسب من هذه النواحى ، وتوجه قيماز رومى واستقر كل أمير من أمراء الخلج بناء على الفرمان فى المكان المناسب ، وأسرع ملك حسام الدين عوض خلجى الذى كان يحكم أقطاع

---

(٤٩) ٦٠٢ هـ .

(٥٠) نودبار « ١ » ٢٤ .

(٥١) باباى كوتوال أصفهانى « ١ » ص ٢٥ .

(٥٢) قيمار رومى « ١ » ص ٢٥ .

« كلوانى » من قبل ملك محمد بختيار لاستقبال قيماز رومى ، ورافقه الى ديوكوت ، وتقررت له ديوكوت مقاطعة له ، ولما كان قيماز رومى قد توجه من ديوكوت الى أوده ، وتوجه ملك محمد شروان وسائر أمراء الخلج الذين كانوا معا صوب ديوكوت ، وعندما وصل هذا الخبر الى قيماز رومى ، عاد من الطريق ، وأصطف أمراء الخلج ، وهزم محمد شروان وسائر أمراء الخلج ، وتوجهوا الى طوس ، وهناك ظهر خلاف بينهم ، واستشهد محمد شروان ومدفنه هناك ٠

ذكر على مردان خلجى : (٥٣)

كان مشهورا بالشجاعة والبطولة والنخوة وعلو الهمة ، وعندما تخلص من الحبس ، التحق بالسلطان قطب الدين ، وتوجه فى ركابه الى غزنين ، وهناك أسره التركمان (٥٤) وسجن فى كاشغر وظل هناك ويقال انه ذات يوم خرج السلطان تاج الدين يلدوز للصيد ، ورافقه على مردان أيضا فقال لأحد أمراء الخلج ويدعى « سالار ظفر » ماذا يحدث لو أنهيت أمر السلطان تاج الدين بحربة واحدة ٠ وأجعلك سلطانا ؟ وكان سالار ظفر رجلا عاقلا وطيبا ، وليس لديه هوس السلطنة ، فمنعه عن هذه الفعلة ، وأعطاه جوادا عربيا وسمح له بالتوجه الى الهندوستان ، وعندما وصل الى السلطان قطب الدين نال العناية والرعاية ، وأقر له ممالك لكهنوتى ولاية له ، وتوجه الى لكهنوتى ، وبعد أن عبر نهر كوسى ، استقبله ملك حسام الدين عوض خلجى من ديوكوت ، ووصل‌الى ديوكوت وتمكن هناك من كرسى الامارة ، واستولى على جميع بلاد لكهنوتى ، وبعد ذلك التحق السلطان قطب الدين برحمة الله فرفع «جتر » وضرب السكة وقرأ الخطبة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، ووصل تكبره لدرجة أن قسم ولايات ايران وتوران بين أمرائه ، ومن كثرة ظلمه وقسوته لم يصاحبه أحد قط ، حتى لا تخرج هذه الولايات منه ، « طالما لا تفعل السوء ، تأمن الآفات ، ومن الواجب مكافأة الطبيعة » ، وعندما تعدى الظلم والجور والحدود ، اتفق أمراء الخلج ، وقتلوه ، ويروى أن تاجرا جاء اليه يشكو الافلاس ، فسأل من أين هذا الرجل ؟ قالوا من أصفهان ، فأمر أن يكتبوا أمرا أن تكون أصفهان ضمن‌أملاكه ، ورفض التاجر هذا ، ولم يستطع الوزراء عرض هذا المعنى من الخوف ، وحينئذ قرروا أن حاكم أصفهان محتاج لنفقة الطريق وجمع الحشم لضبط هذه الولاية ،

---

(٥٣) ذكر مروان خلجى « ك » ص ٣٥ ٠

(٥٤) تركان « أ » ص ٢٥ ٠

فأمر أن يعطوه مبلغا كبيرا ، أكبر مما يتوقع وبعد قتله اتفق الأمراء أن يجلسوا على كرسى السلطنة ملك حسام الدين عوض خلجى ، وكانت مدة حكم على مردان سنتين ٠

ذكر ملك حسام الدين عوض خلجى :

كان من أمراء خلج كرمسير (٥٥) ويتصف بأوصاف حميدة وفضائل مرضية ، وعندما اختار السفر من بلاده ، وتوجه الى حدود تركستان على هضبة تسمى « هضبة فيروز » ، هناك وصل صوفيان كانا بلا زاد ، يسيران متوكلين فى الصحراء والجبل ، قالا لملك حسام الدين : هل لدى خواجه أى زاد ؟ فقدم لهما ملك حسام الدين عدة أرغفة وطعاما شهيا ، تناول الصوفيان الطعام بشهية تامة ، وقالا : ينبغى أيها السيد أن تتجه الى الهندوستان ، لأنه سيودعون اليك سلطنة اقليم الهندوستان ٠

« تمدد الصوفى على الأرض ، وأعطى للشحاذ ملك الضحاك » (٥٦)

وتيمن ملك حسام الدين بهذه البشارة ، وتوجه الى الهند ، والتحق بخدمة ملك محمد بختيار الى أن أعطاه الله الواهب ملك بلاد لكهنوتى ، وسمى بالسلطان غياث الدين ، وفى أيام عدالته استراح الجيش والرعية جميعا ، وظهرت آثار الخير لهذا السلطان ، وظلت آثار كثيرة فى عصره شاهدا على حسن نيته ، وحكم ولاية البنغال وترهت وكامرود وجاجنكر ، وتوجه فى شهور سنة ٦٢٢ هـ السلطان شمس الدين الى البنغال ، والتقى الطرفان ، وقرر الصلح بشرط أن يقدم ثمنية وثلاثين فيلا ، وثمانية آلاف تنكه (٥٧) الى السلطان شمس الدين وأن يقرأ الخطبة باسمه ، وعندما عاد السلطان شمس الدين فوض ملك بهار لملك علاء الدين خانى ، وبعد ذلك دخل غياث الدين بهار من لكهنوتى ، واستولى عليها ، الى أن توجه ملك ناصر الدين محمود بن السلطان شمس الدين من أوده بغواية ملك خانى لكهنوتى بجيش جرار فى شهور سنة ٦٢٤ هـ ٠ وأثناء ذلك قاد غياث الدين عوض جيشا جرارا من لكهنوتى الى كامرود ، واستولى ملك ناصر الدين على لكهنوتى ، وعاد غياث الدين عوض ، وقاتل ، وأسر مع أكثر أمرائه ، وقتل ، ويقولون ان السلطان شمس الدين التمش طيب الله ثراه ، أرسل ملك ناصر الدين محمود ليسكن فتنة ملك أختيار

---

(٥٥) كه بر « أ » ص ٢٦ ٠

(٥٦) ملك أسطورى عربى يمنى نمت بين منكبيه حيتان مكان تقبيل الشيطان ، وأشار عليه الأطباء باطعام الحيتين مخ آدمي كل يوم ، وقد قضي عليه أفريدون ٠

(٥٧) تنكه ك ص ٥٤ ٠

الدين فى بلاد لكهنوتى وبعد وفاة ابنه ، وشاهد الآثار الطيبة التى أحدثها ملك حسام الدين عوض خلجى ، وجرى على لسانه من أجل الأوصاف الحميدة لهذا الملك ، وتأسف لما كان لهذا الرجل صاحب الخبرات والأفعال الطيبة ، كانت مدة سلطنته اثنتى عشرة سنة ٠

ذكر السلطان آرامشاه بن قطب الدين :

عندما توفى السلطان قطب الدين ، لأنه لا مفر للناس من الله ، أجلس أمراء وأركان الدولة آرامشاه على عرش لاهور لأنه لم يكن هناك ابن غيره وريثا ، وأرسلوا الأحكام والمنشورات الى الأطراف والنواحى وبشروا بالعدل والانصاف ، وأثناء ذلك أرسل « سبه سالار » على اسماعيل أمير بلاد دهلى بالاتفاق مع جماعة من الأمراء رسولا لاستدعاء ملك التمش وكان مملوك وصهر والابن بالتبنى للسلطان قطب الدين حاكما لبداون ، واستدعوه للسلطنة ، وجاء ملك التمش الى دهلى ، واستولى على المدينة ، وجمع آرامشاه الذى كان خارج دهلى ، الجيش وأمراء أبيه ، وجاء الى دهلى وصف ملك التمش جيشه فى صحراء « جود » وحارب ، وهزم آرامشاه ٠

كان للسلطان قطب الدين ثلاث بنات ، تزوجت اثنتان بالتوالى ملك ناصر الدين قباجه ، وكانت احداهن زوجة للملك التمش ، وبعد وفاة السلطان قطب الدين توجه ملك ناصر الدين قباجه الى السند ، واستولى على الملتان وأجه وبهكر وسيوستان (٥٨) ، ودخلت دهلى تحت سيطرة ملك التمش بمساعدة أمير على (٥٩) وأمراء آخرين ، وحكم ملك حسام الدين خلج بلاد لكهنوتى والبنغال ولم يمتد مدة حكم آرامشاه الى سنة ٠

ذكر السلطان شمس الدين التمش :

يروى أن أباه يسمى ايلم خان ، كان يحكم قبائل تركستانية كثيرة ، وكان اخوته وبرواية أخرى أبناء اخوته يحسدون التمش منذ حداثة سنه ، وحملوه مثل يوسف الى الصحراء والغابات الكثيفة ، وباعوه لتاجر عابر ، وحمله التاجر الى بخارا (٦٠) وباعه الى تاجر

---

(٥٨) سيوستان مدينة بالسند (ابن خرداذبه المسالك والممالك ص ٥٧) وهى غير سيستان التى تقع غرب السند ٠

(٥٩) أميرداد « ك » ص ٥٥ ٠

(٦٠) بخاره ك ص ٥٦ ٠

من بخارا ، ونال فى بيوت أهل المروءة أحيانا أنواع التربية والرعاية ، وحسب التقدير فان حاجى بخارى التاجر الذى اشتراه باعه الى حاجى جمال الدين جست قبا ، وحمله حاجى جمال الدين الى غزنين ، ولما لم يكن قد وصل الى غزنين فى تلك الأيام فتى تركيا أجمل منه ، فقد وصل ذكره الى السلطان محمد سام فطلب السلطان أن يشتروه بالسعر الذى يحدده ، وكان معه غلام آخر يسمى أيبك ، فقيموا كلا منهما بألف دينار ركنى ، فرفض خواجه جمال الدين بيعهما ، فأمر السلطان بألا يشتريه أحد قط ، وعطل عليه ، وبعد سنة توجه خواجه جمال الدين الى بخارا ، ورافقه التمش ، وعاد وأقام فى غزنين سنة ، وكان شراؤه دون اذن السلطان يضايق الأهالى ، الى أن جاء السلطان قطب الدين أيبك بعد فتح نهرواله لتسخير الكجرات مع ملك ناصر الدين خرميل الى غزنين ، وسمع عن أحوال التمش ، استأذن السلطان لشرائه ، فقال السلطان لما كنت قد منعت أى شخص أن يشتريه فى غزنين فليس من اللائق أن تشتريه ، فأحمله الى بلاد دهلى واشتريه ، وعندما عاد السلطان قطب الدين من غزنين ، وترك نظام الدين محمد لبعض المهام ، وأمره أنه لو أراد جمال الدين جست قبا أن يرافقه لكى يشترى منه التمش ؟ وعندما جاءوا ، اشترى السلطان قطب الدين التركيين أى التمش وأيبك بمائة ألف (٦١) جيتل ، وسمى أيبك طغماج ، وجعله أميرا لسرهند ، وقتل فى الحرب التى وقعت بين السلطان تاج الدين يلدوز والسلطان قطب الدين وتبنى التمش ، وقربه منه ، وبعد فتح كواليار ، رفعه لامارة هناك ، وبعد ذلك فوضه على برن ونواحيها ، وعندما رأى بالتدريج علامات الشجاعة والقيادة عليه ، أنعم عليه بولاية بداون • وعندما جاء السلطان معز الدين سام الى الهند لتسكين فتنة كهوكهران ، وحسبأمر السلطان معز الدين توجه السلطان قطب الدين أيضا بجيشه اليه ، والتحق التمش بجيش بداون ، بالسلطان قطب الدين ، وفى أثناء المعركة أبدى التمش شجاعة وبطولة ، فقد قفز فى النهر بجواد مسلح وهاجم العدو ، وعندما رأى السلطان معز الدين هذه الشجاعة والهمة ، طلبه وأنعم عليه بالانعامات الملكية ، وأكد على السلطان قطب الدين برعاية أحواله ، وفى نفس هذا الوقتكتب أمـر السلطان مرسوم العتق ، وبالتدريج وصل الى درجة « أمير الأمراء » •

عندما توفى السلطان قطب الدين فى لاهور ، جاء الى دهـــلى باستدعاء « سبه سالار » اسماعيل وأمير ديار (٦٢) دهلى والأعيان

---

(٦١) الكه ۱ ص ۲۷ ، لك ك ص ۵۷ •

(٦٢) اميرداد « ۱ » ص ۵۷ •

الآخرين بجيش بداون ، واستولى على دهلى ، ولقبوه بالسلطان شمس الدين ، وجلس على العرش سنة ٦٠٧ هـ وتبعه أكثر الملوك والأمراء القطبية ما عدا بعض الأمراء المعزية والقطبية الذين طغوا في نواحى دهلى ، وتجمعوا ، وأعلنوا العصيان ، لكن طالما أن مصباح دولته قد أضيء من نور التأييد الالهى فانه لن يجنى الأعداء الجهلاء من اطفاء هذا النور الا الخزلان ، وصاروا جميعا علفا للسيف البتار ، وطهر ساحة سلطنته من الأخساء والأراذل ٠

« تعلق بسعداء الحظ ، لأن سقوط المحظوظين صعب » ٠

بعد ذلك أرسل السلطان تاج الدين يلدوز المعزى سلطان غزنين اليه « بجتر » « وامارة السلطنة » وبعد فترة وجيزة هزم السلطان تاج الدين من جيش خوارزم ، واستولى على لاهور ، استقبله السلطان شمس الدين ، ووقعت معركة حامية على حدود تراين فى شهور سنة ٦١٢ هـ ، وهزم السلطان تاج الدينوأسر وأحضره الى دهلى ، وحبسه فى بداون الى أنتوفى هناك ٠

وفى سنة ٦١٤ هـ حارب السلطان شمس الدين ملك ناصر الدين قباجه صهر السلطان قطب الدين ، وحقق السلطان شمس الدين النصر هناك ، وتقاتل مع ملكناصر الدين عدة مرات فى لاهور ، وكان كل مرة يحقق النصر ، وآخر مرة هجم السلطان شمس الدين على ملك ناصر الدين ، وحاصر قلعة أجه ، وتوجه الى قلعة بهكر ، وعين نظام الملك الوزير وعددا لتعقب ملك ناصر الدين ، وابراهيم بمحاصرة قلعة أجه ، وفتحها فى شهرين وخمسة وعشرين يوما ، وعندما وصل خبر تسخير القلعة الى ملك ناصر الدين (٦٣) أرسل ابنه علاء الدين بهرامشاه لخدمة السلطان شمس الدين ، وطلب الصلح ، وأعقبه خبر فتح بهكر ، وقالوا : انه بعد تسخير القلعة غرق ملكناصر الدين فى النهر ، وبعد هذه الحادثة وفى سنة ٦١٨ هـ هزم السلطان جلال الدين خوارزمشاه أمام جنكيرخان ، وتوجه الى لاهور ، وسار اليه السلطان شمس الدين بجيش جرار ، لم يستطع السلطان جلال الدين مقاومته فاتجه الى السند وسيوستان ، ومن هناك سار الى كج (٦٤) ومكران ٠

بعد ذلك فى سنة ٦٢٢ هـ قاد السلطان شمس الدين الجيش الى لكهنوتى وبهار ، فدخل السلطان غياث الدين خلجى الذى ذكر على حده وكان حاكما مطلقا على هذه البلاد فى طاعته ، وجعل الخطبة والسكة

---

(٦٣) نصير الدين « ١ » ص ٢٨ ٠

(٦٤) كج أو كجه من بلاد الكجرات ٠

باسمه ، وأخذ ثمان وثلاثين فيلا وثمانين الف تنكة فضة من السلطان غياث الدين ولقب ابنه الأصغر بالسلطان ناصر الدين ، ورعيته على ولاية لكهنوتى ، وسلمه « جترودورباش » (٦٥) وتركه فى أوده ، وعاد الى دار الملك دهلى ، وحارب ملك ناصر الدين غياث الدين خلجى ، الذى كان يحكم هذه البلاد فى ذلك الوقت ، وغلبه ، وأسره ، وقتله ، وغنم منه غنائم كثيرة ، وأرسل الهدايا الى أكثر أهالى وأعيـــان ومشاهير دهلى الذين يذكرهم ·

وفى سنة ٦٢٢ هـ توجه لفتح زنتهبور ، وقاد الجيش الى هـــذه الناحية ، وفتح هذه القلعة وفى سنة ٦٢٤ هـ قاد الجيش لفتح قلعــة مندو (٦٦) ، واستولى على هذه القلعة ، وعدة مئات الألوف (٦٧) ، وعاد فى نفس السنة الى دار الملك دهلى ·

وكان أمير روحانى وهو من أفاضل هذا الزمان قد جاء الى دهلى من بخارا فى أحداث جنكيزخان وهنأه بهذه الفتوحات بأشعار بليغة ، منها هذه الأبيـــات ·

« حمل جبريل الأمين الجتر الى أهل السماء ، برسالة نصر السلطان شمس الدين » ·

« انه أيها الملائكة المقدسين فى السماء ، فلتبشرون هذا بالتاج والقانون » ·

« لأن سلطان الاسلام قد فتح قلعة سبهرائين من بلاد الملاحدة » ·

« انه الملك المجاهد الغازى الذى أثنت روح حيدر الكرار (٦٨) على يده وسيفه » ·

وفى سنة ٦٢٦ هـ (٦٩) أحضر رسل العرب لباس الخلافة الى السلطان شمس الدين ، وقدم السلطان الطاعة ، ولبس دار الخلافة ، وبدت سعادة وفرحة غامرة عليه ، عند ارتداء الخلعة وخلع السلطان الخلع على اكثر الأمراء ، وعقد الأفراح فى المدينة ، ودقوا طبول الفرح وفى هذه السنة وصل خبر وفاة السلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى ، فقدم

---

(٦٥) عصاة تمسك فى يد السلطان ·

(٦٦) مندور « ك » ص ٥٩ ·

(٦٧) باجمله سوالك « ك » ص ٥٩ ، با جمله سولك « أ » ص ٢٩ ·

(٦٨) الامام على بن ابى طالب ·

(٦٩) وردت ٦١٦ « أ » ص ٢٩ ·

السلطان شمس الدين العزاء ، وأطلق اسمه على ابنه الصغير ليأخذ الأمان ، وطبقات ناصرى (٧٠) ألف باسمه ، المهم فى سنة ٦٢٧ هـ قاد الجيش الى لكهنوتى ، وسكن الفتنة التى قامت بعد وفاة السلطان ناصر الدين ، وعين عز الملك ملك علاء الدين خانى على لكهنوتى ، وعاد الى دار الملك دهلى ٠

وفى سنة ٦٢٩ هـ توجه لفتح قلعة كواليار ، وحاصر هذه القلعة لمدة سنة ، وأخيرا فر ملك ديوبسيل (٧١) والى هذه القلعة ليل ، ودخلت القلعة تحت سيطرته ، وأسروا خلقا كثيرا ، وقتلوا ثلاثمائة شخص ، وأنشد ملك تاج الدين ريزه كاتب المملكة هذه الرباعية فى فتح القلعة وحفروها على حجر بوابة القلعة ٠

« كل قلعة أخذها سلطان السلاطين ، أخذها بعون الله ونصرة الدين » ٠

« أخذ قلعة كواليار ، هذا الحصن الحصين فى سنة ستمائة وثلاثين »

وبعد ذلك عاد السلطان من هناك ، وفى سنة ٦٣١ (٧٢) اتجه صوب ولاية مالوه ، وسخر قلعة بهيلسا ، واستولى على مدينة أجين (٧٣) أيضا ، وخرب معابد « مهاكال » التى اقيمت منذ ستمائة سنة وكانت فى غاية الحصانة والمتانة ، واقتلعها من أصولها ، وأحضر من أجين نكر تمثال بكرماجيت (٧٤) الذى يؤرخ الهنود تاريخهم به ، وتماثيل أخرى كانوا قد صبوها من الذهب ، ووضعوها أمام باب المسجد الجامع فى دهلى ،ليطأها الناس ، وقاد الجيش مرة أخرى الى الملتان ، وفى السفر المشئوم سقط ، وأصيب ، وعندما وصل الى دهلى ، انتقل الى العالم الآخر فى العشرين من شعبان سنة ٦٣٣ هـ ٠

وفى مذكرات خواجه قطب الدين بختيار رحمة الله عليه ، وجامعها هو الشيخ فريد شكرنج قدس سرهما ، أورد أنه أراد أن يعمل حوضا ، وذهب الى خدمة خواجه لتحديد وتعيين المكان المناسب للحوض ، ويستشيره ، وكان السلطان يمر من كل أرض يصل اليها حتى وصل الى مكان حوض شمس ، واختار هذا المكان ، وعندما حل الليل ، رأى

---

(٧٠) لمنهاج الدين الجوزجانى قاضى الهندوستان فى عهد محمد الغورى ٠

(٧١) ملك ديوبيل « أ » ص ٢٩ ٠

(٧٢) ٦٠١ « أ » ص ٢٩ ٠

(٧٣) اجين نكر ، مدينة أجين وهى باقليم أجمير ٠

(٧٤) راجا هندوكى حكم الهند قديما وله تقويم باسمه مازال مستعملا حتى الآن فى الهند ٠

السلطان الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام ، يقف وسط هذه الأرض ، ويقول : ماذا تريد يا شمس الدين ؟ قال السلطان : أريد يارسول الله أن أقيم حوضا ، قال : أفعل هنا ،وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الأرض بعود ، فانبجست عين ماء ، واستيقظ السلطان من نومه ، ومازال فى الليل بقية ، فجاء الى خواجه قطب الدين قدس سره ، وقص الواقعة ويقول خواجه قدس سره ان السلطان حمله الى هذه الأرض ، فرأينا نور مصباح حيث يتدفق ماء العين ، ويروى أنه فى الأيام التى كان ملك شمس الدين التمش فى بغداد (٧٥) عند صديق ، اجتمع فى منزل صاحب جماعة من الدراويش ، وكان الدراويش وأهل الحال فى حالة سماع ، وكان ملك التمش فى هذا المجلس يقوم كل ليلة بالخدمة ، ويبكى عند السماع ، وكان القاضى حميد الدين ناكورى عمدة هذا المجلس وبعدما خدم ملك التمش الدراويش نظروا اليه ، والحق سبحانه وتعالى أوصله الى السلطنة ببركة هذه النظرة ، وبعد فترة جلس على عرش ملك الهند ، وكان القاضى حميد الدين ناكورى مشغولا بارشاد المريدين وكان الدراويش فى مجلسه يقومون بالرقص والسماع وأنكر السماع اثنان من علماء الظاهر أحدهما يسمى ملا عماد الدين والآخر ملا جمال الدين ، وأخبرا السلطان لكى يمنع القاضى من السماع ، فاستدعى السلطان القاضى ، وأجلسه باعزاز واجلال ، وسأله هذان الشخصان هل السماع حلال أم حرام ؟ قال القاضى : حرام على أهل قال (٧٦) وحلال على أهل حال (٧٧) ، ونظر الى السلطان وقال : هل جرى بخلد السلطان أنه ذات ليلة فى بغداد كان الدراويش وأهل الحال يقومون بالسماع ، وقمت بأمر صاحبك فى هذه الليلة بخدمة أهـــل المجلس ، وبكيت عند السماع ، ونظر اليك المتصوفة ، وقد بلغت الى هذا السلطان ببركة هذه النظرة ، ففكر السلطان بهذا الأمر ، ورق ، فاحتض القاضى ،وأكرمه ، بعد أن حقق من السماع ما يريد وكان يعتقد فى نفع المتصوفة ٠

كان السلطان شمس الدين مولعا بالطاعة والعبادة ، وكان يذهب الى المسجد فى أيام الجمع ، ويقوم بأداء الفرائض والنوافل ، وكان ملاحدة دهلى يدركون هذا المعنى ، فاتفقوا أن يقتلوا السلطان أثناء أداء الصلاة والخلائق مشغولون عنه ، فاجتمع جماعة ، ورفعوا الحراب يوم

---

(٧٥) ورد من قبل أنه انتقل الى بلاد التركمان الى بخارا الى غزنين ، الى الهندوستان فقط وربما تكون هناك مدينة تسمى بغداد فى الهند ٠

(٧٦) أهل قال : الفقهاء ٠

(٧٧) أهل حال : المتصوفة ٠

الجمعة ودخلوا المسجد ، وضربوا السيوف فاستشهد عدة أشخاص ، ونجا الحق سبحانه وتعالى السلطان من شرهم ، وصعد الأهالى على الأسطح والجدران وقتلوا هؤلاء القوم بضربات الحجارة والسهام ، وطهروا العالم من عار وجودهم ٠

« سىء الفكر يضمر الشر دائما ، مثل (٧٨) حية نادرا ما تبيت فى منزل » ٠

فى آخر عمره جاء فخر الملك عصامى الوزير البغدادى الذى قام بمنصب الوزارة لمدة ثلاثين عاما فى بغداد ، وكان مشهورا بالفضائل الصورية والمعنوية ، وبسبب من الأسباب الدنيوية التى هى أساس المتاعب والملل لأرباب الدولة ، جلا عن وطنه وجاء الى دهلى ، وأكرمه السلطان ودخل المدينة مكرما ، وسلمه منصب الوزارة ، وأنعم عليه انعامات ملكية ، كانت مدةسلطنة السلطان شمس الدين التمش ستا وعشرين سنة ٠

ذكر السلطان ركن الدين فيروز شاه ابن السلطان شمس الدين :

فى سنة ٦٢٥ هـ أعطاه والده مقاطعة بداون ، وأنعم عليه « بجتر ودورباش » وبعد أن عاد السلطان من فتح كواليار الى دهلى ، عينه على ولاية لاهور ، وعندما عاد السلطان من رحلته الأخيرة من سيوستان (٧٩)، أخذ برفقته ركن الدين فيروز شاه من لاهور ، وعندما توفى أجلس أمراء وأعيان الدولة فيروز شاه على عرش دهلى فى يوم الثلاثاء (٨٠) سنة ٦٣٣ هـ وقدم لوازم الانعام للصغار والكبار ، ونظم الشعراء القصائد الغراء فى مدحه وتهنئته ، ونالوا الانعام والصلات ، ومن جملتها : أن ملك تاج الدين ريزه وكان كاتبا للسلطان ، مدحه بقصيدة طويلة ونال انعامات وصلة ، ويذكر هذان البيتان على سبيل الذكرى :

« ليباركك الله أيها الملك الخالد ، لك الملك وأنت فى عهد الشباب »

« جاء يمين الدولة ركن الدين ، بلاطه من اليمن مثل ركن اليمانى »

وعندما جلس على العرش ، انشغل باللهو والمرح عن الملك ، وفتح أبواب الخزائن ، وقدم العطايا والهبات ، وترك حكم الهندوستان لأمه

(٧٨) كزدم « أ » ص ٣٠ ، « ك » ص ٦٣ ٠ والصحيح كزدم ٠

(٧٩) سوستان « أ » ص ٣٠ ٠

(٨٠) سقط الشهر من النسختين ٠

وكانت جارية تركية (٨١) وتشتهر بشاه تركان وقد سيطرت عليه لدرجة أنها أخذت فى ايذاء الحريم الآخرين الذين حملت لهم الحقد أيام حياة السلطان ، وقتلت الابن الاصغر للسلطان وكان يسمى قطب الدين ، وخوت الخزانة ، وأكثرت من الانعام على الأراذل والأوباش والسكارى ٠

واستاء خاطر الصغير والكبير والوضيع والشريف منها ، ولوى ملك غياث الدين محمد شاه وكان أخوه الأصغر ويحكم ولاية أوده ، رأسه عن طاعته ، وراسل ملك عز الدين كبير خان والى الملتان وملك سيف الدين كوجى (٨٢) حاكم هانس ، ورفعوا لواء المعارضة ، وتحرك السلطان ركن الدين بجيش كبير من دهلى لدفعهم ، ونزل فى « كيلوكهرى» وفى تلك الأثناء ، فر نظام الملك محمد جنديرى وزير المملكة من كيلوكهرى لخوفه وذهب الى قصبة كول ، والتحق بملك عز الدين محمد سالارى ، وفضل السلطان ركن الدين تسكين الفتنة فى نواحى البنجاب ، وتوجه ناحية كهرام ، وعندما اقترب من منصوربور وتراين (٨٣) انفصل عن الجيش من الأمراء الذين كانوا معه تاج الملك محمد دبير (٨٤) وبهاء الدين حسين ، وملك كريم الدين زاهر (٨٥) وضياء الملك سروانى (٨٦) وخواجه رشيد وأمير فخر الدين ، وجاءوا الى دهلى ، وبايعوا السلطانة رضية وهى الابنة الكبرى لسلطان شمس الدين ، وأجلسوها على عرش السلطنة ، وقبضوا على شاه تركان أم السلطان ركن الدين ، وحبسوها ، وكانت هذه السلطانة رضيه تتصف بالخصال الحميدة مثل الشجاعة والسخاء والعقل والفراسة ، وتتصف بصفات الرجولة ، وكان والدها يهتم بها ، وفى عهد أبيها كان لها تدخل فى مهام الملك ، وكانت تشارك فى الحكم ٠

عندما وصل الخبر الى السلطان ركن الدين ،وعاد الى دهلى ، ووصل كيلوكهرى ، وأرسلت السلطانة رضيه جيشا لاستقباله ، وأسرته ، وأحضرته ، وحبسته ، وتوفى فى مدة وجيزة فى سجنه وكانت مدة حكمه ستة أشهر وثمانية وعشرين يوما ٠

---

(٨١) كنيز « ك » ص ٦٣ ٠

(٨٢) كوسى « أ » ص ٣١ ٠

(٨٣) منصور بور وتراين « أ » ص ٣١ ٠

(٨٤) محمد بير « أ » ص ٣١ ٠

(٨٥) ملك كريم الدين حسين زاهد « أ » ص ٣١ ٠

(٨٦) شروانى « أ » ص ٣١ ٠

ذكر السلطانة رضيه (٨٧) :

في السنة التى فتح فيها السلطان شمس الدين قلعة كواليار ، أوصى بعض الأمراء بأن يجعل رضيه (٨٨) ولية للعهد لما شاهدوه فيها من عقل وافر وفراسة ، فقال أمراء : ما الحكمة فى أن يجعل ولاية العهد لصبية مع وجود أبناء على وشك الرشد ؟ قال السلطان : لأننى أرى أبنائى وقد أبتلوا بشرب الخمر وأنواع المناهى والأنانية ، ولا أجدهم أهلا لعبء السلطنة ، ورضيه مع أنها على هيئة امرأة لكنها رجل بالمعنى، وفى الحقيقة هى أفضل من الأولاد ·

المهم عندما جلست السلطانة رضيه فى سنة ٦٣٥ هـ على عرش السلطنة ، أحيت القواعد والأحكام الشمسية (٨٩) التى أهملت واندرست فى أيام سلطنة ركن الدين ، وسلكت طريق الكرم والعدل ·

أبدى نظام الملك محمد جنيدى وزير المملكة وملك جانى وكوجى وملك عزيز الدين اياز العصيان وقد تجمعوا من الأطراف حول بلاط رضيه ، وكفروا بالنعمة ، وكتبوا الرسائل للأمراء فى الأطراف ليرغبوهم فى التمرد ، وأثناء ذلك توجه ملك عزيز الدين هانى حاكم أوده لمساعدة السلطانة رضيه فى دهلى ، وعندما عبر الجانج ، استقبل الأمراء المتمردين الذين سبق ذكرهم ، فقبضوا عليه ، وبسبب الضعف الذى كان عليه توفى فى هذا الوضع ، وبعد ذلك وفى مدة وجيزة ضربت السلطانة رضيه بتدبيرها اللائق ورأيها الصائب الأمراء المزيفين فى بعضهم ، فاختلفوا ، وفر كل منهما فى ناحية ، وتعقبت السلطانة رضيه الفارين ، وقبضت على ملك كوجى وأخيه ، وقتلتهما وقتل ملك جانى فى نواحى بابل (٩٠) وأحضروا رأسه الى دهلى ، ودخل ملك نظام الملك فى جبل « سرسور » (٩١) وتوفى هناك ·

عندما قويت دولة السلطانة رضيه ، وانتظمت مملكتها ، عينت خواجه مهذب (٩٢) ، وكان نائبا لنظام الملك جنيدى ، وزيرا ، ولقب بنظام الملك ، وفوضت أمر الجيش لملك سيف الدين أيبك ولقبته بقتلقخان ، وأحالت ولاية لاهور لملك كبيرخان اياز ، وعينت الأمراء على ممالك لكهنوتى

---

(٨٧) سلطان رضيه « ك » ص ٦٥ « أ » ص ٣١ ·
(٨٨) در طيئه « أ » ص ٣١ ·
(٨٩) نسبة الى شمس الدين التمش ·
(٩٠) بابل « أ » ص ٣٢ ·
(٩١) سرسور « أ » ص ٣٢ ·
(٩٢) خواجه مهذب « أ » ص ٣٢ ·

وديول ودربنى وسائر البلاد والبقاع ، وفى نفس هذه الأيام توفى سيف الدين أيبك ،ونصبت محله قطب الدين حسن ، وأرسلته بجيش جرار لمهاجمة قلعة رنتهبور ، وأخرج قطب الدين حسن المسلمين الذين كانوا فى القلعة والذين كان الهنود يحاصرونهم بعد وفاة السلطان شمس الدين ، ولم يهتم بحكم القلعة ، وبعد توجيهه الى رنتهنبور صار ملك اختيار الدين ايتكين (٩٣) أمير حاجب (٩٤) وتقرب جمال الدين ياقوت حبشى « مير آخور » (٩٥) كثيرا من السلطانة رضيه وصار محسودا من الأمراء ، وارتفع الى درجة « صاحب نسبت » لأنه كان يتأبط السلطانة رضيه أثناء السير ويرفعها عند الركوب ، وكشفت السلطانة رضية الحجاب ، ولبست لباس الرجال ، وكانت تجلس على العرش والعباءة عليها والقلنسوة على رأسها ، وتعلن العفو العام ، وفى سنة ٦٣٧ هـ لوى ملك عز الدين أياز حاكم لاهور رأسه عن الطاعة ، ووضع أساس التمرد ، وتوجهت اليه السلطانة رضيه ، وجاء اليها مخلصا ، ودخل ضمن التابعين ، وأحالت السلطانة رضيه ولاية ملطان التى كان يحكمها ملك قارقش الى ملك عز الدين ، وعادت ، وتوجهت فى نفس السنة بجيش جرار الى تبرهنده (٩٦) وأثناء الطريق خرج عليها أمراء الترك ، وقتلوا جمال الدين ياقوت حبشى الذى كان أميرا للأمراء ، حبسوا السلطانة رضيه فى قلعة بترهنده (٩٧) ورفعوا معز الدين بهرامشاه ابن السلطان شمس الدين على السلطنة ، واستولى على دهلى ، وفى ذلك الوقت تزوج ملك اتيار الدين التونية حاكم تبرهنده (٩٨) السلطانة رضيه ، وجمعت رضيه مع جيش القونية جماعة كهوكهران وجاتوان (٩٩) وسائر أعيان الأطراف والنواحى فى مدة وجيزة ، واتفق معها عدة أمراء، وقادت الجيش الى دهلى ، وأرسل السلطان معز الدين بهرامشاه ملك تكين (١٠٠) خورد بجيش جرار لمواجهة رضيه ، وتقابل الجيشان فى الطريق ، وهزمت السلطانة رضيه ، وعادت الى تبرهنده ، وبعد مدة جمعت الجيش المبعثر ، وتقدمت للحرب من جديد ورفعت اللواء صوب

---

(٩٣) أبتكين « أ » ص ٣٢ ·

(٩٤) مير حاجب : المسئول عن شئون البلاط ·

(٩٥) أمير الاصطبل ·

(٩٦) سر هند « أ » ص ٣٢ ·

(٩٧) ترهنده « أ » ص ٣٢ وقد وردت أيضا تبرهنده وبترهنده ·

(٩٨) ترهنده « أ » ٣٢ ·

(٩٩) خانوان « أ » ص ٣٢ ·

(١٠٠) تكين أو تكين « أ » ص ٢٣ ، « ك » ٦٨ ·

دهلى ، وأرسل السلطان بهرامشاه ملك تكين مرة ثانية بجيش جرار لقتال رضيه ، وتلاقى الطرفان فى نواحى كيتهل (١٠١) ووقعت الهزيمة على جيش رضيه مرة أخرى ، ووقعت رضيه وملك التونيه فى يد الحكام ، وقتلوهما ، وبرواية أسروهما ، وأحضروهما عند بهرامشاه وقتلهما بهرامشاه ، وكانت هذه الواقعة فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٣٧ هـ مدة سلطنة السلطانة رضيه ثلاث سنوات وستة أشهر وستة أيام .

ذكر السلطان معز الدين بهرامشاه ابن السلطان شمس الدين :

جلس السلطان معز الدين بهرامشاه على العرش بمساعدة الأكابر والأمراء والملوك ، يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٣٧ هـ ، وعندما قبض ملك اختيار الدين على جميع أمور المملكة بالاتفاق مع وزير المملكة نظام الملك مهذب الدين ، وتزوج أخت السلطان معز الدين، وكانت من قبل زوجة للقاضى اختيار الدين ، وكان دائما يربط فيلا كبيرا على باب منزله ، ولما لم يكن هناك شخص آخر فى هذا الزمان لديه فيل سوى السلطان ، فقد أثار هذا المعنى سوء ظن السلطان ، فأمر السلطان معز الدين بعض الفدائيين (١٠٢) ليقتلوا ملك اختيار الدين بطعنة سكين ، وطعنوا ملك مهذب الدين أيضا بطعنتين فى جنبه ، ومات وبعد ذلك عين ملك بدر الدين سنقر رومى « أمير حاجب » وانتظمت جميع أمور المملكة كما كان من قبل ، وحدث أن جمع ملك بدر الدين سنقر بغواية جماعة من أهل الفتنة والأعيان والكبار ، يوم الاثنين السابع عشر من صفر فى منزل صدر الملك تاج الدين « مشرف الممالك » (١٠٣) وتحدثوا فى أمر تبديل السلطنة وأرسلوا صدر الملك لاستدعاء نظام الملك ، لكى يستشيرونه أيضا ، وأطلع صدر الملك السلطان معز الدين على هذا الأمر ، وأخفى السلطان فى ناحية عند شخص ثقة ، وذهب الى نظام الملك ، وعلم من كان هناك فى الاجتماع كالقاضى جمال الدين كاشانى ، والقاضى كبير الدين ، والشيخ محمد ساوجى والأشخاص الذين كانوا هناك ، وأراد نظام الملك كسب الوقت ، وأجل قدومه الى وقت آخر ، وعرض صدر الملك حقيقة الأمر على السلطان بواسطة خادم السلطان الذى كان قد اختفى عنده وهاجم السلطان هذه الفئة بسرعة ، وفرقهم ،

---

(١٠١) كنبهل « ا » ص ٣٣ .

(١٠٢) جند فدائى « ك » ص ٦٨ ، جنيد راى « ا » ص ٣٣ .

(١٠٣) مشرف الممالك وهو المسئول عن المالية ويسمى أيضا « عارض الممالك » « وبخشى » .

وأرسل ملك بدر الدين سنقر الى بداون ، وعزل القاضى جلال الدين كاشانى عن القضاء ، وبعد فترة جاء ملك بدر الدين من بداون الى البلاط ، فقتله السلطان ومعه ملك تاج الدين موسى ، وألقى القاضى شمس الدين قاضى قصبة باريهره (١٠٤) تحت أقدام الفيل ، وسبب هذا زيادة خوف ورعب الأهالى ٠

وفى تلك الأثناء ويوم الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٣٩ هـ جاءت جيوش المغول الجنكيزية ، وحاصرت لاهور ، وعندما رأى ملك قراقش (١٠٥) حاكم لاهور عدم اتفاق الأهالى فخرج من لاهور فى منتصف الليل وتوجه الى دهلى ، وخربت مدينة لاهور من ظلم الجنكيزخانيين ، وأسر خلق كثير ، وعندما وصل هذا الخبر السلطان معز الدين ، جمع الأمراء فى القصر الأبيض وجدد البيعة ، وأرسل ملك نظام الملك وزير المملكة مع أمراء آخرين لدفع شر المغول الى لاهور ، وعندما وصل الجيش الى شاطىء نهر بياه قرب قصبة سلطانيور ، عرض نظام الملك الذى كان منافقا للسلطان فى الباطن ، أساس الغدر والمكر وأبعد الأمراء عن السلطان ، وقال اننا لن نستطيع فعل شىء مع هذه الجماعة بسبب مرافقة جماعة من أهل الفتنة ولن تسكن هذه الفتنة الا اذا توجه السلطان بنفسه الى هذه الناحية ، وأجابه السلطان بسذاجة لأنه كان يعتمد عليه بأن يقتل هذه الجماعة حين يجد الفرصة المناسبة ، وأخفى نظام الملك الفرمان عدة أيام ، ثم أعلنه على أمراء الجيش ، فاتفقوا معه جميعا ٠

عندما أطلع السلطان على هذا الحال ، أرسل شيخ الاسلام شيخ قطب الدين بختيار أوشى لترضية الأمراء ، ولم يرض الأمراء بأى شىء ، وعاد الشيخ الى دهلى ، وبعد ذلك جاء نظام الملك وسائر الأمراء لمحاربة السلطان معز الدين فى دهلى ، وحاصروه ، وأخذوا فى قتاله يوميا ، وعندما اتفقوا مع أهالى المدينة ، استولوا على دهلى فى السبت الثامن (١٠٦) من ذى القعدة من السنة المذكورة ، وحبسوا السلطان معز الدين عدة أيام ، وقتلوه ، وكانت مدة حكمه سنتين وشهرا وخمسة عشر يوما ٠

---

(١٠٤) مانهره « ١ » ص ٣٣ ٠

(١٠٥) فراقش « ١ » ص ٣٣ ٠

(١٠٦) ششم « ١ » ص ٣٤ ، هشتم « ك » ص ٧٠ ٠

(١٠٧) ذكر السلطان علاء الدين مسعود شاه « ك » ص ٧٠ ٠

ذكر السلطان علاء الدين مسعود شاه (١٠٧) :

عندما قتلوا السلطان بهرامشاه ، جلس ملك عز الدين يلبن على عرش دهلى · ونودى فى المدينة ولم يرض الأمراء والملوك ، وفى الحال أطلقوا سراح السلطان ناصر الدين والسلطان جلال الدين أبناء شمس الدين التمش ، والسلطان علاء الدين مسعود شاه ابن السلطان ركن الدين وكانوا محبوسين فى القصر الأبيض ، وأجلسوا السلطان علاء الدين مسعود شاه على عرش دهلى فى ذى القعدة سنة ٦٣٩ هـ ، وعين ملك قطب الدين حسن نائبا له وملك مهذب الدين نظام الدين بمنصب الوزارة، وصار ملك قارقش أمير حاجب ، وعندما احتضن ملك نظام الملك عروس السلطنة بلا مشارك ، اتفق الأمراء والأعيان أن يقتلوه يوم الأربعاء الثانى من جمادى الأول سنة ٦٤٠ هـ ·

« لا ينبغى أن يكون الحاكم حادا ، مثل الوردة ، لأن السيل الجارف سيهدم الجسر » ، وعين أبا بكر نجم الدين صدر الملك على الوزارة ، وجعل غياث الدين بلبن ، الذى كان حتى هذا الوقت الغ خان « أمير حاجب » وعهد لملك عز الدين بلبن الكبير بناكور والسند وأجسير ، وفوض مقاطعة بداون لملك تاج الدين ، وقسم سائر مقاطعات الممالك أيضا على الأمراء كل حسب حالته وانتظم أمر المملكة ،وظهر الهدوء والاستقرار بين الناس ·

فى ذلك الوقت أرسل ملك عز الدين طغاخان الذى كان قد جاء من كره (١٠٨) الى لكهنوتى ولايته شرف الملك أشعرى الى السلطان علاء الدين ، وأرسل السلطان « جتر » ياقوتية وخلعة خاصة مع القاضى جلال الدين حاكم أوده الى لكهنوتى عند عز الدين طغاخان ، وأطلق سراح عميه من الحبس ، وأحال اقليم قنوج لملك جلال الدين ، وأضاف لملك ناصر الدين حكومة بهرايج وقد تركا آثارا طيبة فى هذه البلاد على مر الأزمان ·

فى سنة ٦٤٢ هـ جاءت جيوش المغول الى ديار لكهنوتى ، وكانوا قد جاءوا من الطريق الذى كان قد سلكه محمد بختيار الى التبت والختا (١٠٩) وأرسل السلطان علاء الدين تيمور خان وقرابيك بجيش جرار الى لكهنوتى لمساعدة عز الدين طغاخان ، وبعد ذلك هزم المغول ، وتركوا لكهنوتى ، ووقع خلاف بين عز الدين طغاخان وملك قرابيك ، فأعطى السلطان لكهنوتى لتيمورخان ووصل طغاخان لخدمة السلطان فى

---

(١٠٨) آكره « ١ » ص ٣٤ ·

(١٠٩) الختا أو الخطا : وهى قبائل تركية ·

دهلى ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن جيش المغول قد وصل نواحى أجه وجمع السلطان أمراءه ، واتجه بسرعة الى نواحى أجه ، وعندما وصل الى شاطىء نهر بياه ، تراجع جيش المغول الذى كان يحاصر قلعة أجه ، وعاد السلطان ظافرا ومنتصرا الى دهلى ، وبعد ذلك انحرف السلطان علاء الدين عن طريق العدل والانصاف وسلك طريق القتل والسلب ولهذا تجمع جميع الأمراء والأكابر ، واتفقوا جميعا أن يكتبوا الى السلطان ناصر الدين محمود ابن السلطان شمس الدين الذى كان فى بهرائيج (١١٠) واستدعوه ، وعندما وصل السلطان ناصر الدين محمود الى دهلى ، قبضوا على السلطان علاء الدين مسعود شاه فى سنة ٦٤٤ هـ وحبسوه ومات فى هذا السجن ، مدة سلطنته أربع سنوات وشهر ويوم واحد .

ذكر السلطان ناصر الدين محمود (١١١) :

الأخ الصغير للسلطان شمس الدين التمش ، كان سلطانا عادلا ومتدينا ومتصوفا ، صاحب العلماء والصالحين ، وأكرم الأكابر والأفاضل ، وتظهر محاسنه ومحامده فى طبقات ناصرى الذى ألف باسمه ، جلس على العرش فى دهلى سنة ٦٤٤ هـ وبايعه أمراء وملوك عصره جميعا ، وقدم الانعام للصغار والكبار ، ونظم الشعراء القصائد الغراء ، وأسعدهم بالانعام ، وقد نظم القاضى منهاج (١١٢) قصيدة طويلة ، أعرض منها بعض الأبيات :

« أيها الملك الذى هو حاتم (١١٣) فى البذل ورستم (١١٤) فى السعى ، ناصر الدنيا والدين محمود بن التمش » .

أيها الحاكم الذى هو سقف الفلك من ايوانه فى علو الدرجة كأنما هو فروردين » .

« كم تفخر السكة بألقابه الميمونة ، وكم تكرم الخطبة باسمه السعيد ؟ » .

قلد ملك غياث الدين بلبن مملوك وصهر أبيه منصب الوزارة ، ولقبه بلقب « ألغ خانى » (١١٥) وأعطاه « جترودورباش » وأسلم جميع

---

(١١٠) بهرايج « ١ » ص ٣٥ .

(١١١) ذكر حكم السلطان ناصر الدين محمود « ١ » ص ٣٥ .

(١١٢) منهاج السراج الجوزجانى صاحب طبقات ناصرى .

(١١٣) حاتم الطائى الشاعر العربى المشهور بكرمه .

(١١٤) رستم البطل الايرانى الأسطورى .

(١١٥) الف خانى « ١ » ص ٣٥ .

أمور المملكة لرأبة الرزين ، ويقال « أنه قال أثناء تفويض الغ خان بالمهام « اننى جعلتك نائبى ، وأسلمت أمور السلطنة لك ، فلا تفعل الأمر الذى تعجز عن الرد عليه أمام الله تعالى ، ولا تخجلنى وتخجل نفسك ، ووضع ملك بلبن ألغ خان قواعد نيابة الملك وقبض على جميع الأمور الملكية ، ولم يكن لأحد قط حرية التصرف فى أمر المملكة ٠

فى رجب سنة الجلوس قاد السلطان ناصر الدين الجيش الى الملتان ، وعبر نهر لاهور (١١٦) فى أول شهر ذى القعدة ، وجعل الغ خان على رأس الجيش ، وأرسله الى ناحية جبل جود (١١٧) وأطراف نندنه ، وتوقف على شاطىء نهر السند عشرة أيام ، وبعد ذلك انتهب الغ خان جبل جود وجميع بلاد هذه الناحية ، وقتل كهوكهران والمتمردين هناك ، ووصل الى خدمة السلطان ، وعاد السلطان من هناك الى دهلى بسبب نقص العلف ، وفى الثانى من شعبان سنة ٦٤٥ هـ عاد الى ما بين النهرين (١١٨) وفى نفس السنة اتجه الى كره (١١٩) فى العاشر من ذى القعدة وجعل ألغ خان على مقدمة الجيش ، وانتهب الغ خان قرى دلكى وملكى ، وعاد الى السلطان بغنائم كثيرة ، وعاد السلطان الى دهلى ، وتوجه فى السادس من شعبان سنة ٦٤٦ هـ الى رنتهنبور ، وأدب المتمردين هناك ، وعاد الى دهلى ، وفى نفس السنة أتهم القاضى عماد الدين شغور خانى (١٢٠)، وعزله عن القضاء ، وقتله بسعى عماد الدين ريحان ، وفى سنة ٦٤٧ هـ (١٢١) تزوج السلطان ابنة الغ خان ، وفى سنة ٦٤٨ هـ قاد الجيش الى الملتان ، والتحق به شيرخان على شاطىء نهر بياه ، وفى السادس من ربيع الأول من نفس السنة وصل الى الملتان ، وأذن لملك عز الدين بالتوجه الى أجه بعد عدة أيام ، وعاد الى دهلى ٠

وفى سنة ٦٤٩ هـ لوى ملك عز الدين بلبن حاكم ناكور رأسه عن الطاعة ، وأعلن العصيان ، وتوجه السلطان ناصر الدين الى ناكور لتسكين هذه الفتنة ، ولم يستطع ملك عز الدين المقاومة فطلب الأمان ، والتحق بالبلاط وعاد فى ركاب السلطان ناصر الدين الى دهلى ، وفى نفس السنة فى الخامس من شعبان ، تحرك صوب كواليار وجنديرى

---

(١١٦) ربما يقصد نهر السند ٠

(١١٧) جودو « أ » ص ٣٥ ٠

(١١٨) ما بين نهر الكنك نهر السند ٠

(١١٩) كوه « أ » ص ٢٥ ٠

(١٢٠) سفنور خانى « أ » ص ٣٥ ٠

(١٢١) ٦٤٠ « أ » ص ٣٥ ٠

ومالوه بجيش جرار ، واستقبله جاهر ديوراجه هذه البلاد بخمسة آلاف فارس ومائتى ألف من المشاه ، وقاتل السلطان قتالا مريرا ، وهزم ، وفتح قلعة نرور بالقوة ، وعاد السلطان بالنصر والظفر الى دهلى ، وأبلى الغ خان بلبن فى هذه المعركة بلاء حسنا ، وبعد ذلك توجـــه شيرخان من الملتان للاستيلاء على أجه وجاء أيضا ملك عز الدين بلبن من ناكور الى أجه ، وتسلم شيرخان قلعة أجه ، وتوجه الى السلطان ، ونال ولاية بداون مقاطعة له ٠

توجه السلطان فى الثانى والعشرين من شوال سنة ٦٥٠ هـ (١٢٢) الى أجه من طريق لاهور ، والتحق بالسلطان فى هذه المرحلة قتلقخان من ولاية سهوان وكشلو خان عز الدين من بداون بجيوشها ، ورافقوه حتى نهربياه (١٢٣) وفى سنة ٦٥١ هـ سمح لألغ خان بالتوجه الى سوالك وهانس وكانتا مقاطعة له وعهد لعين الملك محمـــد جنيـــدى بمنصـــب الوزارة ، وجعل ملك عز الدين كشلوخان « أمير حاجب » وأعطى لأيبك أخى خان أعظم ولاية كره ، وجعل عماد الدين ريحان وكيلا للبلاط ، وجاء السلطان الى دهلى ، وفى أوائل شوال من نفس السنة توجه من دهلى الى نواحى نهربياه ، وكانت بترهنده وأجه والملتان مازالت فى يـــد شيرخان وقد هزم شيرخان من السنديين ، فتوجه الى تركستان ، فأرسل السلطان جيشا ، وفتح البلاد المذكورة وأحالها لأرسلان خان وعاد ٠

وفى سنة ٦٥٢ هـ توجه الى نواحى كوه بايه ونال غنائم كثيرة وعبر الجانج من معبر « ميان پور » ووصل الى نهر رهب على سفح جبل ، وفى « بكله مانبى » استشهد ملك عز الدين رضى الملك بيد المواطنين هناك « وهو ثمل » (١٢٤) فى يوم الأحد الخامس عشر من صفر سنة ٦٥٢ هـ وتوجه السلطان الى نواحى كتهيل (١٢٥) وكهرام للانتقام لدمه ، وأدب المتمردين هناك ، وتوجه الى بداون ، وبقى هناك عدة أيام ، وجاء الى دهلى ، واستقر خمسة أشهر ، قضاها فى اللهو والمرح ، وعندما وصل الخبر أن بعض الأمراء أمثال أرسلان خان (١٢٦) وبتخان أيبك ختائى والغ خان أعظم قد شرعوا فى العصيان فى نواحى بترهنده بالاتفاق مع ملك جلال الدين ، توجه السلطان من دهلى الى بترهنده بالاتفاق مع ملك

---

(١٢٢) خمس وستمائة « ١ » ص ٣٦ ٠

(١٢٣) بياه « ١ » ص ٣٦ ٠

(١٢٤) مستى

(١٢٥) كهيتل وكتهيل وكهتيل « ١ » ص ٣٦ ، ٣٧ ٠

(١٢٦) ارسلان خان « ١ » ص ٣٧ ٠

جلال الدين وتوجه السلطان من دهلى الى بترهنده ، وعندما اقترب من هانسى ، توجه المذكورون الى كهرام وكيتهـل ، وحاصروا الجمـاعة وعقدوا الصلح ، ولازموا السلطان بعد العهد والقسم ، وفوض السلطان ملك جلال الدين على حكومة لاهور ، وعاد الى دهلى ، وفى سنة ٦٥٣ هـ انحرف مزاج السلطان علي والدته (١٢٧) ملكة جهان التى كانت زوجة قتلغخان (١٢٨) فعين قتلغخان علي ولاية أوده ، وسمح له بالرحيل الى هذه الناحية ، وعزله من هناك بعد فترة قصيرة وأرسله الى بهرايج ، ففر قتلغخان من هناك وذهب الى سنتور (١٢٩) ورافقه ملك عز الدين كشلوخان وبعض الأمراء الآخرين ووضعوا أساس البغى ، فعين السلطان الغ خان بلبن على رأس جيش جرار لمهاجمتهم ، وعندما اقترب الفريقان ، رغب جماعة من دهلى ، مثل شيخ الاسلام سيد قطب الدين والقاضى شمس الدين بهرائيجى ، قتلغخان وكشلوخـان للحضور الى دهـلى والاستيلاء عليها ، وسعوا ايضا خفية لتحريض أهالى دهلى لبيعتهم ، وعندما أطلع الغ خان بلبن على هذا الأمر أخبر السلطان بحقيقة الأمر ، وعرض أنه سيتفق مع الجماعة المذكورة ، وعلي السلطان أن يصدر أمرا بأن يذهبهؤلاء القوم الى مقاطعاتهم ، وخلال ذلك قطع قتلغخان ، وملك كشلوخان مسافة مائة فرسخ خلال يومين ، وجاءوا من سامانه الى دهلى ، وعندما رأوا أن هذه الجماعة ليست فى دهلى ، تفرقوا أيضا ، وتعقبهم الغ خان بلبن ٠

وفى أواخر هذه السنة جاء جيش المغول الى نواحى أجه والملتان وتوجه السلطان لصدهم وعاد جيش المغول دون قتال ، وعاد السلطان أيضا ، وخلع على ملك جلال الدين جانى وسمح له بالسفر لكهنوتى ، وفى سنة ٦٥٧ هـ وصلت جواهر وأقمشة كثيرة وفيلان من لكهنوتى وتوفى ملك عز الدين كشلوخان الذي سبق ذكره في رجب من نفس السنة ٠

ويروى أن السلطان ناصر الدين كان يكتب كل سنة مصحفين ، يصرف ثمنهما على قوته الخاص وذات مرة تصادف أن اشترى أحـد الأمراء مصحفا كتبه السلطان بسعر مرتفع ، وعندما علم السلطان بذلك ، لم يسره هذا ، وأمر انه بعد هذا عليهم أن يبيعوا ما يكتبه خفية بسعر متعارف عليه ، ويروى أيضا انه لم يكن لدى السلطان اى جارية أو خادمة سوى زوجته ، وكانت تطبخ الطعام للسلطان قالت يوما للسلطان : انه

---

(١٢٧) وردت قتلغخان وقتلغخان ٠

(١٢٨) والده عخويش « ك » ص ٧٦ ، والدم لوبش « أ » ص ٣٧ ٠

(١٢٩) سور « أ » ص ٣٧ ٠

بسبب اعداد الخبز فان يداى دائما تصاب بالأذى ، فلو اشتريت جارية لكى تخبز الخبز ، لا يكون هناك قصور قط ، أجابها السلطان ان بيت المال حق لعبيد الله ، وليس لى ، فليعطنا الله واشترى فأصبرى ولسوف يجزيك الله تعالى أحسن الجزاء فى الآخرة :

« الدنيا حلم أمام العين اليقظة ، وحلم القلب لا يقيد الرجل الذكى »

وفى سنة ٦٦٣ هـ ، مرض السلطان ناصر الدين ، وانتقل من الدنيا الى الآخرة فى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٦٦٤ هـ ، ولم يبق من أولاده أحد ، وكانت مدة سلطنته تسع عشرة سنة وستة أشهر وعدة أيام ٠

ذكر السلطان غياث الدين بلبن (١٣٠) :

عندما توفى السلطان ناصر الدين فى سنة ٦٦٤ هـ أجلس الأمراء وملوك المدينة ألغ خان بلبن الذى يسمى « بلبن خورد » على عرش السلطنة فى القصر الأبيض وانعقدت له البيعة العامة والخاصة ٠

كان السلطان غياث الدين مملوك السلطان شمس الدين ، ومن جملة مماليك جهلكانى (١٣١) وكان للسلطان شمس الدين أربعون غلاما تركيا ، وصل كل واحد منهم الى درجة الامارة ، ويطلق على هذه الجماعة « جهلكانى » وكان السلطان غياث الدين سلطانا ، عالما ومجربا ، وصاحب حنكة ، وكان يزن الأمور ويعقلها :

« المعرفة هى المتاع الجميل ، فلا تكن خاليا من مال العالم هذا »

« يرفع الشخص رأسه الى العالم ، لأنه فى نظر العالم عاقل »

لم يدع أمر المملكة الا للأكابر والعلماء ، ولم يسمح للأراذل بالتدخل فى الأمور ، واذا لم يرق الشخص الى الصلاح والتقوى والتدين والنسب، لا يطلب منه عملا ، وكان يتشدد فى تصحيح النسب ، ويدقق كثيرا ، واذا وجد فى شخص عيبا ذاتيا أو نقصا فى صفاته ، بعد أداء العمل يعزله فى الحال ، وحتى آخر أيام السلطنة ، وهى اثنتان وعشرون سنة ، ولم يخاطب الأراذل واللئام ولم يسمح بالهزل والمسخرة فى مجلسه ٠

ويروى أن فخر أمانى قد عمل عدة سنوات فى خدمة البلاط ولجأ الى أحد المقربين من السلطان ، وقدم اليه مالا كثيرا على أنه اذا تحدث مع السلطان ، فسوف يهديه مالاكثيرا نقدا وعينا ، وعندما وصل هذا

---

(١٣٠) ذكر السلطان غياث الدين « أ » ص ٣٧ ٠

(١٣١) الاربعون ٠

المغنى الى السلطان ، قال لأمير السوق « ان مهابة السلطنة تقل فى قلب العوام ، من حديث السلطان معه ، ويأخذ الخلل فى حشمه وعظمته ، وكانت جميع أوصاف السلطان غياث الدين محبوبة ، ولم يكن يعادله أى سلطان من السلاطين السابقين فى عدله وانصافه ، ويروى أن ملك بقبق سرجاندار (١٣٢) ضرب خادم فراشه عدة سياط ، وتوفى هـذا الخادم تحت السوط ، فاقتص من ملك بقبق المذكور بالسوط ، وقتل هيبت خان ، والد ملك قيران غلامى مملوك السلطان بلبن ، شخصـا ، وهو فى حالة سكر ، وجاء أهل المقتول الى السلطان ، وطلبوا القصاص ، فأمر السلطان أن يضربوا هيبت خان خمسمائة سوط ، ويسلموه لزوجة المقتول ، وتوسط الناس للصلح مقابل عشرين الف تنكه ، وخلصوه من يد هذه المرأة ،ولم يخرج هيبت خان من المنزل حتى يوم وفاته ، واقتص أيضا من عدد من الأمراء لما كان قد وقع منهم من قتل غير مشروع ، وهكذا لم يصبح القتل من الأمراء والملوك للأهالى سهلا وميسورا ،وكان يصاحب أهل الوعظ ، ويسمع المواعظ ، ويبكى ، وكان يرعى الأوامر والنواهى كما ينبغى وجدد وأحيا واقام أحكام السلطنة وقوانين المملكة التى كانت قد رست أيام السلاطين أبناء شمس الدين التمش ، ولم يستطع أحد قط أن يخرج عن جادة الطاعة خوفا من القهر والعقاب ، وهكذا سلك طريق العدل والانصاف ، ولهذا صار كافة الخلائق وجميع الرعايا فى ممالك الهند طائعين وتابعين طواعية ، واجبر اكثر (١٣٣) القواد والرؤساء الذين رفعوا رؤوسهم بالخلاف بعد وفاة شمس الدين لضعف أبنائه ، على الطاعة والولاء :

« العدل هو عندما تشعل الشمع ويعرف الحمل الذئب »

وكان يبالغ فى زينة اللباس ومراعاة الحشمة والأبهة السلطانية فى وقت الظهور والخلوة ، وكان يبدى سلوك العظمة والأبهة والجلال فى الوقوف والجلوس ، لكى يرتعب المشاهدون من رؤيته ، ويقذف الخوف فى قلوب المتمردين فى القرب والبعد من جلال عظمته ، وكان السلطان يردد دائما « انه كان من الكبار الذين لهم اعتبار كامل فى مجلس السلطان شمس الدين وكنت أسمعهم يقولون : ان السلطان (شمس الدين) لا يحافظ على آداب وعادات السلطنة فى الاحتفالات ، ولا يبدى الحشمة فى أحواله واقواله ، لذا فان هيبته لا تتمكن من قلوب أعداء المملكة ورعايا الممالك ، وسلك الفساد فى أمر المملكة » وكان السلطان بلبن

---

(١٣٢) بقيق بسر جامدار « ٩ » ص ٣٨ ٠

(١٣٣) اكتر : « ك » ص ٧٩ ٠

يبالغ فى اعداد مجالس الأفراح من اعداد للأبسطة المزخرفة والأوانى الفضية والذهبية ، والستائر المنسوجة بالذهب ، وأنواع الفواكه والطعام والشراب ··· ، وكان يجلس يوم الحفل حتى آخر اليوم ، ويستعرض هدايا الملوك والأمراء ، وعندما يقدم أحد الأعيان هـــدية ، يعرض الحاضرون في المجلس صفاته الطيبة ، وخدماته الجليلـــة ، وكانوا ينشدون الأغانى في مجالس الاحتفال ، ويقدم الشعراء قصائد المدح ، وينالون الصلات والانعامات ، ويقولون : « انه لم ير شخص قط بدون قلنسوة وحذاء خاص وثوب واقي للمطر ، ولم يضحك أحد بملء فيه ذى مجلسه » وكان يقول : ان هذا القدر من الرعب والهيبة تمكن السلطان من قلوب الخلائق وان عدم الهيبة هي سبب طغيان وتمرد الرعايا ، وأذا بقي هذا السلطان فترة على العرش فانها لن تطول لأن الفساد سيظهر ، وتبرز الفتنة ، وتختل قواعد العدالة ، وتفتح أبواب الظلم والتعدى » ، وكان السلطان غياث الدين يرعى الاعتدال فى كل حال ، ويأتى باللطف والغضب فى محلها · وكان يقول : « ان السلطان الذى يسـير سيرة الجبابرة فى أوضاعه وأحواله فهذا اشراك لله وخلاف لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يكافىء هذا الا بالعقاب والعذاب ، ولا يمكن تلافي هذا الا بأربعة أشياء أولها : أن يستغل قهره وسطوته في محلها لا يغض النظر عن رفاهية الخلق وخوف الحق ، وثانيها : ألا يدع الفسق والفجور يسرى فى ممالكه علانية ، ويسد هذا الباب ، ويخذل دومـا الفاسقين والنجساء ، وثالثها : أن يفوض الأعمال والأشـغال لأنـاس عقلاء ومتدينين ومناسبين ، ولا يدع للناس أهل الود مجالا في مملكته لأنهم سبب اخلال خلق الله ، ورابعها : أن يتبع العدل والانصاف الى درجة ألا يترك أثرا للظلم والتعدى فى بلاده :

« الاستقرار يكون بالعدل والانصاف ، وظلم الملك يكون مثل مصباح فى الريـــاح »

عندما وصل السلطان بلبن قصر بابل مع رفاقه وأقاربه (١٣٤) توقف هناك ، وعين الأمراء وأركان المملكة الذين كانت أعمدة الدولة بيدهم ، وجعل أولا المرضى والمشايخ والنساء ، والأطفال والحيوانات الضعيفة تمر دون مزاحمة الأقوياء ، وكان الناس مشغولين بأفيالهم وحيواناتهم وتوقف عدة أيام فى هذه الأماكن ، ليمر الخلائق بسهولة ، وعلى الرغم من أن السلطان بلبن فى أيام امارته كان يرغب فى الشراب

(١٣٤) وقتيكه سلطان بلبن بر آبى ما ملى با خيشي وخلابى رسيد « ١ » ص ٤٠ ، أما فى كلكتا جاءت الجملة على هذا النحو « وقتيكه سلطان بلبن بر سرائى يا بلى با خيشى وخلابى رسيدى » ص ٨١ ·

وعقد الحفلات ومصاحبة الأمراء والملوك المهمين ولعب القمار ، ونثر ذهب القمار على أهل المجلس ، وكان دائما فى مجلسه الخدماء اللطاف والمطربون والظرفاء ولكن بعد أن صار سلطانا لم يرغب فى هذه الأعمال وقضى على أسم الشراب والمدمنين وسائر المناهى فى مملكته ، واهتم بصيام النفل وقيام الليل والمواظبة على الجمعة والجماعة وصلاة الضحى والظهر والتهجد ، ولم يكن بلا وضوء أبدا ، ولم يمد يده الى طعام دون حضور العلماء والصالحين وأثناء تناول الطعام كان يتحقق من العلماء فى المسائل الشرعية ، وكان يذهب الى منازل الكبار ويزور المقابر بعد صلاة الجمعة ، ويحضر جنازةالأكابر ، ويذهب للعزاء وينعم على أبناء وأقارب الميت ، ويقر وظيفة الميت لورثته ، واذا علم أثناء الركوب مع كل هذه الحشمة والعظمة أن فى المكان الفلانى مجلس وعظ ، كان ينزل من ساعته ويسمع الذكر ويبكى :

« نهضت عظمة الملك من هنا ، ونظم العالم بالعدل والعلم »

« كان يرتدى الرداء الخشن يوم الخلوة ، ويجاهد بالصلاة والانكسار »
« الوجه على الرمال ، والقلب مثل قدر يغلى ، فأبسط القلب وأصمت »
« حتى ترى قلبه بعين السر (١٣٥) ، وتعلو المراءى هذا التشيب »

ومع وجود كل هذه الأفعال الحسنة ، اختفى أهل البغى والطغيان ، وقضى على أهل القهر والجبروت ، ولم يكن يرنو الى عادات الجبابرة ، وكان يقضى على مدينة بسبب بغى أحد الأشخاص وكان يقدم مصالح الملك على كل شئ ، ولهذا قضى على أكثر الملوك الشمسية الذين كانوا شركاء له بكل أنواع الحيل والتدبير (١٣٦) ، وعندما تهيأت له أسباب السلطنة والشوكة ، عرض بعض الأمراء الشمسية أنه طالما بلغت هذه القوة والقدرة فمن المناسب ألا تدع الكجرات ومالوه وبلاد الهند الأخرى ، فرد عليهم السلطان : انه بسبب قدوم المغول الذين يحضرون سنويا السلب فانه لا يمكن أن أنشغل بعيدا عن دهلى ، فالأولى أن تهتم بولايتك ، وبعد ذلكفكر فى أخرى ، وهو كلام السلاطين السابقين ، وانه من الأفضل أن توفر الأمن والأمان لملكك ، بدلا من أن تسيطر على ملك الآخرين ، ولم يدع لحظة تمر دون تفكير فى أمن ملكه ٠

وفى سنة الجلوس أى سنة ٦٦٤ هـ أرسل تتارخان بن أرسلان خان ستمائة وثلاثة أفيال من لكهنوتى ، وعقدوا الأفراح فىالمدينة ، وأعلن

---

(١٣٥) زاز « ١ » ، راز « ك » ص ٨٢ ٠
(١٣٦) يلاحظ ان جميع الأفعال فى الماضى الاستمرارى الناقص ٠

السلطان بلبن العفو عن جيوتره ناصرى وهو خارج بوابة بداون ، وحضر الأمراء والملوك والصدور والأكابر ، وقدموا الهدايا ، وأنعم عليهم بالصلات ، ولما كان السلطان بلبن يميل الى الصيد ، فقد أمر أن يحافظوا على الصيد حول المدينة بعشرين ميلا ، وكان « ميرشكار » أمير الصيد عنده درجة عالية واستخدم كثيرا من الصيادين ، وكان أيام الشتاء يركب كل يوم وقت السحر ، ويتوجه حتى قصبة ريوارى ويصطاد وكان يقضى جزءا من الليل ، ويأتى الى المدينة ولا يخرج فى الليل ، وكان ألف فارس ممن يعرفهم السلطان وألف شخص من حملة السهام والنبال يتناوبون فى ركابه ، ويأكلون جميعا على مائدة السلطان ، وعندما وصل خبر مواظبة السلطان على الصيد الى هولاكو فى بغداد ، قال : « ان بلبن سلطان ، يظهر للناس أنه يذهب الى الصيد وفى الحقيقة فان الركوب للصيد رياضة ويعطى لجيشه مثالا ، ويحمى ملكه » ، وعندما وصل هذا الكلام الى بلبن ، سر ، وأثنى على ذكاء هولاكو وقال : « يعلم قواعد الملك أشخاص حكموا العالم واستولوا على الملك ·

ولما كان الفساد الكلى قد سرى فى جميع أمور الملك بسبب غفلة واستهتار أبناء شمس الدين ولم يبق أثر قط لقوانينهم وأحكامهم ، فان جماعة « ميوان » الذين كانوا حول المدينة ، وبسبب الغابات التى تحيط بهذه النواحى ، قد وضعوا أساس الفساد والتمرد ، وعملوا على قطع الطريق ، وكانوا يتسللون الى المدينة ليلا ، وينقبون المنازل ، ويحملون أموال الناس ، وانتهبوا بالقوة والغلبة القرى التى كانت حول المدينة ، وسدوا الطريق من الأربعة جهات ، حتى لم يبق للتجار من مجـــال للمعاملات ، وكانوا يغلقون أبواب المدينة التى كانت ناحية القبلة بعد صلاة العصر خوفا منهم ، ولم يستطع أحد أن يذهب فى زيارة طويلة بعد صلاة العصر وهجموا على حوض السلطان عدة مرات ، وضيقوا على السقايين والجوارى حاملات المياه ، وقد فضل السلطان فى نفس هذه السنة دفعهم عن مصالح أخرى ، وقطع جميع الغابات ، وأطاح برقاب كثير من المفسدين ، وبنى قلعة حصينة فى « كوالكر » ، وأقام عدة حصون حول المدينة وقسم أراضى الحصون بين رجال جيشه ، وعلم كل شخص بحصته ، وبعد ذلك ارتاح الأهالى من فساد « ميوان » وعنــدما فــرغ السلطان من قطع الغابة وقمع ميوان ، سلم القصبات والقرى بين النهرين للحكام الأقوياء ، حتى يقتلوا المتمردين الذين يقومون بالنهب والسلب ، وأسر أولادهم وأتباعهم ، وقضى تماما على فساد هذه الطائفة ، وبعد ذلك خرج السلطان مرة ثانية من المدينة وتوجه الى ناحيــة كيتهــل

وبتيالى (٣٧) وقضى على المتمردين والمفسدين فى هذه الناحية ، وفتح طريق الهندوسنان وهو باصطلاح أهل الهند ، جونبور وبهار وبنكاله وقد كان مسدودا ، وغنم من هذا النهب والسلب الكثير من الأسرى والمواشى ، وبنى فى كنبل وبنيالى وبهوجيور التى كانت مأوى لقطاع الطريق ، القلاع الحصينة والمساجد العالية ، وسلم القــلاع الثلاثة للافغان ، وحكم جماعة الأفغان هذه القصبات ٠

فى هذه الأيام عمر قلعة جلالى التى كانت مأوى لقطاع الطرق ، ووطنها بالمسلمين ، ولم يكد ينتهى من هذه المهمة حتىوصل الى السلطان خبر فتنة وفساد أهالى كاتهر (١٣٨) وسيطرتهم وعجز حاكم بداون وامروهة ، وعاد السلطان من كنبل وبتيالى الى المدينة ، وأمر باعداد الجيش ، وأعلن فى الخلق « انه سوف يتجه الى ناحية الجبل » وحملوا الخيمة الخاصة وخرجوا بخمسة آلاف فارس على وجه السرعة وعبر من معبر كاتهر كنك ، ودخل ولاية كاتهر (١٣٩) وأمر بالقتل والسلب ، ولم يدع أحدا حيا سوى النساء والأطفال ، وجعل كل من بلغ سن الثامنة من الذكور علفا للسيف ، وكوم القتلى ، ومنذ ذلك الحين وحتى عهــد جلالى (١٤٠) لم يظهر مفسد قط فى كاتهر ، وسلمت ولاية بداون وامروهة من شر الكاتهريين ، وبعد ذلك عاد السلطان بلبن مظفرا ومنصورا الى المدينة ، وبعد فترة قاد الجيش صوب جبل جود ، وانتهب ما حول هذا الجبل ووقع فى يد الجيش جياد كثيرة فى هذا الفتح علما بأن سعــر الجواد وصل الى ثلاثين وأربعين تنكة ، وعاد السلطان بلبن منصورا الى دهلى ، وكان كلما عاد كان الأكابر والعظماء فى المدينة يستقبلوه على مسافة اثنين أو ثلاثة فراسخ ، ويقيمون الأفراح ويعقدون الحفلات ، وينشرون ما هو خير ، وكان يرسل كثيرا الى أطراف البلاد لتوزع على أهل الاستحقاق ٠

وبعد مدة توجه الى جانب لاهور ، وبنى قلعة لاهور ، التى كان قد خربها المغول ، وعمر القرى نواحى لاهور ، والتى أصابهــا المغول بالأضرار ، وعاد الى دهلى ، وفى ذلك الوقت عرض البعض على السلطان بلبن أن جماعة كبيرة من القواد الذين كانوا قد نالوا مقاطعات فى عهد السلطان شمس الدين ومازالت حتى الآن تحتتصرفهم وأن هناك كثيرا

---

(١٣٧) كنبله وبنسالى « ١ » ص ٤١ ٠

(١٣٨) أهل كهتر « ١ » ص ٤١ ٠

(١٣٩) ولايت كانهر « ١ » ص ٤١ ٠

(١٤٠) جلال الدين اكبر ٠

من الخلافات فى مقاطعاتهم فأمر السلطان بالعفو عن الأشخاص كبار السن والذين أصبحوا ضعافا من الجندية ، وقــرر لهم « مــدد معاش » (١٤١) واسترد مازاد ولهذا السبب حدث بين الأهالى اضطراب وتحسر ، وقدمت جماعة تحف الى أمير الأمراء (١٤٢) وشرحوا حقيقة حالهم ، ورفض ملك الأمراء تحفهم وقال « اذا أخذت منكم رشوة ، فانه لن يكون لكلامى أثر ، وتوجه من ساعته الى السلطان ووقف مكانه مفكرا مهموما ، وأدرك السلطان حزنه ، فسأله السبب ، فعرض اننى سمعت أن السلطان رد المشايخ (كبار السن) وقطععنهم دخلهم ، ففكرت لو أن القيامة رفضت أيضا الكبار فى السن ، ماذا يكون حالى ؟ فأدرك السلطان ما يقوله ، واستحسن كلام ملك الأمراء واحتضنه وهو يبكى ، وأمر أن تبقى رواتب (١٤٣) هؤلاء القوم كما هى ، ولا يسترد منهم شىء ٠

« قرب السلطان المبارك هذا الشخص الصادق لأنه أصلح حال المحتاجين »

بعد فترة توفى شيرخان عم السلطان بلبن ، ويرون أن السلطان أمر أن يدسوا له السم فى الخمر ، وكان شيرخان هذا مملوك التمش ، ومن مماليك « جهلكانى » وصل الى درجة الامارة ، وعمر قلعـــة بترهنده وبهتنير (١٤٤) وبنى قبة عالية فى بهتنير ، وكان شيرخان هذا يحكم منذ عهد السلطان ناصر الدين حتى زمان السلطان بلبن سنام ولاهور وديبالبور وسائر الاقطاعات التى تقع فى جهة دخول المغول ، وقد هاجم المغول عدة مرات ، وهزمهم وكان يقرأ الخطبة فى غزنين باسم السلطان ناصر الدين ، وبسبب شجاعته وبطولته وكثرة حشمه لم يكن المغول يدخلون الهندوستان ، وعندما أدرك أن السلطـــان بلبن يسعى للقضاء على المماليك الشمسية ، فلم يأت الى دهلى ، وبعد وفاته ، أحال السلطان بلبن سنام وسامانه الى تيمور خان ، وكان أيضا من مماليك « جهلكانى » وعين أمراء آخرين على الولايات الأخرى ، والمغول الذين لم يستطيعوا أن يهاجموا الهندوستان فى أيام حكومة شيرخان ، عادوا لتهديد حدود الهند ،ومن أجل تدارك هذا الأمر ، عين السلطان بلبن ابنه الكبير محمد سلطان المشهور « بخان شهـــيد » الملقب بقا آن ، والذى كان يتصف بالكمال الصورى والمعنوى ، واليا للعهد ، وفوضه

---

(١٤١) مدد معاش : هو معاش شهرى أو سنوى يأخذه من البلاط دون مقابل ٠

(١٤٢) فخر الدين كوتوال « أ » ص ٤٢ ٠

(١٤٣) تنخواه وعلوفه : وهو رأس المال الذى يقدمه السلطان وهو عبارة عن مقاطعة أو قرية أو مزرعة يحصل منها صاحبها على رزقه ، أما مدد معاش فهو معاش يقدم للأدباء والعلماء وكبار السن دون أن يقدموا مقابلا لهذا المعاش ٠

(١٤٤) ترهنده وبهير « أ » ص ٤٢ ٠

على السند وتوابعها وسلمه « جترودورباش » وأرسله مع جماعة من الأمراء والعلماء بجيش كامل الى الملتان ، وكان محمد سلطان هذا عزيزا عند السلطان أكثر من الأخوة الآخرين ،وكان يجالس ويصاحب أهل الفضل والكمال دائما ، وقد ظل أمير خمرو وأمير حسن فى خدمته لمدة خمس سنوات ، ونالا الانعام فى سلك ندمائه ، وكان يصادقهما أكثر من الندماء الآخرين ، وكان يثنى كثيرا على نظمهما ونثرهما ، ولما كان مؤدبا ومهذبا فانه كان يجلس فى مجلس القيادة طوال اليوم والليل ولا يضع رجله على الأخرين ، كان قسمه دائما حقا ، ولم يكن يجرى على لسانه فى مجلس الشراب وأوقات الغفلة والسكر كلمة غير مناسبة ٠

« أنت تشهد للرجل بالأدب الرفيع ، فتحل بالأدب لكى تصبح كبيرا »

وكان يعتقد كثيرا فى المشايخ والعلماء ، ويروى أن الشيخ عثمان سرورى (١٤٥) وكان من كبار عصره جاء الى الملتان ، فقدم اليه الأمير التحية ، وأهداه هدية ، والتمس من الشيخ الاقامة فى الملتان ، وأراد أن يبنى له خانقاه ، ويوقف له القرى ، ولم يقبل الشيخ وسافر ، وذات يوم اجتمع الشيخ المذكور والشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا فى مجلس ، وعند استماع أشعارهما العربية ظهر الوجد على الدراويش الآخرين ، ورقصوا جميعا ، وكان يضع يده على صدورهم ويبكى ، وكان أكثر من فى مجلسه ينشد أشعارا عربية تتضمن الموعظة ، وترك الأعمال الأخرى ، وتوجه الى المركب والدمع يترقرق من عينيه ٠

يرون أن احدى بنات السلطان شمس الدين كانت فى عصمة السلطان محمد ، وحدث أن جرى على لسانه الطلاق ثلاث مرات وهو فى حالة سكر ، ولما لم يكن هناك علاج الا بالمحلل زوجوا هذه المرأة للشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاءالدين ذكريا وبعد الزفاف ، كلفوا الشيخ بطلاقها ، قالت هذه المرأة ، اننى لجأت اليك من بيت هذا الفاسق ، والله لا يجيز أن تبلينى به ثانية ، وأجابها الشيخ « لا يمكننى الاقتراب منك ،ولم يطلق ، ولم يطق سلطان ، واستعد للانتقام ، وتصادف أن جاء المغول فى تلك الأثناء ، وفضل محمد سلطان دفعهم مجبرا ، وأسرع لقاتلتهم ، واستشهد ، وأرسل رسولا من الملتان الى شيراز مرتين يستدعى الشيخ سعدى عليه الرحمة ، وأرسل مبلغا من المال ، وأراد أن يبنى للشيخ خانقاة فى الملتان ، وأوقف القرى ، ولم يستطع الشيخ الحضور بسبب الضعف والشيخوخة ، وكان فى المرتين يكتب رسالة بخطه متضمنة

---

(١٤٥) مروى « أ » ص ٤٢ ، سرمدى « ك » ص ٨٨ ٠

أشعاره ، ويرسلها لمحمد سلطان ، ويقدم عذر عدم المجيء لسفارة أمير خسرو ، وكان محمد سلطان يأتى سنويا من الملتان الى دهلى لخدمة والده ، وكان يقدم الهدايا والتحف وينال التكريم ، ويعود ، وفى هذه السنة التى لم يعد فيها ، استدعى السلطان بلبن ابنه فى الخلوة عند السفر ، وقال لقد قضيت عمرى كله فى الملك والسلطنة ، وحصلت على التجارب ، وأريد أن أوصيك عدة وصايا لازمة للحكم ، لتقوم بها من بعدى ، الوصية الأولى « هى أنه عندما تجلس على كرسى العرش ، فلا تستهن بأمر الملك لأنه يعنى خلافة الله عز وجل ، ولا تبدل عزة الأمر الجليل ، بالذل والفحش بارتكاب قبائح الأعمال ورذائل الأوصاف ، ولا تشارك أراذل ولئام الناس فى هذا الأمر ٠

« لا تدع سفينة الضعف تجوب فى ساحتك ، ولا تنصب اللئام منصب الكرام » ، والوصية الأخرى هى ألا تدع للسطوة والقهر سيطرة عليك ، وتجنب أغراض نفسك ، ولا تعمل الا لله ، وتصرف فى الخزائن والدفائن ، وهى من العطايا الربانية الجزيلة فى اعلان الحق ورفاهية الخلق والوصية الأخرى : هى ألا تتخاذل وتهمل أعداء الدين والفساق والظلمة دائما ، وأخرى هى أن تعلم أحوال وأفعال الولاية وعمالك دائما ، وتحبذهم على محاسن الأفعال وفضائل الأخلاق وأخرى هى أن تعين القضاة والحكام الأتقياء المتدينين على الناس حتى يروج دين الله ورونق العدل بين الناس ، وأخرى وهى أن تراعى أمور الحشمة والعظمة السلطانية فى الخلاء وعلى الملأ ، ولا تهتم فى أى وقت من الأوقات باللهو وسائر ما لا يكون بذى أهمية ٠

« صن لوازم الحشمة الى حد ما لأن الهزل مع كل الناس يقلل المهابة »

وأخرى هى أن ترعى وتكرم وتنعم على المواطنين أهل الهمة وحسنى التفكير وشاكرى النعمة ، ولا تهمل أفكارهم وأن تهتم باعداد الرجال أصحاب الفضل والعقل فهم موجبون للازدهار ونظام المملكة ولا تهتم بالذين لا يخافون الله وأعلم أن صلاح الملك والدين فى تجنب ابعاد هذه الطائفة ٠

« لا تفك الجوهر النفيس من العقد ، وتعفف عن هذا السيء الأصل »

« فان صاحب الجوهر السيء لا يفى مع أحد ، فأصل الخطأ لا يخطو الا فى الخطأ »

والوصية الأخرى : هى أن الهمة والسلطنة لازمة وملزمة للآخرين ، والعقلاء والحكماء توأمان ويقولون أنه ينبغى لهمة السلطان أن تكون

همم كبيرة ، ويقولون أن همة السلطان اذا كانت مثل همم سائر الناس فلن يكون هناك فرق بينه وبين الناس جميعا ، ولا يجتمع السلطان مع عدم الهمة ، وأخرى هى ألا تفعل الا الكبير من الأمور ، ولا تفعل الخطأ ، فان وقعت منك وانتشرت فان المخلصين والتابعين لا يجدون ضرورة لمصلحة المملكة ، ولا تعادى الأصدقاء ٠

« أنت ترفع كل رأس اليك ، حتى يمكنـــك ألا تطأها »

ولو عاقبت شخصا حسب ضرورة الملك والدين ، فارع الصالح ، ولا تتعجل فى ايذاء الأشراف لأن جراحهم لا تلتئم سريعا ، ويصعب تداركها ، وأخرى لا تضع لكلام الجين (١٤٦) ، ولا تفتح مجال التعامل معهم حتى يخلصون ويطيعون الدولة فى خوف ، ولا يعيشون الفســاد العظيم فى المملكة ، وأخرى ، طالما تعلم أن الأمر لن يتحقق ، فلا تسرع فيه لأن ترك الأمر ناقصا لا يليق بحال السلاطين ٠

« طالما لن تطأ القدم بثبات ، فلا تطأه فى طلب أمر قط »

وأخرى : لا تعتزم أمرا قط دون مشورة العقلاء ، وكل أمر ترجحه على الآخر ، اجتنب مباشرته بنفسك ، وعليك أن تقف على كل أمور الدنيا السىء منها والحسن ، واحكم فى الأمور الوسطى لأن هناك نفور عام من القهر والظلم ، والمتمردون يطغون من الضعف والعجز ، واعمل طوال الوقت فى المحافظة التى تضمن الاصلاح العام ، واملأ بلاطك بالحراس والحجاب المخلصين أهل الثقة ، وكن رحيما فى حق أخيك ، ولا تسمع لأحد قط فى حقه ، واعتبره ساعدك وعينه على ولايته ٠

قص السلطان هذه النصائح على ابنه ، وسلمه امارة السلطنة ، وسمح له بالتوجه الى الملتان ، وفى نفس هذه السنة لقب ابنه الأصغر بغراخان (١٤٧) بلقب ناصر الدين ، وأقطعه سامانه وسنام ، وأرسله الى سامانه ونصحه بعدة نصائح جرت على النحو التالى : « أن يزيد جيشه القديم ، ويرعى هذا الجيش الجديد الذى فى بلاطــه ، وأن يستشير العلماء أهل العلم عند دخول المغول وفى القيام بالأمور الملكية ، وان قابله اشكال فى عمله ، أن يعرضه علينا حتى نأمر بما ينبغى عمله ، ومنع عن بغراخان شرب الشراب ، وقال : اذا شربت خمرا بعد ذلك ساعزلك عن اقطاعك ، وسأبدلك باقطاع أخرى ، وستكون دائما فى نظرى ضعيفا وذليلا » ، سمع بغراخان النصائح من والده ، ووضعهــا

---

(١٤٦) الجين : اما يقصد بهم أتباع الديانة الجينية أو الصينيين ٠

(١٤٧) بقراخان « أ » ص ٤٤ ٠

فى أذن العقل ، واتخذ طريق الصلاح شعارا له ، وترك ما لا يفيد ، وهكذا كان كلما جاء المغول الى الهندوستان كان محمد سلطان يتوجه من الملتان ، وبغراخان من سامانه وملك باربك بيك ترس (١٤٨) من دهلي ويصلون الى نهر بياه قرب قصبة سلطانبور ، ويبعدون شر المغول ٠

بعد ذلك استقر أمر السلطان بلبن ، وقضى على المنازعين ، وعندما رأى طغرل ، وكان مملوكا تركيا ، يتصف بالشجاعة والمروءة والسخاء ، وكان حاكما على بلاد لكهنوتى ، ان السلطان كبر فى السن ، أرسل ولديه أمام المغول ، الذين يأتون كل سنة ، ولذا فقد وضع أسس البغى بسبب كثرة جماعته وأملاكه ، واستولى على المال والأفيال التى كان قد أحضرها من جاجنكر ،ولم يرسل حصة منها الى السلطان ، ورفع « جتر » (١٤٩) على رأسه ، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين ، ورفع لواء المعارضة ، ولما كان كريما وسخيا فقد أطاعه أهالى هذه البلاد ، وارتفع شأنه ٠

« كان الشاب رفيقا لشخص ، ولكنه لم يكن رفيقا لهذا الوضيع »

عندما وصل خبر تمرد طغرل الى دهلى ، أرسل له السلطان جيشا، وجعل على رأس الجيش ملك أيتكين موى دراز (١٥٠) الملقب بأمين خان وكان حاكما لأوده ، مع أمراء آخرين ، مثل تمرخان شمس وملك تاج الدين بن على خان شمس وتوجه لتأديب طغرل ، وعندما عبر ملك أيتكين بجيشه نهر سرو ، وتوجه الى لكهنوتى ، وجاء طغرل لمواجهته ، وبعد القتال هزم ، وتحقق لطغرل من هذا الأمر القوة والمكانة ، وحزن السلطان كثيرا عند سماع هذا الخبر ، وقتل ملك أيتكين ، وعلقه على بوابة أوده ، وأرسل جيشا آخر لمهاجمة طغرل ، وهزم طغرل أيضا هذا الجيش ، وازداد السلطان غضبا ، وقرر أن يتوجه بنفسه ، وأمر أن يصنعوا ويعدوا مراكب كثيرة في جون والجانج، وخرج للصيد الى سنام وسامانه، وفوض أمر سامانه لملك سونج سرجاندار (١٥١) ورافقه بغراخان بجيشه الخاص ، وعاد من سامانه ، ودخل ما بين النهرين ، وعبر الجانج ، وسلك طريق لكهنوتى ، وترك ملك الأمراء نيابة عنه فى دهلى فى غيبته ، ولم يهتم بالمطر بسبب عزمه واهتمامه بالأمر ، وتوجه برحيل متواتر الى لكهنوتى ٠

---

(١٤٨) باربك بيك ترس « أ » ص ٤٤ ٠
(١٤٩) مظلمة الحكم ٠
(١٥٠) ابتكين موى دراز « أ » ص ٤٤ ٠
(١٥١) سونج جاندار « أ » ص ٤٥ ٠

« كل شيء حول الحاكم ، ساكن الا السلطان »

« كان العالم سريعـــا ، لا يريـــد التوقف »

وعندما توقف السلطان بسبب كثرة الامطار وصعوبة الطريق ، انتهز طغرل الفرصة ، وأعد جيشه ، وتوجه الى طريق جاجنكر ، ليستولى عليها ، وظل فترة هناك ، وعندما عاد السلطان من لكهنوتى ، عاد ، ودخلها ، وأطاعه القوم الذين يخافون عقاب السلطان بلين وطمعا فى المال طوعا وكرها ، وعندما وصل السلطان الى لكهنوتى ، توقف عـدة أيام ، وأعد الجيش ، وتعقب طغرل بجانب جاجنكر ، وسلم ولاية لكهنوتى لسپهسالار حسام الدين وكيل ملك باربك ، وعندمـا وصـل الى حدود سنارگام (١٥٢) ، جاء بهو جراى حاكم سنارگام لخدمته ، وانتظم فى سلك تابعيه ، وتعهد ألا يدع طغرل يهرب من النهر ، وأسرع السلطان الى جاجنكر ، وعندما سار عدة منازل ، انقطع أثر طغرل ، ولم يعط أحد أشارة عنه ، فأمر ملك باربك بيكترس (١٥٣) بأن يأخذ سبعة آلاف فارس ممتاز ، ويتقدم لمسافة عشرة او اثنى عشرة فرسخ ، وكلوا تقدم العيون (١٥٤) وتتبعوا طغرل لا يجدوا أثرا ، حتى جاء يوم تقدم ملك محمد شيرانداز ، حاكم كول عن مقدمة الجيش ، ومعه أخوه ملك مقدر وشخص آخر يشتهر بقاتل طغرل « طغرلكش » مع ثلاثين أو أربعين فارس وكانوا يتبادلون الحديث ، وفجأة قبضوا على عدة أشخاص من جيش طغرل ، فعرفوا منهم أن جيش طغرل لا يبعد عن هنا نصف فرسخ ، وهم يقيمون اليوم وغدا سيرحلون الى جاجنكر ، وعندما صعد بعض الفرسان من العيون على هضبة ، رأوا خيمة طغرل تحت قدمهم وجيشه يستريح فى غفلة تامة ، فسلوا السيوف وهجموا على خيمة طغرل فى غفلة ، وخرج طغرل من الخوف الذى استولى عليه من الحمام وركب على جواد دون سرج ، وقفز فى نهر كان بالقرب من الجيش ، وتفرق جيشه أيضا من الخوف والفزع ، وسلكوا طريق الهزيمة ، وتعقب ملك مقدر وطغرلكش طغرل ، ووصلوا اليه عند شاطيء النهر ، وأصـابه طغرلكش بسهم فى جنبه ، فوقع عن الجواد ، فنزل ملـك مقدر عن الجواد ، وفصل رأسه ، والقى جثته فى النهر ، ولف رأسه فى ذيل قميصه (١٥٥) وانشغل بغسل يده ووجهه وفى نفس هذه الساعة وصل

---

(١٥٢) سازكام ، سنادكام « ١ » ص ٤٥ ٠

(١٥٣) بابك بيك رس « ١ » ص ٤٥ ٠

(١٥٤) يزكيان « ك » ص ٩٤ ، باركيان « ١ » ص ٤٥ ٠

(١٥٥) ته دا من « ك » ص ٩٤ ، تنوره « ١ » ص ٤٥ ٠

ملك باريك (١٥٦) على رأسجيش المقدمة ، وأرسل رأس طغرل مع رسالة نصر الى السلطان وفى اليوم التالى ، وصل ملكباريك بغنائم وأسرى جيش طغرل ، وعرض ما حدث ، ولم يستحسن السلطان التهور الذى حدث من ملك تيرانداز ، وأخيرا أنعم عليه ، وأكرم ملك تيرانداز (١٥٧) وسائر الاتراك كل حسب حالته ، وأعطى مقدر وطغرلكش قدرا مساويا من العطايا ، وبعد ذلك عاد السلطان من لكهنوتى ، وقتل الأقرباء والمقربين من طغرل ، وعلقهم فى المشانق فى سوق لكهنوتى ، حتى الصوفى الذي كان له مكانة فقد اقتص منه مع المتصوفين الآخرين الذين كانوا رفاقا له ، وأمر بقتل الجنود الآخرين لطغرل فى دهلي ، وأعطى بغراخان جتر ودورباش (١٥٨) وسائر امارات السلطنة وتركه فى لكهنوتى ، ورفع لواء العودة ٠

وأوصى ابنه الحبيب عدة وصايا عند الوداع ، الوصية الأولى هى لا يليق بحاكم لكهنوتى اثارة العداء مع سلطان دهلى سواء بارادته أو ارادة الآخرين ، واذا قصد سلطان دهلى لكهنوتى فينبغى على حاكم لكهنوتى الذى انحرف أن يذهب الى أماكن بعيدة ، وعندما يعود سلطان دهلى ، يرجع الى لكهنوتى ثانية ، وينفذ أوامره ، والوصية الثانية : وهى أن تسلك طريق الوسط فى أخذ الخراج من الرعايا ، ولا تأخذ القدر الذى يجعلهم يتمردون وليس القدر الذى يجعـــلهم عاجـــزين ومقهورين ، وينبغى أن تعطى قدرا للحشم أيضا ليكفيهم سنة بعد سنة ولا يتعسرون فى مسار حياتهم ، والوصية الأخرى هى ألا تشرع فى شىء من أمور الملك دون مشورة أهل الرأى المخلصين وأهل الخير ٠

« الرأى القوى خير من مائة سياف ، وتاج الملك أفضل من مائة قلنسوة »
« ولا تجعل الجيش يتراجع ، فان سيفاً واحداً يعادل عشرة » (١٥٩)

وتجنب تنفيذ الأحكام على هواك ، لأن نفسك تخالف الحق ، والوصية الأخرى هى ألا تغفل أحوال الحشم لأنهم من لوازم الحكم ، واعتبر أن رعاية خاطرهم من الضروريات ، ولا تفرط فى أمورهم ، وأعلم أن من يحرضك فهو عدوك ولا تصغ لقوله ،والوصية الأخرى هي أن تلقى بنفسك فى حماية شخص يعرض عن الدنيا ويتجه الى الخالق ٠

---

(١٥٦) باربيك ، باربيك « أ » ص ٤٥ ٠

(١٥٧) شرا بدار « أ » ص ٤٩ ٠

(١٥٨) جتر مظلمة توضع فوق الحاكم ودورباش عصاة يمسكها فى يده ٠

(١٥٩) اشارة للآية الكريمة « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » الأنفال ٦٧ ٠

« عليك أن تحمى وتؤمن الدرويش لأن قوته أكبر من مائة سد للاسكندر »

ان السلطان يتجنب الشخص الذى يجد فى نفسه ذرة من حب الدنيا ولا يعتمد على قوله وفعله ٠

ملأ أذن ابنه بالنصائح القيمة ، وودعه ، وعـاد الى دهـلى ، واستقبله المشايخ والأعيان بكل مدينة وقصبة وصـل اليهـا ، وهنأوه ، وقدموا التحف والهدايا ، ونالوا الأنعام والأكرام ، وعقدوا فى المدن الكبيرة الحفلات وأقاموا الأفراح ، وعندما عبر الجانج مارا من بداون ، استقبله سادات وقضاة وسائر مشاهير دهلى ، وقدموا التهانى ، ونالوا الرعاية السلطانية ، وعندما وصل الى دهلى ووزع الصدقات والهبات ، وسعدْ أرباب الاستحقاق ، وذهب الى بيوت العلماء والمتصوفة ، وقدم الهدايا والنذور الى كل منهم حسب حالته ، وأطلق سراح المسجونين بسبب المال ، وعفا عن باقى الرعايا الذين كانوا فى حالة استعداد للمحاكمة ، وكان ملك الأمراء ينوب عنه فى غيبته قد أبدى حسن تدبيره فى ادارة المصالح الملكية ، وأعلا من شأنه بأنواع الاكرام ، وأمر بعد ذلك بنصب المقاصل فى سوق دهلى ، لشنق أسرى جيش دهلى الذين ذهبوا اليه من دهلى والتحقوا به فىلكهنوتى ، وحزن أهل المدينة بسبب أن أكثر الأسرى أقرباء لهم ، وبكوا وتألموا لهم ، فذهب قاضى الجيش وكان من أتقياء عصره الى السلطان ، وتوسط لهم بكلمات رقيقة ، فرق قلب السلطان ، ووقع بقلم العفو على جرائمهم ٠

بعد هذا جاء محمد سلطان الابن الأكبر للسلطان بلبن من الملتان لزيارة الأب ، وقدم الهدايا النفيسة والتحف اللائقة ، وسر السلطان من مجيئه ، وشمله بأنواع الرعاية ، وسمح له بالانصراف ، فى هذه الأثناء وصل تمر (١٦٠) بجيش عظيم الى ما بين لاهور وديبالبور ، ووقعت بينه وبين محد سلطان معركة حامية ، واستشهد محمد سلطان مع عدد من الأمراء ، وأسر ميرخسرو فى هذه المعركة ، وتحرر ، وكتب خواجه حسن هذه المرثية ، وأرسلها الى دهلى « على الرغم من ان الفلك الظالم قد عقد الموافقة منذ مدة ، وربط عهد المصادقة ، مع الزمان الناشز ، قد رضى بهذا العهد ، ووعد بالوفاء ، الا ان السماء الفاجرة عين معيبة انسان عينها بالخسة والخساسة ، ومع أن السكير كالأول عندما يعطى ليس هذا باعث كرم منه ، ولكن الثانى مثل الأطفال لا يمنعه أى حياء ، وعادة الزمان الآن على هذا المنوال ، تسمع وترى اما التجارب واما بالمسامع ، لأن القمر عندما يرتفع يظلم وجهكماله بالنقصان ، ومثل

---

(١٦٠) تيمور « ١ » ص ٤٧ ٠

السحاب يصعد ويدور وتتفرق جواهره في الآفاق ، وفي حديقة الحيرة وبستان الحسرة لا ينمو ورد بلا أشواك ، ولا يتخلص قلب قط من الشوك ، فيا أيها الخضرة الخضيرة انه سيواجهك من الخريف آفة بدلا من اللطافة ، ويا أيتها الأغصان النضرة ستنكسين من رياح الزمان في ثرى الأرض :

« انظر حديقة الخريف كم تصبح مروية ! ، وتجعل السرو الشاب سروا بلا شباب »

وواحد من هذه الأمثلة الواقعية هو خسرو نامي قا آن ملـــك غازي (١٦١) أنار الله برهانه وأثقل بالحسنات ميزانه الذي (توفي) يوم الجمعة الثالث من ذي الحجة سنة ٦٨٣ هـ ٠

« القمر كالحب في قلب الكافر ، لا يظهر في مكان قط في العالم »

صعد والشمس تصاحب جيش الاسلام ، وكان الأميـر الأعظم شمس سماء الملك ، ونور العزة في غرته الغراء يلوح ، والجهاد في ضميره ثابت ، وضع قدمه المبارك في الركاب ، وعرضوا عليه مشكلة الفتح ٠ وأن « تمر » بكل جيشه قد نزل على مسافة ثلاثة فراسخ ٠ وعندما حل الفجر ، عزم الرحيل من هذا المكان ، وتقدم لمسافة فرسخ من هؤلاء اللاعبين ، واختار مكانا للمعركة على حدود حديقة « سرير » على شاطىء نهر « لهاور » (١٦٢) ، وعقد العزم على انه عندما يلتقى بالكفار سيكون المستنقع في صالح الجيش ، حتى لا يستطيع أحد الفرار من هذا النهر ، وكي لا يصاب الجيش بآفة من هذه المخاذيل ، والحق كان هذا الاحتياط نهاية الحزم وغاية الادراك لهذا الملك ، ولكن عندما حل القضاء النحس ، وسرى الفساد بكل الأمور ، وانفلت ملك التدابير : « كل من يقع في الحظ التعس ، يقع أمره في الارادة السيئة » ٠

« والحظ عندما يفقد المجنون الطريق ، وعندما يسقط العقل في الليل البهيم»

الشمس والقمر كانا يتعلقان في ذلك اليوم بالملك ، والمريخ وجهه مثل دم أعيان الملكة ، الجميع انطلق من كنانة هذا البرج طوفانا ، وسقط دم الجوزاء وكان أسدا من برج مائي لأن الخوف والخراب دلائل فتن وظواهر فتور هذا النوع الظاهر الباهر ورمز واشارة اذا جاء القضاء ضاق الفضاء » المهم عند الظهر وصل الفلك في ولاية نيمروز واقترب

---

(١٦١) خسرو ماضي قا آن ملك غازي « ك » ص ٩٨ ٠

(١٦٢) لهادر « أ » ص ٤٧ ٠

وقت زوال ملك العالم ، فجأة ظهر جمع من هؤلاء الكفرة ، وركب خان غازى فى ساعته ، وقدم مثالا للبطولة ، وقاد جميع الخيل والخدم والحشم والحاشية بناء على القول « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » وأعد جيشا أقوى مائة مرة من سد الاسكندر ، وبعد تنظيم الميمنة واعداد الميسرة ، وقف بنفسه على القلب عندما اصطفت الكواكب جميعا للجهاد ، وعبر الكفار عليهم الخذلان والخسار نهر لاهور واصطفوا أمام المسلمين ، وحط البوم على رأس هؤلاء الوحوش أهل الخراب والفساد ، وكان غزاة الاسلام من ملوك الترك والخلج مشاهير الهندوستان وسائر الجيوش فى مصلى المعركة بناء على قول المصطفى عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالجهاد « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ورفعوا الأيادى مكبرين ، وفى أول الهجوم هجم عدد من المقاتلين الشجعان على خيل المغول بالسيوف ، واستقرت عدة حراب فى الأعداء ، لأن حاملى الحراب كانوا فى مكان مرتفع ، وتابعهم ستون من الأتراك الخاصة وهجم على أهل التاتار :

« فى أول هجوم لبس الملك الدرع ، وقتل التاتاريين الضعفاء »

وهجم حملة السيوف كأنهم صف واحد من بين الصفوف وكان السيف يتراقص فى هذه الحرب ، وصار لجميع السيوف لسانا يردد : اليوم أحلنى على هؤلاء الملاعين خدمة للدولة ، ولا تبخل بالنفس والنفيس لأن للسيف نصلين ... لأنه يصل الى حد الكمال بقدرة القادر »

« لا ترحل حتى يملأ ترابك عينى ، لا تفعل وان أغلقت عين السوء »

« فانت لم تر الفلك أمامك مضيئا ، وأشعلت عينى نارا عليه »

حتى أقام الحرب والجهاد فترة فى الميدان ، كان لابد أن يجرى اللسان فى القول والمقال ... أيها السلطان لا تقلل من جهدى ، ان على لسانى سنان ، منكثرة القتال والجدال لم يطعنى خصم ، فلا كان لأنه طالما ظهرت منى حركة اضطراب ، وانطلق سهم ، فيا أيها العقد المعقود ، العقد كالزهرة مفتوح ، فلا تقصدنى لأننى أجعل رأسى فى التراب ، ولا ينبغى ترك عين الفلك على السطح الخامس ، واجعله فى المنزل الخامس للسهم فى القوس ، .....

« اننى أضع رقبتى فى الحبل أمامك ، فأنت قوس ومن طرتك ، قيدنى »

عموما غزا هذا السلطان المتدين بقلب الجيش على هذه الفئة الضالة من الظهر حتى المساء وارتفع للسماء غوغاء ، وجلبة الغلاء ، وأراد الألسنة النارية ، وأراد السيوف البتارة التى لا تخطىء وجرى الأمر

على نحو هذه الآية « يوم يفز المرء من أخيه » (١٦٣ وامتلأت الأرض دما ، وسرى فى السماء مثلما يرفرف روح الأب على أبناء المقتول ٠

« أيها الأب أن حديدة السيف مثل النار مؤلمة ، حتى يضع ألم اليتيم على كبدى »

فى نفس هذه اللحظة ، وأثناء هذا الاضطراب ، وصل فجأة سهم من ابهام القضاء الى رأسى هذا النمر ، وانتقل طائر الروح من القفص الى جنة الجنان ، وروضة الرضوان ، انا لله وانا اليه راجعون ، وفى نفس هذه اللحظة كسر ظهر الدين المحمدى عليه الصلاة والسلام مثل قلب اليتامى ، ووقع سد الملة المحمدية فى بئر الغرباء ، وفقد التأييد الذى كان مساعدا للملك ، وضاع ملك بيضة الاسلام ، وهبطت الشمس وقت الغروب الصادق ، وفنى وقت الغروب ، ولبس المعزون لبـــاس الحزن ، وأسودت العين بالدمـــع ، وأخذ الخد يترقرق ، وصار زحلا مكسوا بالسواد موقوفا بالوفاء وشرطا للعزاء ، وناح على موته أهل الهندوستان ، ولبس المشترى لباس الحزن وعباءة دامية ، ومزق الدرع وطين العمامة ، وتقطع قلب المريخ لموته مثل عين الأتراك ضيقا ووجه معيشته مثل جعد الزنوج ٠٠٠ ، وعندما وقع زحل فى قبضة قصاب ، ولم تستطع الشمس من الخجل أن تدفع هذه الحادثة وقمع هذه الواقعة ، ولم تتمكن ونزلت الى الأرض ، وعندما رأى الزهرة أن الاجرام لم تجد أياما بيضاء من الحرب ، فزاد فى الظهور نغمة الدفء ، وشرع فى السماع ، وأخذ يئن بلحن الأسى على وفاة ذلك الملك الكريم، وأسود عطارد ، وسود وجهه من سواد دواته ، وهو الذى خـــط الغزوات والفتوحات ، وموافق على فتحنا ومزق أوراق دفتره والقميص الورقى ، وكان قمر جلالى فى صورة هلال بقامة منحنية يطلع فى هذه القيامة على الأرض ، وينير الأفق فى مرؤة ٠

« دس الوجه فى التراب لانك لا تريد ، وقمر الزمان على الأرض لا يريد لى ذلك »

« اذا ذهبت للصيد فمكانى هو ترابك ، خلوتك الخاصة السعيدة لا تريدها روحى »

فليرفع الحق سبحانه وتعالى الروح المقدسة المطهرة الطيبة لهذا الأمير الغازى الى مدارج أعلى ومراتب أرقى ، وأذقه كل لحظة كأس التجلى لجمالك وجلالك ، واجعل كل شفقة ورحمة وأدب وعاطفة فى حق

---

(١٦٣) عبس آية ٣٤ ٠

هذا الضعيف المسكين سببا لمزيد من الدرجات ومحو خطاياه ، آمين يارب العالمين » .

عندما وصل هذا الخبر الى السلطان بلبن ، حزن واغتم كثيرا ، وكان عمر السلطان فى هذا الوقت ثمانين سنة ، وكان يتكلف فى اظهار قوته وشجاعته ، وكانت آثار الضعف والعجز ظاهرة عليه فى هذه المصيبة ، وأخذت قوته تخور يوما بعد يوم ، وبعد هذا الأمر ، أرسل السلطان بلبن كيخسرو بن محمد سلطان محل أبيه الى الملتان وأعطاه « جترودورباش » واستدعى بغراخان من لكهنوتى الى دهلى ، وقال : ان فراق أخيك الكبيرأضعفنى وآلمنى ، وأرى أن وقت الرحيل قد حان ، وغيبتك منى بعيد عن المصلحة لأنه ليس لدى وريث غيرك (١٦٤) وابنك كيقباد وابن أخيك كيخسرو صغار ، ويجهلان تجارب الحياة ، واذا وقع الملك فى أيديهما لا يمكنهما المحافظة عليه أو تحمل عهدته لغلبة الشباب والهوى ، وكل من يجلس على عرش دهلى ينبغى أن تطيعه ، ولو تمكنت انت من عرش دهلى سيطيعك حاكم لكهنوتى ، ولا ينبغى أن تغيب عنى ، ولما كان هوى لكهنوتى يلعب برأس بغراخان ، وتحسنت صحةالسلطان قليلا ، فتوجه الى لكهنوتى بحجة الصيد بدون اذن السلطان ، ولم يكن يصل بغراخان الى لكهنوتى حتى عاود المرض السلطان ، واستدعى السلطان فى هذه المرة ملك الأمراء فخر الدين كوتوال دهلى ، وأوصى بولاية العهد لكيخسرو ، وبعد ثلاثة أيام التحق بجوار الحق ، ودفن فى دار الأمان (١٦٥) ، ولما كانفخر الدين كوتوال وأتباعه ليسوا على علاقة طيبة مع الأمير الشهيد والد كيخسرو ، أرسلوه بالحيلة الى الملتان، وكانت أيام سلطنة السلطان غياثالدين اثنين وعشرين عاما وعدة أشهر .

ذكر السلطان معز الدين كيقباد :

بعد وفاة السلطان غياث الدين بلبن ، رفعوا كيقباد بن بغراخان ، وكان فى الثامنة عشرة من عمره ، ولقب بالسلطان معز الدين كيقباد ، على السلطنة ، وكان هذا السلطان يمتاز بحسن الخلق ، ولما كان طوال الوقت تحت نظر وتربية السلطان بلبن ، وكان يوكل له المعلمين والمؤدبين القساة فانه لم يتيسر له فى هذه الفترة الأخذ من اللـذات والتمتع بالشهوات ، وفجأة أطلق العنان لشهواته ، وفتح باب اللهو والمرح لغلبة عنفوان الشباب وهوى النفس ، ففضل التمتع بالملذات على مصالح الملك ، واهتم بأمر البطالين والأنانيين ، وبناء على الحديث « الناس

(١٦٤) خبر تو « أ » ص ٥٠ ، غير تو « ك » ص ١٠٣ .

(١٦٥) دوار الامان « أ » ص ٥٠ .

على دين ملوكهم » ، انشغل الصغير والكبير باللهو والمرح ، وخـرج السلطان من دهلى ، واتخذ من كيلوكهرى على شاطىء نهرجون (١٦٦) دارا للسلطنة حيث بنى قصرا عاليا وحديقة كبيرة وبسبب غلبة لهو ومجون السلطان معز الدين فقد اتجه المهرج الفاجر والمطرب والمطربةمن أطراف وأكناف العالم الى البلاط ، ولما كان أتباع هذه الطائفة كثيرة فى الهند ، فقد ازدهر أمر اللهو واللعب رواجا عظيما ، وفتحت أبواب الفسق والفجور ، ومحيت أسماء الغم والهم من قلوب الناس ، وكان السلطان دائما مرافقا ومصاحبا للوجوه الحسان والمطربين والظرفـاء والندماء أهل اللباقة ، ولم يكن يقضى ساعة دون لهو ومجون ، وكان دائما ينعم ويجزل العطايا ٠

وتقرب ملك نظام الدين ، وكان صهرا وابن أخى ملك الأمراء كوتوال، من السلطان تقريبا كاملا ، وفوض أمور السلطنة جميعا له ، وصار ملك قوام الدين غلاقة ، وكان لا مثيل له فى الزمان عمدة الملك ونائبا لوكيل البلاط ، ولما كان ملك نظام الدين رجلا مكارا ونشطا ، صار ملوك بلبن الذين كانوا أعوانا وأنصارا لدولة معزى (١٦٧) فى خوف من تسلطه وتقربه ، وسعوا لارضاء خاطره ، وكانوا يراعون خاطره فى الأمـور الملكية ، حتى لا يفقدون رعايته ، وعندما أدرك نظام الدين أن الأمراء والملوك مطيعون له ورأى السلطان معز الدين مستغرقا فى اللهو والمرح ، فكر فى السلطنة والحكم الذى لم يكن أصلا مناسبا لحاله ، وعقد العزم على استئصال أسرة بلبن وبسبب هذا التفكير الباطل والخيال الفاسد ، قال للسلطان معز الدين « أن كيخسرو شريكك فى الملك ، وهو جدير بأوصاف الملك وولاية العهد ، جعلرغبة الأمراء والملوك بجانب رغبته وقرر القضاء عليه ، واستمع السلطان معز الدين كلام الغدار هذا باذن صاغية ، وأرسل من ساعته فرمانا يستدعى كيخسرو من الملتان ، وأرسل جماعة لكى تقضى على هذا البرىء فى الطريق وانقاد كيخسرو المظلوم للأمر ، وتوجه الى دهلى ، وفى قصبة رهتك استشهد ، وبعد ذلك اتهم خواجه خطير ، وكان وزيرا للسلطان معز الدين ، بتهمة كاذبة ، وأجلسه على حمار وشهر به ، واستحكم خوف الأمراء والملوك من ملك نظام الدين ، وازداد رعب الناس ،فى ذلك الوقت وصل خبر قدوم المغول الى لاهور ، فعين ملك باربك بيترس وخان جهان لدفع شرهم ، ووقعت معركة حامية فى نواحى لاهور ، وقتلوا اكثر المغول ، وأسروا جمعا ، وأحضروهم الى

---

(١٦٦) جون « ١ » ص ٥٠ ٠

(١٦٧) وردت مغزى فى « ١ » ص ٥٠ « ك » ص ١٠٤ ٠

دهلى ، وقال للسلطان معز الدين يوما « ان أمراء المغول هؤلاء جميعا جنس واحد لديهم حشم كثير (١٦٨) واذا اتفقوا سيغدرون بك (١٦٩) وعلاج هذا يكون صعبا ، ودخلت هذه الكلمات المزخرفة على السلطان ، وقتلهم ، وألقاهم لأسرهم ، وحبس أيضا بعض ملوك بلبن الذين كان لهم صداقة وقرابة مع أمراء المغول ، وأرسلهم الى قلاع بعيدة ، ولم يخش من فساد الأسر القديمة وقضى على ملك شاهيك ، أمير الملتان وملك يزكى حاكم برن اللذين كانا من أمراء السلطان بلبن ، بكل حيلة يعرفها ، ولما كان السلطان مسخرا له فانه كان يبلغ السلطان انماطا من سوء تفكير وفساد هؤلاء المخلصين وأتباع الدولة ، وقال السلطان لملك نظام الدين هذا الكلام مرة ، وكاد يقبض على ذلك الشخص ويسلمه له ، وظهرت سيطرة زوجة ملك نظام الدين وهى ابنة ملك الأمراء ، على حرم السلطان ، وصارت « مادر خوانده سلطان » وأصبح الأمراء والملوك منقادين وتابعين لملك نظام الدين لسيطرته واستيلائه ، وكانوا يبجلونه بكل وسيلة يعرفونها ويقدرون عليها ، ويدفعون عن أنفسهم شره بلطائف الحيل وأضحى بلاطه مرجعا للخواص والعوام ، وانتهى رونق وبهاء البلاط المعزى (١٧٠) .

« الملك الذى رفع الدون ، وأعلى كل بلاء »

« يرفع اشتعال النار ، ويستهزىء بنفسه »

وعندما اطلع ملك الأمراء فخر الدين كوتوال على القصد الفاسد والخيال الباطل لملك نظام الدين ، وكان فى محل ابنه ، استدعاه فى الخلوة ، وكلما أراد أن يحدثه بكلام معقول ودلائل عقلية ، لكى يخرج من رأسه التصور الباطل والخيال الفاسد ، ولكن لا فائدة ، ولم يتنبه هذا القصير الفكر السىء الطبع ، ورد عليه : « ان كل ما يخدم الملك صواب وخلافه خطأ ، لكننى جعلت الناس أعداء لى ، والكل يدرك ما هو فى صالحى ، ولو نفضت يدى عن هذا الداعية الآن فلن ينفض الناس اليد عنى » فاستاء منه ملك الأمراء ، وعندما وصل هذا المعنى الى الأكابر والمعارف ، أثنوا عليه جميعا ، وظهر لهم حسن تدبير ملك الأمراء .

المهم عندما سمع بغراخان ، والد السلطان معز الدين الملقب بالسلطان ناصر الدين والذى يحكم ولاية لكهنوتى أن السلطان معز الدين مشغول باللهو واللعب ، ولا يهتم بالحكم وأن ملك نظام الدين ،

---

(١٦٨) بشيار « أ » ص ٥١ « ك » ص ١٠٥ .

(١٦٩) عذرى وكرى خيال كنند « أ » ص ٥١ « ك » ص ١٠٥ .

(١٧٠) معز الدين كيقباد ، وردت فى « أ » معرى » ص ٥١ .

قضى على أمراء وملوك بلبن جميعا ، وسائر الأعـوان والأنصـار المحنكين ويريد البغى ، فكتب عدة رسائل الى ابنه ينصحه ، وأطلعه تلميحا على الفكر الفاسد لملك نظام الدين والأمراء والملوك ، ولم يعر السلطان معز الدين لغرور الشباب ، وسكر الشراب أذنه لكلام أبيـه ، ولم يفكر فيه ، وعندما أدرك السلطان ناصر الدين أن موعظته لن يكون لها أثر فى غيبته ، أراد أن يلتقى بابنه ويقول له ما يشاء أن يقوله ، وكتب رسالة بخط يده ، بنى ان شوقى لرؤيتك لا يطاق ، فلا تدعنى أكثر من ذلك فى محنة الفراق ، واغتنم فرصة رؤيتى » ، وعندما قرأ السلطان معز الدين رسائل شوق أبيه ، تحرك عرق الشوق أيضا ، وأبدى اشتياقا له وأرسل رسائل حب مع المقربين الى أبيه ، وتحركت بين الطرفين رسائل الشوق ، وتقرر بعد الرسل والرسائل أن يتوجه السلطان معز الدين من دهلى الى أوده ، ويأتى السلطان ناصر الدين أيضا الى أوده ، ويلتقى السلطانان ، ويتمتع كلاهما برؤية الآخر ، ويكون قران السعدين (١٧١) لأمير خسرو بين الأب والابن ، ويستفيدا من كلام أمير خسرو ، لأن السلطان ناصر الدين أراد أن يسخر دهلى ويدفع ابنه عن لكهنوتى ، وأسرع السلطان معز الدين أيضا لمقابلته وفى أوده يستقرا للصلح ، المهم أراد السلطان معز الدين أن يذهب وحيدا لملاقاة الأب ، فقـال ملك نظام الدين : « ان تجردك لمقابلة الأب مسافة أمر بعيد عن المصلحة ، وأمر المملكة لا يعتمد على علاقة الأبوة والبنوة ، والمصلحة هى أن يعد السلطان حشمه وجيشه وأدوات سلطنته ، ويتوجه حتى يحدث الرعب والخوف في قلوب الملوك والراجوات وزميندارات (١٧٢) عند مشاهدة كوكبة وجمهرة السلطان ، فيتقدمون للطاعة والولاء ، وتقديم الخدمة « وأعد السلطان ناصر الدين الجيش بناء على قول ملك نظام الدين ، وتحرك بأسباب السلطنة ولوازم الحشمة الى أوده ، وعندما أطلع السـلطان ناصر الدين على هذا الحـال ، وأدرك أن سبب هذا هو ملك نظام الدين فتوجه أيضا من لكهنوتى بالجيش والأفيال والحشم ، ونزل الجيشان على جانبى نهر سرو ، واستمرت المراسلات والمكاتبات ثلاثة أيام وتحدثوا عن كيفية اللقـاء ، وأقر أخيرا أن يجلس الابن على العرش ، ويعبر السلطان ناصر الدين النهر ، ويقدم شروط الطاعة ، ويلتقى بابنه على العرش ، ونصب السلطان معز الدين خيمته ، وجلس على عادة كيخسـروى ، وكيقبادى ، وأعد ميدان المعركة ، ونزل السلطان ناصر الدين فى المكان المقابل ، وقبل الأرض ثلاثا وعندما واجه العرش لم يرق السلطان معز الدين

---

(١٧١) احدى منظومات أمير خسرو دهلوي ·

(١٧٢) زمين داران : حكام البلاد والقرى والمقاطعات من المواطنين ·

ونزل من فوق العرش ، وانكب على قــدم الأب ، واحتضن كل منهما الآخر ، وبكيا ، وترقرق الدمع فى عيون الحاضرين أيضا عند مشاهدة حالهما ، وأخذ الاب بيد الابن وأجلسه على العرش ، وأراد أن يجلس أمام العرش ، فنزل الابن عن العرش ، وأجلس الأب عليه ، وجلس أمامه بأدب ، ونثر الذهب والفضة ، وعاد الشعراء لانشاد قصـائد المديح والمطربين للغناء والنقباء والحاديين للهتاف ، ولما قدم لوازم الحشمة السلطانية وشروط عقد المجلس كما كان متعارفا عند هذه الجماعة ، حظى كل منهما بمكالمة ومحاورة الآخر ، وبعد فترة نهض السلطان ناصر الدين ، وعبر النهر ، وتوجه الى معسكره ، وتبادل الطرفان ارسال التحف والهدايا الغريبة والفواكه ، وكلاب البحر العجيبة (١٧٣) والأطعمة والأشربة اللطيفة ، وأمر رجال الجيشين ، أن يتبادل الأقارب الزيارات ، وأن يسلكوا ذلك فرادى ، وجاء السلطان ناصر الدين الى منزل ابنه عدة مرات ، وتحادث السلطانان ، وعقدا المجالس ، وتبادلا الأفراح واللهو ، وشربا الشراب ، وعندما اقترب يوم الوداع قال السلطان ناصر الدين لابنه « ان جمشيد كان يقول : ان السلطان بقدر ما يكون فى الخزانة من مال ، لأنه يوم غلبة الأعداء يقدم المدد لجيشه ، ويسيطر على القحط وبلاء الرعايا ، ولا يمكن القول بأن هذا السلطان هو سلطان العالمين » ، ونصحه نصائح أخرى لائقة بحال السلطنة ، قال السلطان معز الدين « كم أنا مهموم ومحزون فلقد أيقظتنى من نوم الغفلة ، ولا أدري كيف أكون مقبولا للسلطنة لقد نبهتني لهذا حتى أنفذ قانون عملي ، ولا أجيز خلاف هذا ، واحتضن السلطان ناصر الدين ابنــه بحب الأبوة ، وقال لقد تعبت كثيرا من هذا الطريق ، وهدفى أيضا أن تسمع بأنني ولعيـة لنصائحى الغالية ، وأوقظك من نوم الغفلة ، الذي هو لازم للشباب وحب المال ، وأن تحل محلها الحب والشفقة الأبوية ، واختلى به وقال له ، « ان ملك نظام الدين وقوام الدين عمدة الملك كانا حاضرين فى المجلس حتى أقول ما قلته فى حضرتهما » وقال السلطان ناصر الدين برقة وشفقة ، « بنى اسمع لقد جلست على عرش دهلى ، وقضيت وقتا سعيدا جدا ، ورغبت فى ملك لكهنوتى ، وجاءنى ملك دهلى أيضا ، وإننى أسمع منذ سنين حكايات لهوك وغفلتك وتفاهتك وظللت فى حيرة ، كيف ظللت سالما حتى الآن ، ومنذ ذلك التاريخ وأنا أعزيك ، وأرى ملك دهلى ولكهنوتى فى معرض الزوال ، وينفطر قلبى من قتل مماليك أبى الذين تربوا فى نعمته ، وأخلصوا له ، وحزنت لقتلهم واعتمادك على الآخرين ، وهكذا لم يصبح لى رجاء فى الملك ، بنى : ان أخى الأكبر كان لائقا للسلطنة ،

---

(١٧٣) سقلاب عجيب « أ » ص ٥٣ ، تنقلات عجيب « ك » ص ١٠٩ .

واستشهد فى حياة أبى ، وقتلت ابنه الذى كان أهلا للسلطنة وكان ساعدك بوشاية أعداء الدولة ، وهكذا رفعوك من بيننا ، وسقط ملك دهلى بيد قوم وأهل غرباء ، وألقوا باسمنا وعلمنا على الأرض ، بنى : اذا لم يكن لك رحم فارحم أولادك وأتباعك ، فلا تقامر بهم ، وتجرع همك ، وأعمل بما أنصحك به ، والنصيحة الأولى هى ارحم نفسك ، واسع فى معالجة نفسك ، لكى يكون لون وجهك من الورد والياقوت الأحمر ، أكثر رونقا ، من هذا اللون الأصفر الذى زاد صفرة ، من افراط الشهوة التى أضعفتك ، وجعلتك غير قادر على العمل ، لأن الروح وقعت فى الفساد ولن تشبع من اللذة :

« لا يليق بالسلطان أن يسكر ، ولا يتعلق بالعشق والهوس »

« السلطان حارس للخلق دائما ، ومن الخطأ أن يسكر الحارس » .

« عندما يحل الماء فالليالى خراب من الخمر الصافية ، ويستقر القطيع فى معدة الذئاب » .

« فى القانون فان عادة الملك فى ثبات الأمور وثباتها فى العقل »

والنصيحة الثانية هى أن تتحرز فى قتل الملوك والأمراء ، حتى لا يزول اعتمادك على الأعوان والأعضاء ، واختر من أمرائك اثنين آخرين مثل هذين الرجلين ، أى نظام الدين وقوام الدين ، أصحاب تجربة واشركهما ، واعتبر أن يكون أربعتهم هم أركان الدولة الأربعة ، وكل عمل نقدم عليه أتمه باتفاقهم وصلاح رأيهم ، واعهد لأحدهم بديوان الوزارة والثانى بديوان الرسائل ، والثالث بديوان المعرض ، والرابع بديوان الانشاء ، وقربهم الأربعة بقدر متساو ، وعلى الرغم من أن درجاتهم متفاوتة باعتبار أعمالهم ، فلا تدع لأحدهم السيطرة أكثر من الآخرين ، حتى لا يطغى ويتمرد ، والنصيحة الثالثة هى أن كل سر من الأسرار الملكية يكون افشاؤه ضروريا ، افشه بحضور الأربعة ، ولا تحرم أحد سرا من أسرارك كى لا يحملون لك فى قلبهم ، والنصيحة الرابعة هى أد الصلاة وصم رمضان لأن فى تركهما خذلانا فى الدنيا والآخرة يتعلق بأذيالك ، سمعت أن محتالا من علماء عصرك أراد « أن يرضيك فرخص لك الافطار فى شهر رمضان ، وكان يقول لك ، لو اعتقت عشرة أو أطعمت ستين مسكينا يمكن أن تتلافى الصوم ، فابتعد عن قول وفعل هذا النوع من العلماء ، ولا يجب أن تستفسر فى أمور الدين من علماء طامعين وحريصين لأن الدنيا معبودتهم ، بل ينبغى الاستفسار عن الأحكام الدينية من أشخاص بعيدين عن أمور الدنيا ، المال لا قيمة له فى همتهم » ، وقال هذه النصائح ، وبكى ، واحتضن السلطان معز الدين وودعه ، وقال له أثناء عناقه :

« ابعد نظام الدين بسرعة لأنه اذا وجد الفرصة ، فلن يدعك يوما واحدا » قال هذا وذهب باكيا الى مكانه ، ولم يذق طعام هذا اليوم وقال لحريمه ، ودعت اليوم ابنى الى دهلى الوداع الأخير ، وبعد ذلك ، عاد السلطان معز الدين من أوده الى دهلى ، واهتم بنصائح ووصايا والده عدة أيام ، وودع اللهو والطرب ، وبسبب الشوق الى الشراب الذى كان مجبولا عليه ، أثار رفاقه بواعث الفساد ، ورغبوه ، وكان يخجل من نصائح أبيه ويمنع نفسه ، ولما كان صيت مجالس الفرح ، قد وصلت الى الأطراف والأكناف بسبب فرط اللهو وطرب السلطان ، لذا اتجه جماعة الفجرة والمطربون الى بلاطه ، وكان يعقد المجالس يوميا ويرافقهم ، والتف حوله مجموعة وانتظروا ملازمته ، ولما كان السلطان متعلقا بصحبة هذه الطوائف وروحه مرتبطة بهواهم لذا أراد أن يرعى نصائح الأب ، ولكن بالتدريج انفلت عنان القلب من يده ، وبالتدريج اشتعلت نار الشوق ، وبدون اختيار انشغل بالوجه الحسن ، واهتم بأحوالهم وفجأةدخل مهرج صغير كان ممتازا فى النكات وبلا مثيل فى عصره وعلى رأسه تاج مكلل ، ويرتدى عباءة مذهبة ، وحوله حزام مرصع ، راكبا على جواد عربى أصيل ، وأبدى كثيرا من الدلال والتمتع مقابل خيمة السلطان ، وأتى بفنون عجيبة وأعمال غريبة أشبه بالسحر ، وأنشد هذا البيت بصوت جميل :

« ان أردت أن تضع القدم على عينى

فاننى أضع العين فى الطريق لكى تسير »

بعد ذلك قال : « اننى أرى أن مطلع هذا الغزل أكثر تناسبا لهذه الحالة ، لكن لا أستطيع قوله خوفا من سوء الأدب » فقال السلطان « اقرأه ولا تخف ، فقرأه :

« السرو الفضى ينمو فى الصحراء ، الحسن والسىء زمن ينقضى بدوننا » .

وظل السلطان حيرانا من مشاهدة هذا الجمال الفتان لهذا القمر ، ومن رؤية الحركات المثيرة لهذا الغزال الرشيق ، وذهبت نصائح أبيه جميعا أدراج الرياح ، ونزل بدون ارادة عن الجواد وطلب الشراب ، واستقر فى نفس المكان وعقد المجلس ، وانشغل باللهو والرقص ، وجرى هذا البيت على لسانه :

« أتوب ليلا عن الخمر خشية دلال المشاهدين ،

لكن هذا الساقى الجميل يحضر مع الفجر

وعندما سمع هذا المهرج البيت على لسان السلطان أنشد على السياق :

« انى أخشى غمزة العابد الزاهد مائة سنة ، أخذ شعر (١٧٤) الجبهة وقدمها للخمار »

واحتار السلطان أكثر من حدة فهمه وحسن طبعه ، وجعله ساقيه ، وقدم له شروط التواضع وأنشد هذا البيت :

« مع اننى أجمل من القمر ، فاننى عبد عبيد السلطان » ٠

وملأ الكأس ، وسلمه للسلطان ، وأخذ السلطان الكأس بيده ، وأنشد هذه الأبيات لارتباطها بالسياق :

« عندما يدور القدح فاعطه الى المقربين من المجلس ، ودعنى حيرانا ، عينى على الساق » ٠

« لو أراد ساقيك أن يسقينا ، فانه يقول ان شرب الخمر حرام »

قال هذا ، وشرب الكأس ، واستغرق الملوك والأمراء فى اللهو والطرب ، وفى اليوم التالى رحل السلطان من هناك ، وكان يعقد الأفراح والمجلس فى كل منزل ، وينشغل فى اللهو والطرب ، حتى وصل الى دهلى ، ونزل فى قصر كيلو كهرى ، وسر أهل المدينة من قدوم السلطان ، وعقدوا الأفراح وأقاموا الحفلات ، وهكذا شاع الاحتفال واللهو والطرب فى أيام السلطان معز الدين ، وأخذوا فى تناول الشراب علانية فى كل حارة ومكان ، وانفض الغم والهم من على قلوب الناس ، وحل محله الغفلة ، ولم تكد تمر عدة أشهر على هذا ، حتى مرض السلطان معز الدين ، وأصابه كثرة الجماع ومداومة الشراب بالضعف والمرض ، وفى هذه الأثناء أراد أن يقضى على نظام الدين بناء على وصية الأب ، ولم يستطع أن يفكر فى هذا المجال بثبات ، وقال على البديهة ، « ينبغى أن أرسلك الى الملتان ، وقم باتمام المهام هناك » ، وأدرك نظام الدين أن السلطان يقصد ابعاده ، فأهمل الذهاب واعتذر ، وعندما اطلع المقربون على قصد السلطان ، وكانوا دائما يتمنون هلاك ملك نظام الدين ، قتلوه بأمر واذن السلطان ٠

« طالما لم يندم على دماء خلقه ، فلابد أن يلوث السيف بدمه يوما ما »

واستدعى ملك جلال الدين فيروز نائب سامانه وهو مشهور فى البلاط ، وجعله عارضا للممالك ، وسلمه أقطاع « برن » ولقبه بشايسته

---

(١٧٤) موز « أ » ص ٥٥ ، موى « ك » ص ١١٣ ٠

خان ، وجعل ملك ايتمركجن بوظيفة « بارك » وملك ايتمر سرخه وكيلا للبلاط وقسم سائر الأعمال أيضا من جديد بين الأمراء ، وأثناء ذلك غلب المرض السلطان وأصابه الشلل والقراع ، وأصبح طريح الفراش ، وبرزت أمنية السلطنة فى رأس الأمراء وأصحاب الشوكة ، وتمنى كل واحد فى سويداء قلبه هذه الأمنية ، وأخرج بعض أمراء بلبني من قبيل الملح الحلال ابن السلطان معز الدين من الحرم مع انه كان طفلا ، ولقبوه بالسلطان شمس الدين وأجلسوه على العرش ، وأقاموا له خيمة السلطان شمس الدين ، والتف الأمراء والملوك حول هذه الخيمة ، ولما كان أمر السلطان معز الدين قد خرج عن المعالجة ، فقد نقلوه الى قصر كيلوكهرى للمعالجة ، ونزل ملك جلال الدين خلجى عارض الممالك مع جماعة الخلجيين وكانوا كثيرين فى بهابور واستعرض جيشه ، واتفق ملك ايتمركجن باربك وملك ايتمرسرخه وكيل البلاط وسائر أمراء بلبنى ، أن يقضوا على بعض الأمراء الغرباء والذين ليسوا من أصل تركى ، وكتبوا قائمة بأسمائهم ، وكان على رأس القائمة ملك جلال الدين خلجى ، وعندما اطلع ملك جلال الدين على هذا الأمر جمع رجاله ، ووحد أمراء وملوك الخلج ، واتفق معه بعض الأمراء الآخرين ، وتوجه ملك ايتمركجن (١٧٦) باربك ليخدع ملك جلال الدين فيروز ، ويحضره وينهى أمره ، ولما كان ملك جلال الدين فيروز يعلم هذا ، فعندما وصل ملك أيتمركجن الى قصره ، أنزلوه عن جواده ، ومزقوه اربا « لا تخطو خطوة فى وادى المكر والخداع ، لأنه سينتهى أمرك فى قع البلاء » .

« فربما لم تسمع من سياح هذا الطريق بأنه من يحفر بئرا يقع فيها » (١٧٧) .

وكان أبناء ملك جلال الدين يتصفون بالشجاعة والمروءة ، فاقتحموا الخيمة السلطانية بخمسمائة فارس ورفعوا السلطان شمس الدين عن العرش ، وأحضروه مع أولاد ملك الأمراء فى بهابور عند أبيهم وقتلوا ملك أيتمر سرخه ، الذى كان يتعقبهم فى الطريق ، وواجه الخواص والعوام للمدينة قوة الخلجيين ، وخرجوا من المدينة لمساعدة السلطان شمس الدين ، وقرروا أن يجتمعوا أمام بوابة بدوان ، وتوجهوا لمهاجمة ملك جلال الدين فيروز ، وفرق ملك الأمراء الأهالى بسبب وجود أولادم فى يد ملك جلال الدين ، وفرق جمعهم ، والتحق أكثر الأمراء والملك بملك

---

(١٧٥) سرخو « أ » ص ٥٦ .

(١٧٦) ورد اتيمركجن وأتميركجين « ك » ص ١١٥ .

(١٧٧) مثل عربى « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .

جلال الدين ، وتوجه الملك : الذى قتل أباه السلطان معز الدين (١٧٨) الى قصر كيلوكهرى ، وضرب السلطان الذى لم يبق فيه رمق عدة ضربات وألقاه فى نهر جون ، وكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات وعدة أشهر ٠

ذكر سلطنة السلطان جلال الدين خلجى :

ورد فى أحد التواريخ الموثوق بها أن طائفة الخلج من نسل قالج خان صهر جنكيزخان ، وقصته هى أنه لما مل خاطره من زوجته ، ابنة جنكيزخان ، ولم يجد مفرا من المداراة خوفا من جنكيزخان ، وكان دائما يبحث عن مخرج ، ولم تحن الفرصة الا عندما هزم جنكيزخان السلطان جلال الدين على شاطىء نهر السند ، وارتاح خاطره من أمر توران وايران ، وعاد الى معسكره الأصلى وتوفى فى هذه الأيام ، وفكر قالج خان فى تحصين جبال الغور وغرجستان وحصن الأماكن المذكورة بأهله وقبيلته الذين كانوا قرابة ثلاثين ألفا (١٧٩) ، وعندما توفى جنكيز خان لم يترك أحداً من أبنائه بلا ولاية ، واختار لنفسه الاقامة هناك ، وكثر نسله ، ولما كان سلاطين الغور وأتباعهم يسخرون ممالك الهند ، لذا دخل الخلجيون الهندوستان بالتدريج بسبب الجوار ، واختاروا الملازمة وصاروا اصحاب اعتبار ، ووالد السلطان جلال الدين ووالد السلطان محمود خلجى مندوى (١٨٠) وهم من عظماء الملوك والسلاطين المشاهير من أحفاد قالج خان ، وحرف قالج وصار خالج وصار لكثرة استعماله « خلج » وبرواية صاحب سلجوقنامه انه كان لترك بن يافت (١٨١) أحد عشر ولدا أحدهما يسمى خلج ، ويسمى أبناؤه بالخلج ٠

المهم ركب السلطان جلال الدين من بهابور بجيش جرار ، ونزل فى قصر كيلوكهرى ، وحكم عدة أيام نيابة عن السلطان شمس الدين ، وفى أوائل سـنة ٦٨٨ هـ جـلس على عرش السـلطنة ، وأعـطى ملك جهجو كشليخان ابن أخى السلطان غياث الدين ولاية كره ، وبايع الأمراء جميعا المؤيدون والمعارضون السلطان جلال الدين طوعا وكرها ، ولكن لما كان أهالى المدينة لا يرغبون فى سلطنة السلطان جلال الدين ، لم يذهب اليهم لهذا السبب ، ولم يجلس على العرش الذى كان دائما مقر جلوس السلاطين ، وأقام فى كيلوكهرى ، وأمر باتمام قصر معزى (١٨٢)

---

(١٧٨) يقصد به والد السلطان جلال الدين فيروزشاه ٠

(١٧٩) ثلاثون الفا فقط « أ » ص ٥٦ ، ثلاثون الف أسرة « ك » ص ١١٦ ٠

(١٨٠) هندوى « أ » ص ٥٧ ٠

(١٨١) يافت « أ » ص ٥٧ ، « ك » ص ١١٧ ٠

(١٨٢) معز الدين كيقباد ٠

وأقام حديقة جديدة فى مقابل هذا القصر على شاطىء نهر جون ، وأقام الأمراء والملوك منازلهم هناك ، وأقام قلعة من الصخر ، وفى وقت قصير انشئت المنازل والقلعة والمساجد والسوق ، وسميت بالمدينـة الجديدة « شهرنو » وعندما استقر أمر السلطان جلال الدين ، وانتشر (١٨٣) خبر تدينه وحلمه وحيائه وعدله واحسانه ، جاء أهل المدينـة من كبيرهم لصغيرهم وبايعوه ، ونال العـلماء والمشايخ ورؤساء الطوائف والانعامات، وقسم حكومة الممالك وأشغال البلاط بين الأمراء ، ولقب ابنه الأكبر خان خانان والابن الأوسط أزكليخان (١٨٤) والابن الأصغر قدرخان ، وعين كلا منهم على ولاية ، ونال أخو السلطان لقب بقرسخان (١٨٥) وصار « عارضا للممالك » وصار كلا من ولدى أخى السلطان وصهره ، أحدهما أمير بزرك والثانى « أخريك » وصار ملك أحمد جب (١٨٦) ابن أخت السلطان « نائب باربك » وملك خرم وكيلا للبلاط ، وعين خواجه خطير وزيرا للممالك وملك الأمراء كوتوالا ، وظهر الهدوء والسكينة بين الخاص والعام .

ركب السلطان بكامل حشمه وأبهته مع جيشه ، ودخل المدينـة ، ونزل فى « دولت خانـه » (١٨٧) وصـلى ركعتين ، وجـلس على عرش السابقين ، وقال : « لقد سجدت سنوات أمام هذا العرش واليوم أطأه بقدمى فكيف أستطيع تقديم شكرى ؟! » وركب من هناك وتوجه الى قصر الياقوت ونزل أيضا عن جواده على العتب كالمعتاد ، وعرض ملك أحمد جب باربك وكان عمدة الملك » لما كان القصر عن السلاطين السابقين ، لماذا لا تنزل فيه ؟ قال السلطان : « على كل حال فان مراعاة عزة ولى نعمتى أمر واجب » فقال ملك أحمد جب ثانية « ينبغى على السلطان أن يسكن فى هذا المنزل وهو دار الامارة » ، فاجابه السلطان « لقد أقام السلطان بلبن هذا القصر أيام امارته ، والآن هو ملك لأولاده ، وليس لى حق فيه » قال ملك أحمد جب (١٨٨) لا ينبغى التقييد فى الأمور الملكية الى هذا الحد قال السلطان « كيف أخرج عن قواعد الاسلام وأفعل ما هو خلاف لهذا الأمر من أجل مصلحة الملك لمدة أيام ؟

« أين العقل الذى يفتى بالشرع ، ويبدل لأهل العقل الدين بالدنيـا »

---

(١٨٣) انتشار نيافت « ا » ص ٥٧ ، انتشار يافت « ك » ص ١١٧ .

(١٨٤) ازكاليخان « ا » ص ٥٧ .

(١٨٥) بقرسخان « ا » ص ٥٧ .

(١٨٦) أحمد حب « ك » ص ١١٨ .

(١٨٧) مقر الحكومة .

(١٨٨) يلاحظ انه يذكر « أحمد جب » فى « ك » .

وترجل ودخل القصر الياقوتى ، ولم يجلس فى هذه الأماكن التى كان يجلس فيها السلطان غياث الدين مراعاة للحرمة ، وجلس فى الصف المخصص للأمراء ، وقال للأمراء والملوك : « فلتخربوا منزل ايتمركجن وأيتمر سرخه لأنهما لو لم يمكرا ويغدرا بى لما وقعت فى هذا البلاء ، وجعلونى أقضى بقية عمرى فى الامارة والملك ، والآن أنا فى حيرة عما سيؤول اليه أمرى ، وعلى الرغم من عظمة وأبهة السلطان بلبن وامتداد زمانه وغلبة أعوانه وأنصاره ، لم تبق السلطنة لورثته ، فماذا سيبقى لنا ، وماذا سيحدث لأولادى وأتباعى من بعدى » ، وتأثر بعض الحاضرين وكانوا أصحاب عقل وتجربة ، من كلامه ، وأبدوا شفقة ، وذم البعض الآخر وكانوا من الشباب المتهورين السلطان وكانوا يرددون أن هذا الرجل ليس سلطانا ، انه يفكر فى زوال ملكه ، ان القهر والشدة لازمين للحكم ، فكيف يحدثان من هذا الرجل ؟ وعاد السلطان جلال الدين آخر اليوم من المدينة ، وجاء الى كيلوكهرى ، واتخذها عاصمة له ٠

فى السنة الثانية للجلوس ، رفع ملك جهجو ابن أخى السلطان بلبن والذى كان يحكم مقاطعات كره ، لواء المخالفة ، وجعل الخطبة والسكة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين ، وأيده أمير على سرجاندار (١٨٩) حاكم أوده ، والملقب بحاتم خان ، وسائر ملوك بلبن الذين كانوا يحكمون فى الأطراف ، ملك جهجو ، على أمل أن يؤيده أهالى المدينة طالما كانوا ينفرون من حكم الخلجيين ، وتحرك الى دهلى بجيش جرار ، وترك السلطان جلال الدين بمجرد سماع هذه الواقعة « خان خانان » ابنه الكبير نيابة عنه فى دهلى ، وأعد الجيش وتوجه بأعوانه وأنصاره القدامى لدفع ملك جهجو ، وجعل ابنه الأوسط أزكليخان (١٩٠) والذى يتصف بالشجاعة والبطولة على مقدمة الجيش ، وجعل برفقته شبابا شجعان ومجربين ، وحسب الأمر عبر ازكليخان بجيشه نهر كلاسكر ، وقابله فى هذه الناحية ملك جهجو بأمراء وملوك بلبنى وجيش جرار وزميندارات هذه البلاد ورجوات كبار ، ووقعت حرب ضروس ، وهزم (١٩١) وأسر أكثر رجال جيشه ، لجأ ملك جهجو بأحد أهالى مواس ، فأسر بيد « مقدم » (١٩٢) هذه القرية ، وقبض عليه وأحضروه الى السلطان ، وحمل أركليخان الأسرى على ابل ، وأرسلهم مكبلين بالأغلال

---

(١٨٩) أمير على شير جامدار « أ » ص ٥٨٠

(١٩٠) ورد أزكليخان وأركليخان ٠

(١٩١) ملك جهجو ٠

(١٩٢) مقدم هو رئيس القرية ٠

الى السلطان ، وعندما أحضروا الأسرى على هذه الحال الى السلطان ووقع نظره عليهم ، أمر أن ينزلوهم عن الابل ويفكوا الأغلال من رقابهم ، وأمرهم أن يحملوا الى الحمام عدة أشخاص من بينهم كانوا أصحاب منزلة ومكانة عند السلطان بلبن ، وغسلوا رؤوسهم ووجوههم ، وألبسوهم خلعا سلطانية خاصة ، وعطروهم بالعطر ، وأقام فى خيمته الخاصة مجلس شراب ، واستدعاهم الى هناك ، ونادمهم الشراب :

« من السهل أن تجزى السىء ، لكن الرجل أحسن الى من أساء » .

لم يرفعوا رؤوسهم من الخجل الذى أصابهم ، ولم يتفوهوا بكلمة . فقال لهم السلطان لتهدئة خاطرهم : « لقد ضربتم بالسيف الى جانب ولى نعمتى ، وليس عيبا أن تقدموا حق الملح وشروط الوفاء » وأرسل ملك جهجو جالسا على محفة (١٩٣) الى الملتان (١٩٤) وأمر أن يحافظوا عليه فى بيته وأن يهيئوا له من أسباب اللهو والطرب ، وما يريده طوال الوقت ، واستغرب ملك أحمد جب وسائر أمراء الخلج من هذا التكريم الذى أمر به السلطان فى حق الأسرى ، وقالوا : « ان هذا التكريم الذى أمر به السلطان فى حق هذه الجماعة واجبة القتل أمر يخالف أسلوب الحكم ومناف لقواعد الملك ، وطالما لم يحدث عقاب لأهل الفتنة والفساد ، ولم يرق دماؤهم فان هوى الملك وهوى السلطنة سيراود كل شخص ، وطالما كانت تحدث الفتن كان القتل واراقة دماء هذه الطائفة من السلطان بلبن ، وكان يأمر بمعاقبة أشد ، والآن فقد نسى صلابته من القلوب ، وبالفرض اننا وقعنا فى يد هؤلاء ، فانهم كانوا سيمحون اسم وشارة الخلجيين من على وجه الأرض ، والآن فان ترك قتلهم بعيد عن المصلحة :

« من الأفضل رأب صدع الملك ، ومن الأفضل تفريق الجيش السىء » .

« ان قطع الغصن الجديد جذع السرو أفضل من أن يطاح برقاب الغصن القديم » .

فأجابهم السلطان : « ان ما قلتموه كله صواب وموافق لتدبير الملك ، لكن ماذا أفعل قضيت سبعين عاما فى مسلمة ، ولم أرق دماء مسلم قط ، والآن صرت شيخا ، ولا أريد أن أريق دم المسلمين فى آخر العمر ، وأثبت على نفسى صفة القهار والجبار ، ولو وقعنا فى أيديهم ، وأراقوا دماءنا فان عهدة اجابة ذلك عليهم غدا يوم القيامة ، ولما كنا لعدة سنوات مماليك السلطان بلبن ، وحقوق نعمته كثيرة فى رقابنا ، فاليوم استولينا

---

(١٩٣) وردت محافة فى « أ » ، « ك » .

(١٩٤) ملطان « ك » ص ١٢٠ .

على ملكه ، ولو قتلنا أيضا أعوانه وأنصاره فان هذا يكون منتهى الخسة والظلم » ٠

عاد السلطان بعد ذلك من بداون ، وأعطى لملك علاء الدين صهره وابن أخيه وربيب نعمته كره وسمح له بالسفر ، وعاد ظافرا ومنتصرا ، وعقد الحفلات فى دهلى ونصبوا الأفراح ، ولما كان السلطان جلال الدين حليما ورحيما فان اكثر الأمراء والملوك كانوا يقولون ان هذا الرجل لا يعرف الحكم والسلطنة ويرون أنهم قبضوا على لصوص وقطاع طرق عدة مرات ، وأحضروهم اليه ، فجعلهم يقسمون ألا يسرقوا ثانية ، وأطلق سراحهم ، وكان يقول : على الرغم من أننى أستطيع قيادة الجيش وأسفك الدماء ، ولكن لا أستطيع أن أقدم على قتل الرجل الذى أسروه وأحضروه»، وذات مرة أحضروا ألف قاطع طريق عند السلطان ، ولم يقتل واحداً منهم ووضعهم جميعا فى مركب ، وأرسلهم الى لكهنوتى ، ولم يقع منه فى مدة حكمه مصادرة أو مكابرة أو تعذيب أو تشديد أو طمع فى مال الناس مما هو شعار للجبابرة والظالمين ، ، ويرون أن بعض كافرى النعمة الذين تخمرت فى نفوسهم الشرور عقدوا المجالس وشربوا الخمر ، وتشاوروا فى دفع السلطان جلال الدين وعندما وصلت هذه الأخبار الى السلطان ، لم يقم من مكانه ، قال : « لا ينبغى أن ناخذ السكارى بالألفاظ التى صدرت منهم في حالة السكر » ، وذات يوم استضاف ملك تاج الدين كوجى (١٩٥) فى بيته الأمراء الكبار ، وعقدوا مجلس شراب ، وعندما سكروا تماما قالوا « السلطان جلال الدين غير جدير بالسلطنة والجدير بها هو ملك تاج الدين » ، وبايعوه جميعا ، وقال أحدهم « اننى سأنهى على السلطان بحربة صيد صغيرة » وقال آخر « سأفصل رأسه عن جسده بهذا السيف » ، وجرى على لسان السكارى الآخرين أيضا مثل هذه الكلمات ، وعندما وصلت هذه الحكاية الى السلطان ، استدعى هذه الجماعة ، وسل سيفه من غمده ، وألقاه بجواره ، وقال « من منكم رجل فليأخذ هذا السيف ، ويواجهنى ليعرف كيف تكون الشجاعة » ، قال ملك نصرت صباح ، وكان رجلا ظريفا حسن الطبع وجرت على لسانه كلمات الندم فى هذا المجلس ، ان مولاى يعلم انه لا اعتبار لكلمات السكارى التى تصدر منهم فى حالة السكر ، وأنت تعلم أن السلطان قد ربانا مثل أبنائه ، ونحن نعلم أن السلطان يتسم بالحلم والوقار ، ولو اننا فكرنا فيه بالسوء الا أن السلطان لن يجد مثلنا ملوكا وأولاد ملوك مخلصين وتابعين ، واننى أعلم أنه لن يرضى بقمعنا والقضاء علينا » ، وتاثر السلطان من هذا القول ، ونزل عن عرضه ، وطلب الشراب ، وأعطى الكأس بيده لملك نصرت صباح ،

---

(١٩٥) كوجى « ١ » ص ٥٩ ٠

وأمر رفاقه الذين كانوا فى هذا المجلس بأن يذهبوا الى مقاطعاتهم ويبقون مدة هنـاك ٠

« ان سيف الحلم أشد حدة من السيف الحديدى ، بل انه أكثر ظفرا من مائة جيش » ولم يأمر بضرب أو سجن أحد من المقربين الذين وقعت منهم جرائم ، وكان يعطى لكل واحد مقاطعة ، ولا يغيره أبدا ، ويروى انه عندما كان السلطان جلال الدين سرجاندار (١٩٦) السلطان بلبن ، ونائبه على سامانه أعطى مولانا سراج الدين سادى (١٩٧) من شعراء عصره قرية من قرى سامانه على سبيل « مـدد معـاش » (١٩٨) وطلب السلطان جلال الدين من مولانا خراجا لأصحاب الوظائف الآخرين ، فاستاء مولانا من هذا الأمر ، ونظم فى مدح السلطان ، وضمنهـا ظلم العمال ، ويبدو أن السلطان جلال الدين لم يهتم بمولانا لكثرة المشاغل ، فتضايق مولانا ونهض من المجلس ، ونظم شعرا فى هجاء السلطان جلال الدين ، وأسماه « خلجنامه » وفى نفس هذه الأيام التى حكم فيها السلطان جلال الدين سامانه بالانابة ، وصله « خلجنامه » المذكورة ، وكان من ضمنها هجاء ركيك، فترك مولانا سراج الدين سامانه خوفا من السلطان بأن يحبسه فى السجن واختار مكانا آخر للاقامة ، وفى نفس هذه الأيام التى كان السلطان ينتهب قرية من قرى « منداهران » خرج مندهرى أمام السلطان وطعنه طعنة ظلت آثارها حتى آخر عمره ، وعندما وصل السلطان جلال الدين الى السلطنة ، حضر مولانا سراج الدين ومنداهر والقيود فى رقابهما الى بلاطه ، وأخبر السلطان ، فاستدعاه فى الحـال واحتضن مولانا ، وانعم عليه بالخلع ، وقدم له أنواع التكريم وامر أن يأتى مثل المقربين الآخرين أمام العرش للسلام ، وأكرم منداهر (١٩٩) هذا ٠

وذات يوم قال السلطان جلال الدين لزوجته « ملكة جهان » عندما يأتى الأكابر والصدور ، لتهنئتى على باب الحريم قولى لهم كى يلتمسوا منى أن يقرأوا فى الخطبة عنى « المجاهد فى سبيل الله » وفى نفس هذه الأيام تزوج قدرخان الابن الأصغر للسلطان من ابنة السلطان معز الدين وذهب الأكابر للتهنئة ، وقالوا هذه الرغبة العـزيزة ، « انه طالما أن السلطان قد حارب المغول عدة مرات ، فان قراءة « المجاهد فى سبيل الله » جائز بل واجب ، وعندما ذهب الأكابر الصدور لتهنئته بغرة شهر ، وقبلوا

---

(١٩٦) سر جاندار : رئيس حرس السلاح ٠

(١٩٧) ساوجى « أ » ص ٦٠ ٠

(١٩٨) على سبيل الوقف وهى قرية يوقف دخلها لهذا الشخص ٠

(١٩٩) مندهر « أ » ص ٦٠ ٠

الأيادى ، التمس القاضى فخر الدين باقله وكان علامة عصره ، وطلب بلسان الحاضرين أن يقرأوا للسلطان فى الخطبة « المجاهد فى سبيل الله » قال السلطان : أعلم أنكم تذكرون هذا بناء على قول ملكه جهان ، وقد كنت أفكر فى هذا منذ زمن ، ولما لم يكن قد وقع منى جهاد لأعداء الله لوجه الله ودون شائبة وغرض دنيوى ، فاننى ندمت ورجعت عن هذه الارادة التى أردتها » ٠

فى هذه الأيام التى كان فيها السلطان جلال الدين « عارضا للممالك » أنعم على أمير خسرو وعينه بوظيفة « مصحفدارى » وخصه بلباس وحزام أبيض خاص بالأمراء والكبار ، وكان السلطان يختلط فى المجالس وأهلها وأصحابها دون تكليف ، وكان يراعى المساواة ، وكان من ندماء مجلس شراب السلطان ملك تاج الدين كوجى وملك فخر الدين كوجى وملك عز الدين غورى ، وملك قرابيك وملك نصرت صباح ، وملك أحمد جب ، وملك كمال الدين أبى المعالى، وملك نصير الدين كهرامى(٢٠٠) وملك سعيد الدين منطقى ، وكان الملوك المذكـــورون لا مثل لهم فى لطافة الطبع وحسن المعاشرة والشجاعة والمروءة ، وانتظم فى سلك الندماء تاج الدين عراقى وأمير خسرو ومير حسن ومؤيـد جـاجرمى ، ومؤيد ديوانه ، وأمير أرسلان كاهى (٢٠١) واخيار باغ وباقى خطيب ، وكان كل واحد منهم ممتازا فى علم الشعر والتأريخ ، وكان مجلس السلطان دائما مليئا بالغزليين الحسان مثل أمير خاصه وحميد راجه والسقاه الذين يخبلون العقول مثل أولاد هيبت خان ونظام خريطة دار ، والمطربين الذين لا مثيل لهم مثل محمد شه جنكى (٢٠٢) وفتوخان ونصرت خان ، وكان أمير خسرو ينشد يوميا فى مجلس السلطان غزليات جديدة ، وينال الانعام ٠

ومن الوقائع الغريبة التى وقعت فى هذه الأيام كانت قضية سيدى موله وتفصيلها هو أن درويش يسمى بسيدى موله جاء من دهلى وأقام وأخذ فى الاطعام والانفاق على العلماء ، ولما لم يكن يأخذ شيئا من أحد وليس لديه وظيفة ولا دخل ، احتار الناس من كثرة انفاقه وبذله ، وقال اكثر الناس : انه يعلم علم الكيمياء ، وبنى خانقاه كبيرة ، وصرف مبالغ طائلة من أجل بنائها ، وكان أكثر المسافرين فى البر والبحر ينزلون فيها ، وكان الشيخ يقدم مائدة مرتين فى اليوم ، ينفق عليهـا ألفا من خبز وخمسمائة من ذبائح وثلاثمائة من سكر يوميا ، وكان العام والخاص

---

(٢٠٠) ملك نصير الدين كرامى « أ » ص ٦١ ٠

(٢٠١) أمير أرسـلان كلامى « أ » ص ٦١ ٠

(٢٠٢) محمد سه جنكى « أ » ص ٦١ ٠

يحضرون هذه المائدة ، ويجتمعون فى الخانقاه ، وصار أكثر ملوك وأمراء السلطان جلال الدين مريدين لسيدى موله ، وكان سيدى موله يقوم برياضات كثيرة ويكتفى من الطعام بالخبز الجاف والدقة (٢٠٣) وليس لديه زوجة ولا جارية ومع أنه كان يصلى ويصوم لكنه لم يكن يحضر صلاة الجمعة ، ولم يكن يعمل بشروط الجماعة المعمول بها من السلف ، وقبل أن يأتى الى دهلى كان قد ذهب « أجودهن » لخدمة القطب العالم فريد الحق والدين رحمة الله عليه ، وظل عدة أيام هناك ، وعند الاذن بالرحيل قال له الشيخ : أغلق طريق مجىء الملوك ، واجتنب هجوم العوام والشهرة :

« لا تضع القلب على النار حتى يحترق الوجه ، لأنه عندما يحين الوقت فان مائة أتون يحرقنى »

لكن سيدى موله لم يستطع أن يحافظ على نفسه :

« يسمع مائة حكاية ولا يدهش من الحرص ، فلن يدرك نقطة فى أذن الحرص » .

وجعل خانخانان ابن السلطان الكبير معتقدا ومريدا ، ودعاه بالابن وجعل القاضى جلال كاشانى وكان من أكابر عصره مريدا ومحبا له ، ووصلت أرزاق بعض ملوك بلبن الذين كانوا بلا مقاطعة فى عدد السلطان جلال الدين وبلا مورد رزق ، من سيدى موله وكانوا دائما فى جوار الخانقاه ، وظن الناس أن سيدى موله بانفاقه على هذه الجماعة سيدعى الملك ، وعندما وصل هذا المعنى الى السلطان جلال الدين أمر أن يقبضوا على سيدى موله وجميع مريديه ، وعلى الرغم من انكار البعض وقسم البعض ؛ لم يأت بفائدة ، وأمر السلطان أن يشعلوا نارا فى صحراء بهابور ، تصل شعلتها الى السماء ، وجمع العلماء وأكابر المدينة هناك ، وأمر سيدى موله وأتباعه أن يدخلوا النار ، ليظهر دليل صدقه أو كذبه ، وقال العلماء الذين حضروا هذه الواقعة ، لما كانت النار بطبعها حارقة فان اعتبارها محك صدق وكذب هو خلاف للعقل ومناف للشرع ، وسمع السلطان هذا الكلام من العلماء ، فترك هذا العزم ، وأرسل القاضى جلال وكان متهما باثارة الفتنة الى قضاء بداون ، وفرق الملوك الآخرين الذين يعتقدون فى سيدى موله الى أطراف الممالك ، وقتل البعض وعندما أحضروا سيدى موله مقيدا أمام السلطان ، فأقام السلطان عليه الحجة ، ورد عليه ، ولم يوجه الى سيدى موله تهمة من الناحية العقلية أو الشرعية ، فنظر السلطان الى الشيخ أبى بكر الطوسى الحيدرى ، وكان

(٢٠٣) تربدو « ١ » ص ٦٤ ، تره « ك » ص ١٢٦ .

على رأس جماعة الدراويش الحيدرية وقال ، أيها الدراويش خذوا حقى من هذا الظالم ، فهب بحرى نام قلندرى بجرأة ، وطعن سيدى موله بموس حلاقة عدة طعنات وجرحه عدة جروح ، وأشار كليخان الأب الأوسط للسلطان على سائس فيله ليطلق على سيدى موله ، واستشهد هذا المظلوم ومن المشهور أنه يوم قتل سيدى موله هبت ريح سوداء وأظلمت الدنيا ، وقل المطر فى هذا العام ، وأصاب دهلى قحط شديد ، لدرجة أن الهنود كانوا يتحدون جماعات من الجوع ويلقون بأنفسهم فى نهر جون ، وغرقوا فى بحر الفناء ·

وقاد السلطان الجيش فى سنة ٦٨٩ هـ الى رنتهنبور ، وترك ابنه أركليخان الأوسط نائبا عنه فى كيلوكهرى محل خانخانان ابنه الكبير الذى كان قد توفى فى هذه الأيام ، وبمجرد الوصول استولى على جهاين ، وحطم معابد أصنامها ، وانتهب أموالها ، واستولى على غنائم كثيرة ، وتحصن راجه رنتهنبور فى القلعة ، وحاصره السلطان عدة أيام وعاد ، وقال : الاستيلاء على هذه القلعة لا يستحق موت شخص واحد ·

« ملك العالم كله لا يستوى عند الرجل اراقة قطرة دم واحدة على الأرض »

وبالفرض لو أخذت هذه القلعة وقتلت عبيد الله ، سيحضر الى غدا النساء اللائى ترملن والأطفال الذين تيتمن ، ويقع نظرى عليهم ، فماذا ستكون حالتى فان لذة فتح هذه القلعة سيكون اكثر مرارة على من السم ·

وفى سنة ٦٩١ هـ توجـه المغـول الجنـكيزية بجيش جـرار الى الهندوستان ، وتوجه السلطان بجيوش قاهرة لصد هذه الطائفة ، وعندما اقترب الطرفان ، وقعت المعركة وقاتل الشباب الشجعان ورأى جيش المغول قوة جيش السلطان ، فجرى حديث الصلح ، وكان السلطان يدعو قائدهم وهو قريب هولاكو بالابن ، وكان هو يدعو السـلطان بالأب ، والتقيـا ببعضهما من بعد ، وتبودلت التحف والهدايا بين الطرفين ، وعاد جيش المغول ، والتحق ألغو حفيد (٢٠٤) جنكيزخان مع عدد من أمراء المغول ، وأسلم ، واختصه السلطان بشرف المصاهرة ، وعين لهم غياث بور مسكنا لهم ، وأطلقوا على هذا المكان « مغولبور » وعلى المغول « المسلمين الجدد » ·

وآخر هذه السنة ، توجه السلطان لمهاجمة مندور ، وانتهب ما حول القلعة ، وفى هذه الأيام التمس ملك علاء الدين ابن أخى السلطان حاكم

---

(٢٠٤) نبيسه « ك » ص ١٢٨ ، نبيره « ١ » ص ٦٣ ·

كره ، بأن يتوجه الى بهيله (٢٠٥) وينتهب هذه النواحى وتوجه حسب الأمر ، ونهب بهيله ، وأحضر صنمين حديديين كانا معبودين لهنود هذه النواحى ، ووضعوهما تحت بوابة بداون ليطأها الناس ، ووقع هذا الأمر عند السلطان موقع الاستحسان فأكرمه بانعامات عالية ، وأمر باضافة ولاية أوده أيضا له ، وعندما وجد ملك علاء الدين شفقة ورحمة السلطان عليه ، عرض : « أن ولاية جنديرى ونواحيها مليئة بالمال والأشياء ، فلو صدر أمر أن أرعى الخدم الجدد بسبب الاقطاعات الزائدة هناك ، وأذهب بمساعدة واعانة الجيش القديم والجديد لمهاجمة هذه الولاية ، فسأحصل على غنائم كثيرة من جديد تحت رعاية السلطان » . وقبل السلطان التماسه ، وسمح لملك علاء الدين بالسفر ، وتوجه من دهلى الى كره ، ولما كانت حماته ملكة جهان تسىء اليه كثيرا ، وكان يستاء دائما من جفائها وايذائها ، ولم يستطع أن يعرض على السلطان هذا الأمر بسبب تسلط ملكة جهان ، وكان دائما يفكر فى الهروب من مملكة السلطان جلال الدين ، ويستولى على مكان ويبقى هناك ، وعندما تهيأت له الفرصة ، اغتنمها ، وأعد الجيش القديم والجديد ، وخرج من كره (٢٠٦) وترك ملك علاء الدين فى كره وأوده نائبا عنه فى غيبته وتوجه الى جانب ديوكير (٢٠٧) وأبدى فى الظاهر أنه سيذهب لنهب وسلب نواحى جنديرى وتوجه من طريق ايلجبور ، وعندما انقطع خبره بعد فترة ، كتب ملك علاء الدين ارضاء للسلطان بأن ملك علاء الدين مشغول بنهب وسلب ولاية جنديرى ، واليوم أو غدا سيصل رسالة النصر الى بلاط السلطان ، ورضى السلطان بهذا لأن ابن أخيه وصهره وربيبه لم يطلعه على ايذاء ملكة جهان ، لهذا لم يتسرب سوء الظن قط الى خاطر السلطان عنه .

فى ذلك الوقت كان رامديو حاكم ديوكير وابنه بمكان بعيد ، وعندما سمع أن ملك علاء الدين جاء الى نواحى ديوكير ، فتوجه بجيش جرار من الرايان والملوك لمواجهته ، ، وبعد القتال هزم ملك علاء الدين هذا الجيش ، وفتح ديوكير ، وأخيرا جاء رامديو ، وقدم الطاعة ، ووقع أربعون فيلا وعدة آلاف من الجياد الخاصة لرام ديو فى يد ملك علاء الدين ، وغنم من الذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ وأنواع الأمتعة والأقمشة قدرا كبيرا يعجز العقل عن حصرها وضبطها وعندما انقطعت أخبار ملك علاء الدين مدة ، توجه السلطان كالعادة للتنزه والصيد بجانب

---

(٢٠٥) بهيلة « أ » ص ٦٣ .

(٢٠٦) كره « ك » ، كره « أ » .

(٢٠٧) ديوكر « أ » ص ٦٣ .

كواليار وتوقف فى هذه النواحى فترة ، ودون أن يعرض ملك علاء الدين أو يرسل ذاع فى جيش السلطان أن ملك علاء الدين قد فتح ديوكير ، واستولى على أفيال وجياد كثيرة وأموال وأمتعة لا حصر لها ، وعاد الى كره ، وسر السلطان من هذا الخبر ، ولكن عقلاء العصر كان فى تصورهم أن ارتكاب ملك علاء الدين هذا الأمر الخطير دون موافقة السلطان ، وما استولى عليه من أموال وما كانوا يعلمونه من خلافه مع حريمه ملكة جهان فقد أحسوا بتمرده وخروجه لكن لم يقولوه للسلطان ، وذات يوم اختلى السلطان مع خاصته ، وأجرى القرعة والمشورة بينهم وسأل : انه عندما يأتى علاء الدين من ديوكير بكل هذه الأفيال والجياد والغنائم ، ماذا ينبغى علينا ؟ هل نظل فى مكاننا أم نسرع لاستقباله أو نعود الى دهلى ؟ قال ملك أحمد جب ؛ وكان مشهورا باستقامة الفكر وصدق الرأى « ان كثرة المال والحشم وتحقيق الأمانى سبب للطغيان والتمرد ، وتجعل الانسان مهما كان عاقلا وعالما ، مجنونا ومغرورا ، والآن فان متمردى وثائرى كره ، الذين كانوا قد لجأوا لملك جهجو ، جمعهم حوله ، وحملهم بدون اذن الى ولاية ديوكير ، فهل يعلم الانسان ما يجول بخاطره ؟ والصواب هى أن يسرع السلطان من طريق جنديرى ، ويسبق ملك علاء الدين ، وعندما يسمع باقتراب السلطان لن يستطيع جمع جيشه ، ويأتى بالضرورة للملازمة ، ويقدم الغنائم طوعا أو كرها للبلاط ، ويأخذ السلطان منه الأفيال والأمتعة وسائر النقود التى كانت سبب نصره ، ويحضرها الى دهلى ، ويسلمه غنائم أخرى ، ويزيد من اقطاعاته ، ويأذن له بالسفر الى كره أو الى دهلى ، واذا لم يهتم السلطان بهذه الواقعة ، فانه لن يستطيع تداركها » ، ونهض الى دهلى وتوجه ملك علاء الدين مع أفياله وجياده وخزائنه بسبب تكبره الى كره ، وهناك أخذ ينظم نفسه ، وكأنما يسعى السلطان لزوال نفسه ويعمل على خراب ملكه :

« هذا الشخص الذى لا يسمع كلام الأصدقاء أهل الخير يحقق كثيرا من آمال الأعداء »

لم يوافق كلام ملك أحمد جب رأى السلطان جلال الدين ، وقال : « ملك علاء الدين بمثابة ابنى ولا يمكن أن يتحول عنى ولا يصدر عنه ما يخالف رضائى ، ثم نظر الى الحاضرين وقال : ماذا ترون صلاحا لهذا الأمر ؟ فأغمض ملك فخر الدين كوجى العين مع أنه يعلم أن رأى ملك أحمد جب صواب ، ولكنه لا يرضى السلطان ، وقال : « ان خبر عودة ملك علاء الدين ، واحضار المال والمتاع محل قول لم يتحقق منه الرجال الثقاة ، وحتى يخفيه ، ومن اللائق أن تفكر لو أن هذا الخبر صادق ،

فاننا نقود الجيش اليه ، ونقطع عليه الطريق ، ولما كان قد ذهب بلا اذن فمن المحتمل أن يكون بسبب الرعب الذى يسيطر عليه ، وكلما وصل الى ناحية ، تتعقبه الى كل مكان يذهب اليه ، ... والمثل المشهور هو لا ينبغى أن « نعبر من النهر بحذاء المطر » واذا دخل كره سالما بالأفيال والمال والأمتعة ، وظهر أن الفساد والخلاف قد سرى فى باطنه ، فان أمره يكفيه هجمة سلطانية » قال ملك احمد جب : « اذا دخل ملك علاء الدين بالأفيال والمال كره وعبر نهر سرو ، وقصد لكهنوتى ، فلن يستطع أحد قط أن يتحقق مما فى عهدته :

« لا ينبغى أن نستهين بالعدو ، لأنى أرى الجبل العـظيم من الحجر الصغير » .

واضطرب السلطان من هذا القول ، وقال لقد كان ملك أحمد يسىء الظن بملك علاء الدين دائما ولكننى احتضنته ، وجعلته ابنى ، فلو تحول ابنائى عنى فهذا ممكن لكن لا أتصور أن يتحول هذا عنى فنهض ملك أحمد من المجلس ، وتأسف ، وقال هذا البيت :

« عندما تظلم الدنيا على انسان ، فلن يأت بفائدة كل ما يفعله »

وأثنى السلطان جلال الدين على رأى ملك فخر الدين ، وعاد الى دهلى ، وأعقبه وصول خبر من أن ملك علاء الدين وقد عاد الى كره ، ووصلت رسالته أيضا ، « اننى استوليت على واحد وثلاثين فيلا وعددا من الجياد والذهب والجواهر واللؤلؤ واقمشة وأمتعة ، وأريد أن أحضرها الى البلاط ، لكن لما كنت قد قضيت مدة غائبا دون اذن ، فقد تسلل وهم الى نفسى وجميع المماليك الذين كانوا معى ، فلو صدر فرمان يتضمن العفو على والعفو عن سائر المرافقين ، فاننى أستطيع الحضور الى البلاط دون تأخير « وخدع السلطان جلال الدين بمثل هذه الحكايات واستعد بنفسه للتوجه الى لكهنوتى ، وأرسل طغراخان الى أوده ، وأمر أن يعدوا المراكب على شاطىء نهر سرو ، واتفق مع أعوانه وأنصاره أنه عندما يخرج السلطان من دهلى متوجها الى كره ، سنعبر بجيشنا نهر سرو ، وندخل لكهنوتى ، ونستولى على مملكة لكهنوتى ، ونظل هناك ، وكتب السلطان جلال الدين بخط يده رسالة عفو طيبـة ، وأرسلها مع رسولين من المقربين ، وعندما وصل هذان الرسولان الى كره ، وجدا أن ملك علاء الدين قد تقهقر أمام السلطان ، والتف حوله جميع الأمراء أيضا ، واحتفظ ملك علاء الدين بالرسولين كى لا يسمح لهما بأن يكتبا حقيقة الأحوال السلطان .

وعندما مرت عدة أيام على ذلك ، كتب ملك علاء الدين رسالة الى أخيه ألماس بيك وكان أيضا ابن أخى وصهر السلطان ، اننى اضطررت للسفر بدون رغبة السلطان لأن أبناء الزمان أوهمونى ولما كنت ابن ومملوك السلطان ، فلو جرد جيشا الى وقبض على ، فما أنا الا عبد وخادم له ، ولو لم يحدث فسأقصده ··· » ، وعرض ألماس بيك هذه الرسالة على السلطان ، فأمر السلطان أن يذهب اليه بأسرع ما يمكن ، ويرضى ملك علاء علاء الدين حتى أصل بنفسى ، وركب ألماس بيك مركبا فى ساعته ، وعندما هبت الرياح على النهر ، وصل الى ملك علاء الدين فى اليوم السابع ، وعقد ملك علاء الدين الأفراح ، وسر من قدوم أخيه أيضا ، وقال : الآن اننى مصمم على التوجه الى لكهنوتى ، فقال له العلماء (٢٠٨) الذين كانوا مقربين منه : « لست فى حاجة للذهاب الى لكهنوتى ان السلطان جلال الدين سيسبقنا فى هذه الأمطار بسبب الطمع فى المال والأفيـال ، ونحن أيضا ندير حالنا هنا ، ونهتم بأمر الملك والسلطنة » ، واستصوب ملك علاء الدين هذا الرأى ولما كان السلطان جلال الدين قد اقترب أجله لم يسمع كلام المخلصين ، وركب مع عدد من خاصته وألف فارس المراكب ، وتوجه ، وجعل أحمد جب يسير بالجيش والحشم من طريق برى :

« طالما لا يسمع المستمع للنصيحة ، فان الفلك العالى سيؤدبه »

وعندما وصل السلطان فى السابع من رمضان الى كره ، أعد ملك علاء الدين جيشه وعبر من نهر الجانج ، ونزل ما بين كره ومانكبور ، وسمع خبر وصول السلطان ، فأرسل أخاه ألماس بيك لخدمته ، لكى يجعل السلطان بعيدا عن الجيش بكل حيلة يعرفها ، ووصل ألماس بيك الى السلطان ، وقدم شروط تقبيل الأرض ، وقال : « ان عبدك لم يقترب أكثر من هذا ، ولم أستطع أن أرضى أخى حتى يلجأ اليكم ، لأنه لم يزل خائفا ، فلو رأى السلطان مع عدة فرسان مستعدين فمن المحتمـل أن يخاف ، ويفر ثانية ، واستصوب السـلطان كلامه ، وأمر بأن يتوقف الفرسان الذين كانوا برفقته هناك ، وتوجه مع عـدد خاص من أقرب خاصته ، وعندما قطع مسافة عاد ألماس بيك الغدار وقال بلسـان المكر : لما كان أخى قد اقترب كثيرا ، ولو رأى هؤلاء الأشخاص الحاضرين فى خدمة السلطان وهم مسلحون ومستعدون ، فمن المحتمل أن ييأس من شفقة ورحمة السلطان بسبب الخوف والوهم الذى يتملكه ، فأمر السلطان أن ينزع الجميع الأسلحة عنهم ، وعندما اقتربوا من شاطىء نهر الجانج رأى المقربون منه جيش علاء الدين على بعد ، يقف مسلحا ومستعدا ، وينتظرون الفرصة ، فأيقنوا بمكر وغدر علاء الدين ، وما دبره ألماس بيك

---

(٢٠٨) وانانى « ك » ص ١٣٣ .

فقال ملك خرم (وكيل البلاط) لألماس بيك لقد وثقنا فى كلامك ، وأبعدنا عنا جيوشنا ونزعنا الأسلحة بينما جيشك مستعد ومسلح ، قال ألماس بيك ، ان أخى يريد أن يشاهد السلطان جيشه وهو مستعد ومسلح ، ويدربه ، والسلطان بناء على القول « اذا جاء القضاء عمى البصر » لم يحمل أى تفكير فى مكرهما وغدرهما الذى كان واضحا للكبير والصغير ، وقال أيضا لألماس بيك لقد قطعنا طريقا طويلا وجئنا صائمين ، ولم يأت علاء الدين ويفتح قلبه ، ويجلس على الزورق ويسرع لاستقبالى ، فأجاب ألماس بيك الغدار : ان أخى لا يريد أن يأتى لملازمة السلطان ويده خاوية وسيأتى لخدمتك بالهدايا من فيل وجياد ونفائس ، ويعد أيضا أسباب الافطار ، ويريد أن يفطر السلطان فى بيته ، لكى يكتفى ويمتاز عن أقرانه بهذا الشرف ، ولم يجل بخاطر السلطان جلال الدين أى غدر منهما ، وأخذ يقرأ فى المصحف غافلا فى المركب ، حتى حان وقت العصر فى السابع من رمضان على شاطىء النهر ، وتقدم علاء الدين أكثر ولازمه ، ووقف تحت قدم السلطان ، وربت السلطان على خده مظهرا الشفقة والرحمة ، وقال : « لقد ربيتك كل هذه التربية ، وكبرتك ، وكنت فى نظرى أغلى من أبنائى ، والآن كيف أفكر سوءا فى حقك » ، قالها وأخذ يد علاء الدين ، وجلس على جانب المركب ، وأثناء ذلك أشار ملك علاء الدين الى الجماعة التى كانت متعهدة ومتكفلة بقتله ، فضرب محمد سالم وهو من أجلاف سامانه السلطان بالسيف وتدحرج السلطان الجريح على جانب المركب ، وقال : ماذا فعلت يا علاء الدين يا سىء الحظ وظهر اختيار الدين هور ؛ وكان من ربائب نعمة السلطان فى الخلف ، ، وألقى السلطان على الأرض ، وقطع رأسه ، وقدمها لعلاء الدين ، ورفعوا رأس هذا المرحوم المظلوم على حربه فى كره ومانكبور (٢٠٩) وحملوها من هناك الى أوده ، وقتلوا عددا من خاصة السلطان الذين كانوا فى المركب ، ويروى عن الثقاة انه عند قدوم السلطان جلال الدين الى كره ، ذهب ملك علاء الدين الى الشيخ كرك مجذوب (٢١٠) وكان مدفونا فى قصبة كره ، وقدم لوازم الحاجة ، فأطل المجذوب وقال :

« كل من يقاتلك ، الرقس فى المركب والجسد فى الجانج »

المهم رفعوا مظلة السلطان جلال الدين على رأس ملك علاء الدين ، ولقبوه بالسلطان ، وأصيبت الجماعة التى قتلت السلطان جلال الدين

---

(٢٠٩) مانكبور .
(٢١٠) كرك مجذوب .

وكانوا رفاق ملك علاء الدين بالبلاء العظيم فى مدة وجيزة وهبطوا الى الدرك الأسفل وأصيب محمود بن سالم بالبرص بعد سنة واحدة ، وتيبس هندامه من الهم ، وجن اختيار الدين هور وكان يصيح وقت الاحتضار ويقول ان السيف فى يد السلطان جلال الدين وسيقطع رأسى ، وعلى الرغم من أن ملك علاء الدين كافر النعمة قد جلس على العرش فترة وهو منتصر وحقق أمله ، لم يهمله الزمان أيضا ، وكافأه ، ولم يبق اسم ورسم نسله فى الدنيا :

« ليس قصر الخالق خرافة ، وليست السماء والأرض بدون خالق »

« أيها الحكيم أنت فى فكر من أمر الأيام ، فان جزاء العمل قد تم »

وعندما وصل خبر شهادة السلطان جلال الدين الى ملك جب وكان على رأس جماعة من الجيش فعاد من هناك وتوجه الى دهلى ، وأجلست (٢١١) ملكة جهان حرم السلطان جلال الدين وكانت ناقصة العقل ابنها الصغير ركن الدين ابراهيم وكان فى بداية شبابه وعنفوان رجولته ولا يدرى شيئا عن أمور الحكم ، على العرش دون مشاورة أركان الدولة ، وجاءت من كيلوكهرى ودخلت دهلى ونزلت فى القصر الأخضر (٢١٢) وقسمت الأشغال والاقطاع بين الأمراء والملوك واستاء أركليخان وكان خليفة السلطان ولديه استعداد للسلطنة بمجرد سماع هذا الخبر ، وتوقف فى الملتان ولم يأت الى دهلى ، وتوجه ملك علاء الدين من كره الى دهلى فى نفس موسم المطر ، ووصل برحيل متواتر الى نهر جون ، وأغرى الناس بالمال والذهب ، فمالوا اليه جميعا ، ومحا تماما الحقد الذى كان قد استقر فى قلوبهم من قتل السلطان جلال الدين :

« ان كرم الشريف هو كيمياء للعيب ، السخاء دواء لجميع الآلام »

ويروى أن ملك علاء الدين كان يملأ المنجيق يوميا بالذهب ، ويوزعه على الجيش ، وكل من صار خادما له أمر له من عشرة الى عشرين أو من عشرة الى ثلاثين مما كان معمولا به فى ذلك الوقت ، واصطاد قلوب الخلائق :

« ينبغى لعظمتك أن تقيد القلب بالسخاء ، وتفتح الكيس المغلقة »٠

ويروى أنه عندما وصل الى بداون ، دخل ستون ألف فارس ومشاة جيشه ، والتحق أمراء وملوك جلالى (٢١٣) من كل ناحية بسبب الطمع

---

(٢١١) نشاز « أ » ص ٦٧ ، نشا ند « ك » ص ١٣٧ ٠

(٢١٢) كوشك سبز ٠

(٢١٣) أتباع السلطان جلال الدين خلجى ٠

فى الذهب وزيادة فى اكرام علاء الدين ، وأرسلت ملكه جهان بعد الخريف رسولا لاستدعاء أركليخان ، فاجابها : الآن انفلت الأمر عن الاصلاح : واستهزى ملك علاء الدين عند سماع هذا الخبر ، وعبر نهر جون من معبر كاتهر ، ونزل فى صحراء جود ، وصف ركن الدين ابراهيم أيضا جيشه فى مواجهته ، وتحرك حركة المذبوح ، وانفصل عنه اكثر أمراء جلالى ليلا والتحقوا بملك علاء الدين ، وعندما رأى ركن الدين ابراهيم ان الأمر فلت من يده ، اخذ أمه ، وحمل قدرا من الخزانة ، وسلك طريق الملتان بالاتفـاق مع ملك رجب وقطب الدين علوى ، واحمد جب وأولاد الجلال الآخرين ، وكانت مدة سلطنة السلطان جلال الدين سبع سنوات وعدة أشهر ٠

ذكر السلطان علاء الدين خلجى :

فى سنة ٦٩٥ هـ جلس على عرش دهلى ، ولقب الماس بيك خان بالغ خان (٢١٤) وملك نصرت جاليسرى (٢١٥) بنصرت خان ، وملك هزبر الدين بظفر خان ، وسنجر خسربوره أمير مجلسه بأليخان ورفع رفاقه الذين لم يكونوا أمراء الى درجة الامارة ، وزاد فى درجات ومقاطعات من كانوا أمراء ، وأعطى أعوانه وانصاره ذهبا كثيرا ، ليجددوا الجيوش ، ويجمعوا جيشا كبيرا ، ولما كان قد نزل فى صحراء سيرى فقد اقام معسكرا ، وجاء اكابر وأصاغر المدينة اليه وهنأوه ، وقدموا الخطبة والسكة ولوازم رسوم السلطنة ، ودخل ملك علاء الدين بكوكبة وابهة الملك الى المدينة ، وجلس على عرش السلطنة ، ولقب بالسلطان علاء الدين ، وجاء من هناك الى قصر الياقوت (٢١٦) واتخدها دارا للسلطنة ، وأقام الحفلات فى المدينة وعقد الأفراح ، ووزع الشراب فى الممالك ، وراج أمر اللعب واللهو وأسرف السلطان علاء الدين فى اللهو والطرب بسبب غرور قوته وعنفوان شبابه ، وجعل الناس مخلصين وتابعين له من كثرة الأنعام والاكرام ، ونال كل واحد اللقب والعمل ، وقسم الولايات والمقاطعـات ، ورفع خواجه (٢١٧) خطير وكان يشتهر بذاته الطيبة وصفاته الحسنة ، بمنصب الوزارة ولقب القاضى صدر الدين عارف الملقب بصدر جهان بلقب سيد اجل وشيخ الاسلام وأعطاه قضاء الممالك ، واقر منصب الخطابة لسيد أجل القديم وكان أيضا خطيب وشيخ الاسلام وعهد بديوان الانشـاء لعمدة

---

(٢١٤) الف خان « أ » ص ٦٨ ٠

(٢١٥) جليس « أ » ص ٦٨ ٠

(٢١٦) كوشك لعل ٠

(٢١٧) خفاجه « أ » ص ٦٨ ٠

الملك حميد الدين ، وخص ملك عز الدين ، وكان يتصف بالفضائل الصورية والمعنوية، بقربة ، وجعل نصرت خان وكان نائبا للممالك كوتوالا للمدينة، وعين ملك فخر الدين كوجى « دار وقمكى المدينة » (٢١٨) وصار ظفر خان عارضا للممالك ، ونال ملك اباجى جلالى « باخربيكى » (٢١٩) وملك هرن بار بنيابة باربكى (٢٢٠) وعين ملك علاء الدين عم ضيا برنى صاحب تاريخ فيروز شاهى على ولاية كره وأوده ، ونال ملك جوناى قديم نيابة وكيل البلاط ، ومؤيد الملك والد ضياء المذكور نيابة وسيادة قصبة برن ، وسلم الأملاك والأوقاف لأهل الاستحقاق ، ونظم الادارات الأخرى من أجل معيشتهم ، وأنعم على جميع الحشم فى هذه السنة بمرتب ستة أشهر ، وظهر على الناس النعيم والرفاهية ، واختفى قبح مقتل السلطان جلال الدين عن الأنظار ، ومن قلوب الناس ٠

بعد ذلك تمكن السلطان علاء الدين من عرش دهلى ، بمقتضى هذا المضمون :

« رأس وارث الملك على الجسد ، وقميص الفتنة على جسد الملك »

وفضل السلطان علاء الدين دفع أبناء السلطان جلال الدين الذين كانوا فى الملتان على جميع المهام وعين الغخان ، وظفر خان (٢٢١) مع أربعين ألف فارس على الملتان ، وتوجه الأمراء المذكورون وحاصروا الملتان ، وبعد شهرين طرد كوتوال المدينة وأعيانها أركليخان واخوته ، وخرجوا من المدينة ، ورأوا الغخان وطغرخان ، واضطر أبناء السلطان بوساطة الشيخ ركن الدين قدس الله سره أن يطلبوا الأمان من ألغ خان ، وقدم ألغ خان شرائط التعظيم ، وأقام لهم خيمة قرب خيمته ، وأرسل رسالة فتح الى دهلى ، وقرأوا هذه الرسالة فى دهلى على المنابر ، وعقد الأفراح ودقوا طبول النصر ، وعاد ألغ خان مع أبناء السلطان جلال الدين وأمرائهم وملوكهم الى دهلى وأثناء الطريق وصل نصرت خان الذى كان قد عين من دهلى لمرافقة ألغ خان ، وسمل عين أبناء السلطان جلال الدين وألغوا صهر السلطان جلال الدين وملك أحمد جب نائب أمير حاجب ، واستولى على أموالهم وحشمهم ، وحبس هذين الأميرين المظلومين فى هانسى (٢٢٢) واستشهد ولدا أركليخان ، وأحضر أحمد جب وحريم السلطان جلال الدين وأبنائه الى دهلى ، وحبسوهم ٠

---

(٢١٨) داروغكى : المسئول عن العسس وهو أيضا مختار القرية ٠

(٢١٩) تاجريكى « أ » ص ٦٨ ٠

(٢٢٠) يارسات تاريكى « أ » ص ٦٨ ٠

(٢٢١) مظفرخان « أ » ص ٦٨ ٠

(٢٢٢) مالس « ؤ » ص ٦٩ ٠

وفى السنة الثانية للجلوس ، تقلد نصرت خان الوزارة ، وطلب ملك علاء الدين من كره مع الأمراء والخزانة التى كانت هناك ، وعينه كوتوالا لدهلى وكانت بعهدة ملك الأمراء ، وشرع نصرت خان فى استرداد الأموال التى قسمها السلطان علاء الدين فى أول جلوسه بسبب مصلحة الملك على الأمراء الجلالية ، وأدخل مبالغ كثيرة فى الخزانة بهذه الوسيلة ، وفى نفس هذه السنة عبر جيش المغول نهر السند ، ودخل ولاية الهند ، فأرسل السلطان علاء الدين الغ خان طغرخان مع أمراء آخرين لدفعهم ، والتقى الفريقان فى نواحى جارميخور ، وبعد القتال وقعت الهزيمة على جيش المغول ، وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا جماعة ، وعندما وصل خبر الفتح الى دهلى دقوا الطبول وعقدوا الأفراح وأقاموا الحفلات ، وبعد ذلك قبض على أمراء جلالى الذين كانوا قد التحقوا بالسلطان علاء الدين من قبيل الغدر ونالوا الاقطاعات والأعمال ، وسملوا عيون البعض ، وحبسوا البعض الآخر فى القلاع البعيدة ، واستولوا على أموالهم وأمتعتهم وفرقوا أهاليهم ، ومن جملة أمراء جلالى الذين انقلبوا على أولاد السلطان ملك قطب الدين علوى وملك نصير الدين شحنه بيل وملك أمير جمال أبو قدر خان ، ولم يأخذوا شيئا من السلطان علاء الدين ، وظلوا فى مأمن ، ولم يلحقهم أذى وأدخل نصرت خـان الى الخزانة فى هذه السنة من هذه الأسباب خمسمائة الف (٢٢٣) .

وفى السنة الثالثة لجلوس السلطان ، أرسل الغ خان ونصرت خان بجيوش جرارة لمهاجمة الكجرات ، وانتهبوا نهرواله وجميع بلاد الكجرات ، وفر راى كرن حاكم نهرواله والتحق بوالى ديوكير بالدكن ، وسقطت نساؤه وبنته « ديولرانى نام » مع الخزانة والأفيـال وكل شىء فى يد الجيش ، وحمل الصنم الذى اتخذه البراهمة معبودا لهم بدلا من سومنات الذى حمله السلطان محمود (٢٢٤) الى دهلى ، وجعله تحت أقدام الناس ، وتوجه نصرت خان الى كنبايت،وأخذ من التجار الذين يقيمون هناك ولديهم أموال كثيرة الأموال والجواهر والنفائس الكثيرة ، وجعل كافور هزار ديناري الذى تعلق به خاطر السلطان علاء الدين ، نائبا للملك ، وكان قد أخذه ظلما من سيده ، وأرسلها الى السلطان ولما كان الغ خان ونصرت خان قد انتهبوا الكجرات ، فقد عادوا بغنائم كثيرة ، وأثناء العودة أخذ خمس الغنائم وغير ذلك لرجال الجيش بالشدة والتعذيب وجمعـا زيادة عن المطـلوب ، واتفق بعـض الأمـراء الذين يسـمون « بالمسـلمين

---

(٢٢٣) يك كرور : خمسمائة الف .

(٢٢٤) محمود الغزنوى .

الجدد » (٢٢٥) مع رجال آخرين تضرروا أيضا مما أخذ منهم ، واجتمعوا وهجموا على ملك عز الدين أخى نصرت خان وكان أمير حاجب (٢٢٦) ألغ خان ، وقتلوه ، ودخلوا خيمة ألغ خان ، وخرج ألغ خان من الطرف الثانى ، ووصلوا الى خيمة نصرت خان ، وكان ابن أخت السلطان علاء الدين نائما فى الخيمة ، وقتلوه ظنا منهم أنه ألغ خان ،وأسرع نصرت خان وجمع جمعه ، وقصد المتمردين ، وتفرقوا ، وتوجهوا الى الجوانب والأطراف ، وترك الغ خان ونصرت خان تتبع الغنائم ووصلا الى دهلى بما أحضَرَاه من أموال وأفيال وسائر الأمتعــة ، وقبض السلطان علاء الدين على أولاد وأتباع الأشخاص الذين سعوا فى هذه الفتنة ، وقتلهم ، وسلم نصرت خان نساء الأشخاص الذين سعوا فى قتل أخيه انتقــاما منهم الى الكناسين ، وأمر أن يضربوا الأطفال أمام النساء حتى يموتوا ، ولم يحدث من قبل فى دهلى أن عوقب أولاد أتباع أحد بذنبه ٠

فى هذه السنة جاء صارى نام مغول وأخــوه واســتوليا على سيوستان ، وعين ظفر خان بجيش جرار على سيوستان ، وحاصر ظفر خان سوستان ، وتم الفتح فى مدة قصيرة ، وأسر صلدى وأخاه مع أولاد وأتباع المغول الآخرين الذين كانوا برفقتهما ، ووضع الأغلال فى رقابهم ، وأرسلهم الى دهلى ، وفى أخر هذه السنة جاء قتلغ خواجه بن داود مع عدة آلاف مغولى الى الهندوستان من ما وراء النهر ، وعبر نهر السند ، ولما كان قد عزم الاستيلاء على الملك واستولى على القرى ، والقصبات الواقعة فى الطريق ، ولم يصبها بأذى لأنه تخيل أنها ضمن أملاكه ، ونزل فى ظاهر دهلى ، وحاصرها ، ولما كان الناس فى القصبات والأقاليم قد دخلوا المدينة خشية المغول ، ووصل الأمر الى درجة أنه لم يبق فى المساجد والمحلات والحارات والسوق مكان للجلوس والوقوف وتضايق الناس من الزحام وسدت منافذ مجىء الغلال والشراب ، وارتفع سعر كل شىء واستدعى السلطان علاء الدين الأمراء والملوك من الأطراف وأعد الجيش ، وخرج من المدينة بكوكبة وأبهة السلطنة ونزل فى سرى ، وترك ملك علاء الملك كوتوال دهلى للمحافظة على المدينة والخزائن وحراسة الحريم ، ويروى أن بعض الأمراء عرضوا أنه لما كان أمر الحرب خطيراً ٠٠٠ فانه ينبغى علاج الأمر بلطائف الحيل ، وينبغى ألا نصــل الى الحرب ٠

---

(٢٢٥) المغول الذين أسلموا فى عهد السلطان جلال الدين خلجى واستقروا فى مغولبور ٠

(٢٢٦) مير حاجب ٠

« اذا كان الفيل قويا والأسد هصورا فاقترابى من الصلح أفضل من الحرب » ٠

قال السلطان علاء الدين : لا ينبغى للسلطان أن يخشى الحرب :

« الشخص الذى يلبس تاج الملوك ، يضع رأسه بينكم » ٠

وليس التحصن لائقا بحال السلاطين واستعد للحرب ، ورفع لواء القتال ، واستعد قتلغ خواجه أيضا من ناحية الحرب وأبدى شجاعة وبطولة ، وهجم ظفر خان الذى كان على جيش الميمنة ، وعلى جيش المغول ، فأثار الهرج وأوقع الهزيمة وأصاب المغول بالهزيمة وتعقب طغرخان المغول لمسافة ثمانى عشرة فرسخا ، ولم يرافق ألغ خان وكان على جيش الميسرة ظغر خان بسبب العداء الذى يكنه لظفر خان ، وتركه وحيدا ، وفجأة رأى بعض أمراء المغول الذين كمنوا له فى الطريق لأنهم يعرفون أن ظغر خان يتقدم وحيدا ، ولا يأتى فى عقبه أى جيش للمساعدة والتفوا حوله وحاصروه وأصابوا جواده فى رجله ، فترجل وقاتل بشجاعة ، وكلما أراد قتلغ خواجه أسره حيا لا يتيسر له ، وأخيرا أمر أن يمطروه بالسهام ، وقتلوه ، وقتلوا أيضا الأمراء الآخرين الذين كانوا ضمن جيشه ولم يتقدم قتلغ خواجه فى ذلك اليوم أكثر من ثلاثين فرسخا خوفا من قوة الهنود ، وعاد الى ولايته سريعا ، وصار ظفر خان لشجاعته وبطولته مثلا بينهم ، حتى انه لو استغنى جواد عن الشراب قالوا ربما رأى ظفرخان ، واعتبر السلطان علاء الدين أن شهادة طغرخان فتح آخر لما كان يكنه له من غيرة لشجاعته ، وعاد من كيلى الى دهلى ، وأقام الأفراح والحفلات وانشغل باللهو والطرب :

ولما كانت السنة الثالثة للجلوس ، استقرت أكثر الأمور الملكية على قلب السلطان ، وعلى الرغم من كثرة حريمه لم يكن له أولاد ، ولم يبق هناك حياء (٢٢٧) فى الملك ، وتسللت الى خاطر السلطان أمور غريبة ودواع عجيبة ، من جملتها : هى انه لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أظهر الشريعة بقوته وشوكته ، وبلغت درجة التمام باعانة رفاقه الأربعة ، فانه لولا أيضا قوة ومساعدة رفاقى الأربعة وهم الغ خان ونصرت خان وظفر خان والى خان (٢٢٨) سأحدث أحداثا دينية فى الشريعة ، تجعل اسمى على صفحة الزمان حتى يوم القيامة ، وكان دائما يقول هذا فى مجلس الشراب والخلوة مع الأمراء والملوك ، وكان يسأل

---

(٢٢٧) شرمكى (١) ص ٧١ ، شريكى « ك » ص ١٤٤ ٠

(٢٢٨) انف خان « ١ » ص ٧١ ٠

ما هو الأسلوب والطريق الذى ينبغى أن تخترعه ويكون له اعتبار ومكانة عند أهل العالم من بعدنا ، ثانيا : من الأفكار الباطلة التى كانت تجول بخاطره عند مشاهدة الأموال والخزائن والحشم وأمثال ذلك انه ترك دهلى لأحد ثقاته وانشغل بنفسه مثل الاسكندر الرومى فى تسخير أقاليم الربع المسكون ، وأمر أن يدعو فى الخطبة الاسكندر الثانى ، وكتبوا على السكة أيضا مثل هذا ، وصدقه ندماء ورفاق مجلسه حديثه الواهى خوفا من طبعه الخشن ومزاجه القاسى ، وكانوا يثنون على علو همته وارتفاع مقداره ، وكان ملك علاء الدين كوتوال دهلى مخلصا يذهب فى غرة الشهر للسلام ، ودخل فى مجلس الشراب ووصلت النوبة على الرسم المعتاد الى السلطان ، وصار نديم المجلس ، وطلب السلطان منه المشورة فى أمرين ، وقدم علاء الملك حديثا موزونا وحكايات مقبولة وأرضى خاطر السلطان بمقدمات عقلية ونقلية ، من أنه من الأولى ترك أحداث الشريعة ، ونتيجة هذه الرغبة هو خراب للملك والسلطنة ٠

« أنت عندى أفضل من الشخص الذى يقول فلان شوك فى طريقك »

قال : السلطان علاء الدين بعد فكر طويل وتأمل ما قلته كله صواب وموافق لنفسى ، وينبغى ألا يصدر منى بعد ذلك حديث فى هذه الناحية لكن ماذا تقول فى الأمر الثانى هل هو خطأ أم صواب ؟ قال ملك علاء الملك : ان الهدف الذى يسعى اليه السلطان لعلو همته قد سعى اليه حكام سابقون أيضا ، ويستطيع مولاى بقوته وشجاعته وقوة حشمه وخزائنه أن يستولى على أقاليم الربع المسكون (٢٢٩) ولكن طالما أن السلطان يخرج من دهلى ويدخل الممالك الغربية ، ويبقى مدة هناك ، وينيب من يشاء فى غيبته ، ويعود بعد ذلك الى دهلى أو اقليم آخر يريده والشخص الذى يتركه نيابة عنه فليس معلوما أن تعود هذه الأقاليم منقادة وطائعة لهم ، ولا يمكن قياس هذا الزمان بزمان الاسكندر ، لأنه فى ذلك الزمان كان الغدر والمكر ونقض العهد أقل ، ولم ينقض الناس ذلك العهد الذى اتخذوه بسبب بعد المكان أو انقراض الزمان ، وكان للاسكندر وزير مثل أرسطاطاليس (٢٣٠) الذى كان يعتقد العوام والخواص لمملكة الروم بكل ما لديها من اتساع بعدم جدوى الحشم والخزائن فى الاستيلاء على الأقاليم الأخرى بالقياس مع قوة فكره ورأيه الصائب طوال مدة غيبته (الأسكندر)

---

(٢٢٩) الربع المسكون وهى الأرض كلها وبالأحرى اليابسة لأنها تعادل ٢٩٪ من الأراضى أى ما يعادل ربع الأرض

(٢٣٠) أرطسطاليس « أ » ص ٧٢ ٠

لمدة اثنتين وثلاثين سنة لم يحدث قط فى ملك الروم بسبب تدبير هذا الحكيم ، واطاعة أهل الروم ، ولو اعتمد السلطان أيضا على أمرائه ورعاياه بمثل هذا القدر الذى اعتمد عليه الاسكندر ، فهذه العزيمة التى تجول بخاطره عين الصـواب وخلافها مناف لطريق السداد ، قال السلطان لعلاء الملك بعد تأمل صادق : « اذا وجدت هـذه المواقع التى قلتهـا لا أسعى فى فتح العالم ، واقنع بملك دهلى ، فماذا أفعل بهذا الحشم والخزائن التى لدى ؟ وما فائدة هذا ، وليس اسم « فاتح العالم » هو فقط مطلبى ، فكيف أحقق هذا ؟ .

قبل ملك علاء الملك الأرض بين يديه ورد عليـه قائـلا : ان أمام السلطان بالفعل أمرين مهمين فلو اهتم باعداد الحشم والخزائن يستطيع أن يقدم بهذا العمل ، أولها : تسخير بعض بلاد الهندوستان مثل رنتهبور وجتهور وجنديرى ومالوه والجانب الشرقى حتى نهر أوده وسرو وسوالك حتى نهر عمان ، وطالما أن هذه الديار ملجأ للمتمردين وكهف اللصوص فالأفضل تسخيرها لتتطهر بلاد الهندوسان من جميع المفاسد والخلل ، والأمر المهم الثانى هو سد باب المغول فانه ينبغى تحصين واحكام القلاع التى تقع جهة دخول المغول (٢٣١) مثل ديبالبور والملتان وسامانه ، وبعد أن يتم السلطان هذين الأمرين المهمين سيكون متيسرا للسلطان أن يرتاح خاطره فى دار الملك دهلى ، ويرسل المماليك المخلصين بالجيوش القوية الى الأطراف والاكتاف ، حتى يتم الاستيلاء على الأقاليم البعيدة ، وبهذا يتحقق فى الآفاق اسم « فاتح العالم » وصيت « عالم ستانى خداوند جهان » ، والوقت الآن ميسر لأن يقلع السلطان عن الأفراط فى الشراب ، ويداوم على الصيد والاستغراق فى اللهو » ، وبمجرد أن سمع السلطان علاء الدين الكلمات المذكورة ، أثنى على رأيه الصائب وحسن تدبيره واستحسن قوله ، وأنعم عليه بلباس موشى بالذهب على شكل أسـد وحزام قيم ، وعشرة آلاف تنكه ، وجوادين بسرج ولجام مرصع ، وقريتين وسر الأمراء الآخرون الذين كانوا فى هذا المجلس من كلام ملك علاء الملك وارسل كل واحد منهم عـدة آلاف تنـكه وجـوادين الى علاء الملك ، واستحسنوا حسن رأيه .

ولما كانت رنتهبور قرب دهلى ، وهميرديو حفيد بتهوره مسيطرا عليها سيطرة تامة ، ففضل السلطان علاء الدين تسخير رنتهبور (٢٣٢)

---

(٢٣١) وردت مغل ومغال ومغول .

(٢٣٢) ونتهبور « ١ » ص ٧٢ .

واستدعى ألغ خان حاكم سمانه ، وأرسله اليها وأرسل نصرت خان حاكم كره أيضا لمساعدته ، وذهب ، وأسر جهاين ، وحاصر قلعة رنتهبور ، وسعى للسيطرة عليها ، وتصادف أن أصاب حجر من داخل القلعة نصرت خان وقتله ، وعند سماع هذا الخبر توجه السلطان علاء الدين الى رنتهبور وعندما وصل تلهيت (٢٣٣) أقام هناك عدة أيام وكان يتجول يوميا فى الصحراء ويصطاد « قمرغه » (٢٣٤) وذات يوم ذهب السلطان للصيد ، وعندما حل الفجر لم يستطع أن يلتحق بالمعسكر وظل بالخارج ، وفى اليوم التالى وقبل طلوع الشمس أمر أن ينشغل الناس بالقمرغة وصعد بنفسه مع عدة أشخاص على ربوة فى زاوية ، وكلما تهيأ الصيد ، يصطاد وفجأة توجه اكتخان ابن أخى السلطان علاء الدين ، وكان وكيلا للبلاط مع عدة فرسان من المسلمين الجدد الذين كانوا مماليك فى مقاطعته القديمة وقصد السلطان ، ولما كان السلطان فى مرمى السهم ، نزل السلطان من الربوة الى أسفل ، واتخذ الربوة درعا ، وأصابه سهمان فى ساعده ، وأراد اكتخان أن ينزل من فوق جواده ، ليفصل رأس السلطان عن جسده فأسرع جماعة الخدم الذين كانوا حول السلطان وبايعوه ، وقالوا ان أمر السلطان قد انتهى تماما ، واكتفى اكتخان بقوله (٢٣٥) وأسرع الى المعسكر ، ودخل خيمة السلطان راكبا ، وجلس على العرش ، ورفع صوته : « اننى قتلت السلطان ، وظن الناس ، أن ما يقوله صدق ، فجاء كل شخص الى مكانه ودرجته ووقفوا عنده ليهنئوه ويبايعوه ، وصاح النقباء ، وقرأ المقرءوون القرآن ، وأخذ المطربون فى الغناء ، وكان اكتخان شابا متهورا ، أراد أن يدخل فى ساعته الى الحريم ، وكان ملك دينار حرس يجلس مع جماعته مسلحا ومستعدا على باب الحرم ، فلم يدعه ، قال لن أدعك تمر فى الحرم ما دام رأس السلطان لم تظهر وعندما أفاق السلطان علاء الدين ضمد جراحه ، وأدرك أن اكتخان قد فعل ذلك بالاتفاق مع الأمراء وأراد أن يذهب الى ألغ خان فى جهاين مع الخمسين شخصا الذين بقوا معه ، واتفق معه على ما ينبغى عمله ، فمنع ملك حميد الدين نائب وكيل البلاط وابن عمدة الملك وكان من علماء (٢٣٦) هذا العصر ؛ السلطان من الذهاب ، وقال : ينبغى أن

---

(٢٣٣) بتهلتى « أ » ص ٧٢ .

(٢٣٤) قمرغه طريقة مغولية فى الصيد ، تعتمد على الالتفاف حول منطقة الصيد وتضيق الدائرة بالتدريج على الحيوان ويتم الصيد داخل الدائرة .

(٢٣٥) بقول أو « ك » ص ١٤٨ .

(٢٣٦) دانايان « ك » ص ١٤٨ ، رايان « أ » ص ٧٣ .

تذهب فى هذه الساعة الى خيمتك ، فأمره لم يستقم بعد ، ورجال الجيش عندما يرون المظلة السلطانية ، سيسرعون جميعا الى السلطان ، ويرافقوه ولو جرى تأخير فى هذا المجال فانه سيصعب تدارك هـذا ، وركب السلطان من ساعته ، وأسرع الى خيمته ، وكلما رآه فارس فى الطريق التحق به وعندما وصل الى المعسكر اجتمع حوله خمسمائة شخص ، وعندما اقترب من الجيش ، صعد على ربوة ، وأظهر نفسه ، فاضطرب مجلس اكتخان وأسرع كل واحد الى السلطان ، وركب اكتخان ، وفر من طريق افغانبور ، ونزل السلطان من فوق الربوة ، ودخل المعسكر ، وجلس على العرش ، وأعلن العفو العام ، وأرسـل ملك عزيز الدين تقلغخان وملك نصير الدين نورخان لتعقب اكتخان ، ووصـلا اليـه فى افغانبور ، فقطعا رأسـه ، وأحضروها الى السـلطان ، وأظهـروها للجيش :

« هراء أن تتكىء على تكية العظماء ، مالم تكن مهيأ لأسباب العظمة » .

وقتل السلطان أخاه المسمى بقتلغخان مع جماعة من خاصته ، وحبس البعض ، وأرسلهم الى القلاع ، وتوجه من هناك الى رنتهبور ، وحاصر القلعة ، واهتم باعداد لوازم الحصار ، وشمر عن ساعد الهمة لتسخيرها .

فى تلك الأثناء وصل الخبر أن عمر خان ومنكوخان وكانا ولدى أخى السلطان قد بغيا فى بداون فأرسل السلطان بعض الأمراء اليهما ، فذهب الأمراء ، وأسروهما ، وأحضروهما عند السلطان فسمل عينيى كليهما ، واستولى على أموالهما .

« اذا خرجت على ولى النعمة ، فان الفلك سيدور »

بعد ذلك انتهز حاجى مولا (٢٣٧) وهو شخص من خاصة خيالة ملك الأمراء كوتوال ، فرصة حصار رنتهبور ، واتفق مع بعض سىء الحظ على اثارة الفتنة فى دهلى ، وسبج فرمانا كاذبا ودخل من بوابة بداون الى المدينة ، وأخبر كوتوالها انه جاء بفرمان من السلطان بأن تخرج لأتحدث معك عنه وعندما خرج ترمدى كوتوال من المنزل أشار حاجى مولا لهذه الفئة الباغية التى معه ؛ ليقتلوه فى الحال ، وأظهر للناس اننى جئت بفرمان لقتله ، وأمر حراس الأبواب ليغلقوا أبواب المدينة ، وأرسل شخصا الى علاء الدين اياز كوتوال القلعة الجديدة (٢٣٨) ، من أنه جاء

---

(٢٣٧) جامى مولا « ١ » ص ٧٤ .

(٢٣٨) حصار نو .

يفرمان السلطان وأن يأتى من ساعته ويقرأ مضمونه ، وكان علاء الدين اياز مدركا غدره ، فجمع جماعته ، وأحكم أبواب القلعة ، وجاء حاجى مولا بهذه الجماعة الى قصر اليـاقوت ، وأطلق سراح المسـجونين ، وجعلهم برفقته ، وقسم الجياد والأسلحة والخزانة التى كانت هناك على هذه الجماعة التى دخلت معه وأحضر بالقوة علوى ؛ الذى يسمونه شاه نيسه محتسب » ، وهو يتصل بالسلطان شمس الدين من ناحية الأم ، وأجلسه على العرش فى قصر الياقوت ، واستدعى الأكابر والصـدور بالقوة وكلفهم بأن يبايعوه ، وعندما وصل هذا الخبر الى السـلطان لم يذعه ، وسعى أكثر للاستيلاء على القلعة ، ولم يترك مكانه ، ولم يكد يمر أسبوع على هـذا حتى فتح ملك حميـد الدين اميركو مع أولاده المشهورين بالشجاعة بوابة بداون ، ورافقه جماعة من فرسان طفرخان الذين كانوا قد جاءوا من أمروهه بالصدفة ، ووقعت المعركة بينهم وبين حاجى مولا بالقرب من بوابة هندركال (٢٣٩) ونزل أميركو عن الجواد ، وتعلق بحاجى مولا ، وأوقعه تحته ، وعلى الرغم من وجود طعنات وصلت اليه لم يدع المدعى الا مقتولا ، وبعد ذلك دخلوا قصر الياقوت وقتلوا علوى هذا الذى كان قد أجلسه حاجى مولا على العرش ، ووضعوا رأسه على حربة ، وداروا به فى المدينة ، وأرسلوا هذه الرأس مع رسـالة فتح الى السلطان ، وأرسل السلطان على الدين ألغ خان الى دهلى ليقتل اهل الفتنة ، وقتل أيضا ملك الأمراء الكوتوال القديم لأن حاجى مولا كان من خاصة خيالته على الرغم من انه لم يكن له دخل فى الفتنة ، وصادر أمواله ٠

بعد ذلك استولى السلطان علاء الدين بمشقة بالغة على قلعـة رنتهبور ، وقتل راى همير ديو وأهله وقبيلته ، ويقال أن مير محمد شه وجماعته الباغية ؛ الذين فروا من جالور ولجأوا الى قلعة رنتهبور ؛ قد قتل أكثرهم فى فتح القلعة ، وكان مير محمد شه جريحـا ، وعندما وقع نظر السلطان عليه ، فأشفق عليه وقال لو عالجتك ونجيتك من هذا الهلاك ، كيف سيكون سلوكك بعد ذلك ؟ فأجابه : « اذا استرددت صحتى ، ساقتلك ، وأرفع ابن همير ديو على السلطنة » :

« لا تكن وفيا مع هذا الشخص الخسيس ، فان الأصل السىء لا يخطو الا فى الخطأ » ٠

فأمر السلطان أن يضعوه تحت أقدام فيل « مست » وبعد فترة

(٢٣٩) هندردركال « أ » ص ٧٤ ٠ ٠

تذكر وفاءه لمولى نعمته ، فأمر بتكفينه ودفنه ، المهم أقطع السلطان علاء الدين قلعة رنتهبور ونواحيها لألغ خان ، وتوجه الى دهلى ، وبعد ذلك مرض الغ خان ، وتوفى فى الطريق ·

وبسبب كثرة الحوادث والفتن التى وقعت فى تلك الأيام من أمراء كبار يتصفون بالتجربة والعلم سأل السلطان علاء الدين عن السبب الذى يحدث هذه الفتنة المتوالية والحوادث المتعاقبة ، وكيف يمكن تداركها ؟ قال الأمراء : السبب لا يمكن أن يخرج عن أربعة أشـياء **أولها** : جهل السلطان بخير وشر أحوال الناس ، **ثانيها** : تناول الشراب لأن الناس عندما يشربون ، تتحرك فيهم الطباع السيئة ، وتتولد الفتن ، **ثالثها** : صداقة وقرابة واتفاق الأمراء مع بعضهم البعض ، **رابعا** : الذهب لأنه عندما يقع فى يد الأراذل والمتهورين ، يسلك التفكير الفاسد ، والخيال الباطل الى عقولهم ، واستصوب السلطان علاء الدين رأى الأمراء ، وضم كل قرية كانت بمثابة وقف أو انعام أو ملك شخص الى الخالصة (٢٤٠) وكل شخص كان لديه ذهب استولى عليه بكل ذريعة يعرفها ويقدر عليها ، وادخله الخزانة ، واضطر الناس الى السعى لتحصيل رزقهم ، ولم يرد اسم الفتنة والفساد على لسـانهم ، وعين فى كل مكان وحارة ومنزل الجواسيس وبالغ فى هذه الناحية الى درجة انه لم يكن ميسرا للأمراء وارباب الدولة الاختلاط ببعضهم أو الذهاب الى منازلهم ، وأمر بجميع أدوات المجلس السلطانى الخاصة والتى كانت تتكلف كثيرا بان يحطموها أمام بوابة بداون ، ويصبون الشراب ، ليعلم الناس بمنع الشراب ، ونادى المنادى فى المدينة وأرسل أحكاما وفرامانات فى مجـال منع الشراب الى الأطراف ، ولما كانت جماعة الفجرة والفساق (٢٤١) قد اعتادوا شرب الخمر ولم يستطيعوا أن يكفوا عنه ، وكانوا يتناولون الشراب بكل حيلة وتدبير فكان يتخفى البعض فى منازلهم ، وعندما أطلع السلطان على هذه الخصوصيات ، أمر أن يحفروا بئرا قرب بوابة بداون تحت ممر الناس ، لكى يسجن هؤلاء القوم فيه ، وظل اكثرهم فى الحبس حتى مات ، والبعض الذين بقوا احياء ظلوا يعالجونهم ويداووهم فترة ، وبعد ذلك قضى تماما على عادة شرب الخمر بين الناس ، واستقام هذا الأمر ، وسمح السلطان بالا يؤاخذ اى من الأعيان الذى يشرب فى منزله وحده ولا يعمل مجلسا ، وأعطى أمرا بالا يضيف أو يضاف الأمـراء وسائر الأعيـان بعضهما البعض فى منازلهم ، والا يعقدوا العقود بدون اذن السلطان ·

---

(٢٤٠) خالصه : هى أرض تابعة للسلطان ·

(٢٤١) لوند وبى قيد « ١ » ص ٧٤ ·

وبالغ فى هذا المجال لدرجة أن قضى على أسلوب الاختلاط بين الناس ، وسلك الأمراء فيما بينهم سلوكا غريبـا ٠

بعد استحكام القواعد السابقة ، أراد أن يقر عدة قواعد أيضا فى البلاد ، لكى يسوى ما بين الرعايا القوى والضعيف ، ويقلل من تسلط المقدم والجودهرى (٢٤٢) على الرعية ، وأمر أن يسترد نصف المحصول بلا تأخير طبقا للمساحة ، ويساوى بين المقدم وجودهرى وسائر الرعايا والا يلقى حمل الأقوياء على الضعفاء ، وأن يدخل فى الخزانة كل ما سبق تحصيله ، ووزع المراعى أيضا بحساب البقرة والجاموس والخراف ، وتشدد فى أمر العمال وأهل القلم بكل ما لديه من شـدة ، لدرجـة أنه لم يتيسر لأحدهما الاستيلاء على جيتل خيانة ، واذا استولى على شىء من الدخل تخـرج ورقة « بتوارى » (٢٤٣) باسمه وما فعله ، فيسـترد منه فى ساعته بالشدة والاهانة وكان الأهالى يعتبرون أن ترك أمر العمل والكتابة عيب ، وكان عمل المقدمين والجود هريين يستلزم أن يدوروا دائما راكبين ، ومرتديين للأسلحة والملابس النفيسة ، ووصل الأمر لدرجة أن نساءهم عملوا فى منازل الأهالى ، وكانوا يصرفون ما يأخذونه من أجر فى قوتهم ، وكان السلطان علاء الدين يقول أحيانا ان أحكام وضوابط السلطنة تتعلق بالملوك ، ولا دخل لها فى الشريعة ، وفض الخصومات ، وفصل القضايا وطرق العبادات أمر يخص القضاء والعلماء ، ولهذا كان كل ما يتصوره فى ذهنه أنه اصلاح للملك يفعله ، ولا ينظر عما اذا كان مشروعا أو غير مشروع ، وأبعد من العلماء عن مائدته القاضى ضياء الدين بيانه ومولانا ظهير لنك ومولانا مشيد كهـرامى (٢٤٤) مع الأمـراء ما عدا القاضى مغيث الدين بيانه الذى اتخذ مكانه فى مجلس السلطان الخاص ، وذات يوم قال له السلطان : أريد أن أسالك عدة مسائل ، فاجابه القاضى : مغيث الدين ، غالبا اقترب أجلى حتى لو عرضت ما هو فى كتب الشريعة ربما لا يوافق رأى السلطان ! ، قال السلطان : قل ما تراه حقا فلن تؤاخذ عليه ، وسال أولا : هل يمكن القول أن أى هندوسى ذمى وعليه دفع الخراج فى شريعتنا ؟ فأجابه القاضى : طالما أن محصل السلطان يأخذ منه المال والخراج ويدفعها بتواضع دون مضايقة ، وأما اذا صدر

---

(٢٤٢) مقدم رئيس القرية وهو عادة مسلم ويعاونه « جودهرى » (ماجمدار : تاريخ الهند ص ٥٥٨) ٠

(٢٤٣) بتوارى : المحاسب (شتمرى : نظرة على الثقافة الاسلامية فى الهند جـ ١ ص ١٠٢) ٠

(٢٤٤) مسند كرامى « أ » ص ٧٦ ٠

منه اهانة للمحصل مما يسبب له النفور والمضايقة فانه يكون قد دخل في شأن الكفار « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٤٥) وفى مجالهم يأمر علماء الدين اما القتال أو الاسلام ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم ناطق أيضا بهذا ، الا أن الامام الأعظم أبو حنيفة (٢٤٦) رحمة الله عليه يعتبر أخذ الجزية فى محل قتلهم ، ونهى عن اهراق (٢٤٧) دمائهم ولكنه طلب أن تأخذ الجزية والخراج منهم بشدة ، لأنها تحل محل القتل ، فضحك السلطان وقال : ما قلته هو أمر الكتاب ، واننى أعتقد فى اجتهادك ، وموافق على أن نسلك هذا السلوك مع الهندوس ، وعاد فسأل : العمال (٢٤٨) يأخذون الرشوة ، ويجمعون كثيرا ، هل يمكن اعتبار هذا قسما من اللصوصية ، ويكون عليهم عقاب السرقة (٢٤٩) وأجاب القاضى : اذا كان يصل الى العمال من بيت المال ما يكفيهم فان ما يستولون عليه زيادة عن ذلك هو رشوة ، وينبغى أن يسترد منهم بكل شدة وتعذيب يكون ميسرا ، أما قطع اليد الخاص بسرقة المال الحلال لا يمكن تنفيذه فيهم ، قال السلطان أعلم أنه منذ أن اهتممت بهذا المجال وكل شخص استولى على شيء من قبيل الخيانة ، أعاده خوفا من الشدة والقسوة التى يمكن أن تحدث له ، وأغلق باب الخيانة والسرقة ، وقصرت يد سيطرة الطماعين ، وسأل السلطان ثانية : هذا المال الذى كنت قد أحضرته من ديوكير أيام الملك (٢٥٠) هل لى أم لبيت المال ؟ قال القاضى : طالما أن السلطان استولى على هذا المال بسعى قوة الجيش فمن ثم فان جميع رجال الجيش شركاء وهذا المال لبيت المال وليس خاصا بالسلطان ، فغضب السلطان وقال : المال الذى استوليت عليه بمشقة تامة أيام ملكى ولم أدخله خزانة السلطان فى ذلك الوقت ، كيف يمكن اعتبار هذا المال لبيت المال ؟ أجابه القاضى : المال الذى استولى عليه السلطان وحده ، وليس من كسبى وتحصيل واعانة الحشم ، فهذا يكون مالا خاصا للسلطان ، أما المال الذى أحضره السلطان من ديوكير ليس من هذا القبيل ، بعد ذلك قام القاضى معتذرا ، اننى مملوك للسلطان وأعرض ما يخالف كتب الشريعة ، فهل بدا للسلطان كذبى فى موضع ما مما يسبب زيادة فى غضب

---

(٢٤٥) التوبة ٢٩ .

(٢٤٦) امام أعظم حنفى .

(٢٤٧) احراق « أ » ص ٧٦ .

(٢٤٨) الولاة والموظفون .

(٢٤٩) ورد فى « أ » اننى أعتقد فى اجتهادك وموافق على أن أسلكه مع الهندوس » ص ٧٦ .

(٢٥٠) يقصد أيام كان « ملكا » قبل أن يرتقى العرش .

السلطان ؟ وكيف يكون قدرى عند السلطان اذا وصمنى بالخيانة ؟ فسأل السلطان ثانية ، ما حقى وحق تابعى فى بيت المال ، فاستاء القاضى وقال : ان أردت ما يوافق الشريعة فلن يتوانى السلطان فى قتلى ، واذا نافقت وداهنت فاننى سأصبح أسيرا لوبال الأبد ، قال السلطان قل ما هو حق ولن تؤاخذ عليه ، قال القاضى : اذا حكم السلطان بالتقوى ، وسلك طريق الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، ويدع أحد تابعيه بالسيطرة اذا رعى التوسط ، ولا يعط أحد الأمراء المشاهير زيادة أكثر من الآخرين من بيت المال ، واذا حكم بمقتضى موافقة علماء الدين الذين يتمسكون فى هذا الوقت بروايات ضعيفة ، ويتحدثون بلسان طيب مع السلاطين ، فينبغى أن يحصل الأمراء الآخرون نفقة تعادلهم ، ولا يجوز التصرف فى بيت المال اكثر من هذا على أى وجهة قط ، قال السلطان غاضبا ، هل تقول ان هذا المال الذى أنعم به على حريمى وأنفق منه على المصانع وجميع المجالات غير مشروع ؟ قال القاضى : طالما سألنى السلطان عن مسألة الشرع فمن الواجب أن أعرض ما يوافق كتب الشريعة ، ولو استفسرت عن المصلحة الملكية فسوف أجيب على ما يريده السلطان وكل ما هو صواب ومطابق لقواعد وقوانين الحكم ، بل ان كل ما يزيد من شوكة وعظمة السلطان ، وهذا الأمر متضمن لأقسام الفوائد الملكية ، قال السلطان بعد ذلك اننى لم أعرض الجواد الذى استرددته منذ ثلاث سنوات ، وأعمل السيف فى أهل البغى والفتنة مع أولادهم وأتباعهم ، وأدخل أموالهم مهما كانت فى الخزانة ، وأصادر أملاكهم ، وأخترع عقوبات أخرى لمعاقبة اللصوص ومدمنى الخمر وأهل الزنا ، فهل تقول ان هذا كله غير مشروع ؟ فقام القاضى من المجلس ، وابتعد ووضع رأسه على الأرض ، وقال كلها غير مشروعة ، فنهض السلطان غاضبا ، ودخل الحرم :

« عندما تقدم الحديث الصدق ، فناصر قولك هو الله »

وفى اليوم التالى طلب القاضى مغيث الدين (٢٥١) ولاطفه كثيرا ، وأنعم عليه بحلة وألف تنكه وقال أنا مسلم لكن كل هذه الشدة والعنف اللذين يظهران منى من أجل صلاح الملك ولا أعلم ماذا سيحدث لى غدا يوم القيامة ؟ .

بعد فترة قاد الجيش الى جتور ، وفتحها فى مدة قصيرة ، وعاد الى دهلى ، ولما كان الخبر قد وصل الى ما وراء النهر من أن السلطان علاء الدين يحاصر قلعة بعيدة ، وسيظل فترة هناك وتوجه طرغى مغول

---

(٢٥١) مغيث « ١ » ص ٧٧ .

السابق ذكره بجيش جرار لنهب الهندوستان ، ونزل على شاطىء نهر جون قرب دهلى ، وكان السلطان قد انتهى من فتح جتور منذ شهر وجاء الى دهلى ، ولما كان خلاصة السلطان قد ذهب لتسخير ارنكل (٢٥٢) أقصى الدكن وكان أكثر الأمراء الكبار قد توجهوا الى مقاطعاتهم بعد فتح رنتهبور ، وكان الجيش الذى فى ركاب السلطان قد صار بلا أمتعة بسبب المطر وطول السفر ، وخرج السلطان من دهلى بسبب اضطراب الجماعة التى معه ، ونزل فى سرى ، وتحصن الجيش بالخندق والأشواك وسائر أدوات المحافظة وانتظر بعض الأمراء الذين استدعاهم من الأطراف ، ولما كان المغول قد نزلوا فى نواحى دهلى ، واستولى على الأطراف المجاورة لهم ، لم يستطع الأمراء الوصول الى السلطان ، وتوقف بعضهم فى كول والبعض فى برن ، وعندما مر شهران على هذا ، عاد طرغى بدون سبب واضح ، وظن اهالى دهلى أن هذا بسبب عناية الشيخ نظام الدين قدس سره الذى يعددون كراماته ويقال أن الخوف الذى سيطر على طرغى جعله يضطرب ويعود .

وبعد ذلك اتخذ « سرى » دارا للملك ، وبنى عمارة عالية ، وعمر قلعة دهلى ، وجدد القلاع التى يدخل فيها المغول ، وأراد أن يرعى الجيش الكافى بقدر ما يستطيع حكم ممالك الهندوسان وما فى عهدة المغول ، ولم تكن الخزانة التى لديه تفى بهذا القدر من الجيش ، واستشار الوزراء أصحاب الفكر والأمراء المجربين فى هذا المال : قالوا : لو أن الجياد والأسلحة وسائر الات الجيش تكون موقوفة على الحشم ، والغلة وسائر ما يحتاج اليه يكون للعامة الحق فى تدبيرها وبذلك يتيسر تحقيق رغبة السلطان ويحقق الجيش بأقل ما لديه عهدة مؤنته بسبب غلاء الأشياء وبعد ذلك اقر السلطان بالاتفاق مع الوزراء علماء عصره عدة ضوابط فى هذا المجال لكى يتحقق بهذه الضوابط جميعا أسباب المعيشة ، **الضابطة الأولى : هى** أن أمر السلطان هو الذى يحدد سعر الغلة ، ولا دخل لأهل السوق فى تحديد سعر الغلة ، وما تقرر فى هذا المجال كان ، القمح : المن (٢٥٣) سبعة ونصف جيتل (٢٥٤) : الشعير : المن أربعة جيتل ، العدس المن : خمسة جيتل ، الماس (٢٥٥) المن خمسة جيتل ، الشالى (٢٥٦)

---

(٢٥٢) ارتكل .

(٢٥٣) نوع من المكاييل .

(٢٥٤) نوع من العملة .

(٢٥٥) حبوب تشبه العدس .

(٢٥٦) أرز غير مقشور .

المن خمسة جيتل ، الموت (٢٥٧) المن ثلاثة جيتل ، واستقامت هذه الأسعار حتى آخر أيام السلطان علاء الدين ، ولم يحدث تراخ بسبب امســاك المطر وسائر أسباب القحط فى هذا المجال ، **الضابطة الثانية** ، هى أنه جعل ملك قبول ألغ خان وكان رجلا عادلا وصاحب شوكة. شحنة بازار غله » (٢٥٨) ويسمى بلغة الهنود ، مندوى ، ينفذ السعر الذى أقره السلطان ، ويجعله موافقا للبيع والشراء ، **الضابطة الثالثة** هى أنه أمر أن يجمعوا من « خالصات سلطانى » (٢٥٩) ما هو حصة السلطان غلة ، ويخزنوه فى القصبات حتى اذا حدث عجز فى غلة السوق يبيعون غلال السلطان بالسعر الذى يحدده ، **الضابطة الرابعة :** هى أنه أمر ملك قبول أن يطلب الغلال من أطراف الممالك ، ويجعلها على شاطىء نهر جون حتى تصل الغلال من الأطراف ، ويبيعونها فى سوق دهلى بالسعر الســلطانى وأخذ منهم تعهدا فى هذا المجال ، **الضابطة الخامسة** ، كانت منع الاحتكار ادرجة أنه لو ظهر أن أحداً احتكر الجنود أو الرعية فانهم كانوا يدخلون هذه الغلة ضمن غلال السلطان ، ويصادرون هذا الشخص ، **الضابطة السادسة** ، أمر الرعايا أن يبيعوا الغلال التى يزرعونها ولا يحملون حبة واحدة الى منازلهم ، وأصدر أمرا للعمال (٢٦٠) أيضا أن يحصلوا من الرعية النوع الذى يزرعونه ، ويدفعون ثمن ما يبيعونه ، ولا يحملون غير حصتهم الى المنزل ، ولا يبدون احتكاراً ٠ **الضابطة السابعة** هى أن يعرض على السلطان يوميا خبر سعر الغلة وسائر معاملات مندوى(٢٦١) بالتفصيل ، ولو حدث تقصير قليل فى هذه الضابطة التى تم اقرارها فان المتصديين كانوا يعاقبون المندوى وعماله ، وكان يأمر فى أيام امســاك الأمطار أن يشترى كل شخص حسب عدد جماعته الغلة من المندوى ، ولا يسمح لأى شخص ابتياع أكثر من قدر الضرورة اليومية ، وعين الموكلين بهذا الأمر ، وأمر بالتشديد ، وكان العيون يعرضون على السلطان خفية خصوصيات هذه الأمور وكان يتنازلون عن نصف جيتل فى الســعر السلطانى للشخص غير القادر ٠

ومن أجل خفض سعر القماش وضع عدة ضوابط أيضا، **أولها :** أنه أقام قرب بوابة بداون قصرا واسعا ، أسماه قصر العدل (٢٦٢) وأمر

(٢٥٧) نوع من الحبوب ٠

(٢٥٨) المسئول عن السوق : محافظ ، مختار ٠

(٢٥٩) الأرض الخالصة للسلطان ٠

(٢٦٠) جامعو الضرائب ٠

(٢٦١) رئيس السوق ، وهى كلمة هندية ٠

(٢٦٢) سراى عدل ٠

أن يحضروا فى هذا القصر كل الأقمشة التى ترد من الأطراف والنواحى ، ويبيعونها ، ولا يبيعون فى السوق أو فى منزل أى شخص ، وأمر أن يبيع الناس ويشترون فى قصر العدل من الفجر وحتى صلاة الظهر (٢٦٣) واذا علم أن شخصا من التجار قد أغلق دكانه قبل صلاة الظهر أو فتحه قبل صلاة الفجر ، كان يعاقب هذا الشخص ، **والضابطة الثانية** هى أنه سعر الأقمشة التى سبق تحديدها من قبل العرش تصبح موافقة لهذا البيع والشراء على النحو التالى : الحرير الدهلوى (٢٦٤) ست عشرة تنكه ، خزكونله (٢٦٥) ست تنكات ، وبرد الشعر (٢٦٦) ثلاث تنكات ، والبرد المقلم بالياقوت ثمانى جيتل ، وبرد كمينه بست وثلاثين جيتل ، أستر لعل ناكورى ، باربع وعشرين جيتل ، شرين بافت باريك (٢٦٧) بخمس تنكات ، وشيرين يافت ميانه ثلاث تنكات ، سلامى أعلا (٢٦٨) بأربع تنكات ، وسلامى ميانه ثلاث تنكات وسلامى كمينه (٢٦٩) تنكتان كرباس باريك (٢٧٠) عشرون دزاعا بتنكة واحدة ، كرباس كوره كميته : كميته : أربعون ذراعا بتنكة واحدة وجادر بعشرة جيتل ، **والضابطة الثالثة** هى : أنه أصدر فرمانا أن يسجل أسماء المدينة وأطراف الممالك فى سجل ، وأمر أن يحضروا الأقمشة على النظام السابق الى المدينة ويبيعونها بالسعر السلطانى فى قصر العدل ، وكل من يهمل فى هذا الأمر ، يجرم ، **والضابطة الرابعة** هى أنه أمر أن يعطوا أموالا من الخزانة لتجار المدينة لكى يحضروا الأقمشة من الأطراف ، ويبيعونها بالسعر السلطانى فى قصر العدل ، **والضابطة الخامسة** هى : أن كل أمير من الأمراء المعروفين يحتاج لأقمشة نفيسة ، ويحصل على ترخيص من رئيس السوق ، وكانت هذه القاعدة توجب الا يشترى تجار الأطراف الأقمشة النفيسة من قصر العدل بالسعر السلطانى ويبيعونها فى أماكن أخرى بسعر مرتفع .

ومن أجل خفض سعر الجياد ، وضع أيضا أربعة قواعد ، **أولها** : تحديد جنسها وقيمتها مثلا الجنس الأول مائة تنكه ، والجنس الثانى من ثمانين الى تسعين تنكه ، والجنس الثالث من خمسة وستين تنكه الى سبعين تنكه ، **الضابطة الثانية** هى أنه أمر الا يشترى الجياد تجارها

---

(٢٦٣) نماز بشين « ك » ص ٦٠ك .
(٢٦٤) خو دهلى « أ » ص ٧٩ .
(٢٦٥) خر كويله « أ » ص ٧٩ .
(٢٦٦) سرى باف باريك « أ » ، ص ٧٩ .
(٢٦٧) لودسرى « أ » ص ٧٩ .
(٢٦٨) سلائى أعلا « أ » ص ٧٩ .
(٢٦٩) سلائى كهنة « أ » ص ٧٩ .
(٢٧٠) كرياسى باريك « أ » ص ٧٩ .

وأصحاب الأموال فى المدينة من السوق ، لأنه كان من عادة أصحاب الأموال خفض سعر الشراء ورفع سعر البيع ، وطردهم من المدينة ، وأجلاهم ، وفرقهم ، **والضابطة الثالثة** ، ترغيب وترهيب دلالى الخيول فلو ظهر أن باعوا فى السوق جوادا خلاف سعر السلطان ، كان يعاقب جميع دلالى المدينة **والضابطة الرابعة** هى أنه كان يفحص كل شهر أجناس الجياد وقيمتها وتتبع أحوال الدلالين ، فلو ظهر أقل تفاوت فى الضوابط السلطانية كان الدلالون يصابون بالأذى ، وروعيت هذه الضوابط الأربعة التى ذكرت حول الجياد فى مجال البغال والحمير ، وكل ما كان يقع فى الأسواق ، يكتب ويعرضوه على السلطان يوميا فى صحيفة ٠

كان الجواسيس أيضا موكلين بمراقبة أحوال السوق ، فاذا ظهر أن القائمين بمراقبة السوق قد عرضوا شيئا مختلفا على السلطان ، فانهم كانوا يعاقبون ، وكان كل شىء يحتاجه السوق للمعاملات يحضره السلطان ويفحصه ، ويحدد سعره ، وكان لا يعاين الأشياء التافهة (٢٧١) مثل الابرة والمشط والحذاء والقلة ووعاء الشرب ، وكان يحدد بنفسه أسعار النفائس والأشياء البسيطة ، ويكتب تذكرتها ، ويعطيها للقائمين بمراقبة السوق ، وكان اهتمام ورعاية السلطان فى مراقبة التجار وفحص أسعار الأشياء يصل الى درجة أنه فى بعض الأحيان كان يعطى الأطفال الذين لا دخل لهم فى البيع والشراء ، نقودا ، ويرسلهم الى السوق ليشتروا الأشياء التى يرغبها الأطفال ، ويحضرونها عند السلطان ، وبعد ذلك اذا ظهر أن هناك تفاوتا فى السعر أو الوزن ، يعاقب البائع ، وأقل عقاب كان يقع هو قطع الأذن أو الأنف ٠

بعد ذلك انخفضت أسعار أمتعة الحياة وأدوات الجيش ، وظهر ارتياح فى الحشم الى درجة انه سد أبواب دخول المغول وتطاولهم ، وكان اذا توجه المغول أحيانا الى دهلى يؤسرون جميعا ، ويقتلون ، الى درجة انه ذات يوم استولى على بيك حفيد جنكيزخان وترتاك (٢٧٢) مع أربعين ألف فارس على دامن كوه سوالك وحتى ولاية امروهه ، ارسل السلطان علاء الدين ملك نايك (٢٧٣) آخر بيك بجيش جرار ، ووصل الى جيش المغول على حدود امروهه وقاتلهم وجعل أكثرهم علفا للسيف وأسر على بيك وترتاك أحياء ، وقيدهم من رقابهم وجاء الى السلطان بعشرين ألف

---

(٢٧١) محتقرا « ١ » ص ٨٠ ، « ك » ص ١٦١ ٠

(٢٧٢) على بيك نبيره جنكيزخان وبرماك « ١ » ص ٨٠ ، على بيك نبسه جنكيزخان وتلتاك « ك » ص ١٦٢ ٠

(٢٧٣) بابك « ١ » ص ٨٠ ٠

جواد والغنائم التى استولى عليها ، فى ذلك اليوم خرج السلطان من المدينة ، وأعلن العفو العام فى جبوتره سبحانى ، واستعرض الجيش من هناك حتى اندربته ، فى ذلك الوقت أحضروا على وترتاك بيك مع الأسرى الآخرين عند السلطان ، فألقى أكثرهم تحت أقدام الفيل وقتلهم :

« الشخص الذى يسوء فعله فى الدنيا ، فقد فتح على نفسه طريق السوء » .

ومرة أخرى ، دخل كبيك نام (٢٧٤) مغولى بجيش جرار قصبة كهكر ، وتقاتل مع جيش دهلى ، وقتل أكثر المغول ، وأقاموا من رؤوسهم منارة قرب بوابة بداون ، وبعد فترة دخل جيش المغول مرة أخرى وكان قرابة ثلاثين ألف فارس أرض سوالك ، وانطلقوا فى النهب ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، أرسل جيشا عظيما لمحاربتهم ، فاستولى الجيش على شاطىء نهر راوى طريق عودتهم ، وعندما وصل جيش المغول محملا بالغنائم الكثيرة الى شاطىء النهر ، وتقدم جيش دهلى للقتال ، وقاتل ببسالة ، وحقق النصر والظفر ، وأسروا جمعا كبيرا من المغول ، وحبسوهم فى قلعة ترينه (٢٧٥) التى كانت فى هذه النواحى ، وأحضروا أولادهم وأتباعهم الى المدينة ، وباعوهم فى سوق دهلى ، وبعد ذلك صدر فرمان لملك خاص حاجب (٢٧٦) بأن يذهب الى قلعة ترينه ، ويقتل المحبوسين ، وبعد مرور فترة على ذلك دخل اقبال منده (٢٧٧) نامى من المغول بجيش جرار الهندوستان ، وقاتل أمير على واهن وجيش دهلى فى دهنده وقتل فى هذه الحرب وأحضروا المغول الآخرين أحياء الى دهلى ، فسحقوهم تحت أقدام الأفيال وبعد ذلك استولى الخوف والفزع على خاطر المغول فمحا من قلوبهم رغبة الاستيلاء على الهندوستان ، واستراحت الهندوستان من مضايقتهم حتى آخر أيام السلطان قطب الدين مباركشاه ، وكان سلطان تغلقشاه المسمى فى تلك الأيام بغازى ملك ويحكم اقطاع ديبالبور ولاهور، يذهب سنويا الى حدود بلاد المغول ، وينتهب هذه النواحى ، ولم يكن المغول أقوياء لمواجهته أو قادرين على الحفاظ على حدودهم .

وبعد ذلك انتهت متاعب المغول تماما على الأطراف ، ودخلت بلاد الهندوستان التى كانت ملاذا وملجأ للمفسدين والمتمردين فى حيز الضبط ،

---

(٢٧٤) كبك نام « ١ » ص ٨٠ .

(٢٧٥) ترانيه « ١ » ص ٨٠ .

(٢٧٦) ملك خواص حاجب « ١ » ص ٨٠ .

(٢٧٧) اقبال مندو « ١ » ص ٨٠ .

وتم تأمين طرق ذهاب واياب التجار والسائحين ، ونال جميع الحشم أيضا ما يوسع عليهم ، واستراح خاطر السلطان علاء الدين من عرش دهلى ، وشرع فى تسخير البلاد البعيدة وكان يسخر كل ناحية يسعى اليها دون مشقة وصعوبة ٠

« طالما يقبل عليك عون الغيث ، فان كل غرض تتمناه يتحقق »

« ولم يكد يكون رغبة بالصدر ، حتى يتحقق وتأتى الأموال »

« واذا تحول مراده الى المشرق ، فان المطر والرياح تأتى من المغرب »

ان تحقيق المطالب والمآرب ووقوع أمور غريبة جاءت بسعى وجهد السلطان علاء الدين ، أسماها الناس كرامة ، ونسبوا لآرائه وأقواله الكشف والالهام ، والبعض أسماها استدراجا (٢٧٨) واعتبروها من المكر الالهى وظن البعض أن الأمن والرفاهية من بركة وجود الشيخ نظام الدين أوليا قدس سره ، المهم عين ملك نايب كافور هزار دينارى مع أمراء مشاهير وملوك كبار لمهاجمة ديوكير (٢٧٩) من بلاد الدكن ، وأكرمه بأنواع مختلفة ، وأنعم عليهم بالحلل الياقوتية وانعامات كبيرة أخرى ، وأمر خواجه حاجى نائب ، « عرض ممالك » بما لديه من حشم وما تحت يده من أموال الغنائم بمرافقته ، وصل ملك كافور الى ديوكير ، وأسر حاكم هذه الولاية على الرغم من شجاعته ، وأبناءه ، وأرسل جميع خزائنه وسبعة عشر فيلا مع رسالة فتح الى هدلى ، وبعد ذلك أكرم رامديو وارسله الى السلطان مع اموال وأفيال ، ونال الانعامات السلطانية وأكرم السلطان رامديو ولقبه بلقب « راى رايان » (٢٨٠) وأنعم عليه « بجتر » ومائة ألف تنكه وعينه على ديو كير ، وسمح له بالسفر مكرما ، وسلك رام ديو مسلك التابعين ، وكان دائما فى مقام الولاء والطاعة ، وقد قدم خدمات جليلة ٠

فى سنة ٧٠٩ هـ عين السلطان علاء الدين مرة أخرى ملك كافور على جيش جرار الى ارنكل ، وأوصاه عند الوداع أنه اذا أعطاك رودريو حاكم أرنكل الخزانة والجواهر والأفيال وقبل تقديم الهدايا سنويـا ،

---

(٢٧٨) اشارة الى قوله تعالى « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» الأعراف ١٨٢ ٠

(٢٧٩) ديوكير « أ » ص ٨١ ٠

(٢٨٠) أمير الأمراء ٠

(٢٨١) تنله « ك » ص ١٩٤ ٠

فاكتف بهذا ، وعـد ، ولا تتقيد بالاستيلاء على القلعـة وأسر راى رودرديو (٢٨٢) واستشر فى ادارة أمورها خواجه حاجى ، ولا تحاسب الأمراء على الجرائم البسيطة والذنوب الصغيرة ، ولا تجز المداهنة أيضا فى الأعمال ، واذا طلبوا بعض الغنائم التى تقع فى يدك فحقق رغبتهم ، واذا قتل أو سرق أو سقط جواد شخص فى الحرب عوضه بأفضل منه ، وأعلم أن هذه الأمور من لوازم الادارة ، واستأذن ملك نائب وخواجه حاجى من السلطان ، وتوجها برحيل متواتر الى هناك وعندما وصلا الى جنديرى ، توقفا عدة أيام هناك ، فاستعرضا الجيش وتوجها من هناك الى ديوكير ، واستقبلهما رامديو ، وقدم هدايا كثيرة ، وقدم لوازم الطاعة والولاء ، ورافق ملك نائب عدة منازل ، وسمح له بالعودة الى ديوكير ، وعندما اقترب ملك نائب من ارنكل ، وأسرع رايان الأطراف من هول جيش الاسلام الى قلعة أرنكل ، وتحصنوا فى قلعة خارج القلعة التى كانوا قد اقاموها من الطين ، وواسعة تماما ، والمقرر الهجوم عليهـا وتحصن رودرديو مع أقربائه فى قلعة داخلية كانت من الحجر ، وحاصر جيش السلطان القلعة وسعوا فى فتحها ، وجاهد الهنود أيضا من الداخل فى الدفاع والصد ، وبعد مدة فتحت القلعة الخارجية بكفاح شديـد ، وأسر أكثر الرايان ، وزمينداران بأولادهم وأتباعهم وقتل خلق كثير ، واضطرب راى رودريو ، وطلب الصلح وأراد الأمان ، فاخذ منه ملك نائب خزائن ومائة فيل وسبعة آلاف جواد وأمنه ، وقرر أن يرسل سنويا هدايا لائقة ، وعرض الحقيقة على السلطان ، وعندما وصـل هذا الخبر الى السلطان ، أمر أن يقرأوا رسالة النصر على المنابر ، ودقوا طبول الفرح ، وقدم لوازم الانعـام ، وعندما عاد ملك نائب ، وخرج السلطان من المدينة ، واعطى العفو العام فى جبوتره ناصرى قرب بوابة بداون ، ووصل ملك نائب الى هناك للملازمة ، وعرض جميع الغنائم ، ونال جميع أنواع الانعام السلطانى •

ويقال أن السلطان علاء الدين فى كل مكان كان يرسل اليه الجيش من دهلى الى المكان المقصـود ، وكان يربـط فى كل منزل جـوادا « داكجوكى » (٢٨٣) يسمى السلف « يام » (٢٨٤) وفى كل فرسخ كان يترك رجلا سريع العدو يسمى بلغة الهند « بايك » وكان يعين فى كل

---

(٢٨٢) لدرديو د ۱ ع ص ٨١ •

(٢٨٣) جياد البريد •

(٢٨٤) جياد البريد •

قصبة ومدينة كانت على الطريق كاتبا ، لكى يرسل الوقائع هناك يوميا الى السلطان ، وتصادف أن ذهب ملك نائب الى أرنكل ذات مرة ، وبسبب خلل الطريق واختفاء بعض الحصون ، انقطع خبره فترة ، فحزن السلطان وأمر ملك قرابيك والقاضى مغيث الدين سامانه أن يذهبا عند شيخ الاسلام نظام الدين أوليا ، ويبلغوه سلامه ، وقولا له أن جيش الاسلام المرسل الى أرنكل لم يصلنى خبره من فترة ، وأعرض عليه أمر جيش الاسلام ، فلو كان لديه عن أحوال جيش الاسلام بنور ولايته ، يسرنى معرفته ، وقال أيضا لهما ، قولا لى ما يجرى على لسانه من كلام دون زيادة أو نقصان ، وعندما وصلا الى خدمة الشيخ ، سلماه رسالة السلطان وتذكر الشيخ أحد السلاطين السابقين ، وأقر حكاية نصره ضمن حكاية ، وقال هذه العبارة : « ان وراء هذا الفتح فتوح أخرى أيضا متوقعة وعاد قرابيك وقاضى مغيث من ملازمة الشيخ ، وأبلغاه عبارة هذا العظيم ، وسر السلطان جدا ، وعلم أن أرنكل فتحت ، وتمنى فتحا آخرا ، وفى آخر هذا اليوم وصلت رسالة فتح ملك نائب ، وكان هذا سببا فى ازدياد حسن اخلاص السلطان وعلى الرغم من أن السلطان لم يلتق بالشيخ مطلقا ولكن كان يرسل الرسل والرسائل مظهرا الاعتقاد ، ويستمد العون من الشيخ .

فى سنة ٧١٠ أرسل السلطان علاء الدين مرة أخرى ملك نائب الى دهور سمندر ومعبر ، وجعل برفقته خواجه حاجى « نائب عرض »(٢٨٥) وعندما وصلا الى ديوكير ، كان راى رامديو قد توفى ، فقدم ابنه لوازم الطاعة ، ووصل ملك نائب خواجه الى نواحى دهور سمندر من ديوكير بلا توقف وفتحوا فى الحال دهور سمندر ، وأسروا ملارديو حاكم هذه الولاية ، واستولوا على ست وثلاثين فيلا وخزائن كثيرة ، وأرسلوا رسالة فتح الى دهلى ، ومن هناك توجهوا الى معبر وفتحوها أيضا وخربوا معابد أصنامها ، وحطموا الأصنام الذهبية ، وأدخلوا ذهبها الخزانة ، وأخذوا من كلا حاكمى معبر الهدايا الكثيرة ، وفى سنة ٧١١ عادوا بثلاثمائة واثنى عشر فيلا وعشرين ألف جواد وتسع وستين ألف من ذهبا وصناديق جواهر ولؤلؤ وغنائم أخرى تخرج عن الحساب والحصر ووصلوا الى السلطان ، وسر السلطان من الفتوحات والغنائم الكثيرة جدا ، وانعم بالانعامات الوفيرة على أكثر الأمراء .

ومن غرائب الأمور التى وقعت فى آخر العهد العلائى هى أن جماعة

---

(٢٨٥) سبق أن ذكره بوظيفة « عرض ممالك » « أ » ص ٨١ .

من المسلمين الجدد الأوباش لم يكن الخدمة فى طبعهم ولم يكن لديهم روح الواجب ، فد اتفقوا مع بعضهم على أن يقتلوا السلطان وقت الصيد وهو وحيد ، وعندما وصل السلطان هذا الخبر ، بسبب مزاجه الحاد وطبيعته الخشنة أمر أن يقتلوا كل شخص من المسلمين الجدد الذين يجدونهم ، وفى يوم واحد قتلوا عدة آلاف برىء ، الذين لم يكن لديهم دراية بهذا الرأى ، وانتهب أموالهم وقضى على نسلهم ٠

فى نفس هذه الأيام ظهر جماعة من الباختيين ، فأمر السلطان بالقبض عليهم جميعا ، ونشر رؤوسهم ، وقتلهم جميعا ، ولما كان السلطان علاء الدين قاسيا ، صعب الطباع لم يكن يرافق أحداً قط ، ولهذا لم يكن يقبل شفاعة فى حق أحد ، ولم يكن يصفى عن احد استاء منه طوال عمره، ولم يكن واضحا فى سلوكه ، وفى أوائل حاله على الرغم من أنه كان يستشير رجاله فى الأمور الملكية ، ويدعهم يتدخلون فى تنفيذ الأمور ، ولكن فى آخر حاله حيث فرغ خاطره من جميع الروابط ، فكان يقوم بعمل ما يرد بخاطره من الأمور الملكية ، وما كان يأتى على مخيلته ويوافق رأيه ينفذه ، ولم يكن يستشر أى شخص فى تنفيذ أمر الملك ، ويقال أن هذا القدر من الفتوح التى تحققت للسلطان علاء الدين لم تتيسر لأى سلطان من سلاطين الهند ، ويقول مؤلف فيروزشاهى (٢٨٦) ان هذا القدر من العمارة التى اقيمت فى عصره من المساجد والمنارات والأحواض والقلاع وأمثال ذلك لم تقع فى أى عصر قط ، ولم يذكر فى أى عهد قط جماعة أهل فن والمهرة فى كل فن مثل ما شاهده عصره ، ولم يظهر فى زمان قط ، انصاف وعدل بين العوام والخواص واطاعة الهنود ، ورفع التمرد مثل أيامه ، وكان اجتماع كبار رجال الدين والسالكين فى طريق اليقين فى دار الملك دهلى التى اكتظت بوجودهم الشريف وتصادف عصره لم يتحقق فى أى عصر قط ، ومن جملتهم شيخ الاسلام الشيخ نظام الدين أولياء قدس سره العزيز وهو غنى عن الوصف ، اتكأ على طريق الارشاد والهداية ، وانشغل بهداية الناس ، ومن الخامس من المحرم وحتى العاشر ؛ وكانت أيام مولد شيخ الاسلام فريد الدين أجود هنى ؛ كانت الناس تجتمع فى خانقاه الشيخ نظام الدين ، وتتجه الخلائق فى هذه الأيام من الأطراف الى دهلى ، ويحضرون المجالس لمشاهدة الوجد والحال لأهل الله ، وكانوا يصيحون على الباب والجدران ، والشيخ علاء الدين حفيد الشيخ

---

(٢٨٦) ضياء برنى ٠

فريد الدين الذى كان متمكنا من سجادة الارشاد فى اجودهن ، وكان مشتغلا بالطاعة الظاهرية والباطنية لدرجة أنهم كانوا يطلقون عليه انه من جنس الملائكة ، والشيخ قطب الاولياء الشيخ ركن الدين ابن الشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى قدس الله أرواحهم : الذى وصل الى قمة الطريق على رأس الحيارى ، وكان جميع أهالى الملتان وأجه وسائر بلاد السند يتوجهون اليه ، وكانوا يلقون بأنفسهم فى كنف حمايته ، ويلجأون اليه من البليات والآفات ، وعلى الرغم من أن والده الكبير الشيخ صدر الدين كان متمتعا بالكمال والجمال ، وكان سخيا بافراط ، ومع أنه كانت لديه أموال كثيرة كان قد ورثها عن أبيه مع هذا القدر من النذر والفتوح ؛ التى يعجز المحاسب عن حسابها ، فانه كان يقترض فى أكثر الأوقات ، والشيخ سيد تاج الدين سيد قطب الدين الذى كان فى سخائه وعلمه وحلمه وأفضاله الانسانية وحيد زمانه ، عمل فترة فى قضاء أوده ، وبعد ذلك صار قاضيا لبداون ، والشيخ سيد ركن الدين أخو سيد تاج الدين المذكور قاضى كره ، يتصف بالصفات الحميدة ، والشيخ سيد مغيث وأخوه سيد مستجيب الدين من سادات كيتهل ، وكلا الأخوان اتصفا بالعلم والزهد والتقوى وسائر الفضائل ، وكانوا يسمونها « سادات نوهه » والسادات الآخرون يطول تفصيلهم من جملتهم القاضى صدر الدين عارف الذى عمل بقضاء الممالك ونال لقب « صدر جبهانى » وبعده القاضى جلال الدين دلواطى (٢٨٧) صار قاضيا لممالك ، ومولانا ضياء الدين بيانه صدر جهانى وفى آخر أيام السلطان علاء الدين نال قضاء الممالك وملك التجار حيدر الدين الملتانى .

وكان من علماء الظاهر جامعى أنواع العلوم الذين عملوا بالدرس والافادة ، كانوا ستا وأربعين ، القاضى قمر الدين نافلة والقاضى شرف الدين سرمانى ومولانا نصير الدين غنى ومولانا تاج الدين مقدم والقاضى ضياء الدين بيانه ومولانا ظهير لنك ، ومولانا ركن الدين سنامى (٢٨٨) ، ومولانا تاج الدين كلاهى ، ومولانا ظهير الدين بهكرى ، والقاضى محى الدين كاشانى ، ومولانا كمال الدين كولوى ، ومولانا وجيه الدين بابلى (٢٨٩) ومولانا منهاج الدين قبائى ، ومولانا نظام الدين كلاهى ، ومولانا نصير الدين كره ، ومولانا نصير الدين صابونى ، ومولانا

---

(٢٨٧) لواطى أ ص ٨٤ .
(٢٨٨) سنائى « أ » ص ٨٤ .
(٢٨٩) باتلى « أ » ص ٨٤ .

علاء الدين تاجر ، ومولانا كريم الدين جوهري ، ومولانا جحت ملتاني ومولانا حميد الدين مخلص ، ومولانا برهان الدين بهكرى ، ومولانا افتخار الدين برني ، ومولانا حسام الدين سرخ ومولانا وجيه الدين طهرد (٢٩٠) ومولانا علاء الدين كرك، ومولانا حسام الدين شادي ومولانا حميد الدين ملتاني ، ومولانا شهاب الدين ملتاني ، ومولانا فخر الدين هانسوى،ومولانا فخر الدين شفافل(٢٩١) والقاضى زين الدين ناقله ومولانا سهركى (٢٩٢) ومولانا وجيه الدين رازى (٢٩٣) ومولانا علاء الدين صدر الشريعة ، ومولانا ميران مايكله (٢٩٤) ومولانا علاء الدين لاهورى ، ومولانا علاء الدين لاهورى ، ومولانا نجيب الدين شادى ، ومولانا شمس الدين ، ومولانا صدر الدين والقاضي شمس الدين كازرونى ، ومولانا شمس الدين يحيى ، ومولانا ناصر الدين اتاوى ، ومولانا معين الدين لولي ، ومولانا افتخار الدين رازى (٢٩٥) ومولانا معز الدين اندريهى (٢٩٦) ومولانا نجم الدين انتشارى (٢٩٧) وفي آخر عهد السلطان علاء الدين وصل مولانا علم الدين حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا وكان من افاضل عصره ، الى دهلي ، وعمل بالافادة في العلوم العقلية والنقلية ، ومن أساتذة علم القراءات الممتازين مولانا شاطىء (٢٩٨) ومولانا علاء الدين مقرىء(٢٩٩) وخواجه زكى ابن أخت حسن البصري ، ومن أهل الوعظ مولانا عماد وحسام درويش وأخوه مولانا جلال ومولانا ضياء الدين سنامى (٣٠٠) ومولانا شهاب الدين خليلى ومولانا كريم وكان من نوادر العصر ، سبه سالار تاج الدين عراقى ، وخداوند زاده جاشنى كير حفيد بلبن الكبير وملك ركن الدين ابيه وملك عز الدين نفاتخان (٣٠١) وملك نصير الدين نورخان وكانوا من ندماء المجلس ، ومن شعراء عصر السلطان علاء الدين الذين تزينت دلر الملك دهلى بل جميع بلاد الهندوستان

---

(٢٩٠) لهودو « أ » ص ٨٤ .

(٢٩١) سعا فل « أ » ص ٨٤ .

(٢٩٢) ستهركي « أ » ٨٤ .

(٢٩٣) راضى « أ » ص ٨٤ .

(٢٩٤) ماريكله « أ » ص ٨٤ .

(٢٩٥) رادى « أ » ٨٤ .

(٢٩٦) انديهى « أ » ص ٨٤ .

(٢٩٧) ايثار « أ » ص ٨٥ .

(٢٩٨) إنباطى « أ » ص ٨٥ .

(٢٩٩) معزى « أ » ص ٨٥ .

(٣٠٠) ساقى « أ » ص ٨٥ .

(٣٠١) لغانخان « أ » ص ٨٥ .

بوجودهم الفريد ، وملأ صيت أدبهم العالم ، برز منهم أمير خسرو الذى كان له يد بيضاء فى فنون الكلام والمعنى ، وآثار فضله ومناقبه واضحة وظاهرة فى مصنفاته فى النظم والنثر ، وكان مع هذا صوفى الوجد والحال ، وكان يقضى أكثر أوقاته فى الصوم والصلاة ، وله نشوة تامه من العشق والمحبة ، ولما كان نادرة زمانه فقد أعطاه السلطان علاء الدين ألف تنكه وشاعر آخر الأمير حسن سنجرى وكان مشهورا بسلامة الكلام ولطافة الحديث ، ومن كثرة ما نظمه من غزليات سلسلة وكتبه من كلام جميل ، كانوا يسمونه « سعدى هندوستان » وكان فريد عصره فى تهذيب الأخلاق والقناعة ، والترك ، والتجرد ، خلف الشيخ نظام الدين أوليا قدس سره ، وجمع كلام الشيخ وما كان قد سمعه أيام كان مريدا ، أسماه « فوائد الفوائد » ولديه فى النظم والنثر تصنيفات كثيرة ، وكان من شعراء عصر السلطان علاء الدين « صدر الدين على » (٣٠٢) وفخر الدين قواس وحميد الدين راجه ومولانا عارف ، وعبيد حكيم ، وشهاب صدرنشين ، وكانوا ينالون الانعام لكونهم شعراء ، وكان لكل واحد أسلوب خاص فى طريقة شعره ، ودواوينهم وشعرهم يشهدان لهم بالكمال والفضل والأدب ، وكان من المؤرخين أيضا عدة أشخاص لا نظير لهم ، ومن الأطباء المهرة ، أستاذ الأطباء مولانا بدر الدين دمشقى الذى كان اذا وضعوا فى زجاجة بول عدة حيوانات وأحضروها عنده ، كان يحكم عليها بالنظر وعلى البديهة بأنهم جميعا بول الحيوان الفلانى والفلانى فى هذه الزجاجة ، ومن ناحية الصوفية كان صاحب سر وكشف ومشاهدة ، ومن المنجمين وضاربى الرمل عدة أشخاص كانوا يكشفون الغيبيات ، وما فى الضمائر ، وكان من المقرئين والغزليين وسائر أرباب الطرب وأقسام الفنون المختلفة الكثيرون ممن لا يمكن حصرهم فى هذا المختصر .

بعد ذلك امتدت سلطنة السلطان علاء الدين ، وانتهت بالتوفيق والظفر ، وبموجب أن لكل كمال زوالا ، ولكل بداية نهاية ، ظهرت منه الأمور التى يمكن أن تكون سبب زوال الملك ومنافية لبقاء الدولة من جملتها أنه صار عاشقا لجمال ملك نائب كافور هزار دينارى ، وأطلق له عنان الأمر ، ولم يغل يده قط فى الأمور الملكية رعاية لخاطره ، ولم يكن ينحرف عن رأيه مهما كان خاطئا وأخرج اخوته الآخرين الصغار الذين استغنوا عن المؤدبين والمعلمين ، من الحرم ، ولم يهتم باصلاح أحوالهم ، وجعل خضر خان وليا للعهد على الرغم من بعده عن الرشد ،

---

(٣٠٢) سقط من « أ » ص ٨٥ .

والعطاه جترأ ولم يعين له أحدا من أهل العقل وأصحاب التجربة ليمنعه عن اللهو والأنانية ، وتصادف أنه فى أيام مرض السلطان سمع لخضر خان بالنزهة والصيد بجانب امروهه ، وقال له : عندما استرد صحتى ، سأطلبك وكان خضر خان ينذر أنه كلما تحسنت صحة السلطان يذهب مترجلا لزيارة مشايخ دهلى ، وعندما سمع خبر صحة السلطان وكان قد نذر من قبل أن يأتى دهلى مترجلا وحافيا لزيارة المزارات ، وعرض ملك نائب الذى لعب هوى الملك فى رأسه وكان مستعدا للقضاء على نسل السلطان عرض أن خضر خان جاء بخيال فاسد بدون اذن السلطان ، وحمل السلطان على أن يرسل خضر خان الى قلعة كواليار ، وبعد مدة مرض السلطان بالاستسقاء وازداد عليه يوما بعد يوم وفى تلك الأثناء طلب ملك نائب من ديوكير والب خان من الكجرات (٣٠٣) وجاء الى البلاط وبسبب العداوة بين ملك نائب والب أرسلان ، فقد حرض ملك نائب السلطان بكلام مزخرف وحديث باطل لكى يقتل الب خان ، وتوفى أيضا بعده :

« يتنفس فترة ويصير لا شيء ، يضحك فترة وأيضا يصبح هباء »

ويقول البعض ان ملك نائب قد دس له السم ، والله أعلم ، مدة سلطنته عشرون سنة وعدة أشهر .

ذكر سلطنة السلطان شهاب الدين ابن السلطان علاء الدين الخلجى الأصغر (٣٠٤)

فى اليوم التالى لوفاة السلطان علاء الدين ، استدعى ملك نائب الأمراء وأعيان المملكة ، وأظهر وصية السلطان ومضمونها عزل خضر خان وتولية السلطان شهاب الدين وليا للعهد ، وأجلسه على العرش ، وقام نائبا للسلطنة ، وفى اليوم الأول أرسل ملك سنبهل (٣٠٥) لسمل عينى خضر خان وأخيه شادى خان فى كوالير ، ووعده بمنصب « باربيكى »(٣٠٦) وقبل هذا الكافر بالنعمة هذا الأمر ، وسمل عينى نور عين السلطان علاء الدين ، وسجن أم خضر خان المسماة « بملكه جهان » ، واستولى على النقد والذهب وكل ما تملكه ، وحبس الأمير مباركخان يعنى السلطان

---

(٣٠٣) الف خان « ا » ص ٨٦ .

(٣٠٤) ذكر سلطان شهاب الدين يسر خورد سلطان علاء الدين خلجى « d » ص ١٧٣ .

(٣٠٥) سنبل « ا » ص ٨٦ .

(٣٠٦) باربيكى « ا » ص ٨٦ .

قطب الدين في منزل ، وأراد أن يسمل عينيه أيضا ، لكن لما كان التقدير خلاف ذلك ، فلم يستطع ولم يوفق ، وكان كل يوم يحضر السلطان الطفل شهاب الدين ساعتين الى سطح « هزارستون » (٣٠٧) ويجلسه على العرش ، ويأمر الأمراء والأكابر والحجاب وحملة الأسلحة أن يصطفوا ، ويقفوا أمامه ويقومون بخدمته ، وعندما يمل الطفل يرسله الى أمه داخل الحرم ، ويدخل بنفسه في خيمة ، كان قد نصبها لنفسه على سطح « هزار ستون » وينشغل من خواجه سراى جند وكان من خاصته يلعب « التورى (٣٠٨) وهى من نوع النرد وقسم من القمار ، وكان يستشير خاصته دائما في القضاء على أسرة السلطان علاء الدين ، وتصادف أن كان جماعة من البايكان (٣٠٩) القدماء بعهدتهم حراسة هزارستون ، واتفقوا بعد خمس وثلاثين يوما من وفاة السلطان علاء الدين ، أن يقتلوا ملك نائب وخاصته بعد عودة الرجال من البلاط السلطانى واقفال الأبواب ودخول الخيمة :

« اذا كنت تفعل السوء ، فاغلق العين عن الخير ، لأنك لن تأتى مطلقا الا بالخمر »

« لا أعتقد أن الشعير يحصد فى الخريف ،لأن فيه زمن القمح »
وأطلقوا سراح الأمير مبارك خان ، وأجلسوه مكان ملك نائب نيابة عن السلطان شهاب الدين وقام مباركخان عدة اشهر نيابة عن السلطان شهاب الدين ، واشتغل بالأمور الملكية ، وأرضى الأمراء والملوك ، وبعد مرور شهرين جلس على عرش السلطان ، ولقب بالسلطان قطب الدين مباركشاه ، وأرسل السلطان شهاب الدين الى كوالير ، وفرق « بابكان » قاتلى ملك نائب بسبب العجب والخيلاء (٣١٠) الذى استقر فى قلوبهم ، ووزعهم على القصبات ، وقتل كبارهم الذين كانوا شيوخا ٠

« ينبغى احراق الخسيس بالنار ، لأن السوء يصل منه الى الناس »

وفى الأيام التى قضت على أسرة السلطان علاء الدين وانقطع نسله ، سألوا الشيخ بشير ديوانه من المجذوبين « أيها السيد لماذا يحدث

---

(٣٠٧) قصر الالف عفود ٠

(٣٠٨) بيلمومى « أ » ص ٨٦ ٠

(٣٠٩) بابكان « أ » ص ٨٧ ٠

(٣١٠) زر عم « أ » ص ٨٧ ، ز هم « ك » ، ص ١٧٥ ٠

هذا ؟ » قال : طالما قضى علاء الدين على أسرة عمه وولى نعمته ، فانه يعامل نفس المعاملة :

« الخير للخير والسوء للسوء ، وجزاء العمل هو أمر العالم »

كانت أيام حكومته ثلاثة اشهر وعدة أيام ٠

ذكر السلطان قطب الدين مباركشاه ابن السلطان علاء الدين الخلجى :

عندما جلس السلطان قطب الدين على عرش دهلى فى سنة ٧١٧ هـ ، لقب ملك دينار شحنه فيل (٣١١) بظفر خان ومحمد مولاى عمه بشيرخان ومولانا ضياء الدين ابن مولانا بهاء الدين خطاط بصدر جهان ، وخص ملك قرابيك بالقرب ، وقسم اشغال السلطنة بين الأمراء كل حسب سعة حالة مير حسن نام براوبجه (٣١٢) ربيب ملك شاهى وكان « نائب خاص حاجب » السلطان علاء الدين باختصاصه ، ولقبه بخسروخان ، « وبراو » طائفة كانوا فى ولاية الكجرات ، كثيرون فى خدمته ومن فرط محبته التى اولاها له ، احال اليه كل حشم ملك شادى ، ومن كثرة ولهه وحبه له عهد اليه بمنصب الوزارة على الرغم من أن استعداده كان بعيدا عنها ٠

« اذا أردت أن تنظم المملكة ، فلا تعط الأمر العظيم للصبيان »

« تريد الا تضيع الزمان ، فلا تعط الأمر للعاطلين » ٠

ومن كثرة عشقه وجنونه به لم يكن يدعه لحظة ، المهم سكنت الفتنة التى ظهرت بعد موت السلطان علاء الدين ، بعد جلوس السلطان قطب الدين ، وبدت السكينة على الناس ، ولما كان السلطان قطب الدين شابا وصاحب اخلاق حسنة ورحيما ويخاف محنة السجن والقتل ، فقد أصدر فى اليوم الأول فرمانا بتحرير السجناء ، واستدعى المنفيين من الأطراف ، وأنعم على حشمه جميعا بمرتب ستة أشهر ، وزاد من دخول الأمـراء والملوك ، وأمر بأن يدرسوا طلبات أهل الحاجة التى اندرست فترة ، ويعرضونها ، وكان يصدر الرد بناء على التماسهم ، وزاد الدخل والوظيفة للعلماء والصالحين وأرباب الحاجة ، وأعاد قرى الرجال الثى كان السلطان علاء الدين قد أدخلها ضمن الخالصة ، ورفع المطالب القاسية والخراج الظالم الذى كان معمولا به فى عهد السلطان علاء الدين على

---

(٣١١) شحنة بيل « أ » ص ٨٧ ٠
(٣١٢) برواز بجه « أ » ص ٨٧ ٠

الجميع ، وارتاح الناس من حسن سلوكه ، وعاشوا فى رفاهية ، وظهر فى جيوبهم الدينار والدرهم ، وقضى على جميع الضوابط التى كانت متضمنة المصلحة للسلطان علاء الدين وعلى الرغم من أنه فى الظاهر أيد منع الشراب ، لكن الفجور والتمرد والعصيان واللهو والمرح الذى كان معدوما فى عهد السلطان علاء الدين ، عاد بين الناس ، ولم ينشغل السلطان قطب الدين نفسه خلال مدة سلطنته وهى أربع سنين وأربعة اشهر الا باللهو والمرح والهبات الكثيرة وفى هذه الفترة لم تظهر الفتنة التى تبعث تعب ومشقة السلطان ، أو الآفة التى تخل رفاهية الناس ٠٠

ولما كان السلطان قطب الدين قد اســتدعى من قبل ألب خان من الكجرات ، وبعد ذلك أثار الفتنة هناك ، وقد عين ملك كمال الدين من اجل دفعه ، وتوجه الى الكجرات ، واستشهد أيضا هناك ، وبناء على هذا قوى نفوذه أكثر ، ففضل السلطان قطب الدين تسكين الفتنة عن المهام ، فعين عين الملك ملتانى على جيش كامل ، وذهب ، وقاتل هؤلاء القوم أس الفساد والفتنة ، وهزمهم ، واستولى على نهرواله (٣١٣) وسائر الكجرات من جديد ، وجعل « زميندارات » هذه البلاد طائعين ، بعد ذلك تزوج السلطان قطب الدين ابنة ملك دينار ولقبه بلقب « ظفر خانى » وأرسله الى الكجرات ، وخلال ثلاثة أو أربعة أشهر طهر الكجرات من فساد أهل البغى والفتنة ، حتى قضى على آثارهم فى هذه البلاد ، واستولى على ذهب كثير من راجوات وزميندران هذه البلاد ، وأرسله الى الخزانة ، ولما كان هربال ديو صهر رام ديو قد استولى على ولاية ديوكير (٣١٤) بعد وفاة السلطان علاء الدين ، قاد السلطان قطب الدين فى السنة الثانية للجلوس الى ديو كير ، وترك غلام بجه شـاهين الذى كان يســمونه « باويلدا » (٣١٥) ولقبه بوفاء الملك ، نيابة عنه فى دهلى وتوجه الى الدكن بجيش جرار ، وعندما وصل الى نواحى ديوكير ، تفرق هربال ديو (٣١٦) وزميندارات الآخرون الذين كانوا قد اجتمعوا ، ولم يستطيعوا المقاومة ، وأقام السلطان عدة أيام فى ديوكير ، وارسل جماعة من الأمراء العظام والملوك الكبار لتعقب هربـال ، على شرط بأن يحضروه عندما يقبضوا عليه ، وبأمر السلطان سلخوا جلده ، وعلقوا رأسه على

---

(٣١٣) نهروالا « ك » ص ١٧٧ ٠

(٣١٤) ديوكر « ١ » ص ٨٨ ٠

(٣١٥) باوبلدا « ١ » ص ٨٨ ٠

(٣١٦) بربال « ١ » ص ٨٨ ٠

بوابة ديوكير ، وتوقف السلطان هناك فترة بسبب المرض ، فى هذه المدة استولى على ولاية مرهت أيضا ، وأحال ولاية ديوكير الى « ملك يك لكهى» (٣١٧) من مماليك هلائى (٣١٨) وقسم مرهت اقطاعات بين الأمراء ، وأعطى خسروخان « جترودورباش » وعينه هناك ، وعاد الى دهلى ، وفى الطريق انشغل معظم الأوقات بالشراب واللهو ، وفى ذلك الوقت وبسبب غفلة وجهل السلطان قطب الدين وانغماسه فى الشراب ، دعا ملك أسد الدين ابن عم السلطان علاء الدين دعوة سرية لنفسه ، واتفق مع جماعة من قواد الجيش ، وقرر أنه « عندما يعبر السلطان » « كهانتى ساكون » (٣١٩) ويدخل الحرم فى ذلك الوقت لن يكون هناك أحد من المسلمين والحرس قريبه ، فندخل الحرم ، وننهى أمره ، وتصادف أنه فى نفس هذه الليلة هم السلطان أن يعبر من كهاتى ساكون ، وجاء أحد رفاق ملك أسد الدين الى السلطان وعرض حقيقة الأمر ، فتوقف السلطان ، وأمر أن يقبضوا على ملك أسد الدين ، ويقتلوه ، وقتلوا تسعا وعشرين شخصا من أولاد بغرش خان (٣٢٠) الذين كانوا فى دهلى ، ولم يكن لهم مصلحة فى هذا ، وكان بعضهم صغار السن ، وعندما وصل الى جهاين (٣٢١) ، ارسل شادى كهنه ابن سلاحدار (٣٢٢) الى كوالير لكى يقتل خضر خان وشادى خان وملك شهاب الدين أولاد السلطان علاء الدين الذين كانوا قد سملت أعينهم من قبل ، وأحضر أهاليهم وزوجاتهم الى دهلى ، وكان السلطان قطب الدين يسىء للشيخ نظام الدين قدس سره العزيز بسبب أن خضر خان كان مريدا للشيخ ويعلم اخلاصه له ، وكان يظهر العداوة دائما ويطعن فى هذا العظيم :

« عندما يريد الله أن يمزق ستر أحد ، يجعله يميل لطعن الأخيار »

« واذا أراد الله أن يستر عيب أحد ، قلله فى نظر النـــاس »

عندما وصل السلطان قطب الدين الى دهلى ، ورأى أن الكجرات وديوكير وسائر المملكة مسخرة له ، ووجد الأمراء والملوك له طائعين ، لم يهتم بالملك ، ولعب سكر الشراب والشباب والغرور فى رأسه ، ولم يكن

---

(٣١٧) بكللى « أ » ص ٨٨ ·
(٣١٨) علاء الدين خلجى ·
(٣١٩) كانتهى ساكون « أ » ص ٨٩ ·
(٣٢٠) نصرت خان أ ص ٨٩ ·
(٣٢١) جبا من أ ص ٨٩ ·
(٣٢٢) بنيادى بن سلاحدار أ ص ٨٩ ·

يستشير أحداً في تنفيذ الأحكام وادارة الأمور ، ولم يعد يصغي لقول أحد قط ، واذا عرض شخص كلاما خلاف رأيه أعرض عنه ، وأطلق لسان الاهانة والذم فيه ، لدرجة أنه لم يبق لشخص مجالا ، بأن يعرض بالرمز أو الاشارة أيضا ما يتضمن مصلحته وتبدلت أخلاقه الكريمة بالأوصاف الذميمة ، وسلك طريق القهر والقتل ، وكان مثل أبيه يريق الدماء البريئة ، من جملتهم ظفر خان والى الكجرات الذى كان ركن دولته قتله بدون جرم صدر منه وبعد ذلك كان قد لقب ملك شاهين بلقب وفاء الملك ، وبسبب وشاية أرباب الحسد قتله بدون ذنب ، وأخذ فى ارتكاب الأمور التى توجب زوال الملك وتنافى بقاء السلطنة وكان يهتم أغلب أوقاته بالزينة واللبس ، ويحضر المجالس وكان يطلب النساء الفاجرات ، العاهرات على سطح مقر هزارستون ، ويأمرهن أن يهينوا الأمراء الكبار مثل عين الملك الملتانى وملك قرابيك وقد شغل أربعة عشر عملا ، وأمثال هؤلاء عن طريق الهزل والسخرية ، ويقمن بحركات منكرة ، كأن يأتين عاريات أمام الرجال ، ويتبولون على ملابسهم ، وبسبب عداء السلطان قطب الدين للشيخ نظام الدين أولياء فقد منع الناس عن زيارة منزله ، وأخذ يهين اسم الشيخ بلا حياء ، واختار شيخ زاده جام وكان من المعارضين للشيخ واختصه بالقرب ، واستدعى الشيخ ركن الدين الملتانى المتعصب للشيخ نظام الدين أولياء من الملتان ، وبعد أن قتل ظفر خان حاكم الكجرات ، أرسل حسام الدين وكان أخو خسروخان من الأم مع أمراء وملوك الى الكجرات وأحال اليه حشم ظفر خان كله ، وعندما وصل الى الكجرات ، جمع طائفة « براوان » وأراد أن يثير الفتنة ، فقبض عليه الأمراء الآخرون المرافقون له ، وأرسلوه الى السلطان قطب الدين ، ومن أجل رعاية خاطر خسرو خان أخيه أطلق سراحه فى الحال وأنعم عليه بالانعامات الملكية ، وهذا الأمر كان سببا فى استياء الأمراء والأعيان ، وأرسل الى الكجرات ملك وحيد الدين قريشى بدلا من حسام الدين ، وكان موصوفا بالشجاعة والجرأة ، ونظم ورأب صدع الكجرات التى كانت خربة ومضطربة بسبب حسام الدين ، فى ذلك الوقت وصل الخبر أن ملك يك لكهى حاكم ديوكير قد رفع لواء المعارضة وبغى ، وعين السلطان جماعة من الأمراء المشاهير على جيش جرار لدفع ملك يك لكهى ، وتسكين هذه الفتنة ، وذهبت هذه الجماعة ، وقبضوا على ملك يك لكهى والمفسدين الآخرين الذين كانوا أس الفتنة والفساد بحسن التدبير ، وجاءوا الى دهلى ، وقطع السلطان أذن وأنف ملك يك لكهى ، وعاقب مرافقيه بعقوبات مختلفة ، وعين ملك عين الملك ملتانى على حكومة ديوكير وملك تاج الدين ابن خواجه

علاء الدين دبير « مشرفا »(٣٢٣) لهذه الولاية ، واستدعى ملك وحيد الدين من الكجرات ، وسلمه منصب الوزارة ، ولقبه بتاج الملك ، وعندما وصل خسروخان الذى كان قد عين على معبر الى هناك وجمع رايان هناك خزائنهم وأمتعتهم وفروا ، فاستولى على مائة فيل ويضع أفيال كانت قد بقيت من الرايان هناك ، ولما كان خواجه تقى التاجر الذى يملك مالا وفيرا اعتقد أن جيش الاسلام لن يلحق به ضررا ، لم يهرب ، وقد اغتصب كل أمواله وقتل هذا المسكين ، وقضى موسم المطر هناك ، وبسبب السوء والخسة اللذين فى طينته ، دعا الى التمرد ، وأراد أن يقتل الأمراء الذين برفقته ، ويستقل بولاية معبر ، وعلم ملك تمر (٣٢٤) حاكم جنديرى وملك مل أفغان (٣٢٥) وملك تلبغه بيده (٣٢٦) وكانوا رؤساء الأمراء المرسلين الى معبر ، بما ينوى عليه خسروخان ، ولم يتحدثوا معه ، وتوجهوا الى دهلى ، وخاف خسروخان من تهديد الأمراء ، وتوجه الى دهلى بسرعة ، وتأخر الأمراء فى بالكى ، ووصلوا فى سبعة أيام الى دهلى ، وكان تصورهم أنه بسبب تأييدهم وعونهم سينالون الانعامات السلطانية ، وعندما وصل خسروخان ، وتيسر له الخلوة ، شكا مر الشكوى من الأمراء ، وقال اتهمونى بالبغى والفتنة ، وارادوا أن يقتلونى ، لكن لما كان الله لا يريد فقد تخلصت منهم بلطائف الحيل ، وكان السلطان مولعا ومولها به ، فصدق اكاذيبه ، واستاء من الأمراء وبعد ذلك وصل الأمراء الى دهلى ، وعرضوا على السلطان كل الأفكار الفاسدة لخسروخان وقدموا الشهود على هذا ، ولكن لا فائدة ، سلك السلطان طريق المكابرة ، واعرض عنهم وأمر ملك تمر بالا يدع المعسكر ، وعزله عن حكومة جنديرى ، واعطاها لابنه ، وأمر ملك تليعه بأن يصمت وعزله عن مقاطعته وسجنه ، وعاقب ايضا الشهود ، وعندما رأى الأمراء الآخرون هذه المكابرة من السلطان صاروا صما وبكما (٣٢٧) وكل من رأى آثار المكر والغدر من خسروخان ، لاذ بالصمت ، ولم يتكلم ، والقوا بأنفسهم فى حمى خسروخان من قبيل العجز :

---

(٣٢٣) مشرف : المسئول عن الدخل « اقبالنامة اكبرى محمد ذكاء الله ج ٥ ص ٦١٠) .

(٣٢٤) ملك تمرد « أ » .

(٣٢٥) ملا أفغان « أ » ص ٩٠ .

(٣٢٦) ملك تليمه بعده « أ » ص ٩٠ .

(٣٢٧) « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ، البقرة ١٧١ .

« عندما تقوى يد أهل السوء ، فاعلم أن جوهره قد كسر »

« أودع كرسى العظماء للصغار ، فانظر كيف يحدث الجزاء ؟ »

وكان السلطان من غلبة شوقه وكثرة شهوته لخسروخان ثملا ومغرورا ، حتى انه لم يتنبه أو يتيقظ لغدره قط :

« عندما يحم القضاء من الفلك ، فانه يجعل العقلاء جميعا عميانا »

« فأينما لا يكون لانسان عقل ، فلن يرى أى شىء خفى »

وعندما رأى خسروخان أعداءه ضعفاء ومهزومين ، أدرك أنه ليس لدى أحد قط مقدرة على أن يشى عنه عند السلطان ، وعقد نية المكر والغدر وعزم عزما أكيدا ، وعرض ذات يوم فى الخلوة أنه طالما أن السلطان يرسلنى لتسخير الولايات على رأس الجيش ، ودائما يكون الأمراء الذين يرافقونى بجيشهم وقبيلتهم وأقوامهم أكثر منى ، وبالضرورة على أن أتابعهم ، ولما كانت طائفة براوان قومى وقبيلتى كثيرون فى الكجرات ، فلو أمرت أن أجمع أنا أيضا قبيلتى وأكون صاحب شوكة ! »، ووافق السلطان على التماسه ، وسمح له باستدعاء هذه الجماعة وجمع خسروخان فى فترة قصيرة خلقا كثيرا من طائفة براوان ، وحقق القوة ، وجد أكثر فى دعواه ، واتخذ بهاء الدين دبير ، وكان من أعداء السلطان ، رفيقا له ، واتفق مع مفسدين آخرين مثل ابن قره خمار ويوسف صوفى وأمثالهم ، وظل ينتظر الفرصة ، وأثناء ذلك توجه السلطان الى « ساساوه » (٣٢٨) للصيد ، وأراد خسرو خان وبراوان أن يقتلوا السلطان هناك فمنعهم ابن قره خمار ويوسف صوفى وقالا : بالفرض لو قتلنا السلطان فى الصيد ، فمن المحتمل أن يقصدنا الجيش ويقتلنا ، والأنسب هو عندما يكون السلطان على سطح هزارستون ، وهناك الخلوة ميسرة دائما ، وندخل فجأة ، ونقتله ، ونستدعى الأمراء من المنازل ، ونقبض عليهم جماعات ، فان تابعونا يكون أفضل والا قتلناهم أيضا ، وعندما عاد السلطان من الصيد ، انشغل بالشرب واللهو كعادته :

« عاد من هناك بقلب سعيد ، جاء الى الحفل من الجبل والصحراء »

« ولكن غافل عن حقد الزمان الذى سينهى أمره »

(٣٢٨ سير « ١ » ص ٩١ .

ونال خسروخان حفاوة أكبر ، وعرض ليلة فى الخلوة « طالما أنا دائما فى خدمتك ، وأقضى الليالى فى « تيسخانه » فان بعض أقربائى الذين جاءوا من الكجرات بالانعام السلطانى يريدون مقابلتى ، وحرس « دولت خانه » يمنعهم فهل لو أمرت ألا يمنعوهم ، فأمر السلطان أن يسلموا مفاتيح أبواب « دولت خانه » لخسروخان وقال : من أهل الثقة أكثر منك ومن اخوتك ؟ فأمر « دولت خانه » فى عهدتك ، وتفاءل خسروخان من أخذ المفاتيح ، واستبشر ورأى التوفيق لنفسه :

« عندما ترى النصر فهكذا الحال ، ترى دليل الظفر فهكذا الفال »

« من هذا الفال السعيد قوى القلب الملكى مثل جبل قوى »

المهم ، عندما سيطر براوان على البلاط السلطانى ، أخذ هـذه الجماعة الجسورة السفاكة فى جمع المدافع والجيوش المسلحة ليل نهار فى « تيسخانة ، وخسروخان ، وانتهزوا الفرصة ، وبالتدريج وضح هذا الأمر لجميع الناس من أن خسرو خان دبر الأمر ولكن كانوا متأكدين أنه بسبب المحبة التى يكنها السلطان له ، لو عرضوا ذلك على السلطان سيقبض عليهم السلطان ويسلمهم له ، ورأوا أنه هو الغالب بالمطـلق وأنه هو (السلطان) المغلوب المحض ، ولم يستطع أحد أن ينبس ببنت شفه ، وذات يوم عرض القاضى ضياء الدين المخاطب بقاضى خان وهو يتصف بالعلم الوافر والعمل ، وفى مكانة أستاذ السلطان ، وتشجع وفضل خير البلاد والعباد على نفسه ، وقال :

« أيها السلطان فليكن العقل دليلك ، وليكن الظفر رفيقك وعدوك عاجزا »

« فلتلجأ الى الله الخـالق ، مـلاذ مـلك العـالم »

اننى ربيب نعمة السلطان وأبيه ، ونحن نعلم أمن ورفاهية الناس فى وجود السلطان ولو قصرنا فى قول كلمة الحق ووافقنا ، فان الظلم سيلحق بنا وبالناس وبالسلطان أيضا فاننى أعلم الارادة الفاسـدة والتفكير السيء لخسروخان ، وكثرة براوان واتفاقهم مع بعض المتمردين واجتماعهم كل ليلة فى ساحة منزل خسروخان وقال : واجب على السلطان أن يدقق فى هذا الأمر ، فلو صدق ، فواجب على السلطان أن يحتاط لنفسه ، وان كان كذبا : فليكثر من اعتماده على خسروخان واخوته ، وكلما قال القاضى هذا ، لا يجد فائدة ، ولا مجيبا ، بل أنه قال كلاما قاسيا وألفاظا نابية للقاضى ، وعاقبته كانت كما رأى :

« لا ينبغى أن تدع نصيحة العظماء ، ولا يجوز أن تكتب كلامهم على الورق »

« لأنه طالما كان مجربا ، فانه يذكرك بنصيحـة الزمان »

وبعد فترة عندما ذهب خسروخان الى السلطان وكان قد سمع ما قاله القاضي فذكره بذلك ، فبكي خسروخان المكار الغدار وقال بسبب عناية السلطان بى ورعايته لي يحسدني كبار رجال البلاط ، ويسعون فى دمى ، واليوم أو غدا سيتهموني بتهمة كبيرة ويقتلونني ، ولهذا السبب أبكى واعتبر نفسى من زمرة القتلى ، وأثر بكاء هذا المنافق فى قلب السلطان فاحتضنه السلطان ، وطبع عدة قبلات على شفتيه ووجنتيه ، وقال لو اتحد أهل الدنيا كلها ، ووشوا فى أمرك ، فلن أسمع لهم : فان هواك قد جعلنى استغنى عن العالم ، ولا قيمة للدنيا بدونك :

« لن يضيع هواك مطلقا من رأسنا ، تذهب هذا الرأس ولا يذهب هواك منها »

وعندما انقضى من الليل فترة ، وعاد الأمراء الذين لم يكن لهم نوبة الحراسة ، ونزل القاضي ضياء الدين الذى كان بعهدته دائما الحراسة من فوق « هزارستون » وتفقد أحوال الأبواب والحراس ، ولم يبق فى خدمة السلطان سوى خسروخان ، ودخل جماعة من براوان « هزارستون » وهم يخفون الخناجر تحت ابطهم ، والتقى رندهول عم خسروخان بالقاضى ضياء الدين ، فشغله بالحديث ، واعطاه بطاقة الزيارة ، وكان قد حان أجل القاضي ، فى ذلك الوقت أخرج جاهريا نام براوى الذى أراد قتل القاضى ، وقتل القاضى بضرب الخنجر ، وصاح بقدر ما استطاع ليعلن الغدر ، وقامت جلبة بين الناس ، وعندما وصل الصياح الى اذن السلطان ، قال لخسروخان ، ما هذه الغوغاء ؟ فابتعد خسروخان أمام السلطان وعاد ، وقال : ان جيادا انفلتت وتتعارك ، فى هذه اللحظة توجه جاهريا – خان خسروخان – مع جماعة الى قصر هزارستون ، وقتلوا ابراهيم واسحاق القائمين بحراسة باب القصر ، واطلع السلطان على حقيقة الأمر ، فنهض ، وجرى الى الحرم ، فتعقبه خسروخان ، وامسك شعر السلطان ، وجذب السلطان اليه ، والقاه تحته ، وجلس على صدره ، فى هذا الوقت وصل جاهريا ، وطعن السلطان طعنة قاتلة فى جنبه ، فسقط على الأرض ، وفصل رأس هذا المظلوم عن الجسد ، والقاها من فوق « هزارستون » :

« سيف السماء الغدار مثل فيل « مست » انطلق على هذا الجسد الضخم »
« ضربوه بطعنة فى الجنب ، حتى صارت الأرض من الدم مثل حديقة شقائق النعمان »

عندما رأى الناس رأس السلطان ، اختفى كل واحد فى ركن ، وسكنت الغوغاء ، وقتلوا جمعا كبيرا من الحاضرين فى هذه الليلة عند

السلطان ، وعندما أنهى براوان أمر السلطان ، توجه رندهول وجاهريا مع عدد من الأفراد الآخرين الى حرم السلطان ، وجذبوا الأمير فيدخان ومنكوخان وكانا من أولاد السلطان علاء الدين من أمهما وقطعوا رؤوسهما ، وقامت جلبة فى حرم السلطان ، وأطلقوا يد النهب ، وأخذوا ما وجدوه :

« صار هذا العرش وهذا البلاط ، مصدرا للصوصية مثل الشيء المفقود »

وبعد أن انتهوا من قتل الأمراء ، جمعوا ملك عين الملك الملتانى وملك وحيد الدين (٣٢٩) قريشي وملك فخر الدين جونا (٣٣٠) وهو السلطان محمد تغلقشاه ، وأبناء قران بيك والأمراء الكبار الآخرين الذين كانوا قد استدعوهم فى هذه الليلة على سطح هزارستون ، وجمعوا حتى الصباح من طائفة براو والمؤيدين لخسروخان الآخرين خلقا كثيرا ، وعندما حل الصباح ، جمع العلماء وأكابر المدينة ، وقرأ عليهم الخطبة ، وجلس على عرش السلطنة ، ولقب نفسه بالسلطان ناصر الدين وقبض على عدد من الأمراء المشاهير الذين كان يخشى معارضتهم ، بالحيلة والتدبير ، وقتلهم ، وأعطى رندهول أموال القاضى ضياء الدين المقتول ، ونجت زوجة القاضى هاربة ، ولقب حسام الدين أخاه بخان خانان (٣٣١) ورندهول « براى رايان » وابن قره قمار بأعظم الملك ، ولقب من أمراء للسلطان قطب الدين عبد الملك ملتانى بعالم خان ، وأعطى الملك تاج الملك وحيد الدين قريشى ديوان للوزارة ، وترك أشغال الملك لأبنائه ، وأعطى جاهريا (٣٣٢) قاتل السلطان قطب الدين الدرر والجواهر ، وشمله بأنواع الانعامات ، وقسم حريم السلطان قطب الدين بين « براوان » وتزوج زوجة السلطان :

« أيها العالم ، عندما تربي أحدا ، فما الفائدة من أن تمزق حجبه »

« لا أعلم ما خفى لك يا صديقي ، لأنه ان ظهر لك فينبغى أن تبكى »

ولما كان أكثر « براوان » هنادكة ، خفضوا شعار المسلمين ، وازدهرت رسوم الهنادكة ، وشاع تخريب المساجد وعبادة الأصنام ، ومن أجل تأليف القلوب نثر خسروخان الذهب ، وأنفق أكثر الخزائن فى البذل ، ولما كان غازى ملكا وكان من كبار أمراء السلطان علاء الدين

---

(٣٢٩) حيدر « ١ » ص ٩٢ .
(٣٣٠) فخر الدين جونا « ١ » ص ٩٣ .
(٣٣١) خانان « ١ » ص ٩٣ .
(٣٣٢) جاهريا « ١ » ص ٩٣ .

وصاحب جماعة وقبيلة ، وحاكما على ديباليور (٣٣٣) وملك فخر الدين جونا وهو خليفة غازى ملك ويتصف بالشجاعة والسخـــاء ، وكـان فى سلك أمراء علائى (٣٣٤) ، وسعى خسروخان للقبض على هـــذين الشخصين ، وفكر فى أمرهما ، وبناء على هذا نصب ملك فخر الدين جونا بمنصب «آخر بيكى» وسعى لارضائه وطلب غازى ملك ، ولما كان غازى ملك رجلا شجاعا ومتدينا فقد شك فى أمره ، وعقد العزم على الانتقام لدماء ابن ولى نعمته ، وأرسل الرسائل الى أمراء الأطـراف والنواحى ، وسعوا لاستئصال كافر النعمة هذا ، وأثناء ذلك أسرع ملك فخر الدين جونا ، الى ديبالبور من طريق دهلى ليلا ، وأستاء خسروخان الذى استيقظ من نوم الغفلة على زوال دولته ، وأرسل ابن قره قمار «عارض ممالك» مع أمراء كبار لتعقب ملك فخر الدين جونا ، وتعقبوا هذه الجماعة حتى قصبة سرستى ، وعادوا ، وكان غازى ملك قد ترك قبل هذا بعدة أيام مائتى فارس فى قلعة سرستى ، وحصنها ، وفكر فى هذا اليوم ، ووصل ملك فخر الدين جونا مع عدد من الفرسان الذين رافقوه الى ديبالبور ، وسر الأب من مجىء ملك فخر الدين ، ودق طبل الفرح وعقد العزم على الانتقام ، واهتم باعداد الجيش ، وسعى لاستئصال «براوان» .

وأعطى خسروخان أخاه الذى كان يسمى خان خانان «جتــر ودورباش» ولقب يوسف صوفى بصوفى خان ، وعينه مع اكثر الرجال الموثوق فيهم والفدائية لمهاجمة غازى ملك ، فى أثناء ذلك التحق ملـك بهرام أبيه أجه والملتان بغازى ملك بجيش منظم للانتقام من كافرى النعمة وعندما اقترب جيش خسروخان استقبل غازى ملك ايضا هذه الطائفة التعيسة ، وبعد القتال والجدال حقق النصر والظفر ، وخـرج خسروخان ويوسف خان من تحت الأقدام جرحى ، وذهبا الى دهلى ، وسقط الحشم وأسباب السلطنة كلها فى يدى غازى ملك ، وصار غازى ملك قويا بهذا النصر ، وأعد الجيوش وتوجه الى دهلى للقضاء على هؤلاء المنحوسين ، وسعى كافر النعمة هذا أيضا بأقصى غاية ببذل المال وكثرة الرجال ، وخرج من المدينة ،وأقام المعسكر فى صحــراء قـرب حوض علائى ، وأنعم على الجنود بمرتب نصف عام مستقبلا ، فى هذا الوقت فر عين الملك الملتانى وكان من أعاظم ملوكه ، وتوجه الى أجين ودهار ، وهذا الأمر سبب احباطا لخسروخان ، وجعله يضطرب ، وفى

---

(٣٣٣) ديبال «أ» ص ٩٣ .

(٣٣٤) علاء الدين خلجى .

نواحى « أندريته » (٣٣٥) تقابلت طائفة أهل الخير وأهل السوء ، وانتصر الحق على الباطل ، ووقعت الهزيمة على خسروخان فقتل ملك تلبغه ناكورى وابن قره قمار الذى كان ملقبا بسايستخان (٣٣٦) وكانا من أركان الدولة الهزيلة ، وقاتل خسروخان لما كان يتسم به من تهور وشجاعة ، حتى آخر اليوم ، وفر الى « تلبته » وسقط « جتر وعلم وحشم خسروخان فى يد غازى ملك ، وعاد خسروخان لاضطرابه وحيدا من تلبته ، واختفى فى حظيرة ملك شادى وكان صاحبه فى أول الأمر ، وفى اليوم التالى أسره ، واحضره الى غازى ملك ، وقتلوه ، وقد ذكر الزمان بلسان حاله هذا المعنى على خسروخان كافر النعمة :

« الشجرة التى تلقى الرعاية تأتى بالثمر ، والآن تراه بجـوارها »

« ولو قطعت أشـــواكها ، فلـــن تأتى بالخضـــرة »

وأسرع الصغار والكبار فى المدينة لاستقبال غازى ملك ، وهنأوه ، وباركوا له ، وركب غازى ملك فى اليوم التالى من « أندربته » ونزل فى قصر « سيرى » (٣٣٧) وجلس مع الأمراء وأركان الدولة والأكابـــر فى هزارستون ، وتلقى العزاء فى السلطان قطب الدين وأبنائه ، وبكى وحزن ، وبعد ذلك صاح بصوت عال فى هذا الجمع وقال : « اننى ربيب نعمةالسلطان علاء الدين والسلطان قطب الدين ، ومن أجل شكر نعمتهما، قاتلت أعداءهما بالسيف وانتقمت لهما ، ليس طمعا فى الملك والجاه ، الآن أنتم حاضرون فى هذا المجتمع ، اذا كان هناك شخص من أولادهما وأبنائهما باقيا ، فأحضروه ، لنجلسه على العرش ، ونحن نقدم له الخدمة، وان لم يبق أحد ، فأى شخص تدركون أنه جدير بالعرش ولائق للسلطنة ، فأنا أيضا أطيعه ، فقال العظماء الذين كانوا فى هذا المجلس جميعا : لم يبق من أولاد هذين السلطانين أحـــد ، والفترة التى واجهت فيهـا المغول ، وكنت درعا لجميع أهل الهند ، فقد ثبت حقك الكبير على أهل الهند ، والآن هذا العمل الذى فعلته ، وانتقامك من أعداء أولياء نعمتك ، فهذه حقيقة أخرى ثبتت لك عنم الخواص والعوام ، فليس غيرك من أحد لائق للسلطنة وأهل لأولى الأمر ، قالوا هذا وأخذوا يـد غـازى ملك ، وأجلسوه على العرش ، ولقبوه بالسلطان غياث الدين تغلقشاه ، وانعقدت له البيعة العامة والخاصة :

---

(٣٣٥) مذينه « أ » ص ٩٤ ٠

(٣٣٦) نال ثلاثة ألقاب هى أعظم الملك وعارض الممالك وشايسته خان ٠

(٣٣٧) بسرى « أ » ص ٩٥ ٠

« محطم الأعداء الملك المحظوظ ، بفأل طيب ، جلس على العرش »

« جدد نشاط ونصر الدولة الموفقة على مـــر الزمـــان »

ذكر السلطان غياث الدين تغلقشاه :

جلس السلطان غياث الدين بموافقة الأمراء وأعيان عصره فى سنة ٧٢٠ هـ على عرش السلطنة فى القصر الأخضر (٣٣٨) وانتشر نداء العدل والانصاف ونامت الفتن المتيقظة ثانية ، وجدد رونق الحكم ، وفى أسبوع واحد كان ينجز مصالح الناس التى لم يتيسر للآخرين فى سنـوات انجازها :

« فلتثمـــر شجـــرة النصر التى فى ظلها تستطيع أن تتظلل »

« أحيانا تزين المائدة من الفاكهة ، وأحيانا نريح الروح فى ظلها »

وتفقد أحوال من بقى من نسل وعيال السلطان قطب الدين والسلطان علاء الدين أينما كانوا ، واسعدهم بالوظيفة والدخل ، وقتل الجماعة الذين اشتركوا فى عقد زواج زوجة السلطان قطب الدين على خسروخان ، ونالوا جزاءهم ، وأنعم على الأمراء وملـوك السلطـان قطب الدين بالانعامات ، وزاد من اقطاعاتهم وقسم عليهم أعمال السـلطنة ، وأكرم خواجه خطير وملك أنور جنيدى (٣٣٩) وخواجه مهذب بزرك (٣٤٠) وكانوا دائما لهم مكانة عند السلاطين السابقين ، وأنعم عليهم وسمح لهم بالجلوس وكان يسألهم عن قوانين وأحكام السلاطين السابقين ، التى كانوا قد وضعوها فى مجال اقامة الملك وانتظام أحوال الناس ، وكان يتبعها ، وكان يتحرز من الأمر الذى يبعث ضرر ومحنة الناس ، وكان اذا رأى أقل اخلاص من شخص يرفعه الى درجة عالية ، وكل من يظهر منه خدمات جليلة ، يكرمه بالانعامات الطيبة ، وكان يعتدل فى أمور الحكم ، ويجتنب الافراط والمبالغة .

لقب السلطان محمد وكانت آثار العظمة والنعمة ظاهرة عليه بلقب ألغ خان (٣٤١) وأعطاه « جتر » وجعله واليا للعهد ، ولقب الأمراء الآخرين الأول ببهرام خان والثانى بظفر خان والثالث بمحمود خـــان والرابع بنصرت خان ، ولقب بهرام أبيه (٣٤٢) وهو أخوه غير الشقيق

---

(٣٣٨) كوشك سبز .

(٣٣٩) أنور أجندى « أ » ص ٩٥ .

(٣٤٠) خواجه مهب بزرك « أ » ص ٩٥ .

(٣٤١) الف خان « أ » ص ٩٥ .

(٣٤٢) بهرام آهيه « أ » ص ٩٦ .

بلقب كشلوخان (٣٤٣) وعينه على اقطاع الملتان وجميع بلاد السند ، ولقب ملك أسد الدين ابن أخيه بلقب بأربك ، وجعل بهاء الدين ابن أخته « عارضا للممالك » واقطعه سامانه ، وعهد لملك شادى أخيه وصهره بأمر ديوان الوزارة ، ولقب ابنه بالمتبنى بتاتارخان ، وأنعم عليه باقطاع ظفر آباد ، وأعطى ملك برهان الدين والد قلتغخان وزارة ديوكير (٣٤٤) ولقب القاضى صدر الدين لقب « صدر جهانى » وأحال قضاء مدينة دهلى لقاضى سماء الدين (٣٤٥) وجعل أمر ملك تاج الدين جعفر نائب عرض ممالك الكجرات ، وقسم الأشغال الأخرى أيضا على الأشخاص كل حسب حاله ، ولم يكن يكف عن تقديم المستحقات لأهلها ، ولم يكن يهمل الأشخاص أهل الاستعداد ·

وفى تحديد خراج المملكة فقد رعى التوسط ، ولم يصغ الى الوشاة ، واذا كان قد أخذ من شخص أكثر مما هو مقرر من مقاطعته ، حقق فيه ، واسترده ، واذا أخذ شخص مبلغا باسم الحشم ولم يصل هذا القدر الى الحشم ، عاتبه ، وحكم باعادته ثانية ، واسترد الذهب الذى كان قد بذله خسروخان على الناس فى حالة اضطرابه ، وأدخله الخزانة ، وكل من كان يهمل فى أداء هذا الذهب ، كان يقع عليه الشدة والتعذيب ، وكان يستدعى أكثر الأوقات الخواص والعوام ، وينعم على كل شخص حسب استعداداته واستحقاقه ، وكان ينعم على جميع الصدور والعلماء والمشايخ والأمراء حسب حالتهم كلما وصلته رسالة فتح أو حدث حادث سعيد لأحد الأمراء أو يولد ببيته ولد ، وكان يطلع على أخبار الزاهدين ويتفقد أحوالهم ، وكلما سمع عن شخص من أهل مماكلة اضطراب أحواله ، يتدارك أمره ·

« عندما صارت السعادة قرينة للملك ، ضحك الجلنار وتفتح الورد »

« فتح الكنز على آخره ، وصار الجيش غنيا من الكنز والجوهر »

وكان يستدعى أولاد واتباع وأعوان وأركان دولته كل شهر ، وينظر فى أحوالهم ، واذا وجدهم فى حاجة أو ضرر ، سعى لتلافى هذا ، وكان يتبع أسلوب السلطان علاء الدين فى حلبة الفرسان ، ومعرفة الجياد وقيمتها ، ورعاية أحوال الحشم ، وأقر ما كان قد وصل الى الحشم من خسروخان سنويا وكتب ما تبقى فى دفتر الزيادات باسمهم ،

---

(٣٤٣) لشكرخان « أ » ص ٩٦ ·
(٣٤٤) ديوكره « أ » ص ٩٦ ·
(٣٤٥) معمار الدين « أ » ص ٩٦ ·

وأنعم عليهم فى السنوات المستقبلة بالتدريج ، وأعاد الحق للمستحق من الوظائف والدخول والأوقاف ، التى كان قد أعطاها السلطان قطب الدين وهو فى حالة سكر بدون وجه حق واستردها ، وظهرت المساواة بين الناس من بركة عدل وانصاف السلطان تغلقشاه وسقط اسم التمرد والبغى ، ولما كانت أبواب دخول المغول قد سدت ، فانه لم يصل بخاطرهم قط أمل المجىء الى الهندوستان فى مدة سلطنته ، وكان يرغب فى اقامة المبانى ، وأمر ببناء قلعة تغلق آباد ومبان أخرى ، وكان حسن الذات طيب الاعتقاد ، متقيد الأمر والنهى ، وكان يقضى أكثر أوقاتــــه فى العبادات ، ويقوم الليل ويؤدى النفل ، ولا يقترب من المسكرات ، وكان يتشدد فى منع الشراب ولم ينحرف عن السلوك الذى كان يسلكه فى أثناء ملكه (٣٤٦) مع أهل البيت والغلمان ومماليكه القدامى وأتباعه ٠

وفى سنة ٧٢١ هـ عين السلطان محمد الملقب بألغ خان (٣٤٧) مع بعض أعوانه القدامى وسائر الأمراء الكبار على أرنكل ، وتوجه ألغ خان بجيش جرار وبكامل العظمة والقوة الى أرنكل ، وعندمــــا وصل الى ديوكير ، رافقه الأمراء الذين كانوا فى ديوكير ، ودخــل ولاية تلنك فى رحيل متواتر ، ونهبهذه الولاية ، وتحصن راى رودرديو (٣٤٨) والرايان الآخرون فى قلعة أرنكل ، وحاصر ألغ خان قلعة أرنكل ، وسعى فى أعداد النقب والمجانيق ، وكانوا يقتلون الناس يوميا من الطرفين ، وأخيرا عندما تغلب جنود ألغ خان واقتربوا أكثر وفتحت القلعة ، أرسل راى رودرديو الرسل الى السلطان محمد وقبل دفع المال والأفيال والجواهر النفيسة ، وقرر أن يقدم الهدايا أيضا فى السنوات القادمة على النظام الذى كان متبعا مع السلطان علاء الدين ، ولم يقبل الغ خان الصلح ، وسعى أكثر فى الاستيلاء على القلعة ، واقتــرب موعــد فتح القلعة ، ولما كان من المقرر أن تصل جياد البريد (٣٤٩) من دهلى مرتين فى الأسبوع ويحضروا خبر السلامة ، وتصادف أن مر شهر ولم يصل خبر بسبب أنه لم يكن طريق جياد البريد آمنا ، وأطلق عبيد شاعــر وشيخزاده دمشقى ، وكانا أس الفساد والفتنة ، ولهما تقريب عنـد ألغ خان ، اشاعة كاذبة من أن السلطان غياث الدين تغلقشاه قد توفى فى دهلى ، واستولى آخر على عرش السلطنة ، واضطرب حال الجيش

---

(٣٤٦) أثناء عمله بلقب « ملك » ٠

(٣٤٧) ألف خان « أ » ص ٩٧ ٠

(٣٤٨) راى لدرديو « أ » ص ٩٧ ٠

(٣٤٩) دا كجوكى ٠

من هذا الخبر ، فى ذلك الحين اختلى عبيد شاعر وشيخزاده دمشقى بملك تمر (٣٥٠) وملك تكين (٣٥١) وملك مل أفغان وملك كـــافور مهردار (٣٥٢) وقالا لهم : لما كان ألغ خان يعلم أنكم من أكابر ملوك السلطان علاء الدين وشركائه فى ملكه ، فقد قرر أن يقبض على أربعتكم ريقتلكم ، واضطربوا من سماع هذا الخبر ، وحدث فـــزع عظيم فى الجيش ، وأخذ كل شخص رأسه ونجا ، واضطرب ألغ خان نفسه وفر مع عدد معدود من خاصته من طريق ديوكير ، وخرج أهل القلعة ، وسلبوا مؤخرة الجيش وقتلوا كثيرا من جنود ألغ خان .

أثناء هذا الحال ، وصل جواد البريد وباصطلاح هؤلاء القــوم « آلاغ » (٣٥٣) من دهلى ، وأحضر الفرمان من أن السلطان غياث الدين تغلقشاه بصحة وسلامة ومتمكن من عرش دهلى ، ووصل الغ خان سالما الى ديوكير ، وجمع جيشه المتفرق ، وتفرق هؤلاء الأربعة أمراء الذين كانوا قد خرجوا من الجيش عن بعضهم ، فقتل حشمهم وخدمهم ، وسقطت أمتعتهم وأسلحتهم فى يد « زميندارانّ » ، ودخـل ملك تمر مع عدة أشخاص بين زميندارن ، واختفى ، وقتل الهنود ملك تكين حاكم أوده ، وأرسلوا جلده الى الغ خان ، وقبضوا على ملك مل أفغان وعبيد شاعر وأهل الفتنة الآخرين أحياء ، وأرسلوهم اليه فى ديوكير ، وأرسلهم الغ خان الى والده فى دهلى ، وكانوا قد قبضوا فى دهلى على أولادهم وأتباعهم أيضا ، وعقد اجتماعا عاما فى ميدان سرى ، وقضى على عبيد شاعر وأرباب الفتنة ، وألقى بأولادهم واتباعهم تحت اقدام الأفيال ، ونال الغ خان أيضا الانعامات الطيبة من والده .

بعد أربعة أشهر أرسل السلطان غياث الدين الغ خان بجيوش جرارة كاملة الاستعداد الى ارنكل ، وفى هذه المرة دخل الغ خان ولاية تلنـك ، واسـتولى على قلعـة بـدر ، وقبـض على حاكمهـا وتوجـه من هناك الى ارنكل وحاصرها ، وفى مدة قصيرة فتح القلعة الداخلية والخارجية ، وقبض على رايان هذه الولاية وأولادهم وأتباعهم ، واستولى على افيالهم وأمتعتهم وخزائنهم ، وأرسل رسالة فتح الى دهلى ، وقرأوا هذه الرسالة على منبر دهلى وسرى وتغلقآباد وعقد الأفراح والحفلات وأرسل راى رودرديو افياله وخزائنه مع ملك بيدار الملقب بقـد خان

---

(٣٥٠) ملك تمرد « أ » ص ٩٧ .

(٣٥١) ملك نكين « أ » ص ٩٧ .

(٣٥٢) كافور مهروار « أ » ص ٩٧ .

(٣٥٣) « آلاف » أ ص ٩٧ وتعنى جواد البريد .

وخواجه حاجى نائب عرض ممالك الى السلطان تغلقشاه ، وسمى ارنكل « سلطانبور » وضبط جميع ولاية تلنك ونصب العمال والولاة ،وأخذ خراج سنة ، وتوجه من هناك الى جاجنكر للنزهة ، واستولى على أربعين فيلا وأرسل الأفيال الى السلطان ٠

بعد أن فتحت ارنكل ونواحيها ، وتحقق للسلطان غياث الدين النجاح فى كل ناحية ، عرض بعض رجال الدولة ظلم وتعدى ، وفساد حكام البنغال ، وحرضوا السلطان على التوجه الىلكهنوتى ، وصمم السلطان التوجه الى هناك ، واستدعى ألغ خان من ارنكل ، وتركه نيابة عنه فى دهلى ، وتوجه بالعساكر الظافرة القاهرة الى لكهنوتى ، ولما كان صيت شجاعةوبطولة السلطان تغلقشاه قد غطت النواحى والأطراف، فمجرد أن نزل فى نواحى ترهت ، استقبله السلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى ، والرايان الآخرون وزميندارات حكام هذه البلاد ، وأسرعوا لملازمته ، وسير أمامه تاتارخان وكان ابنه بالتبنى وحاكما لحكومة ظفر آباد ، بجيش جرار ، وذهب واستولى على جميع هذه البلاد ، وأحضر السلطان بهاد رشاه والى سناركام الذى كان مستقلا والقيد فى رقبته ، وأرسل جميع أفيال هذه الديار التى كانت قد وقعت فى يده الى « فيل خانه سلطانى » وسقطت غنائم كثيرة فى يد جيش السلطان فى هذه الرحلة ، وسلم السلطان تغلقشاه « جترودورباش » للسلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى الذى كان قد بايع وأطاع ، ودخلت سناركام ضمن البلاد ، وقرأوا رسالة فتح لكهنوتى فى دهلى ، وعقدوا الأفراح والحفلات ، وعاد السلطان ظافرا منتصرا الى دهلى وانفصل بنفسه عن الجيش وأسرع فى طريق العودة فكان يقطع المنزلين فى زمن واحد ٠

عندما علم ألغ خان أن والده سيأتى سريعا ، أمر أن يبنوا قرب أفغانبور قصرا على مسافة ثلاثة فراسخ من تغلقآباد فى ثلاثة أيام ، حتى اذا جاء السلطان ينزل فيه ويقضى الليل ويستقبل أهل المدينة الذين يدركون ملازمته هناك ، وعندما يحل الصباح ، يدخل المدينة فى ساعة سعد بكوكبة وأبهة سلطانية ، وعندما وصل السلطان الى هذا القصر ، عقدوا الأفراح فى تغلقآباد ، وخرج ألغ خان معالملوك والأمراء وأكابر المدينة لاستقباله ، وتشرفوا بملازمته وجلس السلطان تغلقشاه مع الجماعة التى استقبلته فى هذا القصر ومدوا المائدة الخاصة وعندما رفعوا الطعام ، وأدرك الناس أن السلطان سيركب بسرعة ، خرجوا دون أن يغسلوا أيديهم وظل السلطان يغسل يديه ، وفى هذه الأثناء سقط سقف القصر ، والتحق السلطان تحته برحمة الله ، وكانت مدة سلطنته أربع سنين وعدة أشهر ٠

مذكور فى بعض التواريخ أنه لما كان القصر حديث البناء وجديداً ، والأفيال التى كان قد أحضرها السلطان تغلقشاه من البنغال تجرى حول القصر ، لذا هبطت أرض القصر ، وسقط السقف ولم يكن خافيا على ضمائر أرباب البصيرة أنه لم يكن ضروريا أبدا بناء هذا القصر ، وان الغ خان كان يقصد ما حدث لأبيه ، والظاهر هو أن صاحب تاريخ فيروزشاهى ، عندما صنف فى عصره السلطان فيروز قد أهمل ذكر ذلك لأن السلطان محمد كان مفرطا فى حب السلطان فيروز ، وقد سمعت أنا (٣٥٤) هذا المعنى تكرارا من الثقاة ، والمشهور هو أنه لما كان السلطان تغلق يستاء من خدمة الشيخ نظام الدين أولياء فقد أرسل الى الشيخ رسالة أنه عندما أدخل دهلى يخرج الشيخ منها ، قال الشيخ « لم تزل دهلى بعيدة » ، شاع هذا اللفظ بين أهل الهند ومثلا ، والمشهور هو أن السلطان محمد تغلق كان مريدا للشيخ ، ومعتقدا فيه ، والعلم عند الله ، وفى نفس هذه السنة أيضا انتقل الشيخ نظام الدين قدس سره وأمير خسرو من ضيق الجسد الى العالم الروحانى ·

ذكر السلطان محمد تغلقشاه :

كان خلف صدق وولىعهد السلطان غياث الدين تغلق ، استقر على عرش السلطنة بعد وفاة الأب ، وتوقف هناك أربعين يوما من أجل اصلاح أمر المملكة وترتيب أمور الحكم واختيار الساعة (٣٥٥) بعد ذلك جلس فى « دولت خانة » القديم بالرسم المعهود على عرش سلاطين السلف ، وتلقب بالسلطان محمد شاه ، ودقوا طبول الفرح فى المدينة ، وعقدوا الأفراح ، وزينوا الأسواق والحارات ، وعند دخول المدينة ، كان هذا القدر من الفضة والذهب والتنكة التى نثرت على جتر لم تحدث فى أى عصر قط وكان السلطان محمد من عجائب الخلق وجامعا للاشداء ، أراد فترة أن يكون مثل الاسكندر ويسخر الأقاليم السبعة ، وأحيانا عقد العزم على ألا يخرج الجن والانس عن دائرة اطاعته ، وأحيانا كان يتمنى أن يجمع السلطنة بالنبوة ، وينفذ بنفسه الأحكام الشرعية والملكية ، وكان يلتزم التزاما تاما بأداء الصلاة والصوم ، وقيام النوافل والمستحبات والأشتغال بالأوراد ، وكان يسعى سعيا جادا فى اجتناب المناهى والمسكرات وسائر ما يسمى معصية ، وبلغ فى القهر والقتل واراقة الدماء البريئة ، وتشديد وتعذيب عبيد الله درجة أن خلت الدنيا من خلق الله ، وبلغ سخاؤه درجة الى أن خلت الخزائن فى طرفة العين ،

---

(٣٥٤) نظام الدين أحمد مؤلف طبقات اكبرى ·

(٣٥٥) ساعة الحظ المناسبة ·

وكان الغنى والفقير والغريب والمعروف فى نظره سيان وعندما أعطى السلطان بهادر سناركامى ملكه سمح له بالسفر ، وأنعم بما كان فى خزائنه من نقد عليه ، وكان يهب ملك غزنين عشرة ملايين تنكه سنويا ، ويهب قاضى غزنين نفس القدر أيضا كى لا يضيق على أحد ، وملك سنجريد بدخشانى ثمانية ملايين تنكه ، وملك عماد الدين سبعة ملايين تنكه ، وسيد عضد أربعة ملايين تنكه ، وعلى هذا القياس لم تقل انعاماته عن لكه (٣٥٦) وواضح أن المراد من هذه التنكه ، تنكه فضة لأن « باره » (٣٥٧) نحاس وتعادل ثمانى تنكات ، وكل من ذهب الى بلاطه من الأفاضل وأهل الأدب يجد أنواع الرعاية والانعام ، وكل من لاذ ببلاطه من خراسان والعراق وما وراء النهر وسائر أطراف العالم نال هذا القدر من الاحسان لكى يأمن ذل الحاجة حتى آخر العمر ، ولم يوجد مثله فى اختراع ضوابط الحكم واصابة الرأى ، وكان يحكم على الفور بالبديهة ومعرفة محاسنه ورذائله لما كان يتمتع به من فراسة صادقة ، وحدة قوية ، وكان يعلم ما فى ضمير الشخص قبل أن يتكلم ، وكان له لطافة فى البيان وانشاء العبارات واختراع المضامين وضرب المثل ، ولديه موهبة مناسبة فى النظم والنثر ، وماهرا فى علم التاريخ ، وكان مغرما بعلوم الحكمة والمعقولات ، وكان فى صحبته سعد منطقى وعبيد شاعر ومولانا علم الدين وكانوا من علماء الفلسفة ، ولا يهتمون بظاهر الشريعة ، ومن كثرة مصاحبتهم وممارستهم للعقليات استقر فى خاطره أن الحق منحصر فى العقلانية ، وكان يقبل من النقليات ما يوافق العقليات ، ولم يكن يقبل النقليات الصرفة ، ومع هذا الحال كان مطيعا ومعتقدا فى الخليفة العباسى ، ويدرك انه حرام الحكم دون موافقته وأذنه ، وكان يبالغ فى تعظيم وتوفير رسلهم ، ويذهب فى استقبال سفارتهم مترجلا .

وسعى فى تسخير البلاد وضبط الممالك الى أن استولى على الكجرات ومالوه وديوكير وتلنك ، وكنبله ودهورسمند ومعبر وترهت ولكهنوتى وستكام (٣٥٨) سناركام (٣٥٩) فى أقل مدة ، وكان خراج ومجمل الدخل لهذه الولايات مثل قصبات بين الدوآب ، تصل الى دهلى ، ووصل استقامة الولاة والعمال الى درجة انه لم يكن لأحد قط من المقدمين أو المتمردين فى هذه النواحى مقدرة ، أن يخفى أحدهم درهما واحدا

---

(٣٥٦) لك ، لكه : عشرة آلاف .

(٣٥٧) باره « أ » ص ١٠٠ .

(٣٥٨) وستكام « أ » ص ١٠٠ .

(٣٥٩) سناركا م «أ» ص ١٠٠ .

من مال الديوان أو يتمرد ، وعقد جميع رايان وزميندران الممالك العقد على خدمته ، وكانوا يأتون الى البلاط دائما ، وهذا القدر من الأموال التى تأتى من أطراف الممالك لم يكن يظهر منها شىء فى الخزانة بسبب الافراط فى البذل وكثرة هبات السلطان محمد :

« أعطى ملك الدنيا من هذا الكنز ، كثيرا من الجوهر والفضة والذهب لكل شخص »

« أعطى لمماليكه وحشمه أيضا والدرويش »

« الى درجة أنه لم يبق فى هذا الكنز جوهر ، ووجد الأجر بالعطـاء والانعـام » .

ومن كثرة ما لديه من سليقة مخترعة ، كان يريد أن يحدث أحكاما جديدة يخترعها ، ونسخ الأحكام السابقة للحكام التى كانوا قد وضعوها بآراء صائبة ، وكان يخترع يوما حكما خاصا وقاعدة جديدة ، وكان يصدر الفرمانات باسم العمال وولاة الممالك ، لينفذوا أحكامه ، ولما كانت أحكامه تخالف ما أقره سلاطين السلف وطرق العقل فان ذلك كان موجبا للنفور العام ، وكان عماله يعجزون عن تنفيذها ، وكلما وجدوا نفورا عاما ، أهملوا تنفيذها فكانوا يعاقبون بعقوبات مختلفة ، واذا نفذوها فان عامة الناس سيقتلون ، ووجد الفساد العام طريقه فى أمر المملكة ، ووضع فى الجملة عدة قواعد ستذكر بالتفصيل ، حتى عجز الناس ، فقتل جماعة لعدم استطاعتهم ، وتمردت جماعة كانت لديها القوة ، ولوت عنان الخلاف ، ولما كان السلطان محمد سىء الطبع حاد المزاج وكان فى طبعه قتل الناس ، فلم يكن يتأنى أو يتوقف عن قتل الخلائق ، وبسبب عدم تنفيذ أحكامه فان خلقا كثيرين قد قتلوا بسيفه ، وخلت البلاد من خلق الله حتى وصل الأمر الى درجة خرجت أكثر الممالك من تحت سيطرته ، بل شاع العصيان والتمرد أيضا فى دهلى العاصمة ، وانقطع مجىء الخراج من الأطراف ، وخلت الخزائن ، وكان رفاقه أمثال زين الدين ومخلص الملك ويوسف بغرا (٣٦٠) وايوراجا وابن قـاضى الكجرات يسعون دائما فى قتل واعدام خلق الله .

من جملة القواعد الهزيلة والأفكار الخاطئة ، احداها انه كان قد قرر أن يدفع خراج جميع ولاية ما بين « دوآب » مرة واحدة ، وأبدى تشددا فى هذا الأمر ، وكان هذا باعثا لاستئصال البرايا وتمـرد الرعايا ، وتعطل أمر الزراعة ، ووقع امساك للأمطار أيضا ، وحدث قحط

---

(٣٦٠) يوسف بقراط « ١ » ص ١٠١ .

عظيم فى دهلى ، لدرجة أن خربت أكثر المنازل ، واختل المجتمع ، وحدث تزلزل كامل فى أمر الملك ، ومن أفكاره الأخرى أنه أعتقد أن ديوكير وكانت وسط الممالك ، أسماها دولت آباد واتخذها دارا للملك ومن أجل هذا هجر دهلى التى كانت تماثل بغداد ، وأمر سكانها الذين كانوا قد اعتادوا ماءها وهواءها بأن ينتقلوا بأهليهم وزوجاتهم ويذهبوا الى ديوكير ، وأعطى كل واحد نفقة الطريق وثمن المنزل من الخزانة ، وصرف مبالغ كثيرة فى هذا الأمر ، وأكثر الأهالى الذين سافروا لم يتمكنوا من الوصول الى ديوكير ، والجماعة التى استطاعت أن تصل لم تستطع أن تبقى وحدث تغيير وتبديل بأحوال الناس ، وحدثت زعزعة كبيرة فى أمر الملك ، وكان آخرون يريدون أن يستولى على الربع المسكون (٣٦١) ولكن حشمه وجيشه لم يف بهذه الرغبة ، ومن أجل تنفيذ هذه الرغبة ظهرت عملة نحاسية ، وأمر أن يكون للنحاس مثل الذهب والفضة فى الوزن بدار الضرب وازدهرت العملة النحاسية على نظام التنكة الذهبية والفضية واستعملوها فى البيع والشراء وأحضر الهنود من الممالك مبالغ نحاسية الى دار الضرب ، وسكوها ، وقد بلغت « لكها وكرورها »(٣٦٢) واشتروا الأمتعة والأسلحة، وكانوا يرسلونها الى الاطراف وكانوا يبيعونها بالتنكة الفضية والذهبية وسك كل شخص الذهب الغالى فىمنازلهم ، وكان يبيعها فى السوق ، وبعد فترة انتشر هذا الأمر فى الأماكن البعيدة ، وكان الأهالى هناك يشترون التنكه النحاسية بدلا من النحاس العادى وأحضروها الى المكان الذى ينفذ فيه هذا الحكم ، واشتروا التنكه الذهبية والفضية ، وبالتدريج كثرت التنكة النحاسية وصارت لها قيمة وصارت التنكة الذهبية والفضية أغلى سعرا من السابق وزادت عن نظام البيع والشراء ٠

« هذا الذهب الذى صار عياره مثل النحاس ، بسعر النحاس صار فى كل البلاد »

عندما رأى السلطان محمد أن هذا الحكم لا ينفذ ، ولا يستطيع أن يقتل كل الخلق ، فأمر أن يدع كل شخص لديه تنكة نحاسية ، الخزانة ، ويأخذون بدلا منها « مهر » (٣٦٣) القديم وأى تنكة ذهب وفضة ، على أمل أنه ربما تتحسن التنكة النحاسية ، وتروج فى المعاملات ، وكان قد جمع التنكة النحاسية من منازل الناس وأفقدها قيمتها ، وأودعها

---

(٣٦١) الربع المسكون : اليابسة ٠

(٣٦٢) كرور عشرة ملايين ٠

(٣٦٣) نوع من العملة الذهبية ٠

الخزانة ، وعوضهم بالتنكة الذهبية والفضية ، وكثرت العملة النحاسية ، وخلت الخزائن تماما ، ولهذا السبب حدث فتور عام فى أمر المملكة ٠

وكان من أفكاره الباطلة أنه فكر أن يسخر خراسان والعراق ، وبناء على هذا أخذ فى انفاق الخزائن على الرجال الذين قدموا اليه من هذه الديار لتاليف قلوبهم ، وجمع جيشا كبيرا ، وحدد لهم مقدار ثلاثمائة وسبعين ألف فارس من الخزانة ، وفى السنة الأولى وصلهم الانعام ، وفى السنة الثانية لم تحن الفرصة ، لكى يأمر هذا الجيش بتجديد تسخير الولاية ، ولما لم تقع بيده غنائم حتى يقدم لهذا الجيش الزاد ويرضيهم ، فقد كان قد أنفق فى خزانة دهلى كلها فى السنة الأولى ، وتفرق جميع الجنود ولم يستقم أمرهم ، وكان هذا تفرقة أخرى جرت فى خزائن ملكه ، ومن أفكاره الفاسدة الأخرى ، هى أنه أراد أن يستولى على جبل هماجل (٣٦٤) الذى يقع حائلا بين ممالك الهند وبلاد الصين ، وأرسل لهذا الغرض الأمراء المشاهير ، والقواد المحنكين على جيوش جراره ، لكى يدخلوا هذا الجبل ويسعون فى الاستيلاء عليه ، وعندما دخل الجيش كله الجبل حصن الهنادكة ممرات الجبل ، وسدوا طريق عودة الجيش ، وقتلوا أكثرهم ، والعدد القليل الذى عاد سالما قتله السلطان محمد ٠

ولما كان السلطان محمد يصدر منه أحكاما شاقة وتكليفات صعبة كل يوم ، وكان الناس يعجزون عن تحملها ، لذا ابتعد أمر الملك عن الانتظام والالتئام ، وتولدت الفتن فى كل ناحية ، والفتنة الأولى كانت بغى بهرام أبيه فى الملتان ، وعندما سمع السلطان محمد بخبر تمرده وهو فى ديوكير ، أسرع بقدر ما يستطيع الى دهلى ، ومن هناك أعـد الجيش وتوجه الى الملتان ، وقابله بهرام ، وقتله (٣٦٥) فى القتال :

« اذا خرجت على ولى النعمـــة ، فربمـــا ينقلب الفـــلك »

وأحضروا رأسه عند السلطان ، وخمدت الفتنة ، وأراد السلطان محمد أن يقتل أهالى الملتان الذين كانوا قد وافقوا بهرام أبيه ، فتشفع شيخ الاسلام الشيخ ركن الدين قدس سره العـزيز للمـذنبين ، وقبـل السلطان ، وعاد الى دهلى منتصرا وظافرا ، ولما كان أهالى الأطراف الذين أجبروا على سكن ديوكير قد تفرقوا ، وصارت ديوكير خربة ، فقد توقف السلطـان فى دهلى ، ولم يذهب الى ديوكير ، وفى هـذه

---

(٣٧٤) هيمالايا ٠

(٣٦٥) قتل السلطان محمد بهرام ابيه ٠

الأيام خربت ولاية ما بين النهرين (٣٦٦) من شدة المطالب وارتفـــاع الخراج ، ولهذا أحرق أكثر الرعايا محاصيلهم وفـروا بمواشـيهم ، وتشتتوا ، وأصدر السلطان فرمانا أن يقتلوا كل من يجدوه ، وينتهبوا هذه الولاية ، وكان العمال والولاة هناك يقتلون الخلق بموجب الفرمان ، وينتهبوهم ، ودخل كل من بقى حيا فى الغابة واختفى :

« ضاقت البلاد كلهـــا من الظـــلم ومن البـــوم »

فى نفس هذه الأيام توجه السلطان الى « برن » للصيد ، ونهب ولاية برن كلها ، وأطاح بالسيف من كان فيها ، وأمر أن يعلقوا الرؤوس على مسننات قلعة برن ٠

وفتنة أخرى وهى أن فخرا المسمى باسم ملك فخر الدين قد تمرد بعد وفاة بهرام خان فى البنغال ، وقتل قدرخان ، وانتهب خزائن لكهنوتى، واستولى على لكهنوتى وسناركام وستكام (٣٦٧) وكان السلطان أثناء ذلك مشغولا بنهب ما حول قنوج ، ونهب من قنوج حتى ولاية هموهمه (٣٦٨) وقتل الناس أفواجا ، ولم يكد يكف عن النهب والسلب حتى علم أن حسن والد ابراهيم خريطة دار قد بغى فى معبر (٣٦٩) وقتل الأمراء ، واستولى على هذه الولاية ، وجاء السلطان الى المدينة (٣٧٠) وقبض على ابراهيم خريطة دار وأقرباء سيد حسن ، وسجنهم ، وأعد الجيش ، وتوجه الى معبر وعندما وصل الى ديوكير ، فرض مطالب ظالمة على عمال وأمراء وحكام هناك ، حتى ضاق أكثرهم من شدة المطالبات ، وفرض خراج عمال أيضا فى ولاية مرهت ، وعين المحصلين القساة الظلمة ، وبعد ذلك أرسل أحمد اياز الى دهلى ، وتوجه الى تلنك ، وعندما وصل الى ارنكل ، كان هناك وباء أصاب أكثر الناس بالمرض ، وتوفى كثير من الأمراء المشاهير، ومرض السلطان محمد أيضا فترك ملك قبول نائب وزير الملك هناك ، وفوضه على ولاية تلنك ، وعاد الى جانب ديوكير ، وعندما وصلها ، ظل عدة أيام للعلاج ، ولقب شهاب سلطانى بنصرت خان ، وسلمه ولاية بدر ، وأقطعه اقطاعات هذه النواحى وعشرة ملايين تنكة ، وفوض قتلق خان على ولاية مرهت وعاد الى دهلى وهو لم يزل مريضا ٠

---

(٣٦٦) ما بين النهرين السند والكنك ٠

(٣٦٧) سناركام وستكام « ك » ص ٢٠٥ ٠

(٣٦٨) ولاية هيمو « أ » ص ١٠٣ ٠

(٣٦٩) تغر « أ » ص ١٠٣ ٠

(٣٧٠) دهلى ٠

وكان قد أصدر فرمانا من قبل أنه من أراد أن يعود الى دهلى من أهلها من ديوكير فليعد ، واذا ارتاح فى ديوكير يبقى هناك ، وعاد أكثر الناس من ديوكير بمرافقة السلطان الى دهلى ، وفضل البعض ولاية مرهت ، وأقام السلطان هناك عدة أيام وتوجه من هناك ورأى فى الطريق المتجه الى دهلى فى ولاية مالوه خربة بسبب القحط ، وكان يابكان الذين كانوا فى طريق البريد مستعدين جميعا وهناك آثار معمارية فى هذه النواحى ، وعندما وصل الى دهلى رأى دهلى خربة ، ووصل القحط الى درجة أن « سيرى » (٣٧١) من الغلة لم يجدوه بسبع عشرة درهما ، وهلك اكثر الناس ، ونفقت المواشى أيضا لعدم وجود علف :

« عندما حل القحط سنة ما فى دمشق ، كان بسبب أن المحبين نسوا العشق »

«« وهكذا بخلت السماء على الأرض ، لأنهم لم يزرعوا الزرع والنخيل »

وبعد أن رأى السلطان الخراب اهتم بتعمير البلاد وتكثير الزراعة، وأعطى للناس مالا من الخزانة واهتم بأمر الزراعة ، ولما كان الناس مضطرين من كثرة الخراب فكانوا ينفقون جزءاً منها على هيئة تقاوى ومأكولات وجزءاً آخر كانوا يصرفونه على الزراعة ، ولكن بسبب امساك الأمطار التى حدثت فى هذه الأيام ، لم تفد ، وقتل اكثر الناس عقابا لهم ٠

فى أثناء ذلك رفع شاهو أفغان لواء المخالفة ، وقتل بهزاد (٣٧٢) نائب الملتان ، وفر ملك بهوره من الملتان ، وجاء الى دهلى ، وتوجه السلطان محمد من دهلى الى الملتان بجيش مسلح ، ولم يكد يتقدم منزل حتى التحقت والدته ملكة جهان التى كانت نظام وجامعة شمل أسرة السلطان تغلقشاه برحمة الله ، وحزن السلطان ، وأمر أن يقدموا الطعام والصدقات فى المدينة على روحها ، وأسرع الى الملتان ، وعندما اقترب منها ارسل شاهو رسالة اليه مظهرا الندم ، وعاد وترك الملتان وتوجه الى افغانستان ، وعاد السلطان الى دهلى ، ووصل القحط فى دهلى الى درجة أن اكل الانسان لحم بنى آدم ، وبذل السلطان من جديد جهدا فى مجال الزراعة ، وأعطى الناس الذهب من الخزانة ، وأمر أن يحفروا الآبار ويهتموا بالزراعة ، وكان ينسب الاهمال والتقصير للناس ويقتلهم ، فى هذا الحين كانت طائفة منداهران (٣٧٣) وجوهانان

---

(٣٧١) مكيـال ٠

(٣٧٢) بهنواد « أ » ص ١٠٣ ٠

(٣٧٣) منداران « أ » ص ١٠٤ ٠

- وبهتيان (٣٧٤) وميانه الذين كانوا فى ولاية سنام وسامانة يشرعون فى التمرد ، وأقاموا فى الغابات العظيمة منازلهم ، وملأوا الخزانات بالمياه ، وأقاموا قلعة حصينة واجتمعوا ، وسلكوا طريق التمرد والعصيان ، ونهبوا الأموال ، وقطعوا الطريق ، وقاد السلطان الجيش لدفعهم ، وهدم قلعتهم المسماة باصطلاحهم « مندل » وألحق بهم الضرر ، وأحضر قوادهم معه وأعطاهم مكانا فى المدينة ، ودخل أكثرهم فى سلك الأمراء ، وقضى على شرهم فى تلك الديار ٠

فى نفس هذه الفترة ، طغى كنيابايك (٣٧٥) الذى كان فى نواحى ارنكل بالاتفاق مع زميندارات هذه البلاد ، وفر ملك مقبول نائب وجاء الى دهلى ، وسقطت ارنكل فى يد الهنادكة ، وخرجت من تحت سيطرة السلطان ، وفى هذا المكان كان السلطان محمد قد أرسل شخصا من أقارب راجه كنبله اليها ، وقد أعلن البغى وارتد عن الاسلام ، وخرجت أيضا من يد السلطان ولم يبق له سيطرة على الممالك البعيدة ، والكجرات ديوكير ، وحدثت فى كل ناحية الفتن والفساد ، واضطرب السلطان من هذا الأمر أكثر وأمر بتقتيل الخلق ، وزاد نفور الناس عند استماع خبر القتل ، وكان سببا فى زيادة الفتنة والحوادث ، وسعى فى تكثير الزراعة وتعمير المملكة ولكن لم يأت بفائدة بسبب امساك الأمطار ، وأخيرا اضطر الى أن يصدر أمرا أن يفتحوا أبواب المدينة وأن يدعوا الناس الذين ظلوا فى المدينة مكرهين بأن يذهبوا أينما شاءوا ، وتوجه أكثر الناس فى هذه الأيام بأولادهم وأتباعهم الى البنغال ، وخرج السلطان من المدينة ، ومر من بتيالى وكنبله واختار الاقامة على شاطىء نهر الجانج ، وأمر أن يتجمع الناس هناك ويسكنوا ، وأسموا هذا المكان « سركدوارى » ووصلت الغلة هناك من كره وأوده ، وظهر الهدوء على المدينة ، وكان عين المالك حاكم اقطاع أوده وظفر آباد مع اخوته يرسلون دائما الغلة والأقمشة وسائر ما يحتاج اليه فى سركدوارى ، وأرسل خلال هذه المدة التى أقام فيها السلطان محمد فى سركدوارى من النقد والغلة ما يساوى ثمنية ملايين تنكة ، مما جعل السلطان يعتقد فيه ويثق ثقة كاملة فى حسن كفاءته ٠

وفى هذه الفترة التى كان السلطان فى سركدوارى حدثت أربع فتن ، وخمدت بسرعة ، وأول فتنة ظهرت هى فتنة نظام ما بين (٣٧٦) فى

---

(٣٧٤) بهمان « أ » ص ١٠٤ ٠

(٣٧٥) كنبا بايك « أ » ص ١٠٤ ٠

(٣٧٦) نظام الدين باين « أ » ص ١٠٤ ٠

كرد ، ونظام مابين هـذا كان رجلا ثرثارا عديم الفائدة ليس لديـــه استعداد ، وبسبب عدم استطاعته أن يحافظ على المقاطعة ، تمرد ، وأخذ « جتر » ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، فاهتم السلطان محمد بدفعه ، وأرسل عين الملك واخوته لمهاجمته وأسره ، وسلخ جلده وأرسل رأسه الى السلطان ، وسلم اقطاعه لشيخ زاده بسطامى الذى كان زوجا لأخت السلطان محمد ، وعهد اليه بقتل الجماعة التى كانت فى هذه الفتنة شركاء لنظام ما بين ، فأخمد هذه الفتنة ، والفتنة الأخرى هى فتنة شهاب سلطانى الملقب بنصرت خان ، فلما كان قد اقطعه ولاية بدر كلها بعشرة ملايين تنكة ، ولم يكن يستطيع أن يف بها ، فبغى ، وتحصن فى قلعة بدر ، وعين قلتقخان من ديوكير ، وأرسل أمراء آخرين من دهلى أيضا لمساعدته ، وحاصر قتلقخان قلعة بدر ، وأنزله من القلعة بالاقناع وأرسله الى السلطان ، وسكنت هذه الفتنة ، ولم يكد يمر شهر على هذه الحادثة حتى قام على شاه ابن أخت ظفرخان وكان أميرا لمائه ، وذهب للتحصيل من ديوكير وعندما رأى هذه النواحى خـالية من العمال ،جمع اخوته ، وقتل بهرف حاكم كلبركه غدرا ، وسلب أمواله ، وتوجه الى ولاية بدر ، وقتل نائبها أيضا ، واستولى على هذه الولاية ، وعين السلطان محمد قتلقخان لدفعه ، وأمر أيضـــا بأن يرافـــق قتلقخان (٣٧٧) بعض أمراء دهلى وجيش دهار ، واستقبل على شاه قتلقخان ، وقاتله ، وهزمه ، وتحصن فى قلعة بدر ، واقنعه قتلقخان واخرجه من القلعة مع اخوته ، وأرسلهم الى السلطـان محمد فى سركدوارى ، فأرسل السلطان على شاه واخوته الى غزنين ، وعندما عادوا من غزنين قتل أخويه .

بعد ذلك أراد السلطان محمد أن يسلم مهام ديوكير لعين الملـــك ويستدعى قتلقخان منها ، وقبل هذا كان قد نفذ حكم الاعدام فى جماعة من الكتاب (٣٧٨) فى دهلى متهما اياهم بالخيانة وبسبب ارتفاع أسعار الغلال خرج من دهلى وتوجه الى أوده وظفر آباد ، والقى بنفسه تحت رحمة عين الملك واخوته ، وقد كان هذا الأمر يقلق السلطان ، ولكن لم ير مصلحة فى اظهاره ، وعندما علم عين الملـــك بانحـــراف مزاج السلطان ، خاف ، ومن أجل هذا أمر أن يتوجه الى ديوكير ، وأن يذهب معه الى ديوكير خيوله واتباعه ، وحمل هذا الأمر على أنه خدعة ومكر من السلطان ، وفكر فى أمره ، واستدعى عين الملك بموجب أمر السلطان الجيش واخوته من أوده وظفر آباد ، ولم يكد جيشه يسير فى الطريق

---

(٣٧٧) قتلقخان أو قتلغخان .

(٣٧٨) من المحتمل أن تكون « وقائع نويسندكان » كتاب الوقائع .

حتى خرج عين الملك ذات ليلة من سركدوارى (٣٧٩) والتحق بجيشه ، ورفع لواء المعارضة ، والتف اخوته بأربعة آلاف فارس نواحى سركدوارى ، واستولوا على أفيال وجياد السلطان التى كانت ترعى فى الصحراء أمام معسكره ، واستدعى السلطان بسبب اضطرابه جيش سامانه وأمروهه وبرن وكول ، ووصل أحمد أياز أيضا بجيش دهلى اليه وأعد السلطان الجيش ، وتوجه صوب قنوج ، وأقام المعسكر فى نواحيها ، وقاد عين الملك واخوته أيضا الجيش فى مواجهة السلطان ٠

« زمجرة الأفيال الضخمة ، حطمت الأسود الضارية »

« الأب يرفع عن ابنه الحقد ، وصارت المحاباة دوما »

وعبروا من معبر بانكر على الجانج ، وحاربوا ، وهزموا ، وأسر عين الملك وقتلوا أخويه ، وصار جزءا من جيشه علفا للسيف ، ومن بقى من السيف غرق فى نهر الجانج ، والجماعة التى خرجت من نهر الجانج، سقطت فى مآسى الهنادكة ، وقتلوهم هناك ، وعندما احضروا عين الملك عند السلطان فامر الا يصيبوه بأى أذى ، فقد كان أهله كذلك ، وطلب من عين الملك التقدم ، ولاطفه وخلع عليه الخلع ، وأحال اليه أعمالا كبيرة ، وأنعم على أولاده وسائر رجاله وأهله ٠

وتوجه السطان من بانكومئو (٣٨٠) الى بهرائج ، وزار سيهسالار مسعود شهيد الذى كان قريبا للسلطان محمد الغزنوى ، وتصدق على المجاورين لهذه الروضة العظيمة والفقراء الذين كانوا هناك بمبالغ كثيرة ، وأرسل أحمد أياز (٣٨١) الى بهرائج ، ليقطع طريق لكهنوتى ، ولا يدع الفارين من جيش عين الملك أن يذهبوا الى لكهنوتى ، وأرسل الأهالى الآخرين الذين كانوا قد فروا وأقاموا فى أوده وظفر آباد بسبب القحط أو خوفا من عقاب السلطان الى أوطانهم ، وعاد السلطان من بهرائج الى دهلى ،وكان احمد اياز قد انتهى أيضا من المهمة الموكولة اليه ووصل الى خدمته ٠

ولما كان قد تمكن فى خاطر السلطان أنه لا يجوز الحكم بدون اذن الخليفة العباسى ، وأن ارتكاب هذا حرام ، وظل يتتبع مقام الخلفاء العباسيين حتى سمع أن فى مصر خليفة من ال عباس متمكن من عرش

---

(٣٧٩) وردت سركدوارى وسر كدوارى ٠

(٣٨٠) بلنكر مئو أو بانكر مؤ ٠

(٣٨١) أحمد أيار « ١ » ص ١٠٦ ٠

الخلافة ، وباتفاق كمال الملك بايع هذا الخليفة غيابيا ، وأخذ يرسل الرسائل الى الخليفة شهرين أو ثلاثة ، ويكتب فى كل مجال للكتابة ، وكان يذكر فى هذه الرسائل بيعته واطاعته ، وأعلن فى المدينة بأن يوقفوا صلاة الجمعة والعيد ، وأن يثبتوا اسم الخليفة على السكة محـــل اسمه ، حتىسنة ٦٤٤ جاء حاجى سعيد صرصرى من مصر الى دهلى ، وأحضر من الخليفة منشور الحكومة وخلعة للسلطان ، وذهب السلطان مع جميع الأمراء والعلماء والمشايخ لاستقباله ، وعندما اقترب ، ترجل ووضع منشور الخليفة على رأسه ، وقبل قدم سعيد صرصرى ، وقدم كل التواضع ،وسار مترجلا خلف رسول الخليفة وأمر أن يقيمـــوا الافراح ، ونشروا الذهب على منشور الخليفة، وسمح بأداء صلاة الجمعه والأعياد التى كانت موقوفة ، وقرأ الخطبة باسم الخليفة ، وأبعد أسماء السلاطين الذين لم ياذن لهم الخلفاء العباسيون بالسلطنة من الخطبة ، وأمر أن يكتبوا اسم الخليفة مطرزا على الملابس الذهبيـــة وشرفات العمارات ، وبعد مجيء حاجى سعيد صرصرى كتب السلطان رسالة وأرسل رجب برقعى الى الخليفة بصحبة حاجى ومعه جوهر نفيس ليس فى الخزانة مثله وتحف وهدايا أخرى ، وجعل ملك كبير سرجاندار (٣٨٢) وكان غلاما للسلطان وليس له نظير فى حسن الأخلاق واصابة الرأى وكثرة العبادات والشجاعة والبطولة ولم يكن أحد مقرب من السلطان أكثر منه ضمن هداياه ، وأدخله ضمن أملاك الخليفة ، وأرسل رسالة متضمنة اقرار ملك كبير بعبوديته للخليفة مع حاجى رجب برقعى ولقبه بملك قبول خليفتى ، وبعد سنتين عاد مرة أخرى حاجى ورجب برقعى وشيخ مصرى الى السلطان ، وأحضروا منشـــور النيابة وخلعه خاصة ولواء أمير المؤمنين ، واستقبلها السلطان وجميع الأمراء والأكابر ، وعندما اقترب ترجل ، ووضع منشور الخليفة على رأسه ، ودخل من البوابة الى القصر ، وأمر الأمراء أن يبايعوا منشور الخليفة وكان يضع أمامه دائما المصحف والأحاديث الشريفة ومنشور الخليفة ، ويأخذ البيعة من الناس باسم الخليفة ، وكان كل حكم أو فرمان يصدر من السلطان ينسبه الى الخليفة ، وكان يقول هكذا أمـــر أمير المؤمنين ، وهكذا حكم ، وسمح لشيخ الشيوخ مصرى بعد فترة بالانصراف ، وأنعم عليه بكل أنواع الانعام ، وأرسل أموالا وجواهر كثيرة مع شيخ الشيوخ الى السلطان عن طريق البحر ، ووصلت مناشير الى السلطان مرتين من الخليفة فى بروج وكنبايت (٣٨٣) وكان يقـــدم

(٣٨٢) ملك كبير نهر جاندار « ١ » ص ١٠٦ .

(٣٨٣) كناكيت « ١ » ص ١٠٧ .

فى المرتين كل تعظيم وتكريم ، ويبذل الكثير من الهدايا ، وعندما جاء مخدوم زاده بغداد عند السلطان ، استقبله السلطان فى قصبة بالم على مسافة خمسة فراسخ من دهلى ، وأنعم عليه بمائة ألف تنكة ومقاطعة وقصر سيرى وجميع انتاج الأرض فى القلعة ، وأحواض وحدائق أخرى ، وكلما جاء مخدوم زاده الى السلطان ، ينزل من فوق العرش ويتقدم عدة خطوات ، ويجلسه مكانه على العرش ، ويجلس أمامه بأدب تام ، بعد أن نال السلطان محمد منشور الخليفة العباسى اعتقد أنه أهل للسلطنة ، وشرع من جديد فى أمر أولى النعمة ، وعاد واستقر فى سركدوارى ، وسلك طريق التعمير وتكثير الزراعة ، واخترع فى هذا المجال عدة طرق فى مجال زيادة الزراعة كانت تلعب فى رأسه ، ولم ييأس ، وأنشأ ديوانا مستقلا فى هذا المجال ، أسموه « ديوان أميركوى » ولكن لم يتقدم مطلقا بهذه الأساليب ، ولم يحقق نتيجة ، من جملة أحكامه أنه كان يخط دائرة حول ثلاثين فرسخا وقرر أن كل أرض تقع فى هذه المساحة اذا لم تكن مزروعة تزرع ، واذا كانت مزروعة ، تنتقل من الجنس الأدنى الى الأعلى ، وعهد بهذا الأمر لمائة « شقدار » (٣٨٤) كان بعضهم قد جاء مضطرا من الجوع والبعض الآخر لم ينظر فى عاقبة أمره بسبب حرصه وطمعه ، وتكفلوا بزراعتها ، ونالوا مبالغ كثيرة على هيئة تقاوى وانعامات ، وكانوا ينفقونها فى حوائجهم الضرورية ، وانتظروا العقاب ، وصرف فى هذه المدة وهى سنتين عدة مئات الألوف من التنكة من الخزانة كنفقات لهذا الأمر ، وعندما عاد السلطان من مهمة تهته لم يدع أحدا من المهتمين والمتكفلين بهذا الأمر حيا .

وأمر آخر كان قد أقدم عليه السلطان محمد فى سركدوارى ، وهو أنه كان قد عين عمالا وولاة جدد وعزل القدامى ، وعندما عرضوا على السلطان أن ولاية مرهت وديوكير قد خربت بسبب ظلم وتعدى عمال قتلقخان ، وأن محصولها وصل أقل من العشر ، فاقر السلطان لولاية مرهت ثمانين مليونا وقسمها أربعة أقسام ، وعين أربعة شقدارهم سرور الملك ومخلص الملكويوسف بغرا وعزيز خمار (٣٨٥) وجعل وزارة ديوكير فى عهدة عماد الملك سرير سلطانى (٣٨٦) ونيابة الوزارة بعهدة « دهاراو » الذى كان متكفلا بالتقاوى والأساليب

(٣٨٤) حاكم ناحية .

(٣٨٥) يوسف نفيرا وعزيز خمار « ١ » ص ١٠٧ .

(٣٨٦) سرتير سلطانى « ١ » ص ١٠٧ .

السلطانية ، واستدعى قتلقخان بخيله وأتباعه من ديـوكير ، واستاء الأهالى فى ديوكير من خروج قتلقخان ، ولما كان عقاب السلطان قـد لحق بالنواحى فان أهالى ديوكير كانوا فى حماية قتلقخـــان وكانوا راضين ومسرورين من حسن سلوكه ، وأمر مولانا نظـام الدين الذى كان فى بروج أن يتوجه الى ديوكير ، وعهد اليه بترتيب الأمور واصلاح المعاملات هناك حتى يصل عمال ديوكير اليها ، ولما لم يكن من الممكن احضار الخزانة التى كان قد جمعها قتلقخان هناك الى دهلى خوفـا من الطريق ، أمر أن يدعوها فى دهاراكروهى قلعة حصينة وعبارة عن حصن قلعة دولت آباد ، وبعد انجاء قتلقخان الى دهار ، أرسل عزيز خمار وكان من الأرازل الى حكومة مالوه ، وفى وقت الوداع أوصاه بعدة وصايا وقال أثناء هذه الوصايا : اننى أسمع أن كل فتنة تظهر فى هذه الولاية يكون سببها أمراء مائة (٣٨٧) فهم يقرون أرباب الفتنة ويضعون رأس الفساد ، فكل من تعرف أنه شرير ومثير للفتنة اقض عليه فى وقته ، وعندما وصل عزيز خمار الى ولاية دهار ، اهتم بأداء أعمالها ، قبض دون روية زيادة عن ثمانين شخصا من قواد « أمير مائة » وقتلهم ، ولم يفكر فى أن أمراء مائة فى الكجرات والدكن والولايات الأخرى سيخافون ويثيرون أنواع الفتن ، وفى هذا الوقت كان أمير مائة يسمونه « يوزباشى » ، المهم عندما كتب عزيز خمار هذه الواقعة وأرسلها الى السلطان ، سر السلطان ، وأرسل اليه خلعة خاصة ، وفرمان عناية ، وأمر الأمراء أن يكتب كل واحد لعزيز خمار رسالة ثناء ، ويرسلون اليه جوادا وخلعة ، واختص السلطان عزيز خمار هذا وعدة أشخاص من أساقل الزمان بقربه ، ورفع درجتهم أكثر من درجات الأمراء ، ولما كان قد فوض حنا مطرب بجه على ولاية الكجرات والملتان وبداون ، وعهد بديوان الوزارة لابن بستانس من أسافـل الناس ، وميز فيروز الحجام ، ومكا الطباخ ولدى البستانى وشيخ بابومانك جولاهه بجه بقربه ، وأحال اليهم أشغال واقطاعات كبيرة ، وفوض مقبل نام غلام أحمد اياز الذى كان أحقر الغلمان صورة ومعنى على وزارة الكجرات ، وكان السلطان محمد يعتقد أنه كلمـــا أعطى الأسافل والأرازل اعتبارا ورفع قدرهم من الأرض ، أدركوا أهميتى ولا يخرجون عن جادة الاخلاص ، ولكنه لم يكن يعلم أنه لا يمكن مطلقا أن يبدل من طينة السفلة ، ولن يأخذ منهم حق السلطنة ،وكان غافلا عن هذا المضمون :

---

(٣٨٧) أمير صده .

« رفع رؤوس السفلة ، على أمل الحصول منهم على خير »

« رؤوسهم المتمردة تخفى التمرد ، والحية ربيبة فى جيوبهم »

وعندما وصل العمل الشنيع لعزيز خمار الى أمــراء مائة فى الأطراف والجوانب ، تجمع أمراء مائة حيثما كانــوا ، وانتظروا الفرصة .

اثناء هذا كان ملك مقبل نائب الكجرات متوجها بالخزانة والجياد السلطانية الطويلة التى كانت قد جمعها من الكجرات من طريق ديوسى وبروده الى دهلى ، ونهب أمراء مائة الكجرات ، الأموال التى كانت مع ملك مقبل ، وسلبوا أموال وأمتعة التجار الذين كانوا معه أيضا ، وتوجه ملك مقبل الى نهرواله وحيدا ، وغضب السلطان عند سماع هذا الخبر ، وأراد التوجه الى الكجرات وكلما عرض قتلغخان (٣٨٨) أن فتنة أمراء ديوسى وبروده ليست من هذا النوع الذى يتوجه السلطان من أجل دفعه ، لا فائدة ، وينقل ضياء برنى مؤلف تاريخ فيروز شاهى أن قتلغخان قد كتب رسالة بخط يـده الى السلطـان « اننى استطيع تسكين هذه الفتنة بهذا القدر من الجيش الذى أعده السلطان ، لأن تحرك السلطان بنفسه سيكون سببا فى تولد فتن وحوادث أخرى فى أطراف البلاد :

« اذا أشرقت الشمس بدون الملك ، فان كل مكان تسطع عليه يخرب »

ولم يقبل السلطان رسالته ، وأمر أن يعدوا الجيش ، وترك ملك فيروز ابن‌عمه نيابة عنه مع ملك كبير احمد اياز فى دهلى ، ورحــل بنفسه من دهلى ، ونزل بقصبة سلطانيور على مسافة خمسة عشر فرسخا من المدينة ، وجمع الجيش ، وهناك وصلت رسالة عزيز خمــار من أنه لما كان‌أمراء مائة ديوسى وبروده قد اثاروا الفتنة وأنا اكثر قربا منهم ، فاننى ساعد جيشا واتوجه لصدهم ، ففــكر السلطان وقــال : ان عزيز لا يعرف طريق القتال وليس بعيدا من ان يقتل ، ووصل الخبر عقب ذلك أنه لما كان عزيز قد قاتل المتمردين فقد اليد والقدم ، ووقع من فوق جواده وأسره المتمردون ، وقتلوه على أسوأ حال ، وتوجه السلطان من سلطانيور ، ويقول ضياء برنى قال لى السلطان عند توجهه الى الكجرات انه على الرغم من أن الناس كانوا يقولون : ان الفتن تحدث من كثرة تقتيل السلطان ، ومن كلام الناس هذا كنت اترك كثيرا من الفتن دون عقاب ، وقال بعد ذلك انت قارىء للتاريخ وبصير به فأى

(٣٨٨) تغلقخان ، ١ ، ص ١٠٨ .

طريقة مناسبة لعقاب السلاطين ؟ فعرضت عليه أنه مذكور فى التواريخ الحبرى انه للسلطان الحق فى القتل فى سبع حالات ، أولها : الشخص الذى يرتد عن دين الحق ، وثانيها : (٣٨٩) من يريق الدم البرىء ، وثالثها : من يزنى من الرجال أو النساء المتزوجات ، رابعها : من يفكر فى الغدر بالسلطان ، خامسها : من يثير الفتنـــة ويباشرهـــا ، سادسها : من يوافق أهل البغى من الرعايا ، ويقدم الأسلحة والمدد والمعونة لهم ، وسابعها : هو أنه من لا ينقاد لحكم السلطان ، بعد ذلك قال انه فى هذا القتل كم قسما مطابقا للحديث ؟ قلت هناك سبعة أقسام للقتل منها ثلاثة واردة فى الحديث ، وهى الارتداد (٣٩٠) وقتل المسلم والزنا المحصن ، وأربعة أنـواع أخـرى تخص السـلاطين ، قـال السلطان : انه فى الأزمنة الأولى كان الناس صادقين فى القول والفعل، وفى هذا الزمان العقاب لازم لى بسبب فساد الزمـان حتى يستقيم الناس ، ويتركون البغى والخلاف ، ويشيع الأمن بيننا ، طالما ليس لدى وزير كامل ينفذ أمور الملك بحسن التدبير ولا يحتاج لاراقة الدماء .

عندما وصل الى جبل آبهو على حدود الكجرات ، عين أحـد الأمراء ، وقاتل المتمردين ، وفروا أمامه ، وسلكوا طريق ديوكير ، وجاء السلطان من آبهو الى بهروج ، وأرسل ملك قبول نائب وزيـــر المملكة مع امراء مائة بهروج لتعاقب الفارين ، ووصل اليهم ملك قبول على شاطىء نهر نريده ، وقتل اكثرهم ، وقبض على أولادهم وأتباعهم ، وفر البعض أحياء وتوجهوا الى مانديو حاكم جبل سالير موليز (٣٩١) ونهبهم مانديو أيضا ، وأصابهم بالضرر ، وقضى على شرهم تماما فى الكجرات ، وتوقف ملك قبول عدة أيام على شاطىء نهر نريده ، وقتل أيضا أكثر أمراء مائه بهروج بأمر السلطان ، ولجـأ القليلون الذين بقوا بالأطراف ، وأقام السلطان فى بهروج فترة ، واستولى على أموال بهروج وكنبايت وسائر بلاد الكجرات التى كانت قد بقيتعند الأهالى ، وأدخلها الخزانة ، وقتل الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا فى الفتنة جميعا، وعين زين بنده الملقب بمجد الدين وابن ركن التانيسرى اللذان كانا من شريدى زمانهما على ديوكير ، ليقبض على أهل الفساد هنـــاك ويقتلهم ، وقد اضطرب وضاق جمهور أهالى هذه البلاد الذين كانوا قد سمعوا أخبار تقتيل السلطان محمد ، وأرسل السلطان بعدهـم الى ديوكير اميرا آخر ، وأرسل الى مولانا نظام أخى قتلقخان فرمانا بأن

---

(٣٨٩) سقطت من نسخة « أ » ص ٠٩ .

(٣٩٠) ارتداد « أ » ص ١٠٩ .

(٣٩١) سالير موليز « أ » ص ١٠٩ .

يعد ألفا وخمسمائة فارس وأن يرسل أمراء مائة المعروفين هنـــاك برفقة هذين الأميرين الى البلاد ، وارسل مولانا نظام الفا وخمسمائة فارس حسب أمر السلطان الى البلاط مع أمراء مائة هناك مع هذين الاميرين ، وفى أول مسافة اتفق أمراء مائة والفرسان الآخرون سويا بسبب الخوف الذى تملكهم ، فقتلوا هذين الأميرين ، وحبسوا مولانا نظام ، وقتلوا عماله الذين كانوا يعملون فى ديوكير من قبل السلطان ، ومزقوا ابن ركن الدين تانيرى (٣٩٢) اربا ، واستولوا على الخزانة التى كانت فى دهاراكر ، وأجلسوا ملك مخ أخا ملك مل افغان (٣٩٣) على العرش ، وقسموا الخزانة بين الفرسان والمشاة ، ووزعوا ولاية مرهت على أهل الفتنة ، واتحد أعوان وأنصار ملك مخ افغان وأمراء مائة ديولى (٣٩٤) وبروده جميعا فى ديوكير ، واتفق أهالى هذه البلاد مع بعضهم ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر وصل الى ديوكير من بهروج برحيل متواتر ، وجاء أهل الفتنة لمواجهة السلطان ، وتقاتلوا وهزموا ، وقتل أكثرهم ، وتحصن مخ افغان قائد أهل البغى مع أعوانه وانصاره فى قلعة دهاراكر وفر حسن كانكو وأخوه مخ أفغان ، وذهبوا الى كلبركه ، ونهب العوام والخواص ديوكير وأرسل السلطان محمد عماد الملك سرتيز سلطانى (٣٩٥) مع امراء آخرين الى كلبركه (٣٩٦) ليحكم هذه الولاية ، وان يقتل كل من يجده من المفسدين الفارين ، وتوجه أكثر المواطنين فى ديوكير برفقة نوروزكركن (٣٩٧) الى دهلى ، وكتب رسالة فتح لكى يقرأوها فى دهلى على المنبر ودقوا طبول الفرح ، واهتم بتنظيم أمور ديوكير ومرهت ، ولم يكد ينتهى من مهام هذه الولاية حتى وصل الخبر أن طغى ابن الحرام ، وكان غلام السلطان ، وأشتهـــر بالصفدرى ولشكر كشنى ، ودمغ ناصيته بخاتم الطغيان ، ورفع لواء المعارضة ، واتفق أمراء مائة وزميندران الكجرات معه ، ودخل نهروالة، وقتل ملك مظفر نائب الشيخ معز الدين ، وقبض على الشيخ معز الدين مع عماله الآخرين ، وحبسهم ، وتوجه من هناك الى كنبايت بجيش جرار ، وانتهبها ، وتوجه من هناك الى بهروج ، وبالفعـــل حاصر قلعتها ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، ترك خداوندزاده قـــوام

---

(٣٩٢) فانيرى « أ » ص ١٠٩ .

(٣٩٣) ملك ملا افغان « أ » ص ١٠٩ .

(٣٩٤) ديوى « أ » ص ١٠٩ .

(٣٩٥) سرير سلطانى « ك » ص ٢١٤ . سريسو « أ » ص ١٠٩ .

(٣٩٦) كلبرك « أ » ص ١٠٩ .

(٣٩٧) كوكن « أ » ص ١٠٩ .

الدين وملك جوهر والشيخ برهان بلارامى (٣٩٨) وظهير الجيوش مع جيش كبير فى ديوكير ، وتوجه مسرعاً الى جانب بهروج ، واخذ معه كل من كان قد بقى من سكان ديوكير وعندما وصل الى بهروج ، نزل على شاطىء نهرنبيده ، وترك طغى بهروج ، وتوجه الى كنبايت ، وعين السلطان ملك يوسف بغرا بجيش جرار لتعقبه ، وعندما وصل ملك يوسف الى كنبايت قابله طغى ، وقاتله ، وقتل ملك يوسف بغرا مع عدد من المعارف فى هذه الحرب ، وفر رجال جيشه ، وجاءوا الى السلطان فى بهروج ، وقتل (٣٩٩) الشيخ معز الدين والعمال الآخرين الذين كانوا فى حبس طغى ، عبر السلطان نهر نربده فى ساعته ، وتوجه الى كنبايت ، وفر طغى من كنبايت وتوجه الى أساول ، وعندما اقترب السلطان من أساول فر الى نهرواله ، وتوقف السلطان فى أساول لمدة شهر بسبب هطول الإمطار ، واثناء ذلك وصل الخبر أن طغى يتوجه مع جيشه من نهرواله الى أساول ، ونزل فى كرى ، وتوجه السلطان أثناء الأمطار من أساول ، ووصل الى كرى ، وعندما رأى طغى وجيشه أن جيش السلطان قد وصل ، شربوا الخمر جميعا وهجموا على جيش السلطان الخاص على عادة الفدائية ، ولما كانت الأفيال واقفة كما هى حوله ، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، واضطروا العودة ، ودخلوا بين الأشجار الكثيفة التى كانت قريبة فيها ، وتوجهوا من هناك الى نهرواله ، وقبضوا على خمسمائة نفر أحياء من أهل الفتنة الذين كانوا فى عقب جيش طغى ، وقتلوهم ، وأرسل السلطان محمد ابن ملك يوسف بغراخان بجيش جرار لتعقبهم فى نهرواله ، وتوقف ابن ملك يوسف فى الطريق عندما حل الليل ، فأخرج طغى أهله وعياله والمتمردين الآخرين من نهرواله ، وعبر من نهر رن ، وتوجه بجانب كنت من ولاية كجه ، وظل هناك عدة أيام ، وفر الى تهته ، وجاء السلطان بعد ثلاثة أيام الى نهرواله ، ونزل على شاطىء حوض سبهلنك (٤٠٠) ، وانشغل بحكم ولاية الكجرات ، وجاء المقدمون (٤٠١) ورايان الكجرات من كل ناحية ، وقدموا الهدايا ، ونالوا الانعام والاكرام ، وبسعى واهتمام السلطان أعاد اصلاح أمر الكجرات ، وانفصل عدة أشخاص مشهورين من جيش طغي ، ولجأوا لرانا سيرى (٤٠٢) وقتلهم رانه مندل ، وأرسل رؤوسهم الى السلطان .

(٣٩٨) بلا رانى « ١ » ص ١١٠ .

(٣٩٩) طغى .

(٤٠٠) سبهسلنك « ١ » ص ١١٠ .

(٤٠١) رؤساء القرى .

(٤٠٢) رانه مندل ميرى « d » ص ٢٢١ .

لم يكد ينتهي السلطان من تنظيم ولاية الكجرات ، حتى وصل الخبر أن حسن كانكو والمتمردين الذين كانوا قد هزموا من قبل في ديوكير وتفرقوا ، قد اتحدوا وقتلوا عماد الملك سرتيز (٤٠٣) سلطاني، وفرقوا جيشه ، وتوجه خداوند زاده قوام الدين وملك جوهر وظهير الجيوش من ديوكير الى دهاركر ، ودخل حسن كانكو ديوكير ، وأخذ « جتر » وجلس على العرش ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، والتحق به أيضا حراس قلعة دهاراكر ، وقامت فتنة كبيرة ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، صار متحيرا ومهموما ، وبعد تأمل واف أدرك أن كل هذه الفتن التي قامت اثر بعضها من كثرة قتله ، وكف عدة أيام في نهرواله عن القتل عامة :

« عندما تتلطف ، يصبح الخصم شجاعا ، واذا قسوت ينفرون منك »

« القسوة واللطف رقعة واحدة ، مثل نبض المراة ليس له جراح ولا مرهم»

في ذلك الوقت استدعى السلطان ملك فيروز وأحمد ايازوملك غزنين قتليعه وصدرجهان بجيوشهما من دهلي ، ليرسلهما لمهاجمة حسن كانكو ووصلا اليه بجيوشهما ، وعندما وصل الخبر أن حسن كانكو قد جمع جيشا لا حصر له توقف السلطان عن ارسالهما ، واستهدف من ذلك أنه من الأهم أن يريح خاطره من أمر الكجرات وتسخير كرنال رهي الآن تشتهر بجوندكر وسوف يقوم بنفسه بدفع حسن كانكو ، وبناء على ذلك قضى سنتين في الكجرات ، في السنة الأولى كان مشغولا بتنظيم الولاية واعداد الجيش ، والسنة الثانية اهتم بتسخير قلعة جوندكر (٤٠٤) واستولى على قلعة كرنال وتوابعها ، وأطاعه المقدمون ورايان هذه النواحي جميعا ، وجاءوا لخدمته ، ووصل كنكار راجه ولاية كجه أيضا الى السلطان ·

يقول ضياء برني : « ان السلطان قال لي في هذا الحال : ان مملكتي أصابتها أمراض متضادة اذا عالجت احداها ، غلب عليها مرض آخر ، وطالما أنت قارئ ومطلع على كتب التاريخ ما هو العلاج الذي تراه في هذا المجال ؟ قلت : لقد كنت أرى أنه عندما ينفر الناس من السلاطين وتهب الفتن ، يجلسون ابنا أو أخا جديرا بالسلطنة محلهم ، ويتوارون في ناحية والبعض كان يعالج هذا المرض بترك الأعمال التي تسبب النفور العام » ، فأجابه السلطان : ليس لدى على

(٤٠٣) سرتير « ١ » ص ١١٠ ·
(٤٠٤) جونه كر « ١ » ص ١١١ ·

هذا النحو ابن أو خلف يستطيع أن يحل محلى ، وقد تركت سياسة العقاب ، لعل لا يحدث شيء .

مرض السلطان فى كوندل على مسافة خمس عشرة فرسخا من كرنال ، وقبل أن يأتى الى كوندل كان ملك كبير قد توفى فى دهلى فأرسل أحمد اياز وملك قبول نائب وزير الممالك الى دهلى واستدعى خداوند زاده ومخدوم زاده ، ومعارف آخرين من دهلى الى كوندل ، وعندما وصلوا الى كوندل ووصل جميع أزواجهم وأهاليهم ، وتجمع حول السلطان جمع كبير ، نظم الجيوش ، وتحسنت صحته ، وطلب بعد ذلك السفن من ديبالبور والملتان وأجه وسيوستان (٤٠٥) الى تهته ، وتوجه من كوندل ، ووصل الى شاطىء النهر ، وعبر النهر بالجيش والأفيال ، ونزل على الشاطىء الآخر ، وأثناء ذلك التحق بالسلطان ألتون بهادر بخمسة آلاف فارس مغولى ، وكان قد جاء من قبل الأمير قزغن (٤٠٦) وأنعم عليه السلطان وعلى جيشه بأنواع الانعام والاكرام ، وتوجه من هناك لاستئصال طائفة « سومره » وطغى ابن الحرام الذى كان قد لجأ اليهم بجانب تهته ، وعندما وصل لمسافة ثلاثين فرسخا من تهته ، كانت يوم عاشوراء (٤٠٧) وكان صائما ووقت الافطار أكل سمكا فعاوده مرض الحمى الذى أصابه من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ركب السفينة ونزل على مسافة اربعة عشر فرسخا من تهته ، وتوقف هناك لشدة المرض ، واشتد المرض يوما بعد يوم حتى توفى فى الحادى والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة ، وكتب ضياء برنى هذه المرثية فى تاريخه :

« لشراب العالم سم ناقع ، ولبذره آدم فاكهة مسمومة »
« فيا نديم العدم خفف الوطء ، فهذا العالم قليل من قليل »
« تنفس صبح المحشر ، ونحن نيام ، فأطلق الصيحة للنائمين »
« ها هم فرشوا فرش الصبا ، وجعلوا هذا البساط سعيدا »
« انها القيامة – قم وافتح ، سقف الديوان وسقف السماء »
« توارى شه محمد فى قلب الثرى ، فلتلبس الرمادى لباس المأتم »
« فانهش كثيرا فى جسد الدهر ، ومزق هذا اللباس المزخرف »

---

(٤٠٥) سويستان « ١ » ص ١١١ .
(٤٠٦) قزغن « ١ » ص ١١١ .
(٤٠٧) عاشورة « ١ » ص ١١٣ .

ذكر السلطان فيروز شـاه :

هو ابن أخى السلطان غياث الدين تغلقشاه ، وعندما اشتد المرض على السلطان محمد تغلقشاه فى جيش سويستان ، وعند الارتحال قام ملك فيروز نائب وكان ابن عم السلطان ، وكان السلطان يعتبره أحـــق بولاية العهد ، قام بالعمل على معالجة السلطان ، ونال بهذا شفقة وعناية السلطان ، وعندما رأى السلطان تألمه عليه ، أوصى له بولاية العهد ، وقال :

« لتكن أهلا للسلطنة ، لأننى سحبت الوسادة من تحت رأسى »

وعندما توفى فى نواحى تهته ، حدث تأثر كبير يزيد عن الوصف فى الجيش ، ورأى ملك فيروز باربك أن العلاج هو أن يفصل بلطائف الحيل عن الجيش أولا التون بهادر مع الثلاثة ألف فارس مغولى الذين كان قد أرسلهم لمساعدة السلطان محمد الأمير قزغن ، ليأمن من شرهم ، وبعد ذلك إنعم على الأمراء المشاهير وسائر الفرسان الانعامات والخلع واللباس كل حسب حالته ، وسمح لهم بالعودة الى ملكهم ، وأمر أن ينفصلوا عن الجيش فى الحال ويتبعدوا أكثر ، وفى أثناء هذا الحـال لم يكن قد مر يومان على وفاة السلطان ، كان رجال الجيش مضطربين من هول النهب والسلب ، فأشار نوروز كركين ، وهو صهر برمة شيرين ربيب السلطـان محمد ، الخلاف ، واتفق مع المغول على أنه فى وقت الرحيل وبما لديهم من قدرة حيث يكون الجيش فى ارتباك واضطراب ينطلقون فى النهب ويأسرون وينهبون ، وفى هذا اليوم ضاع كثير من الأموال وزوجات الرجال بيد المغول ومفسدى تهته ، وقضى رجال الجيش هذا اليوم فى خوف وفزع لا حدود له ، وفى اليوم التالى رحلوا باحتياط كامل وبترتيب الجيوش ، وفى هذا اليوم أيضا أغار المغــول ومفسدو تهته ، حتى وصل الجيش الى شاطىء النهر ونزل ، ولما كـان القطيع بلا راع مما سبب ألموت والتلف ، اجتمع مخدوم زاده عباس والشيخ نصير الدين محمد أودهى المشهور بمصباح دهلى وهو خليفة الشيخ نظام الدين أوليا ، والعلماء والمشايخ والمــلوك والأمــراء ، واستدعوا ملك فيروز باربك للجلوس على العرش :

« قبل الجيش كله الأرض ، لأن المــلك وطــأ العرش »

« وأينما يضع قدمه نضع رؤوسنا ، ونضع قُرماته على رأسنا تاجا »

« لو جعــل الماء والنار مكانا لنا ، ما تراجعنا عن رأينا فى أمــره »

وكان ملك فيروز يرغب فى السفر الى الحجاز وزيارة الحرمين الشريفين ، فاعتذر ، وأخيرا وبالتماس الأكابر والأصاغر جلس على عرش السلطنة فى الرابع والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وأطلق سراح عدة آلاف شخص كانوا قد وقعوا فى أسر المفسدين ، وفى اليوم الثالث ركب وأسر من كل ناحية كل فارس مغولى وغيرهم ، وقتلهم ، وأسر عدة قواد مغول ، وأبعد مضايقة المغول ومفسدى تهته ٠

« فرد الهما (٤٠٨) مظلة همايون عليه مثل الجناح ، ومن ثم لا تدعى اليوم انها باز » (٤٠٩)

« هكذا جعل العالم تابعا لدولته ، مع انه من طبيعة الأشياء الشذوذ »

وصار زمرة الخواص والعوام فى أول جلوس السلطان فيروز شاه رهنا لانعاماته السلطانية ، وبعد ذلك وصل برحيل متواتر الى سيوستان ، وأنعم على الأمراء والملوك والمشايخ والجنود بالجياد والخلع والسيوف والحزام ، وخص أيضا سكان سوستان بالانعامات والأموال وتوجه الى هندوستان (٤١٠) ، وفى الطريق كان ينعم ويسعد كل مدينة وقرية ويصل اليها بالانعام والأموال ٠

« قوم الطريق ، وافتح ببطء الخزينــــة المغـــلقة »

« جعلت الفاتحين أغنياء بالكنز ، والجيش يثمرد من الجوهر »

وفى أثناء الطريق ايضا وصله خبر مخالفة ملك احمد اياز الملقب بخواجه جهان وكان من المقربين للسلطان محمد شاه ، وتركه السلطان نيابة عنه فى دهلى فى غيبته ، من انه رفع طفلا مجهول النسب بادعاء انه ابن السلطان محمد شاه على السلطنة ، ولقبه بالسلطان غياث الدين محمد شاه ، وجعل نفسه وكيلا مطلقا له ، وحل السلطان هذه الأفعال الشنيعة على حمقه وانحرافه ، فأصدر فرمان عفـــو باسمه واخذ فى هدايته ، وبعد ذلك أرسل ملك سيف الدين « شحنة بيل » بالفرسان اليه ، ولكن لم يطع ، وأرسل ملك دهيلان (٤١١) ومولانا نجم الدين رازى وداود مولانا زاده اليه برسالة جاء فيها : لم تزل

---

(٤٠٨) الهما : طائر خرافى يجلب السعادة ٠

(٤٠٩) الباز : صقر الصيد ٠

(٤١٠) توضح هذه الجملة ان الهندوستان لفظ يطلق على المنطقة الشمالية فقط والتى عاصمتها دهلى ٠

(٤١١) ديلان ، ١ ، ص ٢٢٣ ٠

السلطنة فى أسرة السلطان محمد ، وأقبلكم نائبا ، ومستقلا تماما بأمور المملكة ، وأى أمير تريد معك يكون معك » ، وبعد وصول الرسالة عقد السلطان مجلسا ، حضره الشيخ نصير الدين محمد أودهى (٤١٢) ومولانا كمال الدين أودهى ومولانا كمال الدين سامانه ومولانا شمس الدين باخرزى وأكابر آخرون وعلماء ، وعرض عليهم حقيقة الأمر ، وقال : ما رأيكم فى هذا المجال ؟ وماذا ينبغى فعله من وجهة نظر الشرع ؟ قال مولانا كمال الدين : « نظرا لأنــه فى أول السلطان فانه من الأولى أن يرعى السلطان رسل أحمد اياز ، ويرسل داود مولانا زاده وهو من جملة رسله اليه ، ليهديه بالنصائح » ، وبعد وصول داود ، ادرك أحمد اياز أن الأمر انفلت منه ، ورأى أن أكثر الأمراء قد استقبلوه والتحقوا بجيش السلطان ، ما عدا ملك نتهو (٤١٣) حاجب وملك حسن ملتانى وأمثالهم الذين بقوا مع احمد اياز وأخذوا منه الذهب الوافر .

وفى نفس هذا الوقت وصل خبر قتل طغى الذى طغى وكان قد توجه الى الكجرات ، وامتدت آثار اقبال السلطان فيروز شاه تظهر فى كل ناحية ، وأراد أحمد اياز مرافقته بسبب عجزه وأرسل أشرف الملك وملك خلجين (٤١٤) وملك كبير وحسن أمير ميران الى السلطان من اجل العفو عن ذنوبه ، وخط السلطان بقلم عفوه على جرائمه وأجاز حضوره ، ووصل احمد اياز مع أتباعه محلقو الرؤوس العارية والأغلال فى أعناقهم لملازمته فى نواحى هانى ، فأمر السلطان أن يسلموا أحمد اياز كوتوالا لهانسى ، وعين ملك غياث الدين على تبرهنده (٤١٥) وطرد شيخزاده بسطامى ، وكان لسان الزمان يردد مضمون هذه القطعة :

« الزمان أوقع مخالفيك فى فتن آخر الزمان ، كل واحد فى نوع مختلف »

« أحدهما مات ، وقطع الفلك بخنجرك رقبة آخر ، وسلب أموال الآخر »

فى الثانى من رجب سنة ٧٥٢ هـ جلس السلطان فيروز شاه فى دهلى على عرش السلطنة مستقلا تماما ، وبشر بالعدل والاحسان ، ووصل انعامه الى كافة الأنام من الخواص والعوام ، وظهرت الرفاهية فى الرعايا وعموم البرايا من الصغير الى الكبير :

---

(٤١٢) اودى « أ » ص ١١٣ .
(٤١٣) نتوى « أ » ص ١١٣ .
(٤١٤) ملك خلجى « أ » ص ١١٣
(٤١٥) ترهنده « أ » ١١٣ .

«جلس على العرش محطم الأعداء ، الملك المحظوظ صاحب الفال الحسن»
«جدد رونق ونشاط ونصر الدولة الموفقة على طول الزمان » (٤١٦)

وفى الخامس من صفر سنة ٧٥٣ هـ توجه السلطان للتنزه والصيد بجانب جبل سرمور ، ووصل أكثر زميندارن هذه النواحى لملازمته وقد تقلدوا حلقة العبودية فى آذانهم ، وغاشية الطاعة على أكتافهم :

ما هذا الشعاع الذى يشرق فى الدنيا
وما هذه الجلبة التى ترن فى السماء »
« أهو موكب الملك أم نسيم الجنة
فان رائحة الأمن والأمان فى مشام الروح »

وفى يوم الاثنين الثالث من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ولد الأمير محمد خان فى دهلى فعقد السلطان فيروز شاه الاحتفالات وأنعم على الخلائق ، وفى سنة ٧٥٤ هـ (٤١٧) اصطاد فى كلانور وسفوح جبالها وعاد ، وأثناء العودة بنى عمارة عالية على شاطىء نهر سرستى ، ولقب الشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا بشيخ الاسلام ، وجعل ملك قبول نائب الوزير والملقب بخانجهالى وزيرا للمملكة ، وعهد لخداوند زاده قوام الدين الملقب بخداوندخانى بعهدة « وكيل در » (٤١٨) ونال ملك تاتار لقب تاتارخان وصار ملك شرف « نائب وكيلدر » ، وجعل سيف الملك « شكاربيك » (٤١٩) وخداوند زاده ، عماد الملك « سلاحدار » (٤٢٠) وصار عين الملك مستوفيا ومشرفا على الديوان ، ونال ملك حسين أمير ميران منصب « استيفاء كل » (٤٢١) .

وفى شهر شوال سنة ٧٥٤هـ ترك خانجهان فى المدينة وأعطاء سلطات كاملة ، وتوجه بجيش جرار الى لكهنوتى ، لدفع ظلم الياس حاجى الذى لقب نفسه السلطان شمس الدين وتحصن ببندوه (٤٢٢) ، ووصل حتى نواحى بنارسى ، وعندما وصل قرب كوركهبور ، وجاء اديسنك مقدم كوركهبور الى السلطان ، وقدم الهدايا اللائقة وفيلين ، ونال الانعام

---

(٤١٦) سبق أن ورد نفس البيتين ص ١٠٦ .
(٤١٧) ٧٦٤ « ١ » ص ١١٤ .
(٤١٨) وكيل البلاط .
(٤١٩) أمير الصيد .
(٤٢٠) امير السلاح .
(٤٢١) المستوفى العام .
(٤٢٢) شانذة « ١ » ص ١١٤ .

السلطانى ، وقدم راى كبورهم (٤٢٣) خراج عدة سنوات وتوجها للازمته.
وخرج الياس حاجى من بندره ودخل قلعة اكداله (٤٢٤) أحـــكم قـــلاع
البنغال ، ووصل السلطان فى السابع من ربيع الأول الى اكداله ، ووقعت
معركة حامية فى نفس هذا اليوم ، وابتعد جيش السلطان عن المدينة فى
التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، ونزل على شاطىء نهر الجانج ،
وفى الخامس من ربيع الآخر خرج الياس حاجى ثانية بقصد القتـــال من
القلعة ، وتحرك حركة المذبوح ، وفر داخل القلعة ، واستولى الســلطان
على أربع وأربعين فيلا مع جتر وعلم وأمتعة وحشم الياس حاجى ، وقتـل
مشاة كثيرون ، وأقام السلطان اليوم التالى ، وأصدر فرمانا بأن يطلقوا
سراح أسرى بلاد لكهنوتى ، ودخل فى الصلح فى يوم السابع والعشرين
من ربيع الآخر بسبب شدة الأمطار ، وعاد ، وعبر من معبر مانكبور من
نهر الجانج ، ووصل دهلى فى الثانى عشر من شعبان ، وأمر ببناء مدينة
فيروز آباد على شاطىء نهر جـون ٠

وفى سنة ٧٥٦ هـ توجه للصيد فى ديبالبور ، وأوصل نهر من نهـر
ستلد الى جهجر (٤٢٥) على مسافة ثمان وأربعين فرسخا ، وفى الســنة
الثانية مد نهرا ثانيا من نهر جون الى نواحى مندل (٤٢٦) وسرمور وأوصل
سبعة انهار أخرى به ومده الى هانسى ، ورحل من هناك الى رالين ، وبنى
قلعة هناك ، أسماها قلعة «فيروزه» ، وأقام أمامها قصرا وحوضا واسعا،
كان يمتلأ من نهر جون ، وفرع نهراً آخر من نهر كهكر ، ومده حول قلعة
سرستى ، وأوصله حتى نهر كره ، وبنى قلعة بينهما أسماها «فيروز آباد»
وفرع نهراً آخر من نهر بدهى ، وأوصله الى الحوض المذكور ، ومده أكثر
من هناك وفي شهر ذى الحجة من السنة المذكورة يوم عيد الأضحى وصل
منشور أبى الفتح خليفة مصر متضمنا تفويض مملكة الهند والسند ، فكان
سببا في افتخار وسرور السلطان ، وفى نفس السنة المذكورة أرســل
الياس حاجى هدايا لائقة ، وصار موردا للعناية الملكية ، وكانت بلاد الهند
تحت تصرف السلطان ما عدا لكهنوتى والدكن ، فان السلطان شمس الدين
الياس حاجى قد استولى على لكهنوتى بعد وفاة السلطان محمد تغلقشاه،
واستولى حسن كانكو تماما على الدكن ، وكان يقدم هدايا الصلح ، وفى
سنة ٧٥٨ هـ التحق ظفر خان فارس من سناركانو بفيلين بالبلاط ، ونـال
الانعام ، وصار نائب وزير ، وفى ذى الحجة سنة ٧٥٩ هـ توجه السلطان

(٤٢٣) كنورهم « ١ » ص ١١٤ ٠
(٤٢٤) كداله « ١ » ص ١١٤ ٠
(٤٢٥) جنجهر « ١ » ص ١١٥ ٠
(٤٢٦) مندلى « ١ » ص ١٠ ٠

الى سامانه (٤٢٧) وأثناء الصيد علم أن جيش المغول الذى كان قد جاء الى نواحى لاهور عاد دون قتال ، فعاد السلطان دهلى ، واهتم بالصيد ، وأثناء ذلك أرسل الراى المذكور رسولا وطلب الصلح ، وأرسل ثلاثة وثلاثين فيلا مع تحف وهدايا أخرى ، وعاد السلطان من هناك وجاء الى بدماوتى وهى مرعى للأفيال بقصد صيد الفيل ، واصطاد ثلاثة وثلاثين فيلا حيا ، وقتل اثنين ، وقال ضياء الملك رباعية فى هذا المجال :

« الملك الذى أسس بحق الدولة
وأضاء أطراف الدنيا مثل الشمس »
« جاء من أجل صيد الفيل الى جاجنكر
فاصطاد ثلاثة وثلاثين أحياء وقتل اثنين »

وعاد من هناك الى كره برحيل متواقر ، ودخل دهلى فى رجب سنة ٧٧٢ هـ (٤٢٨) .

بعد فترة ركب الى جانب نهر يسمونه « اسليمه » والنهر المذكور يحتوى على نهرين كبيرين تجرى دائما ، وفى وسط هذا النهر تقع هضبة عالية أمر السلطان أن يقوم بحفرة خمسون ألفا من الفيالة ، وظهر فى هذه الهضبة الكبيرة عظام أفيال وبنى آدم ، وكانت عظام يد الانسان ثلاث ياردات ، جزء منها متحجر وآخر لم يزل عظاما ، وأثناء ذلك فصل سرهند (٤٢٩) وكانت فى الأصل ضمن دخل سامانه ، ولعشرة فراسخ حولها ، وسلمها لملك ضياء الملك شمس الدين ابورجا ، وأقام هناك قلعة أسماها فيروزپور ، وتوجه من هناك إلى نكركوت ، وعندما وصل الى دامن كره ، وأحضروا ثلجا ، قال السلطان : انه عندما وصل السلطان محمد شاه المرحوم وكان مولاى الى هنا ، أحضروا اليه شربة ثلج ، وطالما جئت الى هنا (٤٣٠) فآمر ان يسقوا الأفيال والابل ماء مثلجا ، وقسم الثلج على جميع الجيش ذكرى للسلطان محمد شاه ، وأسرع راجه نكركوت مع أبنائه الى السلطان ، وأخذ على كتفه رداء العبودية ، فأكرمه السلطان ، وسمى نكركوت باسم المرحوم السلطان محمد « بمحمد آباد » .

---

(٤٢٧) سمانه « ١ » ص ١١٥ .

(٤٢٨) ورد خطأ « ٧٦٢ » ص ١١٦ ، d ٧٣٢ .

(٤٢٩) سرسمه « ١ » ص ١١٦ .

(٤٣٠) انتهت نسخة كلكتا وآخر عبارة غير كاملة وهى « جون من حاضر ... » .

وفى آخر السنة المذكورة ، وصل تاج الدين مع أمراء آخرين من لكهنوتى بسفارة ، وقدموا الهدايا النفيسة ، ونال الانعام ، وأرسل السلطان ملك سيف الدين « شحنة فيل » (٤٣١) وجيادا عربية وتركية وتحفا أخرى برفقة ملك تاج الدين الى السلطان شمس الدين ، ووصل الخبر فى بهار أن السلطان شمس الدين قد توفى وحل محله ابنه السلطان سكندر ، فكتب ملك سيف الدين رسالة الى السلطان وأخبره فرد عليه أن ارجع التحف والنفائس التى كانت مرسلة الى السلطان شمس الدين وأعط الجياد لجيش بهار ، وأرسل الرسل الى كره ، وبعد ذلك وفى سنة ٧٦٠ هـ توجهالسلطان الى لكهنوتى ، وترك خانجهان نائبا عنه فى غيبته عن دهلى وجعل تاتارخان حاكما (٤٣٢) من نواحى غزنين حتى الملتان ، وأقام عدة أيام بسبب المطر فى ظفر بور ، وفى ذلك الوقت جاء شيخزاده بطامى الذى كان قد طرده من عند خليفة مصر بخلعة ، فلقيه بأعظم الممالك ، وأرسل سيد رسول دار برفقة رسل لكهنوتى الى السلطان سكندر ، فأرسل السلطان سكندر خمسة أفيال وتحفا ونفائس أخرى مع سيد رسول دار الى دهلى ، وقبل وصول سيد رسول دار جاء عالم خان برسالة من لكهنوتى فتوجه السلطان الى لكهنوتى ، وأثناء الطريق أنعم على الأمير فتح خان بأسباب الملك مثل جتر ودورباش وقيل خيمة حمراء ، وأمر بضرب السكة باسمه، وعين أصحاب الأعمال .

عندما وصل السلطان الى بندوه (٤٣٣) تحصن السلطان سكندر فى قلعة اكداله ، ونزل السلطان فيروز فى هذه النواحى ، واهتم بالحصار وبعد عدة أيام طلب السلطان سكندر الأمان ، وقبل دفع المال الذى يرسله كل عام هدية ، وفى العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، عاد السلطان ، وأحضروا فى بندوه سبعة أفيال وتحفا وهدايا أخرى من السلطان سكندر هدية ، وبعد ذلك وصل جونبور وبدأ موسم المطر ، فقضى فصل المطر هناك وفى ذى الحجة من السنة المذكورة توجه من طريق بهار الى جابنكر فى أقصى ولاية كرهه كتنكه ، وعندما وصل الى كرهه كتنكه ، ترك ملك قطب الدين أخا ظفر خان فى الجيش والمعسكر وأسرع وحيدا وعندما وصل الى سنكره ، فر راى سارين راجه سنكره (٤٣٤) ، ووقعت أخته فى الأسر ، فحافظ السلطان عليها وأثناء الطريق لازم أحمد خان الذى فر من لكهنوتى وتحصن فى قلعة بنتهبور السلطان فرفعه وميزه

---

(٤٣١) شحنة فيل أو شحنة بيل .

(٤٣٢) شقدار « ا » ص ١١٥ .

(٤٣٣) هندوه « ا » ١١٦ .

(٤٣٤) فر راى بنارس راجه سكهره « ا » ١١٦ .

ببراحم وانعامات كبيرة ، وعندما عبر نهر مهندى (٤٣٥) ووصلوا الى مدينة بنارس مسكن ومقام راى جاجنكر ، فر الراى المذكور الى تلنك ، ولم يهتم السلطان بتعقبه ، واهتم بالصيد ٠

قالوا للسلطان انه عندما جاء سكندر ذو القرنين الى هنا فى ذلك الوقت ، رسم الناس صورة شبيهة له ، لديهم فى بيوتهم ، وصـــار الها لأهالى هذه الديار وأنه فى معبدهم ألف وثلاثمائة كتاب من كتب البراهمة السابقين التى تشتهر « بجالامكهى » وجمع السلطان علماء هذه الطائفة ، وترجمت بعض هذه الكتب : منها نظم عز الدين خالد خانى وكان من شعراء عصره كتابا فى الحكمة الطبيعية والسواكن والتفاؤل ويسمى باسم « دلائل فيروز شاهى » وقد اطلعت (٤٣٦) على هذا الكتاب ، والحق هو كتـــاب يتضمن أقسام الحكمة العلمية والعملية ٠

المهم ، رحل السلطان الى تهته بعد فتح نكركوت ، وعندما وصل الى تهته وتحصن جام حاكم تهته « بقوت آب » وقاتله فترة ثم عزم التـــوجه الى الكجرات بسبب قلة الغلة ونقص العلف والكلأ ونقص الماء ، وقضى موسم المطر هناك ، وتوجه الى تهته ثانية ، وأعطى الكجرات لظفر خـان وعزل نظام الملك ، وجاء نظام الملك وأتباعه الى دهلى وعينه نائبا للوزير٠

عندما جاء السلطان الى تهته ، طلب الأمان ، ولازم السلطان طبقـا لمضمون هذا البيت :

« عندما طلب الأمـان أمنته   وعندما أبدى عجزا وهبته الروح »

وطيب السلطان خاطره وأحضره مع سائر أعيـــان هذه البلاد الى دهلى ، وبعد فترة عين جام على تهته ، وسمح له بالانصراف ٠

وفى سنة ٧٧٢ هـ توفى خانجهان ، ولقب ابنه الأكبر « خوبانشه » لقب خانجهان ، وفى سنة ٧٧٣ هـ توفى ظفر خان فى الكجرات ، فلقب ابنه الكبير بظفر خان وسلمه الكجرات ، وفى الثـــامن عشر من صفر سـنة ٧٧٦ هـ توفى الأمير فتح خان فى كهتوار ٠

وفى سنة ٧٧٨ هـ عرض شمس الدين أفغانى أن يضيف أربعة ملايين تنكه على أصل خراج الكجرات ومائة فيل ، ومائتى جواد عربى وأربعمائة مملوك سنويا ، وقال السلطان : « لو قبل ضياء الملك ملك شمس الدين ابورجـــا نائب ظفر خان هــذه الزيــادة ، نترك له الكجـــرات ،

---

(٤٣٥) مها ندرى « ١ » ١١٦ ٠

(٤٣٦) نظام الدين أحمد مؤلف طبقات أكبرى ٠

ولم يقبل ملك شمس الدين ، فأعطى شمس دامغانى حلة ذهبية وحربة وكيسين فضة وسمح له بالسفر الى الكجرات بدلا من المرحوم ظفر خان ، ولما كان شمس الدين دامغانى لن يفى بوعده الذى وعده عندما قبل هذا ، فقد جاء وبغى وأثار العصيان بالاتفاق مع جميع أمراء مائة الكجراتين مثل الشيخ فريد الدين ورؤساء الجماعات الأخرى ، وأرسل السلطان جيشا لمقاتلة شمس الدين دامغانى ، وأرسلوا رأسه الى السلطان بعد قتله ، وسلم الكجرات الى ملك مفرح سلطانى الملقب « بفرحة الملك » ٠

وفى سنة ٧٧٩ هـ توجه الى اتاوه واكجل ، وهزم راى بيرداد هرن وأهل اتاوه الذين حاربوا جيش السلطان ، وأرسل زوجته وابنه الى دهلى، وبنى قلعة فى اكجل وبتلاهى ، وترك ملك زاده فيروز ابن ملك تاج الدين وجماعة من الأمراء وسلمه ايضا بتلاهى ، وسلم اكجل لملك أفغان وعاد الى دهلى ٠

وتوفى نظام الدين حاكم أوده والذى كان تابعا للسلطان فى نفس هذه السنة ، فأعطى أوده لابنه الأكبر ملك سيف الدين ٠

وفى سنة ٧٨١ هـ توجه السلطان الى سامانه ، وقدم ملك قبول حاكم سامانه هدايا كثيرة ، ومر من ابناله وشاه آباد ، وتوجه الى جبل ساتهور ، وأخذ الهدايا من راى سرمور والملوك الآخرين وعاد الى دهلى، وأثناء الطريق علم أن كهركو مقدم كهترا استضاف سيد محمد حاكم بداوى وسيد علاء الدين واخوته فى بيته وقتلهم ، فركب فى سنة ٧٨٢ هـ للانتقام لدماء سادات كهتر ، وفر كهركو ، ونهب بلاد كهتر ، وتوجه كهركو الى جبل كماؤن ، ونهب السلطان هذه البلاد ، وسلم بداون لملك قبول ، وترك ملك خطاب افغان لتتبع كهركو فى سنبل ، واصطاد فى هذه البلاد حتى صارت خرابا قفرا ٠

وفى سنة ٧٨٧ هـ أقام السلطان فى قرية هولى على مسافة سبعة فراسخ من بدوان قلعة أسماها فيروزبور ولما لم يبن أى قلعة بعدها اشتهرت هذه القلعة المذكورة « بحزين بور » ٠

وفى هذه السنة غلب المرض والشيخوخة على السلطان ، وسيطر عليه خانجهان تماما ، وأراد خانجهان أن يقبض على الأمير محمد خان وأمراء آخرين أمثال دياخان بن مظفر خان وملك يعقوب محمد حاجى وكمال الدين الذين كانوا من المخلصين والتابعين للأمير ، وأن يبعدهم عن الحكم وأبلغ السلطان أن الأمراء المذكورين يريدون الخروج عليه ، ووثق السلطان بكلامه ، وأمر أن يقبضوا على هؤلاء الأمراء ، ولم يأت الأمير الى والده لمدة بضعة أيام ، واستدعى خانجهان درياخان بحجة حساب

مهربه ، وسجنه فى بيته ، وعندما سمع الأمير هذا الخبر اضطرب ، وذهب الى أبيه ، وألح له أن خانجهان يهدف الى اثارة التمرد ، ويريد أن يبعد الأمراء الكبار من حولى ، وبعد ذلك يعمل على القبض على ٠٠ وأمر السلطان بقتل خانجهان ، وأحضر دارياخان من السجن وأمر الأمير ملك يعقوب أن يتوجه بجياده الخاصة ، لمحاربة ملك قطب الدين شحنه فيل وقاتله وفى آخر الليل توجه الأمير على رأس جماعة ، وخرج خانجهـــان من البيت مع عدة أشخاص وقاتلهم ، وأصيب أخيرا بجرح وهزم ، فدخل الأمير بيته ، وذهب الى بدر من طريق آخر ولجأ الى كوكا جوهان حـاكم ميوات ، وانتهب الأمير بيته وقتل بمساعدة ألف من القبجاق ملك عماد الدولة وملك شمس الدين وملك مصالح الذين قبض عليهم فى الحرب ٠

وبعد هذه الواقعة جعل السلطان الأمير وزيرا مطلقا ، وســلمه اسباب الملك مثل الجياد والحشم والأفيال جميعها ، ولقبه ناصر الـدين والدنيا محمد ، وانشغل بالعبادة والطاعة ، وتليت الخطبة يوم الجمعـة باسميهما سويا ، وجلس السلطان محمد شاه على العرش فى شـعبان ســنة ٧٨٩ هـ ٠

قرر السلطان محمد شاه لأصحاب الوظائف ما سبق تقريره ، وخلع عليهم الخلع ، وأحال الكجرات لملك يعقوب الملقب باسكندر خان ، ولقب ملك راجور بمبارزخان وكمال عمر بدستورخان وسائر عمر بمعين الملك ، وملك يعقوب باسكندر خان ، وأرسل اسكندر خان بجيش عظيم لمهاجمـة خانجهان ، وعندما اقترب الجيش من ميوات ، قيد كوكا جوهان خانجهان وأرسـله الى اسـكندر خان وقتـله اسكندر خان ، وأرسـل رأسه الى الأمير محمد شاه ، وتوجه الى الكجرات ٠

توجه الأمير محمد شاه فى نفس هذه السنة الى جبل سرمور للصيد، واثناء الصيد علم أن ملك مفرح اتفق مع أمراء المائة فى الكجرات ، وقتل اسكندر خان وانتهب الجيش الذى كان برفقته ، ووصل بعض الجـرحى الى دهلى مع سبه سالار ، وسمع محمد شاه هذا الخبر فجاء الى دهلى ، ولم يهتم بالانتقام لدم اسكندر خان وانشغل باللهو والطرب ولغفلته حدث تصدع كبير فى أمر المملكة ٠

وبعد عدة شهور من واقعة اسكندر خان ، ابتعد قواد السلطان عن محمد شاه بسبب الحقد والحسد اللذين ظهرا على سماء الدين وكمال الدين ورفعوا لواء المعارضة، وأرسل محمد شاه ملك ظهير الدين لاهورى لتسكين الفتنة ، وعندما وصل ملك ظهير الدين الى الميدان الذى تجمـع فيه جيش فيروزشاه ، رماه الجنود بالحجارة وجرجروه ، وعاد الى الأمير

محمد شاه على هذا الحال ، فجمع الأمير جماعته وواجه جيش السلطان وقاتلهم وأخيرا قوى جيش الأمير وغلب جيش السلطان ولجأ القواد الى السلطان فيروز شاه ، ومر اليوم فى قتال وجدال ، وفى اليوم الثالث ضاق الأمر على غلمان فيروز شاه ، وأحضروا السلطان الى مكان المعركة وأطلعوه على الأمر وعندما رأى جيش محمد شاه ، وقواد فيلة السلطان ، كفوا عن القتال وجاءوا الى السلطان وتفرق جيش السلطان محمد وذهب مع من بقى الى جبل سرمور وانتهب جيش السلطان قرابة مائة ألف رجل من فرسان ومشاة منازل محمد شاه وأعوانه واستاء السلطان من وشاية أهل الحسد لمحمد شاه ، وجعل تغلقشاه بن فتح خان حفيده وليا للعهد ، ورفعه الى السلطنة ، وأحضر تغلقشاه محمد حسين صهر السلطان وكان من المقربين لمحمد شاه الى البلاط وأطاح برأسه وقيد أيضا غالب خان أمير سامانه لتأييده لمحمد شاه ، وأجلاه عن وطنه ، وأرسله الى بهار وأعطى سامانه الى ملك سلطان ٠

وفى الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٧٩٠هـ توفى السلطان فيروز:

« لقد اختلط الفلك من القاء الرءووس ، ولا ينبغى فصل الرأس عن الجسد »

« لأنه يعلم أن هذا التراب منقلب
ويمتزج الدم بالقلوب »
فليت كل الطرق من عيون العمى
« أديم القبر من سوء الحظ »
حكم ثمان وثلاثين سنة وعدة أشهر
وتاريخ وفاته « وفات فيروز »

لقد ترك هذا السلطان العادل بين الناس كثيرا من قواعد العدل والاحسان وقواعد الأمن والأمان ، ومن جملة أحكامه كانت ثلاثة ضوابط أساسية :

القاعدة الأولى :

هى أنه ترك العقاب تماما ولم يعاقب قط مسلما أو آدميا ولم يكن محتاجا لتأليف قلوب الناس بسبب كثرة الانعامات والدخول ، وكانت سياسته أعظم سياسة ، وصارت أخلاقه الحميدة وصفاته الجيدة سبب العدالة والانصاف بين الناس ، وسد طريق ظلم وتعدى الناس على بعضهم البعض ، ولم يكن لمخلوق قط قدرة على ايذاء آخر فى عهده ٠

القـــاعدة الثانية :

هي أنه كان يأخذ خراجا من الرعايا تبعا لطاقتهم ، وكان يرفض الزيادة ولم يكن يستمع الى كلمة سوء في حق الرعايا ، وصارت هـــذه القاعدة سببا في زيادة التعمير ورفاهية الرعايا والبرايا ·

القـــاعدة الثـــالثة :

وهي أنه كان يولي رجالا متدينين يخافون الله على الأعمال والحكومة والولاية ولم يعط خدمة قط لشرير سيء السلوك ولم يجعله حاكما او أميرا، وكان الناس جميعا يتبعون حكامهم بناء على القول « النـــاس على دين ملوكهـــم » ·

كان السلطان يضع قواعد العدالة والانصاف بينهم ، ولم يكن يظلم او يتعدى على أحد ، وشاع الأمن والأمان تماما بين الأدنى والأعيـــان ، وامتاز عن سلاطين الهند الآخرين بخيراته ، وبره وانفاقه وخلعه ، وقـــد اطلعت (٤٣٧) على رسالة من تاليف السلطان فيروز شاه ، والتي جمعت وقائع أحواله مســـماه « بفتـــوحات فيروز شاهي » وذكـــر بها بعض الخصوصيات تبركا وتيمنا وبمقتضى القول كلام الملوك ملوك الكلام ، حتى يتبصر أرباب البصيرة بالذات الطيبة والصفات المحببة لهذا السلطان الملاك، ويعلمون سيرته ، وقد بنى هذا السلطان العادل قبة عالية في المســـجد الجامع بفيروز آباد ، وهي مثمنة ، وعلى الثمانية جوانب لهذه القبة فكر ان يحفر على الحجر مضمون هذا الكتاب بأبوابه الثمـــانية ، وكتب في **الفصل الأول** أوقات المسجد وسبب شهرته ، وأكد في **فصل آخر** أنه في الأزمنة السابقة كانت تراق دماء المسلمين لأقل جريمة ومن أنواع التعذيب قطع اليد والقدم والأذن والأنف والسمل وتفتيت عظام الأعضاء بمسمار وحرق الجسد بالنار ، وخرق اليد والقدم والصدر بمسمار ، وسلخ الجلد، وقطع القدم ، وشق الانسان نصفين ، وأنواع أخرى تفننوا فيها ، وقـــد قضى الله سبحانه وتعالى أن انسخ جميع الأحوال، وقد اسقطت من الخطبة أسماء السلاطين السابقين الذين صـــارت الهند دارا للاســـلام بجهودهم وأنني أحيي أسماءهم وأدخلها في الخطبة ثانية حتى تكون الفاتحه رحمة لهم على الدوام ·

وفي فصل آخـر كان يزجر الأمور غير المعقولة الكثيرة التي دخلت بدون داع سنويا مثل الرعي وبيع الورد والنيله وبيع السمك والندافي وبيع

---

(٤٣٧) نظام الدين احمد ·

الحبال وشوى الحمص والمخللات والحانه ورئاسة القـــرية وكوتوالى والاحتساب ، وأقتلعها جميعا لأن العظماء يقولون :

« جميع قلوب الأصـدقاء أفضـل من الكنـز
والخزينة الخاوية أحسن من انسان مضطرب »

وقررت أن كل مال مخالف لسنة الرسول عليه السلام لا يؤخذ ، وكان الجيش يأخذ قبل هذا القانون الخمس من مال الغنيمة ، ويأخذ الديـوان أربعة أخماس وقررت أن يكون الخمس للديوان ليوافق الشريعة المطهرة ٠

وآخــــر :

اخـــرجت من ولايتى أصـــحاب المـذاهب السيئة والملحـــدين والمبتدعين والمرائين لأنهم ضـــللوا الخلق ، ودرست رسومهم وعــاداتهم وكتبهـــم ٠

وآخــــر :

كان أهل الزمان قد اعتـــادوا لبس اللبـــاس الحريرى واستعمال الذهب والفضة ، وقد الغيتها جميعا ، وأمرت بموافقة أحكام الشريعة ٠

وآخــــر :

لم يصبح متيسرا للنساء المسلمات والكافرات زيارة الأضرحـــة والمعابد لأنهم كانوا يضعون أس الفساد ، فمنعت ذلك ، وبنيت مسجدا محل المعبد ٠

وآخــــر :

جددت بناء ما كان قد اندرس عن السلاطين الســابقين من مسجد وخانقاه ومدرسة وبئر وحوض وجسر وقصر وحـــددت الأوقات ، وكـــان مولاى المرحوم السلطان محمد قد عاقب بالقتل وقطع أعضاء جمـــــاعة وجدت لهم أبناء ورثة ، فانعمت عليهم بالانعام والوظيفة وأخذت منهـــم براءة لذمة السلطان ، أمهرتها بخاتم الأكابر والأشراف وأودعتها مقبـــرة السلطان محمد شاه ٠

وآخــــر :

فى أى مكان أســـمع أن به فقيــرا أو عابدا اذهب اليـــه وأرعى خاطره ٠

وآخــــر :

قررت لقواد الجيش والأمراء الذين وصلوا سن الكبــر ويطلبون الاعتزال والراحة الوظائف والدخول ، واهتممت بأمر الآخرة ٠

بقى مما بناه (السلطان فيروز) من عمارات وبقاع خير بهذا الشرح :

جدول : ٤	مسجد : ٤	مدرسة : ٣٠	خانقاه : ٢٠
قصر : ١٠٠	رباط : ٢٠٠	مدينة : ٣٠	حوض : ٤
دار الشفاء : ٤	مقبرة : ١٠٠	حمام : ١٠	منارة : ١٠
بئر : ١٥٠	جسر : ١٠٠	حدائق : لا حصر لها	

وسجل فى كل بناية اسماء الوقف ، وعين الخدم بكل المساجد والمدارس والخوانق والحمامات والآبار وقرر لهم الرواتب وتفصيل هذا يطول ويزيد ·

آخر :

يقولون انهم أعطوني السم مرتين ، وتناولته وانا أعلم ، ولم أصب بضرر ، ولما كانت الوقائع الأخرى لهذه الرسالة تدخل ضمن التواريخ فلا داعى للتكرار ، وليتغمده الله برحمته ·

ذكر السلطان تغلقشاه بن فتح خان بن فيروز شاه :

جلس على عرش السلطنة فى الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٧٩٠ هـ فى قصر فيروز آباد بمساعدة بعض الأمراء ، ولقب بالسلطان غياث الدين تغلقشاه ، ووزر ملك فيروز بن تاج الدين ، ولقبه بخان جهان ، وعين غياث الدين ترمذى سلاحداري ، وأطلق سراح ملك فيروز على من السجن ونصبه « جامدارى » وكان هذا هو منصب ابيه ، وأرسل ملك فيروز على ويهادر لمهاجمة السلطان محمد شاه ، وأرسل سلطان شه حاكم سامانه وراى كمال الدين وأمراء آخرين ايضا لهذه المهمة ، وتوجه فى شوال من السنة المذكورة الى جبل سرمور ، ورحل الأمير محمد شاه من هناك ودخل الجبل وتحصن بقلعة كنارى ، وتعقبه تغلقشاه ، وانتقل محمد شاه من هناك وتوجه الى قلعة نكركوت ، وعاد الجيش من تعقبه ·

ولما كان السلطان تغلقشاه مستغرقا فى اللهو والمجون منذ عنفوان شبابه ، ولذا أهمل أمر الملك وشئون السلطنة ، وأخذت القصور تظهر فى أمور الملك ، وسجن تغلقشاه أخاه الشقيق خرم سالارسه لقلة خبرته ، وانزوى ابو بكر بن ظفر خان وهو ابن أخيه بسبب الخوف الذى سيطر عليه وتوجه من ميان الى بدر ، وخرج معه ملك ركن الدين نائب الوزير وأمراء آخرون وقتلوا ملك مبارك كبير فى فيروز آباد على بوابة قصر تغلقشاه ، وأدرك (تغلقشاه) غلبة المتمردين ، فخرج من البوابة الخلفية

بمساعدة خانجهان الى نهر جونبور ، وكان ملك ركن الدين موجـــودا فتعقبه وقبض عليه وعلى خانجهان ، وقتلهما ، وعلق رأسيهما على نفس البوابة ، ووقعت هذه الواقعة فى الحادى والعشرين من صفر سنة ٧٩١ هـ، وكانت مدة حكمه ستة أشهر وتسعا وعشرين يوما والله أعلم بالصواب ٠

ذكر السلطان أبى بكر شـــاه :

رفع الأمراء أبا بكر بن ظفر خان ابن السلطان فيروز الى الســـلطنة عنوة بعد هذه الواقعة ولقبوه بأبى بكر شاه ، وعين ركـــن الدين بمنصب الوزارة ، وبعد فترة أخبر أبو بكر شاه أن ركن الدين جنده اتفق مع عدد من أمراء الفيروز شاهيه ويريد أن يقضى على أبى بكر شاه ، ويجعل نفسه سلطانا ، وسبقه أبو بكر شه ، وقتل أبو بكر ركن الدين جنده ، وأطـــاح بالسيف أيضا جمعا من هؤلاء القوم الذين وافقوا ركن الدين ، وســـيطر أبو بكر شه على دهلى ، واستولى على أفيال وخزائن السلاطين وظهرت غلبتـــه وســـيطرته ٠

وعلم فى هذه الأثناء أن أمراء مائة سامانه قتلوا ملك سلطان شه خوشدل حاكم سامانه بطعنة خنجر فى الرابع والعشرين من صفر من السنة المذكورة بجوار حوض سنام ، ونهبوا بيته ، وأرسلوا رأسه الى الأمير محمـــد شـــاه فى نكركـــوت وتوجـــه السلطـــان محمد شـــاه من نكركوت الى جلندهـــر وجـــاء الى سامانه ، وجلس على العرش فى ربيع الأول للمرة الثانية ، وجدد أمراء مائة سامانه وأهالى دامن كوه البيعة له ، وترك أيضا بعض أمراء وملوك دهلى أبا بكرشه والتحقوا بمحمد شاه ، وتجمع حوله عشرون ألف فارس ومشاة لا حصر لهم ، وعندما عـــزم السفر من سامانه الى دهلى بلغ جيشه عند الوصـــول الى نواحى دهلى خمسين ألف فارس ٠

نزل السلطان محمد شاه بقصر جهان نما فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٩١ هـ ، واتجه أبو بكر شه وجيشه لمواجهة جيش محمـــد شاه فى فيرون آباد ، والتحمت الجيوش فى الثانى من جمادى الأول من السنة المذكورة فى حوارى فيروز آباد ، وفى هذه الأيام دخل بهادر ناهر وجماعته المدينة ، ورجحت كفة أبى بكر وفى اليوم التالى صف أبو بكر الصفوف ، وقاتل ، وهزم محمد شاه وعبر نهر جون بألفين من الفرســـان وتوجه الى دوآب ، وأرسل همايون خان ابنه الأوسط الى سامانه ليجمـــع جمعه هناك ورافقه ملك ضياء الملك أبو رجا، وراى كمال الدين مئين وراى خلجين بهتى وكانوا حكاما لهذه النواحى ، واتخذ من جليسر على شاطىء الجانج مستقرا له ، والتحق بمحمد شاه بعض أمراء الفيروز شاهيه مثل ملك سرور « شحته شهر » وملك الشرق ونصير الملك حاكم ملتان وخواص

الأشواك ، وأظهر نفسه ، وتعقبوا الكجراتيين حتى احمد آباد ، وقتلوا في هذه المعركة أكثر من الفي شخص ٠

المهم ، أنعم السلطان همايون على ميرزا عسكرى بأحمد آباد وتوابعها منذ ذلك الفتح (٥٥٧) ، وجعل ميرزا يادكار ناصر مسئولا عن نهرواله ويتن ، وعين ميرهندوبيك على بروج وتردى بيك على جانيانيير ، وانعم على قاسم حسين ببروده ، ونال خانجهان شيرازى وأمراء آخرون أيضا الانعامات ، وعاد السلطان همايون بالنصر والفتح ووصل الى برهانبور ومنها توجه الى مندو ٠

بعد فترة قام أحد أمراء السلطان بهادر فى نوسارى قرب سورت بتحصين المكان ، وسيطر على أهالى نوسارى ، وهاجم رومى خان (٥٥٨) تابع خانجهان بهروج من بندر سورت ، ولم يستطع قاسم حسين مقاومته ففر الى جانبانير ، وشرع الكجراتيون أيضا فى العصيان فى كل ناحية ، وحدث خلل فى كل جانب ٠

وحدث ذات ليلة أن جرى على لسان ميرزا عسكرى في مجلس شراب بسبب السكر ، انني السلطان ظل الهى ؛ وغمغم غضبنفر الذي كان من رفاق الأمير وأخو مهدى قاسم قائلا « انك ثمل » فضحك ندماؤه ، وأدرك ميرزا حقيقة الضحك ، فغضب ، وألقى غضنفر فى السجن ، وبعد عدة أيام فر من السجن (٥٥٩) وذهب الى السلطان بهادر ، وحرضه للقدوم الى احمد آباد ، وقال : « انني أعلم من خلال مشورتى للمغول أنهم يفكرون فى الفرار ، اسجنى واذهب الى المغول فان جاء المغول للحرب اقتلنى » واتفق السلطان بهادر مع زميندارات ولاية سورت (٥٦٠) وتوجه الى احمد آباد ، وفي هذا الوقت حرض ابن هندوبيك ميرزا عسكرى كى يجعل الخطبة والسكة باسمه ، وأن يرفع لواء السلطنة ، وسوف يضحى الجنود فى ملازمته ويحققوا أمله ، ولم يقبل ميرزا عسكرى هذه النصيحة ولم يوافق أيضا وبعد الجدال الطويل قرر ميرزا عسكرى وميرزا يادكار ناصر وأمير هندوبيك والأمراء الآخرون ترك أحمد آباد ، واقاموا المعسكر خلف أساول (٥٦١) فى

---

(٥٥٧) لم يسمح بدخول المدينة الا لرجال مرزا عسكرى (اكبر نامه ، ص ١٧٢) ٠

(٥٥٨) رومى خان خدا وند ١ ٠

(٥٥٩) فر بثلاثمائة جواد (اكبر نامة ، ص ١٧٤) ٠

(٥٦٠) سورت من مقاطعات كاثيواز ١ ٠

(٥٦١) بظاهر أحمد آباد ٠

مواجهة سركنج ، ونزل السلطان بهادر أيضا فى سركنج ، وتقابلا ، وحدث أن انطلقت قذيفة من جيش ميرزا عسكرى ، فقلبت بلاط السلطان بهادر ، واضطرب السلطان بهادر ، واستدعى غضنفر للحضور لمعاقبته ، فقال غضنفر اتعاقبنى قبل أن تنظم الصفوف ! ، لقد وصلنى أن ميرزا عسكرى سيفر ليلا ، وعندما حل المساء ، ترك ميرزا المعسكر بموافقة الأمراء ، وذهب الى جانبانير ، ونزل على مسافة عشرة فراسخ، وتعقبه السلطان بهادر ، ووصل اليه ، وركب ميرزا عسكرى والأمراء الحرب السلطان بهادر ، وقام بحركة انتحارية ، وعاد ، وعندما وصلوا الى جانبانير ثار تردى بيك عليهم وتحصن ، واخبر السلطان همايون أن ميرزا عسكرى قد سلك طريق العصيان ، ويعتزم الوصول الى آكره ، ويرفع لواء السلطنة ، وقبل أن يفر ميرزا عسكرىمن احمد آباد ، ومع أن العيون وكتاب الوقائع (٥٦٢) قد عرضوا أن الكلام الذى عرضه مير هندوبيك بصدد سلطنة ميرزا عسكرى من أن ميرزا لم يقبله ، وكتبوا الى السلطان همايون أن ميرزا يفكر فى المعارضة ، المهم توجه السلطان همايون بسرعة تامة الى آكره ولازمه ميرزا عسكرى فى نفس الطريق (٥٦٣) وعرض عليه حقيقة الأمر ، وتصالح السلطان بهادر مع تردى بيك فى جانبانير ٠

وفى أوائل هذه السنة جاء شاه طهماسب (٥٦٤) الى قندهار للانتقام من ميرزا (كامران) واخلى خواجه كلان بيك القلعة ، وتوجه الى لاهور ، ويروون أن كلان بيككان قد اقام بيتا صينيا بكامل أبهته ، وعند الفرار كان مؤثثا بالأبسطة النفيسة والأوانى الجميلة ، مما سر الشاه وسلم الشاه قندهار لأمرائه ، وذهب الى العراق (٥٦٥) وعاد ميرزا كامران من لاهور الى قندهار ولم يكن لدى التركمان مقدرة للمقاومة فخرجوا من القلعة آمنين ، وذهبوا الى العراق ، ودخلت قندهار تحت سيطرته ثانية ٠

المهم عندما وصل السلطان همايون الى آكره ، واستقر عاما واحدا ، قضاه فى المرح واللهو ، وكان السلطان بهادر قد أرسل محمد زمان ميرزا وقت الهزيمة الى الهند ليثير الفساد ، وجاء محمد زمان

---

(٥٦٢) وقائع نويس ٠

(٥٦٣) قرب جتور (اكبر نامه ، ص ١٧٦) ٠

(٥٦٤) شاه طهماسب صفوى (٩٣٠ هـ ـ ٩٨٤ هـ) حاكم ايران ٠

(٥٦٥) يقصد بالعراق « ايران » ٠

ميرزا الى لاهور (٥٦٦) وقتما كان ميرزا كامران فى قندهار ، وحاصرها وعندما سمع خبر عودة السلطان همايون ، عاد الى الكجرات ، وكان شيرخان (٥٦٧) يستولى على ولاية بهار وجونبور وقلعة جنار أثناء وجود السلطان همايون فى ولاية الكجرات ومالوه ، وكان قد قـــوى نفوذه تماما وادرك السلطان همايون أنار الله برهانه أنه من الأولى دفع فتنته ، فتوجه فى الرابع عشر من صفر سنة ٩٤٢ هـ بجيوش منظمة لصد شيرخان ، وعندما نزلت رايات السلطان همايون بظاهر قلعة جنار (٥٦٨) جاء رومى خان الذى كان عند السلطان بهادر لملازمة السلطان ونـــال الرعاية (٥٦٩) ، وتعهد بفتح هذه القلعة ، وسمح له السلطان ، وأمر أن يعدوا ما يطلبه لتسخير القلعة ، وتفقد رومى خان أطراف القلعة ، وعلم أن كل ما يتصل باليابسة من القلعة حصين تماما ولن تصل يد تدبيره الى القلعة من هذه الناحية ، وبناء على هذا أقام من ناحية النهر سفينة كبيرة ، وشرع فى اقامة ساباط أعلى السفينة ، وعندما ارتفع الساباط لم تستطع السفينة حمله فاقام سفينة أخرى على ناحية وأخرى على الناحية الأخرى وربطهما بالأولى ، ورفع الساباط مرة أخرى ، ولم تتحمل السفينة أيضا نفس هذه الطريقة فأقام سفينة أخرى ورفع الساباط الى القلعة ، ووصل الساباط الى القلعة مرة أخرى ، وعندما رأى قواد هذه القلعة أن أمر الحرب ذهب من أيديهم ، ركبوا السفينة ليلا وذهبـوا الى البلاط (٥٧٠) ، ونال رومى خان الانعامات من السلطان همايون ، وبأمر السلطان قطعوا يد حملة البنادق الذين كانوا فى هذه القلعة •

كان شيرخان أفغان يقاتل حاكم البنغال (٥٧١) وفر حاكم البنغال جريحا أمامه ، ولجأ الى بلاط السلطان همايون ، وتوجه السلطان الى البنغال على عجل ، فأرسل شيرخان ولديه جلال خان وخواص خان (٥٧٢) لحماية كرى الواقعة على طريق البنغال ، وكرى مكان حصين يقـــع على طرفه جبل مرتفع وغابة عظيمة لا يمكن أحد أن يفكر فى الصعود

---

(٥٦٦) ذهب الى لاهور حين كان كامران فى قندهار وحاصر شاه حسين بن شاه بيك ارغون وعاد الى الكجرات بمجرد عودة كامران (اكبر نامه ص ١٧٧) •

(٥٦٧) شير خان مؤسس دولة الأفغان السورية •

(٥٦٨) كانت تحت سيطرة قطب خان بن شير خان •

(٥٦٩) بعد هزيمة السلطان بهادر فى مندو (اكبر نامه ، ص ١٨٣) •

(٥٧٠) منهم حاكم القلعة ولكنه توفى بعد عدة أيام مسموما وتولى أمر جنار بيك ميرك (اكبر نامه ، ص ١٨٤) •

(٥٧١) وهو سيد محمود شاه ويدعونه ابا الفضل نصيب شاه ولكنه توفى (اكبر نامه ، ص ١٨٣) •

عليها مطلقا ، وعلى الطرف الآخر يتصل بنهر الجانج ، وكرى فى الوسط بين بهار والبنغال ، وأرسل السلطان جهانكير بيك مغل لمهاجمة كرى ،وكان هندال ميرزا قد التحق برفقة الركب الظافر حتى منكير ، وبعد ذلك سمح له السلطان بالسفر الى آكره لصد محمد سلطان ميرزا وألغ ميرزا وشاه ميرزا الذين كانوا قد فروا من السلطان ، وأثاروا الفساد فى الدولة ، ولما لم يحقق محمد زمان ميرزا النجاح فى الكجرات أرسل الرسل الى السلطان وطلب الأمان ، ونال الأمان ، وتوجه الى البلاط (٥٧٣) ..

عندما وصل جهانكير بيك الى كرى ، توجه جلال خان بن شيرخان وخواص خان الى هذه الناحية ، ووصلا وقت نزول الجيش ، وهزما جهانكير بيك ، فعاد جهانكير بيك الى السلطان جريحا ، ورحل السلطان ووصل الى بوابة كرى ، ولما لم يكن لدى جلال خان وخواص خان طاقة للمقاومة فرا ، وترك للسلطات كرى ، ودخل كرى ، ودخل البنغال ، ولم يستطع شيرخان مقاومته فذهب من طريق جهاركند (٥٧٤) الى رهتاس ، وتوقف السلطان ثلاثة أشهر فى البنغال (٥٧٥) وأطلق على مدينة « كور » اسم « جنت آباد » .

انتهز ميرزا هندال الفرصة فى آكره سنة ٩٤٣ هـ (٥٧٦) ورفع لواء العصيان بغواية المفسدين (٥٧٧) وقتل الشيخ بهلول وكان من مشايخ عصره وله فى علم الدعاء بالأسماء الحسنى ، وكان السلطان يحسن الاعتقاد فيه ، وبوشاية أهل الفتن الذين أرادوا الاساءة للميرزا عند السلطان همايون بحجة أنه متفق مع الأفغان ، وقرأ هندال الخطبة باسمه (٥٧٨) .

---

(٥٧٢) خواص خان ليس ابنا لشيرخان وهو ابن غلام شيرخان (طبقات اكبرى ، ص ٢٢٥) .

(٥٧٣) حدث هذا قبل السلطان الى جنار . (اكبر نامه ، ص ١٧٦) طلب الامان بعد غرق بهادرخان (بدوانى ج ١ ص ٣٥٨) .

(٥٧٤) حاكمها راجه جيتا من برهمن (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .

(٥٧٥) فضل همايون طريق البنغال (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .

(٥٧٦) ذهب الى آكره بدون وداع (اكبر نامه ، ١٨٦) .

(٥٧٧) قال أتباعه إذا صارت الخطبة باسمك فنحن سنخدمك باخلاص ونؤيدك والا نذهب الى كامران فهو يأمل ذلك (اكبر نامه ، ص ١٨٧) .

(٥٧٨) كان السلطان يحب هندال كثيرا فى صغره وشيئا فشيئا أخذ لا يطيق رؤيته (همايون نامه كلبدن ، ص ١٠٦) .

عندما وصل هذا الخبر الى مسامع السلطان همايون تـــرك البنغال لجهانكير بيك وترك معه خمسة آلاف فارس من الفرسان لمعاونته وتوجه الى آكره ، وجاء محمد ميرزا بن بديع الزمان ميرزا من الكجرات فى ذلك الوقت لملازمة السلطان وهو فى خجل شديد ، وعفا السلطان عن جرائمه ولم يعاقبه ، بسبب طول السفر وســوء طقس البنغال نفقت أكثر جياد الجنود ، ووصل الى جوسا دون اعداد كامل ، ولازمه الأمراء الذين كانوا قد توقفوا فى جونبور وجنار وأوده ، وعلم شيرخان بتفكك الجيش ، فاقترب لمواجهة السلطان ، وامتدت مدة المواجهة ثلاثة اشهر ٠

وعلم مرزا كامران بعد عودته من قندهار الى لاهور بعصيان مرزا هندال وعودة السلطان وقوة وغلبة شيرخان فعزم السفر الى اكره ، وكان ميرزا هندال قد توجه الى دهلى ، ودخل ميرزا فخر على ميرزا يادكار ناصر القلعة ، وتحصنا (٥٧٩) ، وعلى الرغم من سعى ميرزا هندال لم يستطع أن يفتح دهلى ، وعندما وصل ميرزا كامران نواحى دهلى لم يجد ميرزا هندال بدا من لقائه (٥٨٠) ، وخرج مير فخر على أيضا من القلعة ، وزار ميرزا كامران وقال له : « ان ميرزا يادكار ناصر لن يعطيك قلعة دهلى فمن الأفضل أن نتوجه الى أكره ، واذا استوليت على هذه الولاية ، سوف تكون دهلى لك » ولا جرم توجه ميرزا كامران الى دهلى ، وفى هذه النواحى انفصل ميرزا هندال عن ميرزا كامران وذهب الى كور ٠

وعندما وصل خبر عصيان ميرزا هندال ومجىء ميرزا كامران الى دهلى الى السلطان همايون فى جوسا ، مما زاد من أسباب الفرقة ، وأرسل شيرخان الشيخ خليـل وهــو درويش يقــال أنــه مرشده ، الى السلطان همايون لكى يعقد الصلح على أن يترك كل البلاد لى ما عدا البنغــال واقسم على كلام الله ، وطلب الصلح وقبل الخطبة والملكة السلطانية ، وأرضى ذلك خاطر السلطان همايون ، وفى صــباح اليوم التالى غافل شيرخان الجيش السلطانى ، ولم يتح الفرصة لاعداد الجيوش القاهرة ووقعت الهزيمة (٥٨١) ، وتقدم الأفغان الى الجسر ، وحطموه ،

---

(٥٧٩) عندما علم يادكار ناصر باقتراب هندال من دهلى ترك كالبى وتحصن فى دهلى (أكبر نامه ، ص ١٨٩) ٠

(٥٨٠) وصل كامران الى سنبات وتردد هندال فى العودة الى آكره وعند مجىء كامران ذهب الى آلور (اكبرنامه) ٠

(٥٨١) صعد السلطان الى جبل وأمر بابا جلاير وتردى بيك وكوج بيك ان يؤمنوا السلطانية حاجى بيكم ، وقتلوا دفا على باب خيمتها وأسرت بيد الأفغان (اكبر نامه ، ص ١٩٣) ٠

وركبوا القوارب ، واتسعت صفحة النهر ، وكانوا يغرقون كل من يجدوه على صفحة النهر او على رأس الجسر من الجيش ، وأغرق محمد زمان ميرزا فى النهر ، واندفع السلطان الى النهر بجواده ولما أوشك على الغرق أخرجه سقاء (٥٨٢) من النهر ، وتوجه الى أكره ٠

ولما كان كامران ميرزا قد جاء الى آكره من قبل هذا ، وكان ميرزا هندال يقضى هذه الأيام فى آلور مطمئنا ، ويصدق هذا البيت عليه :

« لا يمكننى أن أرفع الرأس أمامك فجلا ، اذا سألونى ماذا تفعل بعمرك »

وعندما وصل السلطان همايون الى أكره مع عدة فرسان (٥٨٣) ، كانوا قد رافقوه أثناء الهجوم وكان منهم والد العبد الفقير (٥٨٤) ولم يعلم ميرزا كامران أصلا بالخبر ، ودخل السلطان همايون فجأة خيمة ميرزا كامران ، وقبل الميرزا القدم الشريفة ، وامتلأت عيون الأخوين بالدموع ، وجاء هندال ميرزا بعد أن عفا السلطان عن جريمته ، ولازمه ، وجاء لملازمته أيضا محمد سلطان ميرزا وأبناؤه الذين كانوا قد أثاروا العصيان فترة وفروا ، وبدأ السلطان فى المشورة فأراد ميرزا كامران العودة الى لاهور فى ذلك الوقت ، وأبدى توقعات لا حصر لها ، وقبل السلطان جميع الأعذار ما عدا العودة ، وسعى خواجه كلان بيك من أجل عودة ميرزا كامران ، واستمر الجدال ستة أشهر ، وأثناء هذا مرض ميرزا كامران بأمراض خطيرة (٥٨٥) ووشى له الوشاة ان هذا المرض من السم الذى دسوه له بأمر السلطان همايون ، وتوجه الى لاهور بسبب هذه العلة ، وأرسله أمامه خواجه كلان بيك ، وتعهد أن يترك جيشه فى اكره للمساعدة ، ولكن على الرغم من ذلك قرر أن يذهب معه الجميع ، وترك ألف شخص فى آكره تحت قيادة اسكندر وكان ميرزا حيدر دوغلات كشميرى (٥٨٦) الذى كان برفقة ميرزا كامران قد توقف مع السلطان همايون ونال رعايته ، ووافق ميرزا كامران أيضا كثير من جنود آكره ، وبسبب هذا الشقاق الذى وقع بينهم ، تشجع شيرخان وتقدم الى شاطىء نهر الجانج ، وعبرت جماعة النهر ، وانتبوا كالبى وأتاوة ، وقاتل قاسم حسين سلطان أوزبك ويادكار ناصر ميرزا واسكندر سلطان مع

---

(٥٨٢) سأله السلطان عن اسمه فقال ، نظام ، فقال له : سأجعل اسمك مشهورا انك نظام الدين وستجلس على عرش دهلى وعندما استرد عرشه أجلسه على العرش ساعتين وطلب منه أن يسأل ما يريد ، وذكرت كلبدن بيكم انه نظام أو سنبل (همايون نامه ، ص ١٩٤) ٠

(٥٨٣) كان معه مرزا عسكرى أيضا (اكبر نامه ، ص ١٩٤) ٠

(٥٨٤) والد نظام الدين أحمد ٠

(٥٨٥) أدعى المرض حتى مرض فعلا (كلبدن بيكم ، ص ٤٤) وكان يشك أن أم السلطان قد دست السم له (كلبدن بيكم ، ص ١٤٠) ولكنه مرض مرضا شديدا وظل ثلاثة اشهر لا يقوى على الحركة (تاريخ رشدى اليوت ج ٥ ، ص ١٣٠) ٠

(٥٨٦) لم يكن كشميريا ولكنه اكتسب هذا اللقب بعد حكم كشمير بعد ذلك بسنتين ٠

الأفغان فى نواحى كالبى ، وقتلوا أحد أبناء شيرخان ، وكان قائدا لهذا الجيش ، مع جمع غفير وأرسلوا رأسه الى آكره ، وتوجه السلطان همايون لدفع شيرخان على نهر الجانج ، وعبر النهر من أمام قنوج وظل شهرا فى مواجهة العدو ، وفى هذا الوقت وصل عدد جيش السلطان مائة ألف فارس ولم يكن جيش الأفغان يزيد عن خمسين ألف ، وفى نفس هذا المكان ، ابدى محمد سلطان ميرزا وأولاده عداوة ، وفروا من جيش السلطان للمرة الثانية ، وفر أيضا جماعة كان ميرزا كامران قد تركهم للمساعدة ، وذهبوا الى لاهور (٥٨٧) وسار على هذا المنوال ، وتفرق كثير من الجنود فى أنحاء الهندوستان ، وجاء فصل المطر وأخذت الأمطار تهطل ، وملىء المكان الذى كان قد نزل فيه الجيش بالماء ، وقرر أن يرحل من هذا المكان وينزل فى مكان مرتفع (٥٨٨) وبينما هم يفعلون هذا تقدم شيرخان بالجيوش للقتال ، وكانت هذه المعركة فى التاسع من المحرم من هذه السنة ، وفر أكثر الجنود يائسين دون قتال ، واقتحم قليل من الشبان الشجعان الهيجاء ولما كانت المعركة مفقودة ، فقد وقعت الهزيمة على جيش السلطان همايون ، وكان السلطان قد انفصل عن جواده فى نهر الجانج ، وخرج من النهر بمساعدة شمس الدين محمد غزنوى (٥٨٩) الذى صار أخيرا أتكه خان السلطان أكبر ، ونال لقب « خان أعظم » وعاد الى آكره .

ويقال ان شيرخان عندما سمع بعودة السلطان همايون الى البلاط تأسف وقال « كنت أريد له الموت ، ولكنه نجا » ، وعندما اقترب الأعداء لم يتوقف فى آكره ، وتوجه الى لاهور وفى غرة ربيع الأول من هذه السنة جمع جميع سلاطين وأمراء الجغتائية فى لاهور ، وكان محمد سلطان ميرزا وأولاده قد جاءوا الى لاهور ، وفروا منها وذهبوا الى الملتان ، ورأى ميرزا هندال وميرزا يادكار ناصر السلامة فى الذهاب الى نكر تهننه (٥٩٠) وكان ميرزا كامران يفكر فى أن يذهب الى كابل على وجه السرعة حين ينفض هذا الاجتماع .

« فكر الزاهد شىء وسويداء العاشق شىء آخر »

عموما عندما تيقن السلطان همايون أنه من المحال اتحاد الأخوة والأمراء أهل الهوى ، استاء خاطره كثيرا ، وبعد مشاورات طويلة (٥٩١)

---

(٥٨٧) تاريخ رشيدى : حيدر ميرزا دوغلات اليوت ، ج ٥ ، ص ١٣٥ .

(٥٨٨) كان الجيش فى مكان منخفض وأراد السلطان أن يصعد الى مكان مرتفع على الجبل ولم يستطع (بداونى ج ١ ص ٣٥٥) .

(٥٨٩) انقذ ثمانية اشخاص (تاريخ رشيدى اليوت ، ج ٥ ص ١٣٥) .

(٥٩٠) نكر كوت (اليوت ج ١ (ط الهند ص ٣٤) .

(٥٩١) نصح دوغلات بأن يحتل الأمراء جبال سرهند وسارنك وكشمير .

ارسل ميرزا حيدر مع جماعة الى كشمير ، وقدر أن يتوجه خواجه كلان بيك أيضا بعد ميرزا حيدر ، وعندما وصل ميرزا حيدر الى « نوشهر » كان خواجه كلان بيك قد وصل الى سيالكوت ، وعلم السلطان همايون أن شيرخان قد عبر نهر سلطان بور (٥٩٢) ووصل لمسافة ثلاثين فرسخا من لاهور ، وفى غرة رجب من السنة المذكورة عبر السلطان همايون نهر لاهور ، وأقسم ميرزا كامران بعد نقض العهد (٥٩٣) بالايمان الغليظة أنه لن يعدل عما اتفق عليه ، ورافقه من أجل المصلحة والغرض حتى نواحى بهيره ، وسمع خواجه كلان بيك بهذا الخبر فجاء من سيالكوت على وجه السرعة والتحق بالمعسكر ، ودخل ميرزا حيدر كشمير ، وجـاء جماعة من الكشميريين الذين كانوا مختلفين فيما بينهم ، وزاروا ميرزا حيدر ، ودخلت كشمير دون حرب وقتال تحت سيطرة ميرزا حيدر ، وصـار حاكما فى مدينة كشمير فى الثانى والعشرين من رجب ، ولهذا فهو مذكور فى طبقة كشمير .

انفصل ميرزا كامران وميرزا عسكرى عن السـلطان همايون فى نواحي بهيرة وذلك بالاتفاق مع خواجه كلان بيك ، وتوجها الى كابل ، وتوجه السلطان همايون الى السند ، (٥٩٤) وكان ميرزا هندال ويادكار ناصر فى ركابه ، وبعد عدة أيام أظهر العصيان ، وانفصل عنه لعشرين يوما ، وواجها المتاعب ، فعادا لملازمة السلطان بناء على نصيحة مير أبى البقاء ، وعلى شاطىء نهر السند وقع قحط فى المعسكر ، ولم تعبر السفن اليهم أيضا ، وارسل بخشنوى لنكاه مركبـا مملوءة بالغـلة الى المعسكر ، ونال كثيرا من الانعام ، وعبر الجيش النهر ، وتوجه السـلطان الى بهكر ، وأقام المعسكر فى قصبة لهرى (٥٩٥) وعبر ميرزا هنـدال النهر ، وذهب الى قصبة « باتر » (٥٩٦) لأن كل ما يحتاج اليه الجيش يصل الى هناك بسهولة ، ومن لهرى وهى قـرب بكر وحتى باتر طـريق بطول خمسين فرسخا ، وذهب مير طاهر صدر برسالة الى شاه حسـين أرغون حاكم تهته ، وحمل سمندر بيك الذى كان مقربا من السـلطان جوادا وخلعة ورغبه فى ملازمة السلطان ، وخلاصة الرسالة هى أن

---

(٥٩٢) نهر بياه (اليوت ط الهند ص ٣٤) .

(٥٩٣) أرسل كامران الى شير خان أنه يقدم له التأييد بشرط أن يحكم البنجاب (اكبر نامه ، ص ٢٠٥) .

(٥٩٤) كان يود السفر الى كشمير ولكن الاضطرابات جعلته يتجه الى السند (كلبدن بيكم ، ص ٥٠) .

(٥٩٥) لهرى أو روهرى على الشاطىء الشرقى لنهر السند في مواجهة بهكر (اليوت ط الهند ٥ ٣) .

(٥٩٦) باتر على مسافة خمسين فرسخا من بهكر (اليوت ٧ الهند ص ٣٥) .

المجيء الى ولاية بهكر وتهته ضروري والغرض هو استخلاص الكجرات ، والآن ينبغي أن تأتي للملازمة لكي أستشيركم في تسخير الكجرات ، وأمضى شاه حسين أرغون خمسة أو ستة أشهر في المراوغة ، ورد أن بهكر لا فائدة منها ولو اقترب المعسكر اكثر من ولاية تهته (٥٩٧) يكون أفضل ، وانك بذلك تكون قد قضيت خمسة أو ستة أشهر بيننا ، وبعد ذلك يمكن الاقتراب من أجل الصالح ، ونظرا لأن الغلة في بهار قليلة ، فقد رحل السلطان الى باتر التي كان ميرزا هندال يتخذها مقرا له ، ورحل منها عندما علم أن ميرزا هندال يريد الذهاب الى قندهار ، ونزل السلطان همايون في هذه السنة فترة محل معسكر ميرزا هندال ، وعقد على جلالة مريم مكاني حميدة بانو بيكم والدة خليفة الهي ، وقضى عدة أيام في معسكر ميرزا هندال في اللهو والمرح ، ومنع جلالته ميرزا هندال من الذهاب الى كندهار ، وذهب مرة أخرى الى قصبة لهري ، وأرسل قراجه خان حكم قندهار رسائل الى ميرزا هندال يستدعيه الى قندهار ، ورحل ميرزا هندال وتوجه الى كندهار ، وعندما علم السلطان بهذا الأمر تحير من عدم اتحاد الأخوة وأراد ميرزا يادكار ناصر أيضا ، الذي كان ينزل على مسافة عشرة فراسخ من معسكر السلطان وكان النهر أيضا بينهما أراد الذهاب الى قندهار ، واستعرض السلطان هذا الأمر ، فأرسل ميرأبا البقا (٥٩٨) لطمأنة خاطر ميرزا يادكار ومنع الأمير الذهاب الى قندهار ، وعند العودة وعبور النهر خرجت جماعة من قلعة بهكر وأمطروا ركاب السفينة بالسهام ، واصاب ابا البقاء سهم في مقتل واستشهد ، وأبدى السلطان حزنا شديدا على وفاته ، وتاريخ استشهاده هو ٩٤٧ هـ « وسرور كائنات » بحساب ابجد (٥٩٠) .

المهم بعد ذلك عبر ميرزا يادكار ناصر النهر ، وجاء الى معسكر السلطان ، وبعد مشاورات طويلة قرر أن يذهب ميرزا يادكار ناصر الى بهكر ، ولم تظهر آثار الموافقة والتأييد من الأمير وعندما توجه السلطان الى تته (٦٠٠) انفصل عنه جمع غفير من الجنود ، وتوقفوا في بهكر ، وتوقف ميرزا يادكار ناصر في بهكر ، وقويت شوكته لأن مزروعات ولاية بهكر لم تصب بآفة من الآفات السماوية والأرضية في هذه السنة ، ولم تنقص .

رحل السلطان همايون الى نواحي قلعة « سياهيان » (٦٠١) وخرجت

---

(٥٩٧) تته أو تهته .

(٥٩٨) اتفق مع الأمير على أن ينال ثلث دخل الهندوستان (اكبر نامه ، ص ٢١٢) .

(٥٩٩) أي بحساب أبجد هوز حطي كلمن ــ ٠٠٠ تعادل سنة ٩٤ هـ .

(٦٠٠) في غرة جمادى الآخر سنة ٩٤٧ هـ (اكبر نامه ، ص ٢٤٢) .

(٦٠١) سياهوان او سيهوان (اليوت ط الهند ، ص ٣٧) .

من السفينة جماعة من الجنود الذين كانوا على مقربة من القلعة ، وهجموا على بعض الأهالى الذين كانوا قد خرجوا من القلعة ، ولم يكن لدى هذه الجماعة طاقة للمقاومة ، ودخلوا القلعة ، وجاء هؤلاء الجنود الى السلطان متعبين ، ويسروا وسهلوا للسلطان تسخير القلعة ، وعبر السلطان النهر ، وحاصر قلعة سباهيان ، ولكن قبل الوصول تحصن جماعة من أمراء ميرزا شاه حسين (٦٠٢) فى القلعة ، وسعوا لتحصين القلعة ، وعندما علم ميرزا شاه حسين باهتمام السلطان بمحاصرة القلعة ، ركب مركبا واقترب من المعسكر ، وسد طريق امداد الغلال عن معسكر السلطان ، وضاق الخناق على الجنود ، ولما كان أكثر الناس يقضون أوقاتهم فى تناول لحم الحيوانات وامتد الحصار قرابة سبعة أشهر ولم يتيسر الفتح لذا أرسل السلطان رسولا الى ميرزا يادكار ناصر فى بهكر (يخبره) أن فتح القلعة مرهون بمجيئك ، لأننا اذا توجهنا لحرب ميرزا شاه حسين ودفعه سيتخلص أهل القلعة ، ويدخلون المؤن الى القلعة ، ويجددون استعدادهم وبسبب نقص الملح والغلة لن يمكننا التوقف حول القلعة ، واذا توجهت من ناحيتك الى شاه حسين لن يستطيع المقاومة » فأرسل ميرزا يادكار ناصر فى البداية جماعة من جنوده للمساعدة لكن مجيء هذه الجماعة لم يفد بشيء ، وذهب شخص للمرة الثانية لاستدعاء المرزا وأرسل عبد الغفور « ميرمال » السلطان لاحضار الميرزا ، وعندما وصل عبد الغفور عند ميرزا ناصر وذكر أسباب متاعب السلطان ، فان ميرزا يادكار ناصر وجنوده أصروا على أن الصلاح هو الأستمرار فى فتح بهيكر ٠

وأرسل ميرزا شاه حسين ثلاثة أشخاص الى ميرزا يادكار ناصر واقترب من مقامه ووعده بالطاعة وارسال ابنته وقراءة الفتحة باسم الميرزا (٦٠٣) وسر الميرزا تماما من عرضه ، وعمل على معاداة السلطان همايون ، ولما ارتاح خاطر ميرزا شاه حسين من ناحية ميرزا يادكار ناصر وكان يدرك ما عليه جيش السلطان من ضعف ، فاقترب منه أكثر واستولى على سفن معسكر السلطان ومن ناحية أخرى لم يكن ميسرا للسلطان الأستمرار فى محاصرة القلعة ، فعاد الى بهكر مضطرا (٦٠٤) وبالقرب من بهكر طلب من ميرزا يادكار ناصر سفينة للعبور ، وأرسل ميرزا اليه رسالة بموافقة أهل تته أن يأتى ليلا ويأخذ السفينة (٦٠٥) وبقى السلطان

---

(٦٠٢) وصل الى سياهوان فى ١٧ رجب سنة ٩٤٨ هـ (اكبر نامه ص ٢١٣) ٠

(٦٠٣) ذكر شاه حسين « انه رجل هرم وليس لديه أولاد وسيعطيه ابنته تاركا لها كنوزه ويعتبره وريثا له ، وسيما عده لغزو الكجرات (اكبر نامه ص ٢١٤) ٠

(٦٠٤) تقهقر فى ١٧ ذى القعدة (اكبر نامه ص ٢١٥) ٠

(٦٠٥) قال له فى الصباح : ان العدو استولى على السفن ٠

عدة أيام متعطلا بسبب السفن ، وآخر الأمر جاء شخصان من « زميندارات » بهكر لملازمته ، وأخرجا عدة سفن كانوا قد أغرقوها فى النهر وعبر السلطان ، وعندما علم يادكار ناصر بعبور السلطان ظل فى غاية الحيرة والخجل (٦٠٦) وقبل أن يصل كان جماعة كبيرة من أهالى تته قد خرجوا من السفينة فقتل كثيرا منهم وقبض على جماعة ، وعاد ميرزا شاه حسين بعد هذه المعركة الى تته ، وجاء ميرزا يادكار ناصر خجلا لملازمة السلطان ، ورأى رؤوس القتلى ، ومرة أخرى عفا السلطان عن جرائمه ، بالاضافة الى أنه لم يعاقبه مطلقا .

أرسل ميرزا شاه حسين الى ميرزا ناصر عدة رسائل مرة أخرى ، وجخله فى صفه ثانية ، وطلب ميرزا شاه حسين من ميرزا يادكار ناصر هؤلاء ـ زميندارات » الذين كانوا قد أعطوا السفينة للسلطان همايون ، وعلم هؤلاء « زميندارات » فلجأوا الى معسكر السلطان فأرسل الميرزا رسولا الى السلطان أن لهذين الشخصين معاملات ومال فى ولاية بهكر التى أحكمها ، فأمر السلطان أن يذهب عدة أشخاص برفقتهما على أن يصحبوهما ثانية الى معسكر السلطان بعد انتهاء معاملاتهما ، وعندما رآهما ميرزا يادكار ناصر انترعهما فجأة من رجال السلطان ، وأرسلهما الى ميرزا شاه حسين ، وسلك طريق العصيان مرة أخرى ولم يأت لملازمة السلطان ، وأخذ الناس فى الالتحاق فرادى وجماعات بميرزا يادكار ناصر وكانوا فى غاية التعب فى معسكر السلطان ، وفكر منعم خان (٦٠٧) أيضا وأخوه فى الفرار ، وعلم السلطان بهذا الأمر ، فأمر بحبسهما ، وأراد ميرزا يادكار ناصر بسبب حقده مقاتلة السلطان ، وتوجه عازما القتال ، وعلم السلطان أنه لا مفر من الاستعداد للحرب ، وكان هاشم بيك نامى ذو اعتبار عند الميرزا فأثناه عن هذا العمل الشنيع، وعاد دون جدوى ، وكان السلطان كلما توقف بمكان انفصل عنه الناس، وتوجهوا الى ميرزا يادكار ناصر ، وكان هذا أسوأ الضرر الذى يتوقعه ، وأخيرا ذهب الى مالديو ، وكان من حكام الهندوستان المشهورين ، ولم يكن فى الهند حاكم مثله فى ذلك الوقت بمثل قوته وعدته ، وأرسل مالديو

---

(٦٠٦) لم ترد هذه الاضافة بنسخة ا « وتوجه دون انتظار الى شاه حسين بسرعة ، ولما كان الأخير غير مستعد انقض عليه بقوة كبيرة من تته ، وقتل وأسر جمعا كبيرا ، وعاد » (اليوت ط الهند ص ٣٨) .

(٦٠٧) اصبح خانخانان فى عهد السلطان اكبر وحكم كابل .

عدة رسائل عرض فيها اظهار الطاعة وقبول المساعدة لتسخير الهندوستان ، وتوجه السلطان من طريق جنبل مير الى ولاية مالديو (٦٠٨) وسلك حاكم جنيل مير (٦٠٩) سلوكا لا أخلاقيا فأرسل جماعة الى السلطان ، قاتلت هذه الجمع القليل الذى كان برفقة السلطان ، وهزموا هذه الجماعة الفاسدة ، وأصيب جمع من جماعات السلطان بالجروح ، وتوجه السلطان مسرعا بأقصى سرعته حتى وصل الى مالديو ، وارسل أتكه خان (٦١٠) الى مالديو الذى كان فى جودبور (٦١١) وتوقف عدة أيام فى نفس المكان ٠

وعندما اقترب ميرزا هندال من قندهار ، واستقبله قراجه خان وسلمه مدينة قندهار ، وعلم ميرزا كامران بهذا الأمر ، وعاد متوجها صوب قندهار ، وحاصر قلعة قندهار أربعة أشهر وأخيرا خرج ميرزا هندال مضطرا للصلح ، وسلم ميرزا كامران قندهار لميرزا عسكرى ، وأعطى غزنين لميرزا هندال ، وبعد عدة أيام عزله أيضا عن غزنين ولما كان ميرزا هندال يعلم أن ميرزا كامران مخادع ، انزوى تاركا السلطنة ، واستقبل ميرزا كامران بكابل وقندهار وغزنين ، وجعل الخطبة باسمه ٠

انتظر السلطان همايون على حدود ولاية راى مالديو عودة اتكه خان ، وعلم راى مالديو بوصول السلطان وأن برفقته عددا قليلا متعبا ، ولما كان ليس لديه طاقة لمقاومة شيرخان كما أن شيرخان كان قد أرسل سفارة الى مالديو وكال له بالوعد والوعيد ، وفكر راى مالديو بسبب خسته أن يقبض على السلطان اذا استطاع ويسلمه للعدو من أجل أن يرضى خاطر شيرخان الذى كانت ولاية ناكور وتوابعها قد دخلت فى حوزته ، وأرسل جمعا كبيرا الى السلطان بهذه النية ، ولكى يغافل السلطان لم يأذن لأتكه خان بالرحيل الى السلطان وأدرك أتكه خان ما فى ضميره فعاد دون اذن منه ، وارسل أحد أمناء المكتبة الذى كان قد ذهب الى راى مالديو حين هزم السلطان فى الهندوستان أرسل رسالة من أن مالديو يفكر فى الغدر ، ومن الأفضل أن ترحلوا بسرعة من ولايته ،

---

(٦٠٨) توجه السلطان فى ٢١ المحرم سنة ٩٤٩ هـ الى أوج ، وفى ١٨ ربيع الأول وصل الى ديوروال وواصلو على مسافة اثنى عشر فرسخا من بيكانير ثم بهلودى ثم خاج جوكى (اكبر نامه ، ص ٢١٩) ٠

(٦٠٩) وردت باسم جيسالمير (همايون نامه وتذكرة الواقعات لجوهر) وكان حاكمها لون كرن (اكبر نامه ، ص ٢١٩)

(٦١٠) شمس الدين محمد اتكه الذى صار خان بعد بيرم خان فى عهد اكبر وقصته منكورة فى احوال اكبر ٠

(٦١١) جودهبور ٠

وشدد أيضا أتكه خان بهذا الخصوص ، فرحل السلطان فى حينه الى امركوت وقبضوا على جاسوسين من الهنود كانا قد جاءا للتجسس واحضروهما الى السلطان ، وصدر حكم السلطان بأن يقتل أحدهما الآخر ويحرر نفسه ، وأمسك كل من الشخصين بسكين وخنجر ، وكانا بالقرب من الحاضرين ، فقتلا سبعة عشر نفسا من الناس والجياد بطعنهم ، وقتـلا نفسيهما ، وكان من جملتهم الجواد الخاص ، ولما كان خيالة (٦١٢) السلطان ليس لديهم جواد آخر للسلطان طلبوا من شردى بيك بعض الجياد والابل ، ولكن لما كانت الخسة ترفرف فوق هامته فقد رفض وركب السلطان جملا (٦١٣) ، ولما كان الطريق صحراوى والماء شحيح فقد تجشم جنود السلطان متاعب جمة ، وكل لحظة كان يصلهم خبر اقتراب جند مالديو ، وأمر السلطان تيمور سلطان ومنعم خان وجماعة أخرى أن تسير خلف الجيش بتأن وبطء حتي اذا وصل الأعداء قاتلوهم ، وعندما حل المساء حدث أن ضلت هذه الجماعة الطريق وعند الصباح رؤوا جند الأعداء ، فتوجه شيخ علي بيك ودرويش كوكه وقوة أخرى قوامها اثنان وعشرون شخصا من بينهم روش بيك جلائر الى الأعداء ، ولحسن الحظ وصلوا حين دخل الهنود طريق ضيق فقتل شيخ علي بيك الأعداء بأول سهم ، وكان كل سهم تطلقه هذه الجماعة الصغيرة يصيب واحدا من الأعداء ، ولم يجد الأعداء طاقة للمقاومة وفر الجيش الكبير من القلعة ، وأثناء الفرار قتل كثير منهم ، وسقطت ابل كثيرة فى يد جنود السلطان ، وعندما وصل خبر النصر الي السلطان قدم واجب الشكر ٠

عسكر السلطان على راس بئر به ماء قليل حتي وصل الأمراء الذين كانوا قد ضلوا الطريق ليلا مما أوجب زيادة السرور ، وفى اليوم التالى أمر السلطان بالرحيل ، ولن يجدوا ماء ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابـع وصلوا الى بئر ، وعندما وصل الدليل الى البئر ، ودقوا الطبول حتى يوقف كل شخص الدابة التى يقودها ، ونظرا لعمق البئر لم تكن الصيحة تصل اليه ٠

المهم صار الناس بسبب العطش بلا طاقة ، ورمى أربعة أو خمسة أفراد انفسهم على الدلو فانقطع الحبل ، فانزلوا دلو آخر فى البئر ، وصبح الناس من التعب ، وألقى كثيرون أنفسهم فى البئر عمدا ، وفقد أناس كثيرون أرواحهم بهذا الشكل من العطش ، وعاود الرحيل فى اليوم

---

(٦١٢) تواجيان « المسئول عن خيول السلطان » ٠

(٦١٣) اضافة وردت فى نسخة اليوت ولم ترد بنسخة أ « أن نديم كوكه كان يسير مترجلا بينما كانت أمه تركب جوادا ، وعندما رأى السلطان يركب جملا جعل أمه تركب الجمل ، وأحضر الحصان الى السلطان (اليوت ، ص ٤١) ٠

التالى وقت الظهيرة ، ووصلوا الى نهر ، وعندما وصلت الجياد والابل التى كانت لم تتذوق الماء عدة أيام ، الى النهر شربوا ماء كثيرا حتى نفق كثير منهم •

عموما عاد السلطان الى أمركوت بصعوبة وأمركوت على مسافة مائة فرسخ من تتاه ، واستقبله رانا حاكم أمركوت (٦١٤) وكان يتصف بالمروءة ، وعرض ما يمكن أن يقدمه من خدمات ، واستراح الجنود فى هذه المدينة من المتاعب عدة أيام ، وقسم السلطان ما كان فى خزينتـه على الجنود ، ولما لم يكف الجميع أخذ من تردى بيك وآخرين مبلغا مساعدة ، ونال الرانا وأباؤه الذين أحسنوا الخدمة الانعامات من الذهب والخناجر ، ولما كان ميرزاشاه حسين أرغون قد قتل والد الرانا ، فان الرانا جمع جمعـا كبيرا من الأطراف والنواحى ، وسار فى ركاب السلطان الى بهكر ، وحسب الأمر توقف فى أمركوت وأرسل خواجه معظم أخا مريم مكانى (٦١٥) لحكم هذه الجماعة •

ولما كان عدم الوفاء هو عادة قديمة للزمان فان هذه الأيام لم تمر على مرام السلطان ، وقد كان الاقبال عهدا لدولة السـلطان الدائمـة الاتصال ، ودار الفلك السامى دورته أيضا كى تلطف ما أصاب خاطره من متاعب لعدة أيام ، وحتى يبقى له أثر حتى آخر الزمان على صفحة الأيام ، وهو أنه فى يوم الأحد الخامس من شهر رجب سنة ٩٤٩هـ (٦١٦) رأى ساعة سعيدة وطالعا مباركا وأضيئت دولة السلطان بنور الابن السعيد الذى كان وجوده من زواج آبائه الأعالى وأمهاته الأسافل وترنم لسان حال الزمان بهذا القول :

« حتى تطأ قدمك هذه الدنيا ، عليك أن تتحمل كثيرا من الحرمان لأن الوجود من العدم »

حمل تردى بيك خان الخبر الى أمركوت ، وسمى السلطان بموجب الالهام الغيبى وطبقـا لما سيرد تفصيله فى مكانه اسم السلطان شاهنشاه جلال الدين أكبر •

واصل السلطان الرحيل الى بهكر (٦١٧) وأرسل رسائل مشدده لرعاية الأمير العالم وحين وصل السـلطان همايون قرية جون توقف

---

(٦١٤) رانا براساد (أكبر نامه ، ص ٢٢٠) •

(٦١٥) تزوج السلطان همايون حميده بانو بيكم فى جمادى الاول سنة ٩٤٨ هـ أثناء نزوله فى كهر (همايون نامه ، ص ٥٠) •

(٦١٦) ذكرت كلبدن بيكم يوم الرابع من رجب سنة ٩٤٩ هـ (همايون نامه ، ص ٥٩) •

(٦١٧) حيث كان مرزا هندال هناك فاحسن استقباله (كلبدن بيكم ، ص ٦١) •

فترة هناك ، واستدعى أسرته الى المعسكر ، وفى قرية جون سعدت عيناه برؤية هذا المولود ، وتفرق الجمع الذى كان قد جاء من الأطراف فى هذه الأيام للتوقف فى جون ، وقتل شيخ على وكان قائدا وابن صاحب جود فى احدى قرى تته بيد جنود ميرزا شاه حسين أرغون ، وبدأ جنوده فى الفرار من المعسكر واحد تلو الآخر ، حتى منعم خان فر أيضـا ، ولم يجد السلطان مصلحة فى التوقف فى هذا المكان وقرر السفر الى قندهار .

قدم بيرم خان (٦١٨) فى هذه الأيام من الكجرات لملازمة السلطان ، وأرسل السلطان رسولا الى ميرزا شاه حسين ، وطلب مراكب لعبور النهر ، وسر ميرزا شاه حسين سرورا عظيما من هذا الطلب ، وأرسل ثلاثين مركبا وثلاثمائة جمل ، وعبر السلطان النهر ، وتوجه الى قندهار وفى هذا الوقت أرسل ميرزا شاه حسين مسؤلا الى ميرزا عسكرى وميرزا كامران ليخبرهما أن السلطان قد توجه الى قندهار ، وأرسل ميرزا كامران الى ميرزا عسكرى (٦١٩) ليتتبع اثر السلطان ، ويقبض عليه ولما كان ميرزا عسكرى كافرا بالنعمة ، فحين وصل السلطان قرب « سال وستان » خرج بسرعة من قندهار ، وأرسل « حوالى أوزبك » (٦٢٠) لملاحظة ومراقبة الطريق ، ولما كان « حوالى أوزبك » ربيب نعمة السلطان فقد أخذ جوادا قويا من ميرزا عسكرى ، ووصل الى معسكر السلطان ، وعندما اقترب من « دولت خان » نزل من فوق الجواد ، ودخل خيمة بيرم خان وقال له ان ميرزا عسكرى قاصدا السلطان ، وأسرع بيرم خان من فوره الى السلطان ، ووقف خلف الخيمة عارضا خبر قدوم ميرزا عسكرى ، وقال السلطان : « ما قيمة قندهار وكابل حتى ينازع الأخوة العداء ؟

« ليخجل الفلك من مقامك ، وليحثوا التراب والتبن على رأسك » .

ركب السلطان الجواد فى الحال ، وأرسل خواجه معظم وبيرم خان لاحضار مريم مكانى (٦٢١) ، وعجلا ، وركبت السلطانة مريم مكانى والأمير أكبر شاه ، وأحضروا الى السلطان ، ولما كانت الجياد قليلة فى معسكر السلطان ، طلب جيادا من تردى بيك ، ونظرا لأن طائر

---

(٦١٨) بيرم خان تركى الأصل من قبيلة قراقيونلو ولد ببدخشان ودرس ببلخ والتحق بهمايون فى سن السادسة عشر من عمره (همايون نامه لكلبدن بيكم ص ٤٤ ، ٤٥ واكبر نامه ، ص ٢٢٤) .

(٦١٩) كان مرزا عسكرى فى غزنين (همايون نامه لكلبدن بيكم ، ص ٦٦) .

(٦٢٠) جوانى أوزبك « اكبر نامه وهى تعنى شاب أوزبكى » .

(٦٢١) تركها لصعوبة الطريق (كلبدن بيكم ، ص ٦٦) .

نفسه كان يرفرف على هامته فقد رفض اعطاء الجياد وأيضا مرافقته ٠

توجه السلطان همايون الى العراق مع عدة أشخاص (٦٢٢) ورافقته مريم مكانى ، وكان الأمير أكبر ابن سنة واحدة ، فتركه بسبب حرارة الجو فى المعسكر ، واقترب ميرزا عسكرى من المعسكر بعد فترة ، وعلم أن السلطان قد سافر سالما ، فأرسل جماعة لحكم المعسكر ، وفى اليوم التالى دخل الديوان بوقاحة ، وأحضر أتكه خان الأمير أكبر شاه الى ميرزا عسكرى ، وأسر تردى بيك بأمر ميرزا عسكرى ، وأرسل المحصلين لاحصاء خيام السلطان همايون وضبط أمواله ، وحمل ميرزا عسكرى الأمير الى قندهار ، وأودعه فى رعاية سلطانه بيكم (٦٢٣) التى لم تقصر فى العطف عليه ٠

توجه السلطان همايون دون تحديد للمقصد مع اثنين وعشرين رجلا منهم بيرم خان وخواجه معظم وبابا دوست يخشى وخواجه غازى وحيدر محمد وآخته بيكى وميرزا قلى وشيخ يوسف وابراهيم أيشك آقاسى وحسن على بيك أيشك آقاسى ، وقطعوا مسافة من الطريق وفوجىء باثنين أو أربعة من البلوجيين الذين قادوه حتى وصلوا بمشقة بالغة الى قلعة « بابا حاجى » وعرض الأتراك ما يملكونه وأبدوا الطاعة ، وعلم خواجه جلال الدين محمود ؛ الذى كان قد جاء من قبل ميرزا عسكرى لتحصيل مال هذه الولاية بمجىء السلطان ، فسر سرورا جما ، وأهداه من الجياد والبغال ما كان معه ، وفى اليوم التالى وصل حاجى محمد كوكى الذى كان قد فر من ميرزا عسكرى لملازمة السلطان ، وبسبب عام مروءة اخوته وأقربائه لم يكن وقوفه فى هذه النواحى مناسبا ، وكان ضروريا أن يتوجه جلالته الى خراسان والعراق ، وعلى حدود ولاية سيستان قام أحمد سلطان شاملو الذى كان حاكما عليها من قبل شاه طهماسب ، بلوازم الخدمة ، وتوقف عدة أيام فى سيستان ، وقام أحمد سلطان بلوازم الضيافة بقدر الامكان ، وأرسل نساءه لخدمة السلطانة مريم مكانى والعمل لها كخدم ، وأهداه كل ضروريات وأمتعة الطريق ، ودخل فى ملك تابعيه ، وقبل السلطان كل ما يحتاج اليه من الضروريات ٠

أشار أحمد سلطان على السلطان أنه من الأفضل الذهاب الى العراق عن طريق طبس كيلكى نظرا لأن هذا الطريق أقرب ، وأبدى استعداده

---

(٦٢٢) استقبله على الحدود بهرام ميرزا والقاس ميرزا وسام ميرزا اخوة الشاه واستقبله الشاه بعد ذلك بنفسه وكانت حميدة بانو بيكم مع همايون (كلبدن بيكم ص ٦٩) ٠

(٦٢٣) زوجة مرزا عسكرى ٠

للارشاد وأن الازمك الى العراق ، وقال السلطان : انه سمع كثيرا عن مميزات مدينة هرات ويفضل الذهاب من هذا الطريق ، وتوجه أحمد سلطان في ركاب السلطان الى هرات ، وفى ذلك الوقت كان سلطان محمد ميرزا ابن شاه طهماسب الكبير حاكما على هرات ، وكان محمد خان شرف الدين أغلى تكلو يشغل منصب « اتاليقى » الأمير ، وعندما علم بقرب وصول السلطان ، أرسل على الفور على سلطان احد أمراء تكلو لاستقباله ، وبمجرد دخول ولاية هرات لازم السلطان وسار فى ركابه الى مدينة هرات ، وجاء أمير ايران مع اتباعه وتابعيه لاستقباله ، ولم تمر دقيقة دون تقديم التكريم والتعظيم وتشرف محمد خان بتقبيل القدم ، ونزل المعسكر المعلا فى هرات ، وقام محمد خان بلوازم الضيافة لدرجة انه لم يحس بمثل هذه السعادة مع اخوته ، وسر السلطان سرورا جما من حسن سلوكه ، وأعد محمد خان جميع أمتعته واسباب السلطنة وما يحتاج اليه السلطان للسفر حتى لا يحتاج لشيء قط الى أن يلتقى مع شاه طهما سب ، ولما كانت جميع اماكن وحدائق هرات مناسبة للنزهة فقد تفرج عليها السلطان ، ورحل الى مشهد المقدسة ، وسعى شاه قلى سلطان استجلوا حاكم مشهد أيضا لتقديم لوازم الخدمة بموجب امر الشاه طهما سب من أن يقدم حاكم كل مكان يصل اليه السلطان وما يحتاج اليه ، وتوجه من معسكر الشاه طهما سب وبأمره الملكى جمع غفير من الأكابر والأعيان وأشراف العراق لاستقبال السلطان ، وقرر أن يقدم كل واحد من الأمراء فى كل مكان من دامغان حتى المعسكر لوازم الضيافة ، وأرسل أمتعة الضيافة من المعسكر الملكى ، واستضافوا السلطان من مكان لآخر حتى نزل فى قزوين ، وكان المعسكر الملكى قد توجه من ييلاسورليق ، وأرسل السلطان بيرم خان الى الشاه ، وذهب (بيرم خان) وأحضر رسالة تشتمل على تهنئة بالقدوم ومسرة جلالته .

تابع السلطان السير ، وفى كل مكان يصل اليه يقدم أهلها الخدمة حتى التقى السلطان همايون مع شاه طهما سب فى مصيف سورليق ، ولم يدع الشاه طهماسب دقيقة دون مراعاة تقديم مراسم التعظيم والتبجيل ، وأعد وليمة عظيمة ، وقدم ضيافة لائقة بالطرفين .

حدث أثناء حديث الشاه أن سأل ما سبب هزيمتكم ؟ قال السلطان همايون عصيان وعداء الأخوة ، فتأذى خاطر بهرام ميرزا أخى الشاه من هذا الكلام (٦٢٤) وعقد نية العناد ، وحرض الشاه على أن يقتل

---

(٦٢٤) قال بهرام مرزا هذا الابن مثل ابيه ويعني بذلك انه فيه طبع الخيانة حيث أن بابر لم يقم بمعاونة الفرس في حربهم ضد الاوزبك اثناء حصار قلعة نخشب (كش) (بداوني ج ١ ، ص ٤٤٤) .

السلطان ، ولكن أخت الشاه طهما سب سلطانم (٦٢٥) التى كانت لها اعتبار عند الشاه ، ولها تاثير كامل فى جميع الأمور الملكية وكانت على خلاف ذلك ، وسعت فى معاونة (السلطان همايون) بقدر المستطاع ، ولم يكن القاضى جهان قزوينى « ديوان » الشاه وحكيم نور الدين محمد طيب الذى كان له اعتبار ومكانة ، لم يكونا مؤيدين للسلطان همايون لأن التقصير منه ، وسعى الحكيم نور الدين وهو من أهل الشاه المسئول عن رعاية المصالح السلطانية فى الداخل والخارج ، وفى هذا الأوقات كان الشاه طهما سب مشغولا بالصيد وإطلاق السهام من أجل الترويح عن نفسية السلطان هميلون ومعه جمع من الأمراء والأعيان ، وأطلق بهرام ميرزا سهما بحجة الصيد على أبى القاسم خلف بسبب الحقد الذى فى نفسه منه ، وأصابه هذا السهم فى مقتل ، ومرت هذه الفترة ، وأراد الشاه طهما سب سفر السلطان ، وأعد له جميع ضروريات الرحلة (٦٢٦) وأرسل ابنه شاه مراد وكان طفلا رضيعا (٦٢٧) على عشرة آلاف فارس لمساعدة السلطان ، وقال السلطان همايون : « أريد زيارة تبريز (٦٢٨) فأرسل الشاه الأوامر الى حكام هذه الأماكن كى يقدموا لوازم التكريم والتعظيم بقدر المستطاع ، وبعد زيارة السلطان لهذه الأماكن توجه الى قندهار ، وتوجه لزيارة مشهد المقدسة ، وكان برفقته الأمراء القزلباش ، وكان بداغ خان افشار أتاليقى الأمير وقائد الجيش ، وعندما وصلوا الى قلاع كرمسير ، فدخلت تحت سيطرتهم ، وعندما وصلوا الى قندهار دافع جماعة كبيرة كانت قد خرجت من القلعة قدر استطاعتهم لكنهم هزموا ، ونزل جيش القزلباش بظاهر قندهار، ووصل السلطان ايضا الى ظاهر قندهار بعد خمسة أيام ، وحاصر القلعة ، واستمرت الحرب يوميا لثلاثة أشهر وقتل كثير من الطرفين .

توجه بيرم خان برسالة الى كامران ميرزا فى كابل (٦٢٩) وفى الطريق اعترضه جماعة من « هزاره » فقاتلهم ، وانتصر بيرم خان ، ووصل الى كابل والتقى بميرزا كامران ، وتصادف أن التقى أيضا بميرزا هندال وميرزا سليمان ابن خان ميرزا وميرزا يادكار ناصر الذى كان قد جاء من بهكر بحال سىء ، وأرسل ميرزا كامران مهد علياء خانزاده بيكم برفقة بيرم خان الى قندهار فلربما يعقد صلحا ، وحين وصل بيرم

---

(٦٢٥) سلطان بيكم (بدوانى ج ١ ص ٤٤٥) .

(٦٢٦) بعد أن ارتضى مذهب الشيعة (بداونى ج ١ ٤٤٥) .

(٦٢٧) اتفقا على أن تكون قندهار للأمير مراد بعد فتحها (بداونى ج ١ ، ص ٤٤٥) .

(٦٢٨) واردبيل (بداونى ج ١ ص ٤٤٦) .

(٦٢٩) أرسله السلطان بسفارة الى مرزا سليمان بدخشى وميرزا يادكار ناصر الذى كان قد جاء بهكر مضطربا (بداونى ج ١ ٤٤٦) .

خان من خانزاده بيكم الى قندهار الى السلطان همايون ، كان ميرزا عسكرى أيضا مازال فى حرب ونزال ، ومل جيش القزلباش من طول أيام الحصار ، وفكروا فى العودة وكانوا يعتقدون أنه عندما يصل السلطان الى حدود قندهار ستلتف القبائل الجغتائية حوله ، وعندما مرت فترة ولم يأت أحد قط وشاع خبر مجىء ميرزا كامران لمساعدة ميرزا عسكرى (٦٣٠) تخوف القزلباش ومن الصدف السعيدة فى تلك الأيام أن عاد ميرزا كامران ، وفر ميرزا حسين خان وفضائل بيك أخو منعم خان من ميرزا كامران وجاء لملازمة السلطان .

عموما سعد التركمان ، وبعد عدة أيام فر محمد سلطان ميرزا وألغ ميرزا وقاسم حسين سلطان وشيرافكن بيك ، وجاءوا الى السلطان ، واطمأن القزلباش ، وفر مؤيد بيك ؛ الذى كان حبيسا بالقلعة بالحيلة التى ابتدعها ، فقد نزل من قلعة قندهار بحبل ، وأكرمهم السلطان بكثير من الانعام ، وخرج جماعة اخرى ايضا من قلعة قندهار بقيادة أبى الحسن ابن أخى قراجة خان ومنور بيك بن نوربيك ، واضطرب ميرزا عسكرى اضطرابا شديدا ، وطلب الأمان وأمنه جلالة السلطان لمروءته ، واستدعا أمراء القزلباش وطلب منهم أنه نظرا لوجود كثير من أهل وعيال قبيلة الجغتائى فى قلعة قندهار ، فلا ينبغى أن يضايق أحد من التركمان (٦٣١) أى شخص من أهل القلعة لمدة ثلاثة أيام ، وبموجب ما قرر خرج أهل القلعة بأهليهم وزوجاتهم من القلعة فى اليوم التالى ، وجاء ميرزا عسكرى الى البلاط فى قمة الخجل ، ولم يعانبه قط ولازمه أمراء قبيلة الجغتائى بسعادة ، والسيف على رقابهم والكفن فى أيديهم ، ونالوا الانعامات .

لما كان السلطان همايون قد اتفق مع القزلباش على أن تكون قندهار لهم بعد فتحها ، وعلى الرغم من انه لم يكن لدى السلطان ولاية أخرى تحت سيطرته ، ترك لهم قندهار ، ودخل بداغ خان وميرزا مراد ابن شاه طهما سب القلعة ، واستولى على قندهار ، وعاد اكثر أمراء القزلباش الذين كانوا قد جاءوا لمساعدته الى العراق ، ولم يبق شخص آخر فى خدمة الأمير سوى بداغ خان وأبى الفتح سلطان افشار وصوفى ولى سلطان قدالمور (٦٣٢) .

---

(٦٣٠) تكاد تتفق جمل نظام الدين أحمد مع بدوانى .

(٦٣١) لم تقع القلعة تحت سيطرة السلطان ودخلها بداغ خان وميرزا مراد بناء على الوعد الذى كان قد وعده (بدوانى ج ١ ، ص ٤٤٨) .

(٦٣٢) لم يبق مع الأمير مراد سوى بداغ خان وأميرين أو ثلاثة آخرين (بداونى ج ١ ، ص ٤٤٨) .

عندما حل الشتاء لم يجد الجغتائيون ملجأ ، واضطر السلطان همايون أن يرسل رسولا الى بداغ خان من أن الجنود يحتاجون الى مأوى لهم في هذا الشتاء ، ولنذالته لم يستجب لطلبه وواجه الجغتائيون المتاعب ، وفر عبد الله خان وجميل بيك اللذان خرجا من القلعة ، وذهبا الى كابل ، وانتهز ميرزا عسكرى أيضا الفرصة ، وهرب وتبعه جمع غفير ، وقبض عليه ، وأحضروه الى السلطان فحبسه ، واجتمع القادة الجغتائيون ، وقرروا بعد المشورة أنه نظرا للضرورة ينبغى الاستيلاء على قلعة قندهار من القزلباش وبعد تسخير كابل ويدخشان نعيدها اليهم مرة أخرى وفى نفس اليوم الذى عزموا فيه على هذا ، توفى ميرزا مراد ابن شاه طهما سب وفاة طبيعية (٦٣٣) وأرسلوا جماعة كبيرة لهذا الأمر، وتقدم حاجى محمد خان بن بابا قشعة مع اثنين من خدمه الى باب القلعة ، وكان التركمان يشكون فى أن السلطان سيقصد قندهار ، ولهذا منعوا أى شخص من الجغتائية لعدة أيام من دخول القلعة ، وحدث أن دخلت القلعة قافلة من الابل حاملة العلف الى المدينة فانتهز حاجى محمد خان الفرصة ، ودخل البوابة ، فمنعه حراس البوابة ، فسل سيفه بشجاعة ، وهاجمهم ، ولم تستطع هذه الجماعة المقاومة ، وفروا ، ودخلت جماعة أخرى وراءه القلعة ، واضطرب القزلباش ، وركب السلطان ودخل القلعة ، وجاء بداغ خان مضطربا الى البلاط ، وسمح له السلطان بالسفر الى العراق (٦٣٤) واستولى الجغتائيون على قندهار واطمأن خاطرهم .

توجه السلطان همايون بعد ذلك لتسخير كابل وعين بيرم خان على حكومة قندهار (٦٣٥) واتفق ميرزا يادكار ناصر وميرزا هندال على أن يفرا الى ميرزا كامران ، وفى الطريق لحق بهم الكثير من الخسائر من قبيلة « هزاره » فجاءا لملازمة السلطان ، واتفقا على الرحيل معه ، ووصل السلطان همايون الى كابل ، ووصل زنبيل بيك أيضا لملازمته وأخذ الجيش ينفصل عنه يوما بعد يوم ، ويلتحق بالسلطان ورحل فى هذه النواحى ، وخرج ميرزا كامران بجيشه وأتباعه عازما الحرب ، مع المعسكر الخالى ونزل على مسافة نصف فرسخ من جيش ميرزا كامران ، وفى هذه الليلة فر أكثر جنود ميرزا كامران وجاءوا الى معسكر السلطان ؟

---

(٦٣٣) مرض ابن الشاه ومات (همايون نامه ـ كلبدن بيكم ص ٧٤) .

(٦٣٤) سمح السلطان له بالسفر الى العراق « ايران » (بداونى ج ١ ص ٤٤٨) .

(٦٣٥) ترك السلطان حميد بانو بيكم أيضا فى قندهار مع بيرم خان (همايون نامه لكلبدن بيكم ، ص ٧٤) .

« آه عندما يعود الزمان ، ويعود القلب والبخت رفيقان لي »

اضطرب ميرزا كامران ، وارسل جماعة من المشايخ الى البلاط ، وطلب العفو ، ووافق السلطان على العفو عن جرائمه بشرط أن يأتي للملازمة ، ولم يوافق ميرزا كامران على ملازمته ، وفر الى قلعة كابل ، وجاء جميع جنوده الى معسكر السلطان ، وفي نفس الليلة فر ميرزا كامران من طريق « مستى حصار » الى غزنين ، وعلم السلطان بفراره ، فأصدر اوامره الى ميرزا هندال لتعقبه ، ودخل بالنفس والنفيس كابل ، وعندما حل المساء ، اضاء جميع الكابليين المدينة كلها بالمصابيح من فرط سعادتهم (٦٣٦) .

« الليلة الظلماء صارت مضاءة ، مما جعل المؤذن يظن أن الصبح قد حان » وبمجـــرد أن نزل على باب القلعة ، احضرت حضرة بيكمـــان الأمير العالم جلال الدين اكبر ميرزا لرؤيته واضاءت عين السلطان برؤية قرة العين وقدم لوازم الشكر ، وكان هذا الفتح في العاشر من رمضان سنة ٩٥٣ هـ وكان الأمير قد بلغ في ذلك الوقت سن الرابعة وشهرين وخمسة ايام (٦٣٧) وذكر البعض انه كان في سنة ٩٥٢ هـ والعلم عند الله .

توجه رسول بعد الفتح الى معسكر الجيش ؛ الذي كان في قندهار ، وجاء ميرزا يادكار ناصر لملازمة مريم مكاني في كابل ، ومد السلطان الموائد العظيمة في هذه الأيام ، وتم ختان الأمير ، وقضى السلطان بقية هذه السنة في اللهو والمرح ، وفر ميرزا كامران وتوجه الى غزنين ، ولم يسترح في المدينة فاتجه الى الهزاريين ، وأرسل السلطان ميرزا الغ بيك الى حكومة « زمينداران » لمطاردة ميرزا كامران ، ولم يجـــد ميرزا كامران مجالا للتوقف في زمين داور ، وذهب الى بهكر (٦٣٨) عند ميرزا شاه حسين أرغون ، وأعطى ميرزا شاه حسين ابنته الى ميرزا كامران ، وأمده بالمعونة .

توجه السلطان همايون الى بدخشان في السنة التالية ، ولما كان ميرزا سليمان بن خان ميرزا لم يحضر لملازمة السلطان على الرغم من استدعائه ، ولذا صمم على التوجه الى بدخشان ، وسافر اليها .

---

(٦٣٦) كان هذا الفتح في العاشر من رمضان المبارك سنة ٩٥٢ هـ (بداوني ج ١ ص ٤٤٩) .

(٦٣٧) استدعى السلطان همايون زوجته الى كابل لختان الأمير الذي بلغ الخامسة من عمره (كلبدن بيكم ، ص ٧٧) .

(٦٣٨) الى تهته وبهكر (كلبدن بيكم ص ٧٦) ، الى بهكر (بداوني ج ١ ص ص ٤٤٩) .

وكان ميرزا يادكار ناصر قد عاود العصيان مرة أخرى ، وفكر فى الفرار وعلم السلطان بهذا الأمر فأمر بحبسه ، وبعد عدة أيام قتلوا محمد قاسم بموجب أمره (٦٣٩) وعبر السلطان خلف هندكوه ونزل فى « شهر كران » (٦٤٠) وجمع ميرزا سليمان أيضا جيش بدخشان وحارب وفى قول هجوم ، هزم ، وفر فى الصحراء وعلى الجبال ، وتوجه السلطان الى « طالقان وكشم » (٦٤١) وبينهما أعتلت صحة السلطان واشتد المرض عليه يوما بعد يوم حتى ضج الناس ، ولم يكن يعلم احد أنه على قيد الحياة سوى المقربين ، وبدأ تذمر فى الجيش لهذا الأمر ، وكان قراجه خان يحافظ على ميرزا عسكرى وشرع أهالى بدخشان فى العصيان فى كل ناحية ، وبعد شهرين استرد السلطان صحته ، وأرسل خبر الشفاء الى الأنحاء ، فسكتت جميع الفتن ، ووصل مضمون هذا البيت الى مسامع عقل أهل الزمان :

« من هذه العافية التى نالها السلطان الموفق ، تفتحت الحديقة من نسيم الربيع » .

انتقل المعسكر السلطانى الى نواحى قلعة ظفر ، وهناك قتل خواجه معظم أخو السلطانة مريم مكانى خواجه رشيد الذى كان قد جاء فى ركاب السلطان من العراق ، وفر الى كابل ، ولكنه سجن هناك حسب الأمر .

عندما علم ميرزا كامران فى بهكر أن السلطان قد توجـه الى بدخشان ، جمع جمعا اتفق معه ، وأغاروا على غور بند وكابل ، وفى الطريق تقابل مع تجار استولى على جياد كثيرة منهم ، وجعل لكل رجل من جمعه جوادين ، ووصل الى نواحى غزنين ، وجاء اليه جماعة من أهالى غزنين وأدخلوه القلعة (٦٤٢) وقتل زاهد بيك حاكمها والذى كان فى نوم الغفلة ، (٦٤٣) وبأمر الميرزا قطعوا طريق كابل حتى لا يطير الخبر الى هناك ، وجمع جمعه فى غزنين وتوجه الى كابل على وجه السرعة ، وكان محمد قلى طغار وفضائل بيك والقوة التى معهما فى كابل فى غفلة ، وحين علموا أن ميرزا كامران دخل المدينة ، وقتل محمد قلى طغار على الفور وكان حبيساً فى الحمام ، ودخل ميرزا كامران قلعة

---

(٦٣٩) تم قتل محمد قاسم (أكبر نامه ص ٣٠٠) .

(٦٤٠) تير كران قرية فى أندراب (أكبر نامه ، ص ٣٠٠) .

(٦٤١) ان جيش السلطان توجه الى ظفر (كلبدن بيكم ، ص ٧٨) وبين ظفر وكشم مرض السلطان (أحمد يادكر) .

(٦٤٢) أخذوه بالقوة (أكبر نامه ، ص ٣٠٨) .

(٦٤٣) كان شملا (أكبر نامه ، ص ٣٠٨) .

كابل ، وقبض على فضائل بيك ومهتر وكيل ، وسمل عينيهما ، وأرسل أناسا لحماية نساء السلطان والأمير العالم .

وصل هذا الخبر للسلطان همايون وهو فى نواحى قلعة ظفر فأرسل السلطان فرمانا الى ميرزا سليمان بحكومة بدخشان وقندوز اللتين كانتا قد أعطيتا لميرزا هندال ، وتوجه على الفور الى كابل ، وجمع ميرزا كامران ما يستطيع جمعه من قوة ، والتحق به شيرافكن ، وجاء شير على نامبى من قواد ميرزا كامران من « ضحاك وغوربند » ، واهتم بتحصين الطريق ، وعبر السلطان نهر « وادى الضحاك » وقاتل شير على كما هو محدد ، وهزمه ، وعبر الجيش سالما من المضيق ، وأساء شير على مؤخرة الجيش مرة أخرى ، فنزل السلطان فى قرية « أفغانان » وفى اليوم التالى خرج شير افكن بيك وجميع رجال ميرزا كامران للقتال ، ووقعت المعركة فى « النك يرت جالاك » وفى البداية تعب رجال السلطان همايون ، وأخيرا وبسبب بسالة ميرزا هندال وقراجه خان وحاجى محمد خان ، هزم رجال ميرزا كامران هزيمة منكرة ، وأسر شيرافكن بيك ، وبعد ما رآه السلطان قتله الأمراء ، وقتلوا كثيرا من جيش ميرزا كامران فى هذا اليوم ، وأطاح السيف بالبقية التى هربت الى القلعة ، وقاتل شير على الذى كان متصفا بالشجاعة يوميا بقدر استطاعته ، وذات مرة التقى شير على بحاجى محمد خان وجها لوجه ، وأصيب حاجى محمد خان بطعنة ، وتصادف أن علم أن قافلة معها جياد كثيرة قد وصلت الى جاركان (٦٤٤) فأرسل ميرزا كامران شير على لهذه المهمة ، فذهب مع جماعته لاحضار هذه الجياد الى المدينة ، وذهب أكثر رجال ميرزا كامران لمرافقة شير على لهذه المهمة ، وعلم السلطان همايون بهذا الأمر ، فاقترب من القلعة ، وسد طريق الذهاب والاياب على أهل القلعة تماما ، ولم يجد شير على وهذه الجماعة طريقا عند العودة لدخول القلعة ، وكلما أراد ميرزا كامران أن يقاتل من أجل أن يدخل شير على وهذه الجماعة التى كانت خارج القلعة الى القلعة وكلما أراد الناس الخروج يواجهون بضرب المدفعية والبنادق ، وجاء باقى صالح وجلال الدين بيك وهما من الرجال أصحاب الشأن لدى ميرزا كامران لملازمة السلطان همايون ، ويئس شير على ورفاقه من دخول المدينة ، وضاف الحصار على القلعة فأمر ميرزا كامران بنذالته أن يعرضوا الأمير اكبر على شرفة القلعة وعلى الأماكن التى تصل اليها القذائف والطلقات ، وكانت ماهم

---

(٦٤٤) فى مدخل وادى غوربند شمال كابل (اليوت ط الهند ، ص ٥٦) .

أنكه تحتضنه وتجلس ، وتعرض نفسها للمواجهة (٦٤٥) وتجعل ظهرها ناحية العدو وحفظه الحق سبحانه وتعالي ٠

المهم خرج جماعة من أهل كابل من القلعة وفروا ، وتوجه كل واحد الى ناحية ، وأرسل السلطان همايون جيشا لتعقبهم (٦٤٦) وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا طائفة ، واضطرب ميرزا كامران ، وحضر الجنود من الأطراف والنواحي لملازمة السلطان همايون ، وأرسل ميرزا سليمان مساعدة من بدخشان ، وجاء ميرزا الغ من قندهار ، ووصل قاسم حين سلطان وجماعة من رجال سترطغائي (٦٤٧) من قندهار للمساعدة ٠

أراد ميرزا كامران الصلح ، فقبل السلطان بشرط أن يلازمه ، ولكن ميرزا كامران كان خائفا من الملازمة وفكر فى الفرار ، ولما كان الأمراء الجغتائيون غير راضين بأسر ميرزا كامران لكرم أصله لذا أرسلوا رسالة من أن السلطان همايون سيضرب القلعة خلال يومين ، وليس هناك مصلحة فى التأخير وكان ميرزا كامران يكره مايوس بيك (٦٤٨) وقراجه بيك فقتل أبناء مايوس بيك الثلاثة الصغار ، ورماهم من أعلى جدار القلعة الى أسفلها واستاء الناس فى الداخل والخارج من خسة ميرزا كامران ، وربط سردار بيك بن قراجه بيك خان على جدار القلعة ، وكان السلطان همايون يحب قراجه خان كثيرا ، واقترب قراجه خان من القلعة ، وصاح انه اذا قتل ابني فانني سأقتل ميرزا كامران وميرزا عسكرى عوضا عنه بعد الاستيلاء على القلعة ، ويئس ميرزا كامران من كل شيء ، وفتح فتحة فى جدار القلعة من ناحية خواجة خضر وعبر منها وكان الأمراء خارج القلعة قد أشاروا عليه بذلك ، وأرسل السلطان حاجى محمد خان على جماعة لتعقب جان بيك فى الخارج ، واقترب حاجى محمد خان من ميرزا كامران وقال ميرزا كامران بلهجة تركية « لقد قتلت والد بابا قشقة » وكان حاجى محمد مستعدا دائما للقتال ، ولكنه عندما علم بذلك عاد ، (٦٤٩) ولزم الأمير العالم أكبر شاه والده ، وقدم السلطان الشكر لله ، وتصدق كثيرا على الفقراء والمساكين ٠

عندما وصل ميرزا كامران الى سفح جبل كابل متعبا وفى حالة يرثى لها ، واجه « الهزاربيين » وانتهبوا كل ما كان معه ، وأخيرا عرف

---

(٦٤٥) نفس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ، ص ٤٥٠) ٠

(٦٤٦) بقيادة حاجى محمد خان (بداوني ج ١ ، ص ٤٥٠) ٠

(٦٤٧) سرم طغائى (اليوت ط الهند ، ص ٥٧) ٠

(٦٤٨) ناموس بيك (اليوت ط الهند ، ص ٥٧) ٠

(٦٤٩) لازم ميرزا كامران السلطان همايون (بداوني ص ٤٥١) ٠

احدهم ميرزا كامران ، فأخبر قائده ، وحملة قوات الجماعة الى الضحاك وباميان حيث كان هناك شير على تابع الميرزا مع قلة من رجاله ، ومكث في هذه النواحي لمدة أسبوع ، واجتمع قرابة مائة وخمسين فارسا حول الأمير ، وتوجه ميرزا كامران الى غوري ، وقاتل ميرزا كامران ، ومعه ثلاثمائة فارس وألف من الشاه ميرزا بيك بيرلاس حاكم غوري ، وهزم حاكم غوري ، ووقعت جياد وأسلحة هذه الجماعة بيد جيش الميرزا .

عموما جمع الأمير كامران جيشا وتوجه من هناك الى بلخ ، والتقى مع بير محمد خان حاكمها ، وجاء بير محمد خان بنفسه لمساعدة الميرزا في بدخشان ، واستولى كامران على غوري بغلان (٦٥٠) وقدم الجنود من الأطراف والنواحي لملازمة كامران ، وعاد بير محمد خان الى ولايته وتوجه الميرزا الى سليمان ميرزا ابراهيم ميرزا (٦٥١) ولم يستطيعا مقاومته ، وذهبا من طالقان الى كولاب ، واهتم ميرزا كامران بحكم بعض ولاية بدخشان .

أصاب الغرور قواجه وأمراء آخرين من الذين التحقوا في هذه الأيام بالسلطان وقدموا خدمات جليلة ، وارتكبوا اعمالا غير متوقعة مع السلطان همايون منها : قتل خواجه غازي الوزير والسعي لتعيين خواجه قاسم محلة ، وأساء هذا التصرف اساءة بالغة ، لخاطر السلطان ولم يجب السلطان دعواهم واتفق الأمراء فيما بينهم ، أن يركبوا وقت تناول الطعام ، ويرمون شارة السلطان التي كانت في « خواجه ريواج » ويتوجهون الى بدخشان ، وبعد طلوع الصباح تجمع جميع الجيش وركب السلطان همايون وتبعهم ، وطارد المعارضون بهجومه حتى غوربند ، وعبروا من كابل ، وجاء أناس الى السلطان همايون ومعهم جماعة منهم ، فعاقبهم جميعا ، وعندما حل المساء عاد السلطان الى كابل لأن هذه الجماعة سافرت الي بدخشان وتوجهت الى مرزا كامران ، وتركوا شمر على شعالي لكي يرسل لهم أخبار المعسكر السلطاني ، وعزم السلطان السفر الى بدخشان ، وأرسل فرامين الى ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم وميرزا هندال ، وتوجه ميرزا ابراهيم من طريق قلعة برنان (٦٥٢) ولما كان مطلعا على أمر شمر على شعال فقد توجه اليه وقتله ، ووصل لملازمة السلطان في قراباغ كابل .

---

(٦٥٠) بعض ولايات بدخشان (بداوني ج ١ ، ص ٤٥١) .

(٦٥١) استولى على بدخشان من مرزا سليمان وابنه ابراهيم دون قتال (بداوني ج ١ ، ص ٤٥١) .

(٦٥٢) بريان (اليوت ط ١ الهند ، ص ٥٩) .

أرسل ميرزا كامران شير على فى هذه الأيام بكامل استعداده لصد ميرزا هندال ، وقبض جنود ميرزا هندال على شير على ، وفى هذا الوقت وصل ميرزا هندال لملازمة السلطان ، ورأى السلطان شير على وهو مقيد ، وعفا عنه السلطان لمروءته ، وأنعم عليه بغورى ، وترك ميرزا كامران قراجه خان مع جماعة كانوا قد جاءوا من كابل فى كشم ، وذهب هو الى طالقان (٦٥٣) وأرسل السلطان همايون ميرزا هندال وحاجى محمد كوكى مع جماعة الى كشم ، وأرسل قراجه خان الى ميرزا يخبره أن ميرزا هندال برفقته قوة قليلة والسلطان بعيد عنه ، لذا ينبغى الأغارة عليهم ، ولو وافقه على صد ميرزا هندال فان الحرب ستكون سهلة بعد ذلك مع السلطان أيضا ، وجاء ميرزا كامران بسرعة الى كشم ، ووصل الى شاطىء نهر طالقان حيث عبر النهر ، وفى أول هجوم حقق النصر ونهب جميع أمتعة ميرزا وجماعته ، ووصل السلطان أيضا فى ذلك الوقت الى شاطىء النهر ، وتوقف فترة حتى تم اعداد المعبر ، وبعد عبور النهر ، وصلت مقدمة الجيش الى ميرزا كامران ، وقبضت على شيخهم خواجة خضرى واسماعيل بيك دولدى (٦٥٤) وأحضروهم عند السلطان وعاد ميرزا كامران قاصدا طلائع السلطان ، وعندما وصل كل منهما الى الآخر ، ورأى الميرزا الرايات السلطانية فر الى طالقــان ، تاركا خلفه ما كان قد نهبه وما كان يمتلكه ، وفى اليوم التالى وصــل الى طالقان ، وجاء ميرزا سليمان فى ذلك الوقت لملازمة السلطان ، وطلب ميرزا كامران المساعدة من الأوزبك ، ولما يئس منهم اضــطرب أشــد الاضطراب ، وصار عاجزا فطلب الاذن (٦٥٥) وأنعم عليه السلطان وقبل التماسه ، بشرط أن يرسل الأمراء المتمردين (٦٥٦) الى البلاط ، وطلب ميرزا كامران العفو عن جريمة مايوس بيك ، وأرســل الأمراء الآخــرين اليه ، وجاءوا الى البلاط بخجل وندم ، وعفا السلطان عن جرائمهم مرة أخرى .

خرج ميرزا كامران من القلعة ، وابتعد فرسخين ، ولما لم يعد فى خطر من أن يلحقه ضرر من السلطان ، وخجل أشد الخجل من هذا الكرم، عزم ملازمة السلطان ، وعاد ، وعندما عرضوا على السلطان هذا الأمر،

---

(٦٥٣) وردت بالمخطوط طانغان ، ص ٢١٥ .

(٦٥٤) وردت بالمخطوط روولدى ، ص ٢١٥ .

(٦٥٥) سمح له بالسفر الى مكة (بداونى جـ ١ ص ٤٥١) .

(٦٥٦) منهم قراجه خان ، جاء والسيف على رقبته (أكبر نامه ص ٣٣٥) .

سر السلطان سرورا جما ، وأرسل الأمراء (٦٥٧) لاستقباله ، وعند لقائه عطف عليه كثيرا وأعد أسباب امارة ميرزا كامران مرة أخرى ، وتوقف فى نفس هذا المكان ثلاثة أيام وأعد الولائم والاحتفالات ، وبعد عدة أيام أقطع ميرزا كامران ولاية كولاب (٦٥٨) وأبقى ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم فى كشم ، وتوجه المعسكر العظيم الى كابل (٦٥٩) ونزل فى أوائل فصل الشتاء فىكابل وطلب العناية بالجنود واعداد الجيش ٠

توجه السلطان همايون من كابل فى آخر هذه السنة لتسخير بلخ ، وأرسل رسولا لاستدعاء ميرزا كامران وميرزا عسكرى من كولاب ، ولما نزل السلطان فى بدخشان ، جاء ميرزا هندال وميرزا ابراهيم لملازمة السلطان ، وتوقف ميرزا ابراهيم بموجب التماس ميرزا سليمان فى كشم ، وعاد ميرزا كامران وميرزا عسكرى ثانية الى العصيان ، ولم يأتيا للملازمة ، وتوجه السلطان الى نواحى قلعة أيبك وتحصن أتاليق بير محمد حاكم بلخ (٦٦٠) مع مجموعة من الأمراء ذوى الشأن فى قلعة ايبك ، وحاصر السلطان القلعة ، واضطرب الأوزبك ، وخـرجت الأمهات ، ولم يأت ميرزا كامران اليـه ، وجمـع السلطـان الأمـراء واستشارهم من أنه ربما يتوجه ميرزا كامران الى كابل عندما يتوجه الجيش الى بلخ ، وقال السلطان عندما نعزم على الهجوم فلنتوكل ، وتوجه ركب السلطان الى بلخ ، وكان الأمراء والقواد قد اضطربوا بسبب عدم مجىء ميرزا كامران ، وعندما وصل الى نواحى بلخ ، ووقت نزول الجيش وصل شاه محمد سلطان أوزبك مع ثلاثمائة فارس ، وتوجهت جماعته لصدهم ، ووقعت معركة حامية ، وقتل كابلى اخو محمد قاسم خان فوجى فى المعركة ، وأسر أحد قواد الأوزبك ، وفى اليوم التالى خرج بير محمد خان من المدينة ، وكان عبد العزيز خان بن عبيد خان سلطان حصار (٦٦١) قد جاء أيضا لمساعدته وبعد منتصف النهار وصـل الجيشان فى المواجهة ، ووقعت المعركة ، وأعد السلطان نفسه ، وأوقع ميرزا سليمان وميرزا هندال وحاجى محمد سلطان الهزيمـة عـلى طلائع المتمردين الذين فروا الى المدينة ، وتراجع بير محمد خـان ورفاقه أيضا ، ودخلوا المدينة ، وعاد الجيش الجغتائى الذى كان قريبا من المدينة وقت غروب الشمس ، ولما كان أهل وزوجات الأمراء الجغتية

---

(٦٥٧) عسكرى وهندال ٠

(٦٥٨) عرفت باسم ختلان (اكبر نامه ، ص ٣٣٨) ٠

(٦٥٩) اراد عسكرى أن يذهب معه وأخذ مقاطعة كاراتاجن (اكبر نامه ص ٣٣٧) ٠

(٦٦٠) وهو جواجه ماك (اكبر نامه ، ص ٣٤٧) ٠

(٦٦١) وردت بالمخطوط « سلاطين حصار » ، ص ٢١٧ ٠

فى كابل قد استاءوا بسبب عدم مجيء ميرزا كامران ، واجتمع أمراء السلطان فى هذه الليلة التى دخلت فى صباحها بلخ تحت سيطـــرة السلطان وعرضوا عليه : « أنه ليس مناسبا للسلطان أن يمر على نهر بلخ والصلاح فى أن تذهب الى جانب « دره كز » وتحدد مكانا حصينا للمعسكر ، وسوف يأتى أهالى بلخ وحصار فى وقت قصير لملازمتك » ، وتشددوا الى درجة أن قبل السلطان الرحيل ، ولما كان « دره كز » بجانب كابل واعتقد العدو والصديق أنه لن يعود ، وتشجع الأوزبك وتعقبوه ، وكان ميرزا سليمان وحسين قلى سلطان مهـــروا يؤمنون مؤخرا الجيش ، فقاتلا طليعة الأعداء ، وهزما ، وكان الجنود الذين ذهبوا الى كابل قد سار كل واحد منهم الى الناحية التى يريدها ، وأنفلت الأمر ، ووصل ثلاثون ألف شخص من الأعداء ، وهجم السلطان فى هذه المعركة على الأعداء بالنفس والنفيس ، وأصيب السلطان بجرح من حربة شخص كان قريبا ، وترجل السلطان وخرج بقوة ساعده من بين الجميع ونجا ميرزا هندال وتردى بيك خان ومنعهم بيك خان ومجموعة أخرى من الأمراء المقاتلين بالسلامة وأبدى شاه بداغ خان وتولك خان قوجين شجاعة فى هذه المعركة .

جاء السلطان سالما الى كابل ،وقضى بها بقية هذه السنة ، وكان ميرزا كامران ما يزال فى كولاب وعارض جاكر على بيك كولابى ميرزا كامران وأغار بجيش كبير على نواحى كولاب ، وأرسل مرزاكامران ميرزا عسكرى لقتاله ، وهزم ميرزا عسكرى ، وتوجه مرة أخرى بأمر أخيه للقتال ، وعاد مثـــل المرة السابقة ، وتوجه ميرزا ســـليمان وميرزا ابراهيم من كشم وقندوز اليه ، ولم يكن لدى مرزا كامران من طاقـــة لمقاومتهما ، واقترب من « روستاق » وهاجمته جماعة من الأوزبـــك ، وسلبوا أكثر جياده ، وعرض ميرزا كامران على مرافقيه أن يسلكوا طريق ضحاك وباميان الى « هزاره » ، وعلم السلطان بهذا الأمر ، فأرسل جماعة كبيرة من أمرائه وجيشه الى ضحاك وباميان لكى يحافظوا على هذه الولاية ، وأرسل قراجه خان وقاسم حسين سلطان وجماعـــة أخرى من الأمراء المتمردين الذين كانوا فى ملازمة السلطان ، وأرسلوا شخصا الى ميرزا كامران كى يسلك طريق قبجاق حتى يلتحقوا به وقت المعركة ، وعندما اتجه ميرزا كامران وانفصل قراجه خان ورفاقه الذين تمرغت رؤوسهم فى تراب الخسة عن السلطان ، ووقفوا يقاتلون بجوار ميرزا كامران ، ومع أنه كان مع السلطان عدد قليل من الرجال الا أنهم ثبتوا بشجاعة ، ووقعت معركة حامية ، وقتل فى هذه الحرب بير محمد أخته بيكى وأحمد بن ميرزا قلى وجرح ميرزا قلى ، وسقط عن صهوة جواده ، وعلى الرغم من بســـالة السلطان لكنه أصيب بجرح ســـيف فى

رأسه المباركة ،وجرح أيضا جواده الخاص ، وأبعد السلطان عنه الأعداء بضرب السهام وخرج سالما ، وتوجه الى ضحاك وبامیان ، والتحقت به القوة التي كانت قد ذهبت الى هذا الطريق ، واستولى ميرزا كامران مرة أخرى على كابل ٠

توجه السلطان مع حاجی محمد خان وجماعة أخرى فى ركابه الى بدخشان ، وأرسل شاه بداغ وتولكقوجين ومجنون فاقشال وجمع آخر مجموعهم عشرة أشخاص للاستطلاع بجانب كابل ولم يعد لملازمة السلطان من هذه الجماعة سوى تولك قوجين ، وتعجب السلطان من خسة تابعيه ، وأقام فى نواحى اندراب ، وعندما علم سليمان ميرزا وابراهيم ميرزا وميرزا هندال بمجيء السلطان جاءوا لملازمته بجيوشهم ، وبعد أربعين يوما توجه السلطان الى كابل ، وفي المنطقة التي هزم فيها ميرزا كامران ، وقراجه خان وجيش كابل (٦٦٢) اصطف الطرفان ، وفي ذلك الوقت فر خواجه عبد الصمد المصور من جيوش ميرزا كامران ولازم السلطان ونال التكريم ، وهزم كامران ميرزا الذى رفض الطاعة ، وفر بحال سيء الى سفح جبل مندو (٦٦٣) ، وأسر قراجه خان الغدار وقت هروبه ، وأحضروه عند السلطان ، وأثناء الطريق رأى قنبر على بهارى الذى كان قد قتل أخوه بأمر خواجه قراجه خان فى قندهار فانتهز الفرصة وقتل قراجه خان ، وسقط ميرزا عسكرى فى هذه المعركة ، بين جنود السلطان ، وسار السلطان ظافرا منصورا الى كابل ، وقضى سنة فى كابل للراحة ٠

فر جماعة من المتمردين مرة أخرى وتوجهوا الى ميرزا كامران وتجمع حوله قرابة الف وخمسمائة فارس ، وذهب حاجى محمد خان دون اذن السلطان الى غزنين ، واضطر السلطان التوجه الى لمغان لصد ميرزا كامران ، ولم يستطع مقاومته ، وفر الى السند بمساعدة أفغان مهمندوخيل داودى وزميندارا‌ن لمغانات وقام السلطان بالصيد لفترة فى نواحى لمغانات وعاد الى كابل ومرة أخرى دخل ميرزا كامران بين الأفغان ، وتوجه السلطان مرة ثانية لدفعه ، وأصدر أمرا الى بيرم خان حاكم قندهار لكى يتوجه بسرعة الى غزنين ويقبض على حاجى محمد خان ، وأرسل حاجى محمد خان رسولا الى ميرزا كامران حتى يصل اليه فى غزنين : « لأننى عبد تابع لك وولاية غزنين تتعلق بكم » ، وتوجه ميرزا كامران من ولاية بشاور الى طريق بنكش وكرديز الى

---

(٦٦٢) لكبر نامه ، ص ٣٦٣ ٠

(٦٦٣) مندرود (اليوت ط الهند ، ص ٦٤) ٠

غزنين ، وكان بيرم خان قد وصل الى غزنين قبل وصوله ، وذهب حاجى محمد خان اليه مضطرا ، وعادا سويا الى كابل ، وعلم ميرزا كامران فى الطريق بخبر توجه حاجى محمد خان الى كابل فعاد الى بشاور .

عاد السلطان همايون من لمغان الى كابل ، وقبل أن يدخل السلطان كابل بعدة أيام فر حاجى محمد خان منها وتوجه الى غزنين ،وأرسل السلطان بيرم خان مع أكثر الأمراء لمطاردته ، وجاء حاجى محمد خان ثانية مع بيرم خان الى البلاط ، وأكرمه السلطان ، وحسب الأمر حمل خواجه جلال الدين محمود ميرزا عسكرى الى بدخشان وسلمه لميرزا سليمان حيث أذن له بالسفر الى مكة عبر بلخ ، وأرسله ميرزا سليمان الى بلخ ، وانتهت أيام حياة ميرزا عسكرى فى هذه الرحلة فى بلاد الروم (٦٦٤) واحتفظ الأفغان بميرزا كامران بينهم حتى يتكون لديه جيش ، وعزم السلطان همايون مرة أخرى على مطاردته ، وقتل حاجى محمد وأخاه بسبب كثرة جرائمهما ،وفى هذه المرة أغار ميرزا كامران بالاتفاق مع الأفغان على معسكر السلطان ليلا ، واستشهد ميرزا هندال فى هذه الليلة (٦٦٥) وتاريخ شهادته يؤخذ من « شبيخون » (٦٦٦) .

لم تفد حملة ميرزا كامران بفائدة ، وهزم ، وأنعم السلطان همايون بخيل وحشم ميرزا هندال للأمير العالم جلال الدين أكبر ميرزا ، وعينه على غزنين وتوابعها .

توجه السلطان بعد ذلك الى الأفغان الذين لم يستطيعوا أن يوفروا الحماية لميرزا كامران ، ويئس من الجميع ، ففر الى الهندوستان ، وذهب الى سليم خان (٦٦٧) ونهب السلطان جميع تابعيه وعاد الى كابل ، وبعد عدة أيام استراح فيها الجنود ، عزم السلطان التوجه الى الهندوستان من طريق بنكش وكرديز ، وأدب جميع المتمردين الذين كانوا فى أطراف النواحى وعبر السلطان نهر السند من بين دنكوت ونيلاب .

عندما أحس ميرزا كامران بالنية السيئة لسليم خان حاكم الهندوستان ، فر ولجأ الى جبل سيالكوت ، ووصل بجهد جهيد الى ولاية سلطان آدم كهكهر ، واعتنى سلطان آدم به ، وعرض الحقيقة خفية على السلطان (٦٦٨) فأثنى عليه السلطان ،وأمر باحضاره ، وذهب منعم

---

(٦٦٤) توفى عسكرى بين دمشق ومكة ولم يصل الى هدفه (بداونى ص ٤٥٣) .

(٦٦٥) ذكر بداونى ذلك (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٥٤) .

(٦٦٦) أى « غارة » وهى تعادل سنة ٩٥٨ هـ .

(٦٦٧) وأخيرا ذهب يائسا الى سليم شاه (بداونى ، ص ٤٥١) .

(٦٦٨) قبض آدم كهكر عليه وأرسله الى السلطان (همايون نامه لكلبدن بيكم ، ص ٩٥) .

خان الى منزل سلطان آدم ،وأحضر ميرزا كامران الى نواحى برهاله لملازمة السلطان ، وعفا عنه السلطان بناء على القول « عفو الاقتدار من علو الاقتدار ، وتسامح السلطان لمروءته عن جرائم ميرزا كامران العديدة، لكن القواد والأمراء الجغتائية الذين أضيروا بالمتاعب والمحن بسبب الخلاف مع ميرزا كامران اتفقوا أن يحضروا عند السلطان ويقروا أن بقاء أصل قبيلة الجغتائى فى أمان ينحصر فى فناء ميرزا كامران ، وما أكثر ما شهدت من العصيان المتكرر ونقض العهد من ميرزا كامران ، وأنه لا شك أن السلطان يوافق على سمـل عينيه وقـام على دوست باربيكى وسيد محمد بكنه ، وغـلام على شش أنكشت بفصد عين الميرزا من محلها (٦٦٩) ووجدوا تأريخ هذه الواقعة فى « بيشتر » (٦٧٠) وسمح لميرزا كامران بالسفر الى الحج بعد هذه الموافقة ، وزوده بأمتعة الرحلة ، ووصل الى مكة ، وهناك ودع الحياة (٦٧١) ٠

وصل السلطان الى جوار قلعة رهتـاس (٦٧٢) وأراد تسخيـر كشمير وفى هذه الأثناء ، عرفوا أن بيرانه حاكم هذه الجبـال لا ينقـاد الى أى من السلاطين بسبب مناعة بلاده ، وربما يحمى طريق الخروج ، ولم تسقط كشمير ايضا بيده ، وسيصعب أمره ، ولم يهتم السلطـان بكلامهم لعلو همته وسار ، وفى ذلك الوقت وصل خبر مجىء سليم خان أفغان الى الهندوستان من هذه الناحية ، وبسبب قلة الجيش توجـه السلطان فجأة الى كابل بالأمراء والقواد الذين لم يكونوا موافقين على التوجه الى كشمير ، وعندما علم السلطان أنه ليس هناك شخص يوافق على هذا الهجوم عاد الى كابل ، وعبر نهر السند ، وأشار بتعمير قلعة بكرام ، وأتم جميع الجنود هذه القلعة بجد وجهد تام فى وقت قصير ، وعين اسكندر خان أوزيك لحكم هذه القلعة ، وجاء السلطان الى كابل ، وأذن للأمير جلال الدين أكبر ميرزا بالسفر مرتين الى غزنين ، وذهب خواجه جلال الدين محمود وجماعة أخرى من الأعيان فى ركاب الأمير الظافر الى غزنين ٠

وصل خبر وفاة سليم خان بعد مدة والخلافات بين الأفغان فى الهندوستان (٦٧٣) ، ولما كان الوشاة قد عرفـوا أن بيرم خان يريد

---

(٦٦٩) أمر السلطان سيد محمد بسمل عينى مرزا كامران (كلبدن بيكم ، ص ٩٦) ٠

(٦٧٠) تاريخ خطا لأن بيتشر = ٩١٢ ٠

(٦٧١) توفى سنة ٩٦٤ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٥٣) ٠

(٦٧٢) رهتاس الجديدة فى نواحى البنجاب وقد بناها شير خان ٠

(٦٧٣) ساد الهرج والمرج بين الأفغان فى الهندوستان وملوك الطوائف بعد وفاة سليم شاه (بداونى ج ١ ص ٤٥٥) ٠

العصيان (٦٧٤) فقد أمر السلطان بالتوجه الى قندهار واستقبله بيرم خان ، وأظهر الولاءوالاخلاص ، وعند العودة عين السلطان منعم خان على قندهار ، وعرض عليه منعم خان أنه طالما ينوى مهاجمة الهندوستان فان تغيير وتبديل الحكام سيكون سببا فى تفرقة الجيش ، وبعد فتح الهندوستان فان هذا العمل يكون لائقا كما يقتضيه الحال ، وهكذا عين بيرم خان على حكومة قندهار وأقطع بها درخان أخى على قلى خـــان سيستان (٦٧٥) وعاد المعسكر أتعظيم الى كابل ، واهتم بالاعداد لمهاجمة الهندوستان ٠

ركب السلطان ذات يوم للتنزه والصيد كما هو معتاد ، وقال طالما أن عزيمة السفر الى الهندوستان فى خاطرى الآن فالأشخاص الثلاثة الذين يقع نظرى عليهم سآخذ فألا من السؤال عن أسمائهم وسأل أول شخص عناسمه الذى يسمى بهفقال اسمى « دولت خواجه » فاستبشر السلطان ، وعندما قطع مسافة ظهر قروى آخر سأله عن أسمه قال اسمى « مراد خواجه » ، قال السلطان ما أسعدنى لو يكون الثالث « سعادت خواجه » وعندما قطع مسافة أخرى من الطريق ، رأى شخصا قال ان اسمه « سعادت خواجه » وتعجب الجميع من هذهت القضيـــة العجيبة واستبشروا بفتح الهندوستان ٠

وفى ذى الحجة سنة ٩٦١ هـ ، وضع السلطان همايون قدم السعادة فى الركاب وعزم تسخير الهندوستان ، وعندما نزل فى بشاور ، وصل بيرام خان حاكم قندهار بموجب الأمر (٦٧٦) وعبرت الرايات الظافرة نهر السند ، وتقدم بيرام خان وخضر خواجه خان وتردى بيك خـــان واستكندر ، سلطان وجماعة أخرى من الأمراء فىالمقدمة (٦٧٧) وفـــر تاتار خان كاشى حاكم رهتاس ، وعلى الرغم من حصانة القلعة الا أنه لم يجد طاقة للمقاومة ، ولم يأت آدم كهكهر مع سابق خدمته لملازمـــة السلطان لخسته ، وواصل السلطان رحلته الى لاهور ، وبمجرد أن علم الأفغان بوصول الموكب الظاهر الى لاهور ، فروا :

---

(٦٧٤) وشى الوشاة أن بيرم خان قد ظهر عليه عدم الوفاء (بداونى ج ١ ص ٤٥٥)٠

(٦٧٥) أكد ذلك بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٥٦) ٠

(٦٧٦) أراد السلطان أن يعزل بيرم خان عن قندهار ويسلمها لمنعم خان ، ونظرا لأنه صار وشيكا فتح الهندوستان فقد رأى من المناسب أن يعيده لحكم قندهار ضمانا لاتحاد القواد (بداونى ج ١ ٤٥٨) ٠

(٦٧٧) خرج بيرم خان من قندهار وعبر السند والتحق بخضر خواجه وتردى بيك واسكندر أوزبك (بداونى ج ١ ٥٤٥٨) ٠

« مع أن الراية العالية الظاهرة كانت ما تزال بعيدة ، لكن النصر والظفر كان مرددا فى الأفواه »

ودخل السلطان المدينة دون نزاع (٦٧٨) وتوجه الأمراء بسرعة الى جالندهر وسرهند ، وسقطت قرى البنجاب وسرهند وحصار تماما فى يد الجنود الجغتائية بالقتال ، وفى ذلك الوقت تجمع جمع من الأفغان بقيادة شهباز خان ونصير خان أفغان فى دبيالبور ، وأرسل السلطان مير أبا المعالى وعلى قلى سيستانى لصدهما ، وبعد القتال وقعت الهزيمة على الأفغان ، وتهبوا أموالهما وأهليهما وزوجاتهما ، وأرسل سكندر افغان الذى كان يسيطر على دهلى ثلاثين الف شخص بقيادة تاتار خان وحبيب خان (٦٧٩) لصد أمراء سرهند ، وتجمع الأمراء الجغتائية فى جالندر وعلى الرغم من كثرة العدو وقلة الصديق قرر الحرب ، ورحل السلطان وعبر نهر ستلج ، وعلم جيش الأفغان بعبورهم آخر اليوم ، فتوجهوا بعزيمة قتالهم واستعد الأمراء الجغتائية للقتال على الرغم من قوة اعداء ، وتقابل الجيشان وقت الغروب ، ووقعت معركة حامية وبدأ المغول فى اطلاق السهام ، وبسبب ظلمة الليل لم يكن حملة السهام يرون المغول ، وأضرم الأفغان النار فى كل مكان كان قريبا منهم لاضطرابهم ، ولما كانت أكثر بيوت الهندوستان مغطاة بالقش فقد اشتعلت النيران ، وأضاءت الميدان أكثر ، وخرج حملة السهام المغول على ضوء النار واستعدوا بجميع أسلحتهم :

«هكذا صنعت لنفسك فخا ، وما دام عطشانا فانه حفر بئرا وسقط فيه »

ولم يستطع الاعداء الذين كانوا هدفا للسهام فى ضوء النهار المقاومة وفروا ، ووقع الفتح العظيم وسقطت افيال وامتعة كثيرة فى يد جيش المغول ، وعندما وصلت بشرى الفتح الى لاهور سر السلطان سرورا جما ، واثنى على الأمراء كثيرا ، واستولى على البنجاب كلها وسرهند وقلعة فيروزه واستولى المغول أيضا على بعض قرى دهلى (٦٨٠) .

عندما علم سكندر افغان بهزيمة جيشه ، توجه بثمانين الف فارس وأفيال كثيرة ومدافع عديدة عازما الانتقام ، ووصل الى سرهند ، واقام حول معسكره خندقا وقلعة ، واحكم الأمراء الجغتائية قبضتهم على مدينة سرهند ، وأظهروا استبسالة بقدر المستطاع ، وارسلوا رسائل الى

---

(٦٧٨) فى ٢ ربيع الثانى سنة ٩٦٢ هـ .

(٦٧٩) حبيب خان وتاتار خان كاسى ونصيب خان طغوجى (بداونى ج ١ ص ٤٥٨) .

(٦٨٠) نفس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٦٠) .

لاهور ، وطلبوامجىء السلطان همايون (٦٨١) فتوجهت الرايات العالية بالفتح والظفر الى سرهند وعند اقتراب الوصول استقبلــه الأمراء ونظموا الصفوف ، وتقدموا بكامل الاستعداد لمواجهة العدو الذى كان أضعافا مضاعفة لجيش المغول ، وبعد عدة أيام أبدى الطرفان شجاعة وجلدا واستماتة ، وذات يوم اصطفت الطلائع التابعة للأمير العــالم جلال الدين محمد أكبر ميرزا ، وهجم من ناحية بيرام خان خان خانان وهجم من الناحية الأخرى سكندر خان وعبد الله خان أوزبك وشـــاه أبو المعالى وعلى قلى وبهادر خان على الأعداء ، وأبدى كل أمير من امراء فى هذا اليوم شجاعة واستماتة الى درجة كبيرة وتفوق طاقــة البشر ، وحققوا النجاح ، ووقعت الهزيمة (٦٨٢) على جيش الأفغان الذى كان قرابة مائة الف شخص من طائفة قليلة ، وفر سكندر ، وتعقب الجيش الظافر الأعداء ، وقتل كثيرا منهم ، واستولوا على غنائم كثيرة ، وعاد الجيش ظافرا ومنتصرا الى السلطان ، وقام بمراسم التهانى وكتب الأدباء بموجب الحكم رسالة فتح باسم الأمير العالم الذى تحقق النصر بحسن شجاعة تابعية وأرسلها الى الأطراف والأكناف ، وتوجه سكندر خان أوزبك الى دهلى ، وتوجه المعسكر الظافر من طريق سمانه الى عاصمة الهندوستان ، وفرت جماعة من الأفغان الذين كانوا فى دهلى باقصى سرعة ، ودخل سكندر خان المدينة ، وأرسل مير أبا المعــالى الى لاهور لدفع سكندر الذى فر الى جبال سوالك (٦٨٣) .

جاء السلطان دهلى فى رمضان (٦٨٤) وجعل الخطبة والسكة مرة أخرى فى أكثر سواد الهندوستان باسم جلالته ، وقضى بقية هذه السنة فى اللهو والمرح .

لما كان شاه أبو المعالى الذى ذهب لدفع سكندر لم يسلك سلوكا طيبا مع الأمراء المساعدين واستولى على اقطاعاتهم ، وأطلق يده أيضا فى الخزانة العامرة ، وقوى نفوذ سكندر يوما بعد يوم ، ووصل هذا الخبر الى السلطان فأرسل بيرام خان « أتاليقى » الأمير العالم فى ركب

---

(٦٨١) استدعى الأمراء السلطان من لاهور الى سرهند (بداونى ج ١ ص ٤٦٠) .

(٦٨٢) اقاموا منارة من رؤس القتلى (بداونى ج ١ ص ٤٦١) .

(٦٨٣) فر اسكندر أفغان الى جبل سوالك (بداونى ج ١ ص ٤٦١) .

(٦٨٤) أتجه المعسكر العظيم من طريق سامانه الى حاضرة الهندوسان ، ووصل الى دهلى فى رمضان سنة ٩٦٢ هـ (بداونى ١/٢) .

الأمير لدفع سكندر ، وأصدر أوامره أن يتوجه شاه أبو المعالى الى حصار فيروزه (٦٨٥) ٠

جمع قنبر ديوانه جماعة من دوآب وسنبل فى هذه الأيام ، وقام بالنهب والسلب ، وتجمع حوله أناس من المغامرين ومحدودى التفكير من كل جانب ، فأرسل السلطان على قلى خان سيستانى لصده وتحصن فى قلعة بداون ، وسعى على قلى عدة أيام وأخيرا استولى على القلعة ، وأسر قنبر بيك ، وقتله ، وأرسل رأسه الى البلاط (٦٨٦) ٠

ومن الحوادث العجيبة ما كان فى السابع من ربيع الأول ، وقرب صلاة المغرب وحين كان السلطان همايون قد صعد أعلى سلم المكتبة ، ومكث فترة ، وحين النزول كان المؤذن قد بدأ يؤذن للصلاة ونزل السلطان على الدرجة الثانية مكبرا ، وحين نقل قدمه المباركة التوت وانفلتت عن السلم وهوى على الأرض (٦٨٧) واضطرب أهل المجلس ، وأدخلوا السلطان الذى كان فاقدا الوعى الى داخل القصر ، وبعد لحظة أفاق ، وتحدث ، وسعى الأطباء فى معالجته كثيرا ، ولكن لم تأت بفائدة وفى اليوم التالى ساء حال السلطان ، وانقضى أمر العلاج ، وأرسلوا نظر شيخ جوتى (٦٨٨) الى الأمير العالم فى البنجاب ، وأطلعه على الحقيقة ، وفى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٩٦٣ هـ وعند الغروب أجاب داعى الحق ملبيا ، وسعد بالرياض الرضوانية ، ومن الصدف العجيبة أن هذا المصراع صار تاريخا لوفاة السلطان ٠

« هوى السلطان همايون من السطح » (٦٨٩)

امتدت أيام سلطنة السلطان همايون خمسة وعشرين سنة ، وبلغ عمره المبارك احدى وخمسين سنة ، وكانت ذاته المليكة وصفاته مزينة بالكمال الانسانى ، وامتاز عن سلاطين الآفاق بالشجاعة والبطولة ، ولن تف ثروة الهندوستان كرمه ، وكان فريدا فى علم النجوم والرياضة،

---

(٦٨٥) ابدى شاه أبو المعالي سلوكا سيئا مع الامراء المساعدين واستولى على اقطاعاتهم وعلى الخزانة والخالصة ولهذا عين السلطان همايون بيرا خان لدفع اسكندر وشاه ابا المعالى لحصار فيروزه (بداونى جـ ١ ص ٤٦٣) ٠

(٦٨٦) كان هذا فى ربيع الأول سنة ٩٦٣ هـ (بداونى ٤٦٥/١) ٠

(٦٨٧) سمع الناس صرخة وحاول الجلوس فلم يستطع (كلبدن بيكم ص ٥٥) ٠

(٦٨٨) نظر شيخ جولى (بداونى ٤٦٦/١) ٠

(٦٨٩) « همايون بادشاه از بام افتاد » وهى سنة ٩٦٢ هـ ، وذكر ابو الفضل ذلك سنة ٩٦١ هـ (اكبر نامه ص ٤٤٢) ٠ وذكر بداونى ان تاريخ وفاته هو « اى آه بادشاه من از بام اوفتاد » اى سقط سلطانى من على السطح ـ وهى تعادل سنة ٩٦٠ هـ ٠

يقرض شعرا جيدا ، ويقضى دائما أول الليل حتى الصباح فى صحبة قدوة الناس من الفضلاء والعلماء والأكابر وكانت الآداب مرعية فى مجلس السلطان رعاية كاملة ، وزين جل وقته بالبحث العلمي في عهده وكانت مروءته عالية لدرجة أن ميرزا كامران وأمراء الجغتائية كرروا العصيان ، وأسروا ، وعفا عن جرائهم ، وكان فى كل الأوقات متوضئا ، ولم يكن يذكر اسم الله (٦٩٠) على لسانه قط دون وضوء ، وذات يوم استدعى مير عبد الحي صدر الملقب بعبدل (٦٩١) ، وعندما فرغ من الوضوء طلب بالمعذرة لانه طالما لا أكون متوضأ لا أستطيع أن أقول اسمك وحتى هو اسم الله ، كانت ذاته المليكة صفات جامعة للكمالات الصورية والمعنوية ، رحمة الله عليه .

المهم كان شيخ جونى الذى توجه الى البنجاب وقت شدة مرض السلطان قد وصل الى كلانور الى الأمير العالم ، وعرض القصة الغريبة ، ولكنهم أرسلوا بعده خبر وفاة السلطان ، واتفق الأمراء الذين كانوا فى الركاب الظافر للأمير تحت قيادة بيرام خان خان خانان أن يجلسوا الأمير على السلطنة بعد تقديم التعازى ، وفى الثامن من ربيع الثانى ، أعدوا احتفالا عظيما فى قصبة كلانور (٦٩٢) .

« وطأ السلطان مسند الحكم ، وأمن الناس والعالم من ارصائب »

« دخل الى بلاط الله ، وفتح الأمن الملكى الأبواب »

ولما كان ذكر تغلب وتسلط شيرخان افغان وسليم خان وسائر الأفغان على بلاد الهندوستان سابقا لأيام حكم السلطان أكبر فلا مفر من أن يذكر المؤرخ هذا ، ولا جرم من أن ينعطف عنان القلم الى ذكرهم ، وسيذكر أحوال خير العالمين السلطان بعد اتمام أحوال هذه الجماعة .

ذكر أحوال شيرخان :

هو شيرخان شاه المذكور على الألسنة والأفواه ، أسمه فريد واسم أبيه حسن ، وحسن من طائفة افغان السورية ، وحين ارتقى السلطان

---

(٦٩٠) لم يكن اسم الله أو الرسول يجرى على لسانه مطلقا دون وضوء (بدوانى ٤٦٧/١) .

(٦٩١) وكان يقول لأصحاب الأسماء المركبة من « عبد » والأسماء الحسنى مثل عبد الله ، فكان يكتفى فقط « بعبدل » اذا لم يكن طاهرا (بدوانى ٤٦٧/١) .

(٦٩٢) سعد بيرم خان بالا ينشر الخبر بين الجنود الذين يطاردون سكندر على جبل سوالك وأجلس جلال الدين محمد اكبر على العرش في يوم الجمعة الثانى من ربيع الاول سنة ٩٦٣ هـ (بداونى ٨/٢) .

بهلول السلطنة ، استدعى كثيرا من الأفغان من ولاية « روه » وهى موطن الأفغان ، وروه عبارة عن جبل يمتد من سواد « ديجور » الى قصبة « سور » من ناحية الطول وهى من توابع بهكر ،ومن ناحية العرض فهى من « حسن ابدال » حتى « كابل » وتقع قندهار على حدود هذا الجبل ٠

جاء والد حسن سور ويدعى ابراهيم الى الهندوستان ، وكان يعمل فى خدمة أمراء السلطان بهلول (٦٩٣) وقضى فترة فى حصار فيروزه وفترة أخرى فى قرية نارنول ، وعندما انتهى عهد بهلول ووصل ابنه اسكندر الى السلطنة ، حكم جمال خان وكان من أمراء السلطنة سكندر جونبور (٦٩٤) ، وقضى حسن أبو فريد عمرا فى ملازمته ، واهتم جمال خان بحسن سور وأقطعه قرية بهرام من خواص بور تانده وهى من توابع رهتاس ، وجعل برفقته خمسمائة فارس ، وكان لحسن ثمانية أبناء هم : فريد ونظام من أم واحدة وأمهما من نسل الأفغان ، والأبناء الآخرون كانوا من الجوارى ، ولم يكن حسن يألف والدة فريد كثيرا ، ولم يهتم به مثل ابنائه الآخرين (٦٩٥) ، واستاء فريد من أبيه ، وترك خدمته وذهب لملازمة جمال خان ،وكتب حسن الى جمال خان أن يطيب خاطر فريد ، ويرسله اليه « فانى أريد أن أعلمه شيئا وأهذب أخلاقه » ، وكلما طلب جمال خان من فريد أن يذهب الى أبيه الذى كان رأسمال سعادته ، لكنه لميقبل ، وقال : ان جونبور مدينة مثل سهسرام وهناك علماء أكثر ، وسوف أهتم هناك بطلب العلم » ، وقضى فترة هناك ، وقرأ أشياء كثيرة ، واطلع على الكافية مع الحواشى الأخرى والكتب ، وقرأ أيضا الكلستان والبوستان وسكندرنامه التى كان أهل الهند يقرأونها هذه الأيام ، واطلع أيضا على السير والتواريخ ، وبعد سنتين أو ثلاثة جاء حسن الى جونبور ووسط أقربائه كى يحضروا فريدا، ويزيلون الخلاف ، وعين حسن فريد على رئاسة العمل فى مقاطعته ، وأرسله الى المقاطعة ، وقال لوالده وقت السفر : « انه لكى أحكم العالم وخاصة الامارة فلابد من العدل ، واذا أرسلتنى الى المقاطعة فلن أتجاوز عن العدل ، وأكثر تابعيك وأقربائهم يتجاوزون طريق العدل ، وأنا لا أريد المحاباة ، وأقسم على هذا » ، وذهب الى المقاطعة ، وسلك بينهم

---

(٦٩٣) عمل فى خدمة محبت خان حاكم البنجاب (تاريخ شير شاه ٠ عباس خان سروانى اليوت جـ ٤ ص ٣٠٧) ٠

(٦٩٤) عمل حسن والد شير خان لدى جمال خان فى ولاية سهرام وخواصبور (تاريخ شير شاه ، ص ٣١٠) ٠

(٦٩٥) كان حسن لا يحب أم فريد ويفضل عليها الجوارى (تاريخ شير شاه ، ص ٣١٠) ٠

سلوك العدل والكفاءة ، ورعا العدل بين الأقربـــاء ولم يكن قد رأى « مقدمو » (٦٩٦) بعض القرى الذين كانوا متمردين وأهـل فتنـــه فريدا ، فحذر هذه الجماعة ، واستشار رجاله ، وقالوا جميعا ان الجيش برفقة أبيك وينبغى أن تصبر حتى يأتى أبوك ، وأمر فريد أن يصنعوا مائتين من السروج وطلب من « مقدم » كل قرية جوادا عاريا ، واستدعى جزء من الجيش كان يقيم فى هذه النواحى وكان بعضهم من المشاة ، وزودهم بالنفقة واللباس ووعدهم بالخير ،وأركب كل واحد على جواد عار ، وذهب الى المتمردين ، وخرب أملاكهم ، وأسرهم ٠

كان بعض المتمردين الذين اشتهروا فى نواحى الولاية بالقـــوة والمكانة والمتانة اعتمادا على الغابة ، لم يكن قد رأوا فريدا ، فالحقوا الضرر بولايته وقراها ، وقويت شوكتهم ، فذهب اليهم ، ونزل على مقربة من أماكنهم ، وأقام لنفسه قلعة ، وأخذ يقطع كل يوم من الغابة حتى وصل الى القلعة وحاصرهم وهزمهم وأسر وقتل خلقا كثيرين وعندما فعل هذا صار جميع المتمردين فى هذه النواحى طائعين له ، وفرض عليهم المال ، وعمر بركناته ، وصار صاحب مكانة وشوكة ٠

وجاء حسن الى المقاطعة بعد فترة وشاهد تعمير القرى وتنظيم الطرق ، فسر وأثنى عليه ويروون أنه كان لحسن جارية له منها ثلاثة أبناء هم : سليمان وأحمد ومدا ، وكان حسن عاشقا ومحبا لهذه الجارية ، وذات يوم قالت لحسن : كنت قد وعدتنى أنه حينما يكبر أبناؤك سأوليهم « داروغكى » الولاية (٦٩٧) ، والآن قد وصلوا سن البلوغ ، وينبغى أن تفى بوعدك ، وكان حسن قد أخبر ابنه فريد أكبر الأبناء وأطلعه عـلى الأمر ، فهم فريد هذا المعنى ، وعزله عن حكومة الولاية ، وعين حسن سليمان وأحمد بوظيفة « داروغكى » وأعتذر لفريد ، وقال : « طالمـــا أصبحت صاحب تجربة وخبرة فاننى أريد أن يصير أخـــوتك أيضا ناضجين » ، وفى آخر الأمر ستحل أنت محلى » ٠

المهم عندما استقر سليمان وأحمد على حكومة الولاية ، يئس فريد ، وترك ملازمة والده ،وتوجه الى اكره ، واستقر فى خدمة دولت خان وكان من أمراء السلطان ابراهيم الكبار ، وقام بخدمته مـــدة طويلة (٦٩٨) ، وسر منه ، وذات يوم سأل دولت خان فريد ، قل لى أى

---

(٦٩٦) رؤساء القرى ٠

(٦٩٧) حاكم ٠

(٦٩٨) وعهد اليه ببعض القرى (تاريخ شير شاه ، ص ٢٢٤) ٠

مطلب أو أمنية تتمناها أقدمها لك ، قال فريد : ان أبى صار هرما ، وابتلى بسحر جارية هندية ، وبسبب سيطرة هذه الجارية فان ولاية ومقاطعات أبى وجيشه قد ساء حالهم واضطرب ، فلو أن الولاية لى ، وكل من الأخوين أحدهما يكون بخدمة السلطان مع خمسمائة فارس والآخر يكون مسئولا عن قرية والجيش ويكون فى خدمة أبى ، وذات يوم عرض دولت خان هذا الكلام على السلطان فقال أى رجل سيء ذلك الذى يستولى على التاج والسلطان من الأب ، فقال دولت خان هذا الكلام لفريد ، وسرى عنه وقال اننى سأعرضه عليه ثانية فى وقت مناسب ، وسيتحقق طلبك ، وعين له وظيفة يومية زيادة ، وظل فريد برفقة دولت خان لخلقه الطيب ومعرفته الواسعة ومروءته ، حتى توفى حسن والده ، وعرض دولت خان خبر وفاة حسن على السلطان ابراهيم ، فأقطع مقاطعة أبيه الى فريد وأخيه ، وصدر لفريد فرمانا بحكومة سهرام وخواص بورتانده ، وذهب فريد الى مقاطعته ، واهتم بتنظيم الجيش والرعية ولم يستطع سليمان مقاومة فريد (٦٩٩) وفر ، وذهب الى محمد خان سور الذى كان يحكم جونه ولديه ألف وخمسمائة فارس وقال محمد خان سليمان : « شاع الخبر أن بابر بادشاه قد دخل الهندوستان وستقع الحرب بين السلطان ابراهيم والبادشاه ، فاذا انتصر السلطان ابراهيم ، فسأحملك اليه فى سفارة ، واستاء سليمان وقال : « اننى لا أستطيع أن أنتظر كل هذا ، وأنهم يتبعون أمى وزوجاتى وأرسل محمد خان الى فريد ، وأشار بالصلح بين الأخوين » ، وقال فريد « « اننى أقبل ما ورثه سليمان فى حياة أبيه ، ولكننى لا أرضى أن يشاركنى فى حكومتى ، فما من سيفين يوضعان فى غمد واحد ، وما من حاكمين فى مدينة واحدة ، ولما لم يرض بمطلب سليمان لمشاركته فى الحكم سرى محمد خان عن سليمان وقال له : « هدىء من روعك فاننى سآخذ الحكومة من فريد بالقوة ، وأعطيها لك » ٠

وعندما علم فريد بهذا الأمر ، تدبر أمره ، وكان منتظرا ما يحدث بين السلطان بابر والسلطان ابراهيم وعندما سمع بخبر مقتل السلطان ابراهيم ونصر البادشاه ، ذهب لملازمة بهادر (٧٠٠) ابن دريا خان الذى كان قد لقب نفسه بالسلطان محمد ، واستولى على ولاية بهار ورفع لواء السلطنة ، وانتظم فى ملك تابعيه ٠

---

(٦٩٩) صدر فرمان السلطان ابراهيم لودى بان يستولى فريد على البلاد التى كانت فى حوزة أبيه ، ولم يكن يناصبه العداء سوى أخيه سليمان الذى أراد مقاسمته ، فقال له : ليست هذه بلاد روه حتى تقاسمنى فيها (تاريخ شير شاه ، ص ٣٢٧) ٠

(٧٠٠) بهادر خان (أكبر نامه ص ١٧٠) ، بهار خان بن دريا خان نوحانى (بداونى ٣٥٨/١) ٠

ذات يوم ذهب السلطان محمد للصيد ، وفجأة برز أسد ، وواجه فريد الأسد ، وقتل الأسد بطعنة سيف ، وأثنى عليه السلطان محمد ولقبه بشير خان (٧٠١) ، وبالتدريج حظى شيرخان بالقرب تماما من السلطان، وفوض السلطان محمد شيرخان بالنيابة عن ابنه جلال الذى كان صغيرا فى السن ، وجعله أتاليق (٧٠٢) ، وبعد مدة سمح لشيرخان بالسفر الى مقاطعته على أن يزوره فى المواعيد المحددة حسب الاتفاق ، وذات يوم شكا السلطان محمد من شيرخان وقال فى المجلس : « لقد تخلف عن الموعد ولم يأت للزيارة »، قال محمد خان حاكم جونه : « انه ينتظر قدوم السلطان محمد بن السلطان سكندر » ، فتغير مزاج السلطان محمد وقال (محمد خان) ان علاجه هو أن سليمان أخاه الذى كان يحل محل أبيه فى حياته ، وفر منه مدة وهو الآن عندى ، فلو أنعمت عليه بمقاطعة شيرخان ، فان شيرخان سيأتى اليك سريعا ولم يرض السلطان محمد بعزله عن ولايته ، بسبب حقوق خدمته وعدم وجود جريمة ظاهرة »، وقال لمحمد خان : ان الطريقة المناسبة هو أن نقسم المقاطعة بين الأخوين لكى تهدأ الفتنة والفساد ، ولما كان محمد خان قد جاء من ولاية جونه وأرسل شادى علامة الى شيرخان ، وأرسل معه رسالة من أن أحمد وسليمان أخواك منذ مدة عندى فأرسل حصتهما ونصيبهما الى ، فرد شيرخان انها ليست بلاد روه التى هى ملك لكل شخص ولكنها بلاد الهندوستان ، كل من يستحق السلطان تكون له ، وحتى اليوم فان أسلوب السلاطين انهم يقسمون مال الميت بين الأخوين حسب الشرع ، لـــكن لا يجوز على ما حققته من عملى وأنعموا به على من حكومة وانعام ٠

« لا يورث الملك للانسان دون أن يقاتل ويصادق كثيرا »

واننى أحكم سهرام وخواصبور تانده بأمر السلطان ابراهيم ، وعندما ذهب شادى الى محمد خان روى له ما ذكر ، فاضطر محمد خان ، وأمر أن يذهب شادى بكل قوته مع سليمـــان ، ويستولى على خواصبور تانده ، ويسلمها لسليمان ، واذا امتنع شيرخان حاربه ، وهزمه ، وخذ منه المقاطعة وسلمها لسليمان ، واترك قوة كبيرة لمساعدة سليمان ، وتعال » ٠

حدث أنه فى ذلك الوقت ان كان « سكه » غلام شيرخان وهـــو أبو خواص خان وكان « داروغه » خواص بور تانده من قبل شيرخان ، وسمع شيرخان بمجىء شادى سليمان فكتب الى « سكه » لا تقصر فى

---

(٧٠١) ورد نفس القول عند بداونى ١/٣٥٨) ٠

(٧٠٢) جعله أتاليغ ابنه جلال خان (بداونى ١/٣٥٨) ٠

المقاومة والدفاع ، ووصل شادى وسليمان الى خواصبور ، وخرج ملك سكه للحرب ، وقتل وهزم جيش شيرخان ، فجاء الى سهرام ، ولم يبق لشيرخان طاقة للمقاومة ، وأراد أن يتوجه الى ناحية أخرى ، وقال البعض ينبغى أن تذهب الى السلطان محمد ، ويعلم شيرخان أن محمد خان من الأمراء الكبار ، والسلطان محمد لن ينسانى ، وعزم أن يتوجه الى السلطان جنيد برلاس (٧٠٣) الذى كان يحكم كره مانكبور من قبل السلطان بابر بادشاه ، وتشاور مع أخيه نظام (٧٠٤) واستقر رأيه على ذلك ، وأرسل الرسل والرسائل الى السلطان جنيد ، وتعاهد وقدم الهدايا الكثيرة ، وأعد السلطان جنيد جيشا ، أخذ شيرخان للمساعدة ، وتوجه الى مقاطعته ، ولما لم يكن لدى محمد خان مقدرة للمقاومة ، فر ، وتحصن بجبل رهتاس ، واستولى شيرخان على قريتين بالاضافة الى قرية جونه ، رقرى أخى فى هذه النواحى ، وأثنى شيرخان على مساعديه وأنعم بالانعامات والذهب وأرسلهم بالتحف والهدايا اللائقة الى السلطان جنيد ، واستدعى أقوامه وقبيلته الذين كانوا قد هربوا وتحصنوا وفى الجبل ، وقويت شوكته تماما ، كتب الى محمد خان حيث كان الهدف الانتقام من الأخوة ، وقال : « أعلم انك بمثابة عمى فاخرج من متاعب الجدل ، ويكفينى مقاطعتى وما أخذته من السلطان ابراهيم » وجاء محمد خان أيضا وصار رهينة لمنة شيرخان (٧٠٥) وعندما تجمع لشيرخان قوته ، ترك نظام أخاه على المقاطعة ، وذهب الى السلطان جنيد برلاس فى كره ٠

تصادف فى هذه الأيام أن ذهب سلطان جنيد لملازمة السلطان بابر بارشاه ، ورافقه ، ولازم شيرخان السلطان بابر ، ودخل ضمن أتباعه ، وكان شيرخان فى الركاب الظافر فى رحلة جنديرى ،وعندما قطع الجيش مسافة ، اطلع على نظام وسلوك المغول ، وذات يوم قال لرفاقه : انه من السهل اخراج المغول من الهندوستان ، قالوا وما دليلك، قال : ان السلطان نفسه يقلل المعاملات ويثق فى الوزراء ، والوزراء ينفذون بالرشوة ولا يراعون حق السلطنة ، وعيب الاتفاق أنهم لا يتفقون مع بعضهم ، فلو تحقق المراد ، وأوحد الأفغان سويا ، وأرفع النفاق من بينهم ، فضحك رفاقه من هذا الادعاء الذى يستحيل فى هذا الوقت ، وسخروا منه ٠

---

(٧٠٣) كان جنيد برلاس ملازما للسلطان بابر وحاكما لكره ومانكبور (بداونى ٣٥٨/١_٣٥٩) ٠

(٧٠٤) أخوه الشقيق من أم وأب واحد (بداونى ٣٥٨/١) ٠

(٧٠٥) نفس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٥٨) ٠

وذات يوم فى مجلس السلطان بابر ووقت تناول الطعام ، كانوا قد وضعوا طبقا من عضلة الحيوان أمام شيرخان عجز عن تناوله فسل سكينا ، وجعل لحم العضلة قطعا ، وتناولها بالملعقة ، ووقف السلطان على هذا الأمر ، فقال لمير خليفة : « ان هذا الأفغانى يتصرف تصرفات غريبة » ، وعندما علم بما كان قد قام به مع محمد خان أثنى على ذكائه وفهمه ، وعلم شيرخان بحديث السلطان لمير خليفه ، وأدرك أن هذه النظرة نظرة غيرة وبالاضافة الى ما لديه من وهم منه ، ففر من المعسكر فى نفس الليلة ، وذهب الى مقاطعته وكتب الى السلطان جنيد برلاس : « انه وصلنى أن محمد خان قد قال للسلطان محمد أن شيرخان عند المغول وينبغى أن ترسل الى مقاطعته جيشنا ، ولما كنت أعلم أنه لن يتيسر لى فرصة السفر بسرعة وكان الوقت ضيقا ، ووصلت بسرعة الى المقاطعة ، واننى لم أخرج من زمرة تابعى الدولة » (٧٠٦) .

المهم لما كان شيرخان خائفا ويائسا من ناحية المغول فقد ذهب بموافقة أخيه ثانية الى السلطان محمود ، وأكرمه السلطان محمود وعينه أتاليقى ابنه جلال خان ، وحسب المقدور فقد توفى السلطان محمود فى هذه الأيام ، وحل جلال خان الصغير السن محله ، وسيطرت والدة جلال خان دود أنام (٧٠٧) على المهام ، وبموافقة شيرخان ، وفى نفس هذه الأيام توفت أم جلال خان أيضا واستقرت حكومة ولاية بهار من حيث الاستقلال بشيرخان (٧٠٨) وأرسل مخدوم عالم وهو من أمراء البنغال وحاكم أمارة حاجى بور الى شيرخان موافقته ، فتغير خاطر سلطان البنغال منه ، وأرسل قطب خان وكان من الأمراء الكبار لتسخير ولاية بهار واستئصال مخدوم عالم ، وكلما أراد شيرخان عقد الصلح لا يجد فائدة ، وأخيرا اتفق مع الأفغان على القتال ، وقرر الحرب ، وعندما التقى الطرفان ، ووقعت معركة حامية ، قتل قطب خان ، وانتصر شيرخان ، واستولى شيرخان على أفيال وخزائن وحشم البنغال ، وزادت قوته وسيطرته ، ومن ناحية أخرى كان النوحانيون الذين كانوا فى الأصل لا يقبلون شيرخان ويقصدون قتله ، وسعوا عند جلال خان الذى كان نوحانيا أيضا ، وانفصلت جماعة من أتباعه ، وعلم شيرخان بهذا الأمر ، فأبعده جلال خان فقال لجلال خان ان أمرائك ينافقون لأنهم يحسدوننى ، فان لم تسع فى علاج الأمر فانه ينبغى أن أبتعد عنك ، قال

---

(٧٠٦) أيد بداونى هذه الرواية (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٥٩) .

(٧٠٧) سيطرت دودى على مهام البلاد ولكن سرعان ما توقفت (عباس خان : تاريخ شير شاه ، ص ٣٤٣) .

(٧٠٨) كان شيرخان وصيا على جلال خان الذى كان طفلا (بداونى ج ١ ص ٣٦٠) .

جلال خان ، هل يكون صالحا لك ألا أخرج ؟ قال شيرخان ، ينبغى تقسيمهم الى فرقتين فترسل فريقا لتحصيل ذهب القرى والأخرى لمواجهة العدو الذى فى البنغال ، وأراد تابعو جلال خان والنوحانيين من جلال خان أن يترك شيرخان أيضا تحت سيطرة حاكم البنغال ويذهب هو الى البنغال ، وأن يرسل الى سلطان البنغال ابراهيم خان بن قطب خان لمساعدته ضد شيرخان ، وتحصن شيرخان فى القلعة التى أقامها حوله ، وكان يرسل كل يوم قوة للقتال وهزم جيش الأعداء حتى طلب ابراهيم خان مساعدة أخرى من البنغال ، وعلم شيرخان بعد ذلك أنه سيحضر الى العدو مساعدة أخرى فأعد رجاله واستعد للقتال ، وهيأ رجاله وقت السحر ، وخرج من القلعة ، وتوجه الى جيش البنغال ، ونظم الفرسان وحملة البنادق والأفيال ، وتقابلا وهجم شيرخان ورجاله عليهم ، وجعل خاصة رجاله فى خلف تل فى الخفاء ، وقرر أن يحتموا بالتل وهم يمطرون العدو أثناء المواجهة حتى يخرج فرسانهم عن مرمى البنادق ، فيهاجموهم، وحدث هذا حين هجم الجيش الذى كان مختفيا فجأة ، أحدث دمارا على البنغاليين ، واحتمى ابراهيم خان ولقى حتفه (٧٠٩) وخرج جلال خان جريحا من تحت الأقدام ، وذهب الى البنغال ، واستولى شيرخان على كل حشم وأفيال ومدفعية البنغاليين ، وصار ملك بهار خالصا ، وارتقى السلطنة .

يروون أن تاج خان كان يحكم فى ذلك الوقت حكومة قلعة جنار من قبل السلطان ابراهيم لودى ، وكان له امرأة وهى « لادملك عقيمة » كان تاج خان يحبها ويعشقها كثيرا ، وكان أبناء تاج خان من النسوة الأخريات بصدد قتل « لادملك » حقدا وحسدا ، وحدث أن كان أحد أبناء تاج خان وهو أشجعهم جميعا قد رمى لادملك بسهم ، ولم تصبها الرمية ، وقامت جلبة من أنهم قتلوا لادملك ووصل تاج خان والسيف مسلولا فى يده ، وقصد ابنه ، ولما أيقن الابن أنه لا خلاص من أبيه فبادر بقتل الأب ، وأغمد آسفا سيفه ، وقتل تاج خان ، ولما كان أولاد تاج خان غير قادرين على حكم القلعة والولاية والجيش ، وعلم شيرخـــان بهذا الأمر وكان مجاورا ، وتحدث مع مير أحمد تركان ، وبعد عودة الرسل قرر أن يعقد شيرخان عقد زواج على لادملك (٧١٠) واستولى على قلعة جنار ، واستولى شيرخان بزواجه لادملك على القلعة بخزائنها ودفائنها .

---

(٧٠٩) الحق ابراهيم خن بابيه واستولى شيرخان على حشم وأفيال ومدفعية البرتغاليين وأستقل بولاية بهار (منتخب التواريخ جـ ١ ، ص ٣٦٠) .

(٧١٠) وكانت امرأة ذات جمال ، فتزوجها وأضاف ذلك قوة الى قوته وشوكته (منتخب التواريخ جـ ١ ص ٣٦١) .

« عندما يضيق الأمر ، يجعل زمـــام قلبه تحت ارادة رجاله »

« يصل نور العين من الريحان ، ولا يتيسر للمشاهدين الرؤية من بعيد »

لجأ السلطان محمود بن سكندر لودى خلال هذه الأحوال الى سنكا من صدمة جيوش السلطان بابر وجاء مع راناسنكا وحسن خان ميواتى وحكام آخرين لمهاجمة السلطان بابر ، ووقعت الحرب فى نواحى خانوه ، وهزموا ، وقد ذكر ذلك فى محله ، وحدث أن أرسل السلطان محمود الى أكثرأمراء اللوديين الكبار الذين كان يسمع عنهم فى ولاية تهته ، ولبوا طلبه ، وجاء السلطان محمود الىتهته ، وجلس بسعى الأمراء ثانية على كرسى الحكم ، ودخل ولاية بهار من هناك بجيش جرار وعندما رأى شيرخان أنه لا مفر من أن يتبع الافغان السلطان محمود ، فذهب لملازمته ، وقدم الطاعة ، وقسم السلطان محمود ولاية بهار بينهم أيضا ، وترك قسما لشيرخان ، واعتذر من أنه ترك ولاية جونبور تحت سيطرة المغول ، وأريد منك ولاية بهار مستقلة ، وأخذ شيرخان من السلطان محمود موثقا، وبعد فترة سـمح له بتنظيم شئون جيش مقاطعته ، وجاء الى سهسرام ، وكان السلطان محمود قد ذهب لحرب المغول فى ولاية جونبور ، وأرسل رسولا لاستدعاء شيرخان ، فأرسل شيرخان اليه رسالة : اننى سأتبعك بعد اتمام شئون الجيش » ، وقال أمراء السلطان محمود : انه طالما أن شيرخان رجل مكار ومحتال فمن المناسب أن تذهب الى مقاطعته وتأخذه معك ، وتوجه السلطان محمود الى سهسرام بجيشه ، واستقبله شيرخان، وقدم لوازم الخدمة والضيافة ، وتوقف السلطان محمود هناك عدة أيام ، ثم توجه الى جونبور ، ولم يستطع أمراء السلطان بابر الذين كانوا فى جونبور مقاومته ، ورحلوا ودخلت جونبور ونواحيهـــا تحت تصرف الأفغان ، واستولوا حتى ولاية لكهنوتى ·

توجه السلطان همايون فى ذلك الوقت الى نواحى كلينجر ، وعندما عرضوا عليه ، غلبة وطغيان الأفغان فلوى عنان السفر لدفع ورفع هذه الطائفة ، وواجه السلطان محمود وبين بايزيد وأمراء الأفغان ، واستاء شيرخان من قيادة بين بايزيد وتمنى له الهزيمة ، وأن يرى رأى العيان هزيمته فأرسل رسالة فى الخفاء لأمير هندوبيك (٧١١) وكان من أمراء وقواد المغول الكبار من أنه لما كانت تابع للسلطان بابر فاننى سأسعى لهزيمة الأفغان وقت الحرب ، وسأنسحب بجيشى ، ونفذ ما قاله وقت

---

(٧١١) أرسل رسالة الى هندوبيك فوجين بأنه سيتقهقر وقت الحرب (بداونى : منتخب التواريخ ج ج ١ ، ص ٣٦١) ·

الحرب وأثناء اصطفاف صفوف الطرفين ، وتقهقر وفر ، وتسبب فراره في أن حقق جيش أتباع السلطان همايون الفتح والنصر ، وذهب السلطان محمود الى ولايـــة تته ، وانزوى ، وترك القتـــال حتى تـوفى سنة ٩٤٩ هـ (٧١٢) فى ولاية اوريسا ، وتوجه السلطان همايون بعد الفتح الى آكره، وارسل مير هندوبيك الى شيرخان لكي يسلمه قلعة جنار ، واعتذر شيرخان عن تسلم القلعة المذكورة ، وعاد مير هندوبيك لملازمة السلطان ، وعندما بلغ هذا الخبر الى السلطان همايون ، توجه بالنفس والنفيس لفتح جنار وأرسل جماعة من الأمراء فى المقدمة لكي يقوموا بالحصار ، وارسل شيرخان رسالة الى السلطان همايون ، «انني وصلت الى الحكم بمساعدة ورعاية السلطان بابر ، وكنت سببا فى نصر جلالتك في حرب السلطان محمود وبين بايزيد ، فاذا سلمتنى جنار سأرسل قطب خان ابنى مع جيش اليكم ليقدم لوازم الخدمة » ، ولما كانت غلبة واستيلاء السلطان بهادر كجراتي قد وصلت الى مسامع السلطان فى ذلك الوقت فكان من اللائق أن يتركه ، وأرسل شيرخان ابنه قطب خان مع عيسى خان حجاب الذى كان بمثابة وزير له اليه (٧١٣) ، وعـــاد السلطان همايون ، واهتم بالسلطان بهادر ، وكان ابن شيرخـــان فى الركاب الظافر حتى الكجرات ، وفر من الكجرات وذهب الى أبيه ، وانتهز شيرشاه الفرصة ونظم ولاية بهار ، وجمع جيشا كبيرا وبلغ درجة كبيرة من القوة والشكيمة (٧١٤) ٠

عندما عاد السلطان همايون من رحلة الكجرات ، جاء الى آكره وعلم بخبر طغيان وغلبة شيرخان ، ورأى أن دفعه مهما ، وتحركت راية الفتح الى جنار ، وترك شيرخان غازى خان وقوة لحراسة قلعـــة جنار ، وذهب الى جبال « مهره كند » وعندما مرت ستة أشهر فى حصار القلعة ، أقام رومى خان المسئول عن مدفعية السلطان ، ومدفعية عـلى المرتفعات ، وأصاب أهل المدينة بالاذى ، وتدخل أولياء الدولة للصلح مع القلعة كما ذكر ، وترك السلطان همايون دوست بيك على القلعة ، وتوجه الى شيرخان ، وفى المدة التى كان مشغولا فيها بحصار جنار أرسل شيرخان ابنه جلال خان وخواص خان وأكثر جنوده لتسخيـــر البنغال واستولى عليها ٠

---

(٧١٢) توفى فى بتنه سنة ٩٤٩ هـ (بداونى · منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٢) ٠

(٧١٣) منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٢ ٠

(٧١٤) حتى أصبح جيشه يعادل جيش السلطان مرتين (منتخب التواريخ ج ١ ، ص ٣٦٢) ٠

عندما وصل السلطان همايون الى كرى وهى على حدود البنغال أرسل جهانكير قلى بيك وأمراء آخرين على الطلائع ، وكان جلال خان ابن شيرخان فى كرى ، وتقاتل مع أمراء السلطان وهزم ، وأرسل السلطان همايون جيوشه مرة أخرى ، واقترب بنفسه أيضا ، وفتحت كـرى ، وذهب جلال خان الى آبيه ، وعندما ترك السلطان همايون كرى ، أخلى شيرخان المدينة المذكورة وذهب الى « جاركند » وأرسل رسالة الى راجه قلعة رهتاس (٧١٥) من أنه نظرا لأن المغول خلفى فأعطنى مأمنا فى القلعة ، وأرضاه بالكلمة والحكاية وأعد ألف كيس ووضع فى كل كيس مقاتل شجاع بالسلاح ، وصعد الى أعلى القلعة ، ووضع النساء فى بعض الأكياس التى كانت فى المقدمة ، وتسرع حراس القلعة بفحص الأكياس ، فأرسل شيرخان رسالة الى الراجه لكى لا يعلم أحد بالمحصنات اللائى هن سبب عزتنا ، وأمر الراجه بمنع الفحص وعندما دخلت جميع الأكياس ، أخذ الأفغان فى القتال ، وتوجهوا الى بيت الراجه ، وأرسلوا قوة الى البوابة ، واستعد شيرخان أيضا بجيوشه ، ووصل الى البوابة ولم يكن فى الهندوستان قلعة حصينة مثل قلعة رهتاس ، واستولى عليها فى النهاية بسهولة ، وترك نساءه وماله فى القلعة ، وارتاح خاطره ٠

« يفتح الأمر الصعب بالقوة ، فالازهــار تزهر بعد فترة فى الشجر »

توقف السلطان همايون ثلاثة أشهر فى مدينة كور المذكورة (٧١٦) فى كتب السلف بلكنوتى ، قضاها فى لهو ومرح ، وفى هذا الوقت وصل خبر أن ميرزا هندال قد رفع لوء العصيان فى آكره وميوات وقتل الشيخ بهلول ، وجاء مرزا كامران لتسكين هذه الفتنة فى آكره ، وترك السلطان جهانكير قلى بيك وخمسة آلاف فارس قوى فى كور ، وعاد ٠

ولما كان جيش السلطان قد تعب بسبب كثرة الأمطار والأوحــال ، ونفقت وضاعت أكثر الجياد والجنود ، وكان الجيش يسير بحالة سيئة انتهز شيرخان الفرصة ، وانتظر بجيش جرار على على الطريق ، وتقابل فى نواحى « جوسا » ، وأقام حول جيشه حصنا ، وانتظر ، وبعد أن أرسل الرسل مع الشيخ خليل الى السلطان همايون ، وأرسل رسالة « انك تركت أتباع الدولة حتىكرى ولاية بهار واننى جعلت الخطبـــة والسكة باسمك ، ولما كان قد سبق أن اتفقنا على الصلح ، وأمن جنود

(٧١٥) قلعة رهتاس الشرقية فى بهار ٠

(٧١٦) وكان السلطان همايون قد عقد صلحا بأن يكون البنغال ملكا لشيرخان ثم توغل فيها (تاريخ شيرشاه ، ص ٣٦٨) ٠

السلطان فى الأيام السابقة (٧١٧) ، ولم يكن هناك جسرا على نهــر جوشان ، وفى صباح يوم السبت سنة ٩٤٦ هـ حارب شيرخان بجيوش منظمة وأفيال ضخمة ، ولم تتح الفرصة للسلطان للاستعداد ووقعت الهزيمة ،وتوجه السلطان همايون فى غاية التعب الى آكره .

« لا يستخرج الجوهر من الحجر طول العام ، فأحيانا يعقد الصلح وأحيانا القتال »

« لا يتحقق النجاح طول العام ، وأحيانا تستذل العروس »

عاد شيرخان الى البنغال ، وقاتل جهانكير قلى بيك الذى كان هناك مع جيش عدن مرات ، وجعلهم طعاما للسيوف ، ولقب نفســه بشيرشاه ، وجعل السكة والخطبة باسمه ، وتوجه فى السنة التالية بقوة وكثرة كى آكره ، وفى هذا الوقت الذى ينبغى أن يتضافر الجميع حتى الغرباء ، ونفصل مرزا كامران عن خدمة السلطان همايون ، وذهب الى لاهور ، ورفع الأمراء الجغتية أس الفساد بالاضافة الى ما سبق ، وعلى الرغم من هذا الحال فقد خرج السلطان همايون لمواجهة شيرشاه وأسرع الى قنوج ، وعبر النهر ، وفى هذا المكان وصل جيش السلطان قرابــة خمسين ألف فارس ، وفى يوم عاشوراء سنة ٩٤٧ هـ انتقل جيش السلطان وأراد النزول فى مكان ، لكن شيرخان قام بالقتال ، ولم يحارب جيش المغول ، ووقعت الهزيمة ، وقفز السلطان همايون بفرسه فى النهــر ، وواجه متاعب جمة وتوجه الى لاهور ، فتعقبه شيرخان حتى لاهور ، فتوجه السلطان همايون الى السند وأسرع مرزا كامران الى كابل ، ولما كان شيرخان قد تعقبه حتى وصل الى خو شاب ، وجاء اسماعيل خان وغازى خان وفتح خان من بلوج ودوالى وكانوا قادة طائفة بلوج ، وزاروا شيرخان ، وتفقد شيرخان جبال تته وحول جبل بالناتهه ، وأقام قلعة فى المكان الذى عليه قلعة رهتاس الحالية ، وترك خواص خان وهيبت خان ونيازى مع جيش كبير ، وعاد الى الهندوستان .

عندما عاد شيرخان الى آكره علم أن خضر خان ترك وكان حاكما من قبله على البنغال ومتزوجا من أخت السلطان محمود البنغالى قــد استقر وأراد أن يسلك سلوك السلاطين ، ورأى شيرخان أنه من الواجب تدارك هذه الواقعة قبل وقوعها ، وتوجه الى البنغال ، وأسرع خضر خان المكور لاستقباله ، فحبسه ، وأقطع شيرخان ولاية البنغال (٧١٨) لعـدة

---

(٧١٧) هجم شيرشاه على المعسكر بينما السلطان همايون يقرأ الفاتحة مع رجاله الذين جاءوا لعقد الصلح (بداونى ج ١ ص ٣٥٢) .

أشخاص ، وقسمها على ملوك الطوائف ، وجعل قاضى الفضيلة الذى كان من علماء ولاية كره ويتصف بحسن الدين والأمانة ومشهورا على الألسنة والأفواه بقاضى النصيحة ، أمينا للولاية ، وترك صلاح وفساد الولاية فى قبضة اقدار وعاد الى آكره ٠

توجه شيرخان فى سنة ٩٤٩ هـ لتسخير ولاية مالوه وعندما وصل الى كواليار ، حاصر شجاع خان وهو من أمراء كواليار ، وجاء أبو القاسم بيك الذى كان فى القلعة من قبل السلطان همايون وزار شيرخان وسلمه القلعة (٧١٩) وعندما وصل الى مالوه ، دخل ملوخان حاكم مالوه الذى كان من أتباع سلاطين الخلج فى الصلح ، وبدون سابق انذار جاء للهجوم وبعد عدة أيام تسلل الخوف اليه فسلك طريق الفرار ، فترك شيرخان حاجى خان على حكومة مالوه ، وجعل شجاع خان أيضا على حكومة سوانى ، وتركه هناك ، رتوجه الى رنتهبور ، وعاد لتعقب ملوخان ، وقاتله ، وهزمه حاجى خان شجاع خان ، وعندما انعقد النصر باسم شجاع خان استدعى شيرخان حاجى خان اليه ، وأرسل شجاع خان على حكومة مالوه ، وعندما وصل الى نواحى رنتهبور أرسل الرسل البلغاء واستولى على القلعة من ولاة السلطان محمود خلجى سلما ، وعاد من هناك الى آكره ٠

يروون أنه عندما وصل خبر فرار ملوخان الى شيرخان ، قــال شيرخان مصراعا على البديهة وقال الشيخ عبد الحى ابن الشيخ جمال كنبو المصراع الثانى ، ولما لم يكن خاليا من الظرف فيجــدر اثباته ٠

« ماذا فعل معنا ملوغلام عبيدى ، انه حديث المصطفى لا خير فى العبيد » (٧٢٠)

عموما استقر شيرخان فى آكره عام كامل ، نظم فيه ملك بلاده وأرسل الى هيبت خان فرمانا بأن يتوجه الى الملتان الى ملوخان ويستولى على الملتان ، وتوجه هيبت خان وقاتل فتح خان بلوج وانتصر ، واستولى على الملتان وعندما وصل هذا الخبر الى شيرخان أثنى عليه ولقبه بأعظم همايون ٠

رفع بورن مل بن راجه سلهدى بوربيه فى سنة ٩٥٠ هـ ، وهو من طائفة راجبوت كهلوت بور ، ورفع علم السيطرة فى قلعـــة رايسين ، واستولى على أكثر قرى هذه الناحية ، وأدخل ألفين من النساء الهنود

---

(٧١٩) ورد هذا أيضا عند نعمت خان (مخزن أفغاني اليوت جـ ٥ ص ١١٤) ٠
(٧٢٠) أورد بداونى نفس البيت (منتخب التواريخ جـ ١ ص ٣٦٥) ٠

والمسلمات ضمن حريمه ، وكان يستخدمهم فى حفلات الرقص (٧٢١) وتحرك عرق الحمية عند شيرخان ، وتوجه لتسخير قلعة رايسين ، ولما طال الحصار عقد الصلح ، ونزل من القلعة بورن مل وزوجاته ونساؤه مع أربعة آلاف راجبوتى (٧٢٢) من المبارزين ، وأفتى علماء عصره خاصة أمير سيد رفيع الدين صفوى بقتل بورنمل على الرغم فى وجود القسم والأمان ، نظم شيرخان الجيش والأفيال الضخمة ، وارسلهم الى حيث ينزل بورنمل ، وهجموا على جيشه ووضع بورنمل والراجبوت قلوبهم على الموت ، ··· وقتلوا أنفسهم بأيديهم ، وقتلوا أبناءهم وحرقوهم وأفنوهم ، وعاد شيرخان الى آكره ، واستقر عدة أشهر ، وجدد تنظيم الجيش ثانية ، بالقلعة والخندق ، وكان يقدم لهم كل لوازم السعادة والأمان ، وعندما وصل الى الصحراء ، تعذر اقامة القلعة ، فأمر بفكره الصائب وعقليته السديدة أن يملأوا أجولة بالرمال ، ويضعوها فوق بعضها البعض ويقيمون تحصينا ، وتوجه أولا الى مالديو الذى كان حاكما على ولاية مكور وجودبور ويمتاز بين ملوك الهندوستان بكثرة الجيش والحشم ، وفى ذلك الوقت اجتمع خمسون ألف فارس راجبوتى تحت لواء راى مالديو (٧٢٣) ، وأرسل شيرخان وهو فى نواحى أجمير ولمدة شهر عدة رسائل الى راى مالديو ، وجعل هذه الرسائل تصل بشكل ما الى راى مالديو ، وقال أمراء الراجبوت ان هذا العمل هو نتيجة لمكر وزيف شيرخان فانه يريد أن يخضع راى مالديو حتى لا نستطيع أن نقوم على الحرب ، وفى النهاية قرر كوبتا وأمراء مالديو الآخرون الحرب وانفصلوا عن راى مالديو بعشرين ألف فارس ، وأسرعوا لمواجهة ومقاتلة شيرخان وأرادوا الاغارة ليلا ، فضلوا الطريق ، وعند الصبح الصادق وصل خمسة أو ستة آلاف شخص (٧٢٤) وبعد المواجهة وقعت معركة حامية ، ووصل الأمر الى القتال بالخناجر والسكاكين ، ونزل الراجبوت عن الجياد ، وجمعوا أنفسهم ، والتفت حولهم جيش شيرخان من كل ناحية ، وقتل كوبتا وأكثر الراجبوت ،ويروون أنه فى هذه المعركة قتل احدى عشر ألف نفر من الراجبوت ، وقتلوا أيضا جمعا كبيرا من الأفغان ، وبعد هذا النصر الذى لم يكن له بدا ، عاد ، وجاء الى رنتهبور ، ولما كانت قلعة رنتهبور قد اقطعها لابنه الكبير عادل

---

(٧٢١) استخدم بداونى نفس العبارة (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٦) ٠

(٧٢٢) عشرة آلاف (بداونى ج ١ ص ٣٦٦) ٠

(٧٢٣) بينما كان شيرشاه يحصن نفسه (بداونى ج ١ ص ٣٦٧) ٠

(٧٢٤) أربعة آلاف شخص أرادوا الاغارة ليلا فضلوا الطريق حتى شروق الشمس (بداونى ج ١ ص ٣٦٨) ٠

خان (٧٢٥) استأذن عادل خان عدة أيام ليضع أمتعته هناك حتى يصل بعدها ، ونهض شيرخان من هناك الى قلعة كالينجر وهى من قـــلاع الهندوستان الحصينة ٠

تحصن راجه كالينجر الذى كان مخالفا ، وحاصر شيرخان القلعة وسعى لعمل النقب واعداد المجانيق والساباط ، وعندما وصل الساباط الى القلعة ، وقاتل شيرخان من جميع النواحى ، وأمر الجغنائية الذين دخلوا القلعة أن يضعوا البارود فى المكان الذى يقف فيه ، وتصادف أن هوى جزء من جدار القلعة ، وانكسر ، واشتعلت النيران فى الأجزاء الأخرى ، وأصيب شيرخان والشيخ خليل (٧٢٦) وملا نظام دانشمند ، ودريا خان سروابى بالحروق ، وبلغت حاله الى درجة المرجل ، وفى كل نفس كان يتنفسه كان يصيح ويرغب الجيش فى القتال ، وأرسل المقربين منه للاهتمام بالحرب ، وفى آخر اليوم سمع خبر فتح القلعة ، وودع الحياة (٧٢٧) وقضى خمس عشرة سنة فى الحكم والامارة وحـكم الهندوستان خمس سنوات ٠

امتاز شيرخان بالعقل والدهاء والتدبير الصائب ، امتدت دولته من البنغال وستاركانو حتى نهر السند الذى يشتهر بنهر نيلأب وهى ألف وخمسمائة فرسخ ، وأقام فى كل فرسخ عمارة ، وحفر بئرا ، وبنى مسجدا من الطوب والكلس ، وعين له اماما ومقرئا ، وجعل لهما وظيفة محددة وعين على أحد أبواب العمارة مسلما لخدمة المسلمين بالمـــاء والطعام ، وعلى الباب الثانى هنديا لخدمة الهنود الذين كانوا يترددون دائما (٧٢٨) وترك فى كل عمارة جوادين يشتهران بلغة أهل الهنــد باسم « داك جوكى » (٧٢٩) حيث كانوا يرسلون خبر نيلآب يوميا الى أقصى البنغال ، وأقام على هذا الطريق من الجانبين أشجارا مثمرة من أشجار « أبنه وكهرنى » وغيرها كى يستظــل بها الناس القـــادمون والغادون ، وفعل نفس الحال فى الطريق من آكره حتى مندو ، وكان قد أقام أيضا فى كل فرسخ عمارة ومسجدا ، وبلغ الأمن درجة أنه لو أن تاجرا يحمل حملا مليئا بالذهب نام فى الصحراء ليلا لم يكن فى حاجة الى حارس ، ويروون أنه عندما رأى « أبنه » قال لقد وصلت بالسلطنة

---

(٧٢٥) قطع شيرشاه رنتهنبور لابنه عادل خان بعد فتحها (بداونى ج ١ ص ٣٦٩) ٠

(٧٢٦) أورد بداونى نفس هذا الاسم مجردا (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٧٢) ٠

(٧٢٧) لم يأت الصندل وماء الورد بفائدة (بدوانى ج ١ ص ٢٧٣) ٠

(٧٢٨) للغرباء والفقراء وأهل السبيل (بداونى ج ١ ص ٣٦٣) ٠

(٧٢٩) خيول البريد ٠

الى صلاة العشاء وتحسر ، وكان يروى شعرا هزليا بلهجة هندوستانية ، وهذا البيت المسجوع عنه « ليكن الله باقيالك دائما أيها الملك ، طالما أن شيرشاه بن حسن سور قائم » وكان يقضى كل أوقاته فى تصريف أمور الناس وتنظيم الجيش ورعاية الرعيـــة ، وكان يسلك طريق العــــدل والانصاف والاستقامة ٠

« يبقى لكل شخص اسما بعد الموت ، مهما كان فى الحياة موفقا »

« وكلمة « زآتش مرد » (٧٣٠) هى تاريخ وفاته » ٠

ذكر أحوال سليم خان بن شيرخان :

حين توفى شيرخان كان ابنه جلال خان فى قصبة ديوان وتوابع تهته ، وكان عادل خال ابنه الكبير وليا للعهد ، ومازال فى قلعة رنتهبور ، ورأى الأمراء أنه ليس ضروريا مجيء عادل خان بسرعة وان وجود حاكم أمر ضرورى ، وأرسلوا رسولا لاستدعاء جلال خان ووصله الخبر بعد خمسة أيام وجلس فى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٩٥٢ هـ فى قلعة كالينجر بسعى عيسى خان حجاب والأمراء الآخرين (٧٣١) ولقب باسلام شاه ، وهو مشهور على لسان أهل الهند باسم سليم شاه ، وعلى لسان جيش المغول بسليم خان ٠

المهم عندما حل سليم خان محل أبيه ، وأرسل الى أخيه الكبير عادل خان عوضا مكتوبا من أنه طالما أنت بعيد وأنا قريب فاننى أحافظ على الجيش لتسكين الفتنة حتى مجيئك ، ولا مناص لى من طاعتك والولاء لك ، وتوجه من كلينجر الى آكره ، ووصل الى نواحى قصبة « كوره » ، ووصل خواص خان من مقاطعته ، ولازمه ، وأقام الحفلات ، وأجلس سليم خان (٧٣٢) ٠

أرسل سليم خان وكان محبا للدنيا (٧٣٣) رسالة أخرى الى عادل خان بعد ذلك أظهر المحبة وطلب ملاقاته ، وكتب عادلخان الى سليم خان الذى كان مؤيدا من قطب نائب وعيسى خان نيازى وخواص خان وجلال خان أنه ما هو الصالح الذى تراه فى مجيئك وبقائى أنا ؟ وكتب الى

---

(٧٣٠) مات من النار ــ وهى تعادل سنة ٩٥٢ هـ ٠

(٧٣١) أكد بداونى ما ورد بهذه العبارة (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٧٤) ٠

(٧٣٢) جلس على العرش ١٥ ربيع أول سنة ٩٥٢ هـ (عبد الله : تاريخ داودى اليوت ج ٥ ، ص ٤٧٨) ٠

(٧٣٣) أبدى ولعه بالأمور الدنيوية (بداوني ج ١ ص ٣٧٦) ٠

سليم خان أنه لو جاء هؤلاء الأربعة أشخاص فانهم يسرون عنى ، وأستطيع أن استعد للقائك ، وأرسل سليم خان الأربعة أشخاص الى عادل خان ، وسروا بالقول والفعل عن عادلخان ، وانتظروا حتى يأذن لهم بالسفر فى أول لقاء ، حتى يذهب كل واحد الى مقاطعته فى الهندوستان ، وتوجه عادل خان لملاقاة سليم خان برفقة الأمراء ، وعندما وصلوا الى فتحبور سيكرى ، واستقبل سليم خان فى سنكاربور (٧٣٤) وكانوا قد أعدوا هذا المكان للقاءبأمر سليم خان ، وظهرت علامات المحبة الأخوية بين الطرفين وجلسا سويا فترة ، وتوجها الى آكره ، وعندما اعتذر سليم خان عن سوء تفكيره فى أخيه وقرر ألا يسمح بمرافقة عادل خان أكثر من شخصين الى قلعة آكره ، وأن يمنعوا رجاله على البوابة من الدخول ودخل جمع كبير بموافقة وتدبير سليم خان ، وكان ضروريا أن يظهر سليم خان النفاق ، وقال اننى أهتم بأمر الأفغان والآن أتركهم لك ، وأجلسه على العرش ، وأظهر السرور والمداهنة ، ولما كان عادل خان يفضل المجون واللهو ويعلم مكر وخداع سليم خان ، فلم يقبل ونهض وأجلس سليم خان على العرش ، وسلم عليه وبارك له بالسلطنة ، وقام الأمراء بتقديم لوازم التأييد ، وقرر أن يبقى فى مكانه وأثناء ذلك عرض قطب خان وعيسى خان وخواص خان العهد والقسم الذى وقع بينهم وهو أن يستأذنوا عادل خان فى أول لقاء ، وأن يذهبا الى مقاطعاتهم ، وأصدر سليم خان فرمانا بأن يكون لهم ما أرادوا ، ورافق عيسى خان خواص خان وسمح لعادل خان بالسفر ، وبعد شهرين أرسل سليم خان غازى محلدار (٧٣٥) الذى كان من المقربين ومن أقربائه لكى يقبض على عادل خان ويقيده ، وأرسل معه قيدا من الذهب وسمع عادل خان بهذا الخبر (٧٣٦) فذهب الى خواص خان الذى كان فى ميوات ، وأخبره بنقض سليم خان للعهد ، وعرض عليه الأمر فاغتاظ خواص خان وطلب غازى محلدار ، وقيده بنفس القيد ، ورفع لواء العصيان وأرسل الأمراء الذين كانوا برفقة سليم خان رسائل واتفق معهم فى الخفاء وتوجهوا بجيش جرار الى آكره ، واغتاظ قطب خان وعيسى خان من سليم خان وكانوا ضمن أهل العهد والقسم ، وأرسلا لعادل خان للمجىء ، وقرر أنه عندما يحل الليل يصل عادل خان الى آكره حتى يبتعد الناس العزل عن سليم خان ، ويستطيعوا أن يأتوا

---

(٧٣٤) شكاربور (بداونى ج ١ ص ٣٧٥) .

(٧٣٥) غازى محلى (بداونى ج ١ ص ٣٧٧) .

(٧٣٦) ففر من بيانه الى ميوات عند خواصخان ، وطلب غازى محلي وقيده بنفس القيد (بداونى ج ١ ص ٣٧٧) .

اليه ، وتصادف أنه عندما وصل عادل خان وخواص خان الى فتحبور سيكرى ، ذهبوا الى هناك للقاء الشيخ سليم (٧٣٧) وكان من مشايخ عصره ، ولما كان المغرب قد حل ، توقفخواص خان لأداء الصلاة التى كانت فى هذه الليلة ، ووصلوا عشاء الى نواحى آكره (٧٣٨) ، وعلم سليم خان بالمجىء ، فاضطرب وقال لقطب خان والأمراء الآخرين ، اذا كنت قد ارتكبت خطأ فى حق عادل خان فلماذا لم يكتب الى خواص خان وعيسى خان كى أتراجع عن تفكيرى ؟ ورأى قطب خان اضطراب سليم خان فقال : لا تخف لم يتعسر الأمر عن العلاج واننى أتعهد بتسكين هذه الفتنة ، وأذن سليم خان لقطب خان والأمراء الآخرين الذين كانوا متفقين مع قطب خان لكى يذهبوا الى عادل خان ، وكان هدفه أن يبعد هذه الجماعة عنه ، ويفر الى قلعة جنار لاحضار الخزانة ، وبعد الجيش مرة أخرى ، ويهتم بالحرب والنزال ، ونهاه عيسى خان عن هذا العزم وقال له : لو أنك لا تعتمد على أناس آخرين فان ألفين من أتباعك الخواص فى أيام الامارة ليسوا أهلا للثقة ، وعلى الرغم من هذه القدرة والقوة فان من العجب ألا نعتمد على الله ولا تفر دون قتال ، وكل ما يملكه الأمراء من معارضة فى الخفاء سينعكس على العدو بالحزم والحذر ، ومن اللائق أن تسبقهم بنفسك بكل الجيش وتقف فى ميدان الحرب ، وتثبت القدم ،ولن يخالفك أى شخص قط ٠

قوى قلب سليم خان ، فقرر الهجوم ، فاستدعى قطب خان والأمراء الأمراء الآخرين الذين أذن لهم وقال : سأسلمكم بيدى للعدو ، وفكروا فى الحق ، وبعد ذلك خرج مستعدا للقتال ، ووقف ورأى الرجال الذين اتفقوا مع عادل خان أن سليم خان فى المعركة فتقهقروا عن الذهاب ، وعادوا اليه فى الحال ، ووقعت معركة فى ظاهر بلدة آكره ، وأنعم التأييد الالهى على سليم خان ، ووقعت الهزيمة على عادل خان وخواص خان وجيشهما وتوجه عيسى خان وخواص خان الى ميوات وذهب عادل خان وحيدا الى تهته ، ولم يعلم أحد قط بأمره ٠

أرسل سليم خان بعد ذلك جيشا لتعقب خواص خان وعيسى خان نيازى ، ووقعت معركة فى فيروزبور وميوات ، ووقعت الهزيمة على جيش سليم خان ، ولم يستطع مقاومة عيسى خان وخواص خان بعد

---

(٧٣٧) الشيخ سليم جشتى المقيم فى سيكرى (بداونى ج ١ ص ٣٧٧) ٠

(٧٣٨) اتفق الأمراء مع عادل خان على أن ينسحب من الميدان فى ظاهر آكره ، فيتعقبه سليم خان وعند العودة يخرج عليه الأفغان فى كهاتم بور من كمين (بداونى ج ١ ص ٣٧٨) ٠

ذلك ، وذهبا الى جبل كماؤن ، وأرسل سليم خان قطب خان نائبه وجيش لمهاجمتهما واستقر فى سفح كماؤن ، وكان قد أغار على ولاية دامن كوه وانتهبها وخربها ، وعزم سليمان خان السفر الى جنار فى هذا الوقت ، وأثناء الطريق قتل جلال خان خداد لاهتمام عادل خان به ، وعندما وصل الى جنار استولى على الخزانة وأرسلها الى كواليار ، وعاد ، واستقر فى آكره ٠

ولما كان قطب خان ضمن أحداث فتنة استدعاه عادل خان فقد فر من الخوف والوهم الذى سيطر عليه من جبل كماؤن (٧٣٩) وأرسل سليم خان الى أعظم همايون بلاهور أمرا يطلب فيه قطب خان ، وأرسل أعظم همايون قطب خان ، وحبسه سليم خان ، وسجنه مع شهبازخان نوحانى زوج أخت سليم خان وعدة أشخاص آخرين مجموعهم أربعة عشر شخصا ، وأرسلهم الى قلعة كواليار ، واستدعى شجاع خان حاكم مالوه وأعظم همايون ، وجاء شجاع خان لزيارته ، واعتذر أعظم همايون ، وسمح لشجاع خان بالسفر ، وعاد الى مالوه ٠

توجه سليم خان بعد ذلك لاحضار الخزانة من قلعة رهتاس وجنار، وكان سعيد خان أخو أعظم همايون قد قدم اليه والتحق به وأثناء الطريق فر منه (٧٤٠) وذهب الى لاهور ، وعاد سليم خان أيضا من الطريق وجاء الى آكره ، وأمر باعداد الجيش وتوجه الى دهلى ، وعندما وصل هذا الخبر الى شجاع خان ، جمع قوة من خاصته ، وتقدم الى سليم خان ، واستماله ، وكان سليم خان قد قضى عدة أيام فى دهلى يعد الجيش وعزم السفر الى لاهور ، وأسرع أعظم همايون وطائفة من المتمردين (٧٤١) بالاتفاق مع خواص خان وجيش البنجاب لاستقباله ، وتقابل الطرفان فى نواحى قصبه ابناله ٠

ويقولون : أنه عندما اقترب سليم خان من جيش النيازيين نزل ، وذهب مع عدد من المقربين لاستطلاع الجيش النيازى ، وصعد ربوة ، وعندما وقعت عيناه على الجيش النيازى ، وقف مكانه وقال : سأنزل فى مواجهة الجيش المتمرد ، وصف الجيوش وعزم التوجه الى الحرب ،

---

(٧٣٩) فر قطب الى لاهور عند هيبت خان نيازى الذى سلمه الى سليم شاه مع ثلاثة عشر أو أربعة عشر أميرا منهم محمود خان بن عادل خان ، وجبسهم فى كواليار (بداونى ج ١ ص ٣٧٩) ٠

(٧٤٠) وسد طريق لاهور (بداونى ج ١ ص ٣٨٠) ٠

(٧٤١) سعيد خان وأعظم همايون وخواص خان وعيسى خان (بداونى ج ١ ص ٣١٠)٠

وجمع أعظم همايون اخوته وخواص خان للمشورة فى ليلة الحرب ، وتحدثوا فى مجال تنصيب حاكم ، وكان خواص خان يريد أن تكون الحكومة لعادل خان ابن شيرخـــان الكبير ، واتفقـوا على ما يقـوله النيازيون ٠

« الملك لا يورث لأحد ، دون أن يضرب سيف وله أصــدقاء كثيرون »

وكان خواص خان يستاء من رغبتهم ، وحين اصطفت الصفوف ، وتقاتل الطرفان انسحب خواص خان دون قتال ، وحارب النيازيون كما هو محدد ولم يقصروا فى القتال ، ولما لم يكن هناك اخلاص فقد وقعت الهزيمة على جيش النيازيين (٧٤٢) وانتصر سليم خان ٠

« يصادق الشخص الذى يكون له السلطان والذى يسلطنه الرحمن »

أراد سعيد خان أخو أعظم همايون ومعه عشرة أشخاص من رفاقه المسلحين أن يصل الى سليم حان بحجة التهنئة ولم يكن معروفـا لأحد ، وعرفه سائس الفيل ، فأطلق عليه حربته من وسط حلقة الأفيال والجيش الخاص لسليم خان فأصابه ٠

المهم فر اليازيون ، وذهبوا الى دنكوت قرب موه وتعقبهم سليم خان حتى وصل الى قلعة رهتاس (٧٤٣) وأرسل خواجه وليس شروانى (٧٤٤) وجيش جرار لمهاجمة النيازيين (٧٤٥) وعاد الى آكره ، وجاء من هناك الى كواليار ٠

وفى هذا الوقت كان شجاع خان قد ذهب ذات يوم الى سليم خان على سطح قلعة كواليار ، وأعد عثمان (٧٤٦) وهو شخص كان شجاع خان قد قطع يده أثناء الطريق أعد كمينا وانتهز الفرصة ، وهجم عليه فجاة ، فأصاب شجاع خان بجرح ، وعاد شجاع خان الى منزله جريحا واستغل هذه الحادثة للغواية بالخروج على سليم خان ، وفر من كواليار وتوجه الى مالوه وتعقبه سليم خان حتى مندو (٧٤٧) وعبر شجاع خان

---

(٧٤٢) فر عيسى خان الى دار من كوه وفر خواص خان مع خمسمائة أو ستمائة الى لاهور (بداونى ج ١ ص ٣٨٢) ٠

(٧٤٣) رهتاس الغربية ٠

(٧٤٤) ويس سروانى (بداونى ج ١ ص ٣٨٥) ٠

(٧٤٥) فى دهنكوت سنة ٩٥٥ (بداونى ج ١ ص ٣٨٥) ٠

(٧٤٦) سزوال خان (بدارنى ج ١ ص ٣٨٣) ٠

(٧٤٧) حتى بانس وله حيث دخل سزوال خان بين الأهالى (بداونى ج ١ ص ٣٨٣) ٠

نهر نسواله ، وترك عيسى خان سور مع عشرين الف فارس فى أجين وعـــاد ٠

ومن القضايا التى حدثت فى سنة ٩٥٤ هـ أنه أرسل خواجـــه ويتسى (٧٤٨) لمهاجمة أعظم همايون ، وحارب (الرانا) فى نواحى دنكوت ،وأصابهم بهزيمة ، وتعقبه أعظم همايون حتى وصل الى سهرند ؛ وعندما وصل هذا الخبر الى سليم خان ، أعد جيشا عظيما ، وأرسله لصد النيازيين ، وعاد أعظم همايون وذهب الى دنكوت ، وعندما اقترب جيش سليم خان ووقعت معركة فى نواحى دنكوت قرب سنبله ، ووقعت الهزيمة على الفئة الباغية ، وأسرت زوجات وأم أعظم همايون ، وأرسلوا الأسرى الى سليم خان (٧٤٩) ، ولجأ النيازيون الى « كهكران » ودخلوا فى جبل يتصل بكتمير (٧٥٠) وتحرك سليم خان بجيش جرار لتسكين فتنة النيازيين ، وجاء الى البنجاب ، وقاتل كهكران لمدة سنتين ، وفى نفس هذا الوقت صعد شخص من ممر ضيق الى أعلى قلعة مانكوت حيث كان سليم خان وبيده سيف مسلول ،وضرب سليم خان ، وقفز سليم خان بكل قوته ومهارته وضربه وقتله وعرف سيفه الذى كان قد أهداه الى اقبال خان ، وعندما غلب كهكران ولم يبق لهم قوة ، دخل أعظم همايون كشمير ، وتعقبهم سليم خان ، وتحمل المشقة حتى قتل أعظم همايــون وسعيد خان وشهباز خان ، وارسل حاكم كشمير رؤوسهم الى سليم خان ، وعاد سليم خان بعد أن جمع جيشه ٠

فى هذا الحين كان مرزا كامران قد فر من السلطان همايون ولجأ الى سليم خان ، ولم يسلك سليم خان معــه سلوكـــا طيبـــا بسبب التكبر (٧٥١) ، وفر مرزا كامران من عنده ، ودخل جبل سوالك ومن هناك ذهب الى ولاية كهكر ، وهذه القضية مذكورة بالتفصيل فى وقائع السلطان همايون ٠

عموما توجه سليم خان الى دهلى واستقر عدة أيام ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن السلطان همايون قد وصل الى شـــاطىء نهر نيلاب ،

---

(٧٤٨) ويس سروانى (بداونى ج ١ ص ٣٨٥) ٠

(٧٤٩) الذى أرسلهم الى كواليار (بداونى ج ١ ص ٣٨٦) ٠

(٧٥٠) دخل النيازيون كشمير حيث وقعوا فى مصيدة الكشميريين (بداونى ج ١ ، ص ٣٨٨) ٠

(٧٥١) أبدى سليم شاه تكبرا ولم يحسن استقباله (بداونى ج ١ ص ٣٨٠) واستهان الافغان به عندما أقام مائدة وحضرها المرزا كان الأفغان يتهكمون علية بلهجة هندية ويقولون « موروا » فلما سأل عن معناها قالوا تعنى شخص عظيم الشأن « فقال كامران لسليم شاه أنت موروا » فعدلوا عن ذلك (بداونى ج ١ ص ٤٠١) ٠

ويقولون ان سليم خان قد نهض وركب من ساعته وتوجه اليه ونزل فى اليوم الأول على مسافة ثلاثة فراسخ ، وعندما أعد المدفعية التى برفقته ، وأسرع بتوجيه نيران العربات فى هذه المواضع ، وأمرأن يصطف المشاة محل نيران العربات ، وأخذ كل « تولى » ألف أو ألفين من المشاة ، وتوجه بسرعة فائقة الى لاهور ، وعاد السلطان همايون سريعا ، وعاد سليم خان أيضا من لاهور ، واستقر فى كواليار ٠
وقطع جماعة من المفسدين طريقه بحجة تقديم الاعتذار وحسب الاتفاق

ذات يوم حدث أن ذهب سليم خان الى هذه النواحى للصيد ، عاد سليم من طريق آخر ، وبقيت هذه الجماعة الفاسدة محلها ، وعندما علم سليم خان بحقيقة الأمر ، قتل بهاء الدين محمود الذى كان قد ذهب معهم ، واستقر سليم خان فى كواليار ، وسجن وقتل كل أمير من أمرائه أصحاب الشوكة والغلبة ٠

فى أول سنة ٩٦٠ هـ ظهر خراج فى مقعدته ، ومن شدة ما نزف دم توفى ، ومدة حكومته تسع سنوات ٠

أقام سليم خان من نيل آب حتى البنغال عمــارة أخرى بين عمائر (٧٥٢) شيرخان ، وفى كل عمارة كان يطبخ الطعام ويقدمــه للفقراء ، وتوفى فى هذه السنة السلطان محمود كجراتى ونظام المــلك بحرى وتاريخ هذه الواقعة هى « زوال خسروان » (٧٥٣) ٠

ومن القضايا الغريبة التى وقعت فى زمان سليم خان حادثة الشيخ علائى وتفصيلها على سبيل الاجمال هى أن والد الشيخ علائى ويسمى الشيخ حسن وهو غير الشيخ سليم وكان فى قصبة بيانه ويقوم بارشاد الطلاب على طريق المشيخة ، وعندما طوى لباسه الى عالم البقاء ، كان الشيخ علائى هو أرشد أولاده ويتصف بالفضائل والكمال ، وحل محل أبيه ، وعمل بارشاد الطلاب وحدث أن كان الشيخ عبد الله نيازى وكان من المريدين المشهورين للشيخ سليم جشن عائدا من السفــر من مكه ، واختار دعوة المهدوية (٧٥٤) وهى عقيدة سيد محمد جونبورى

---

(٧٥٢) امر أن يبنو فى كل فرسخ يفصل بين كل قصرين بناها شيرشاه بناية أخرى بنفس الاسلوب بها مسجد ومقرىء وسقاية وطعام يعده مسلم وهندى (بداونى ج ١ ص ٣٨٥) ٠

(٧٥٣) زوال خسروان تعادل سنة ٩٦١ هـ ٠

(٧٥٤) حسبه المهدى المنتظم الذى سيأتى آخر الزمان ويملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا وهى عقيدة شيعية تقوم على الاعتقاد فى امام خفى سيظهر آخر الزمان (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٧٦٤) ٠

المهدى الموعود ، وأقام فى بيانه ،ولما كان الشيخ علائى قد خدع به ، رحب به ورافقه ، وترك طريق الأباء والأجداد وأخذ يدعو الناس بدعوة المهدوية ، وعلى عادة هذه الطائفة أقام خارج المدينة بجوار الشيخ عبد الله وكان يقضى مع الجماعة الكبيرة من أحبابه وأصحابه الذين التفوا حوله على الطريقة والتنزيه وكان يقوم كل يوم وقت الصلاة بتفسير القرآن المجيد حتى يدع أى شخص كان حاضرا مجلسه من أداء عمله أو يترك أهله وزوجاته ويدخل دائرة المهدوية ، أو يتوب عن المعاصى ويجعله مريدا مجازا لسيد محمد واذا كان مشغو بالزراعة والتجارة فينفقها فى سبيل الله ، وفرق كثيرا من هؤلاء حتى فرق الأب عن الابن والأخ والمرأة عن زوجها وسلكوا طريق الفقر والفناء ، وكان شريكا فى النذور والفتوح التى تأتى اليه ، ويشتركون فى الأكل سويا ، حتى اذا لم يصلهم شىء لدرجة أنهم كانوا يقضون يومين أو ثلاثة فى فاقة ، ولا يظهرون ، ويقضون أوقاتهم فى حرمان ، وكانوا دائما مستعدين بالسيوف ، والدروع وسائرالأسلحة ، واذا رأوا فى المدينة والسوق شيئا غير مشروع ، منعوه بالرفق والهدوء أولا فان لم يستجب أصحابه كانوا يمنعونه قهرا وجبرا ، وكانوا يحاولون مساعدة كل شخص يوافق أحكامهم ٠٠ ولكثرة النزاع مع العوام والخراص فكر الشيخ عبد الله السفر الى الحجاز ، ولما كان الشيخ علائى نفس الوضع والحالة فقد توجه بستمائة أو سبعمائة ، ووصل الى خواص بور الواقعة على حدود ٠٠ بور ، خرج خواص خان المعروف لاستقباله ،ودخل ضمن مريديه ، وأخيرا استاء منه بسبب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى هذا الوقت الذى كان سليم خان يحكم آكره وعاد الشيخ علائى لبعض الأمور التى استدعت عودته ، وجاء الى بيانه ، وحضر بموجب طلب سليم خان الى بلاطه (٧٥٥) ولم يلتزم بعادات وآداب الملوك وسلم على سليم خان السلام المشروع ورد عليه السلام كارها ، وكان هذا المعنى صعبا على المقربين منه ، وكان ملا عبد الله سلطانبورى المشهور بمخدوم الملك ينكر الشيخ وكان قد أفتى بقتله ، وأحال سليم خان هذا المعنى صعبا على المقربين منه ، وكان ملا عبد الله سلطانبورى الفتح تانيسرى والعلماء الآخرين لهذه العصر ، وفى هذه المجالس غلبهم الشيخ علائى بقوة طبعه ، وأحيانا كان يغير ويبدل معانى القرآن ، وأثر فى سليم خان ، وقال له اجعلنى محتسبالك فى بلادى عن هذه الدعوة ، واعطنى الأذن لحكم هذه البلاد ، ولم يقبل الشيخ علائى هذا الأمر حتى

---

(٧٥٥) كان سليم شاه يخشاه ويهابه (بداونى جـ ١ ص ٤٠٢) ٠

أن سليم خان نفذ فتوى ملا عبد الله بطرده الى « هنديه » (٧٥٦) ودخل بهار خان شروانى الذى كان يحكم هناك من قبل سليم خان ، ومعه جيش كبير فى دائرة الاعتقاد والاخلاص له ، فأشار مخدوم الملك على سليم خان بأن يستدعيه من هذه الحدود ، وجمع سليم خان العلماء مرة ثانية وعرض القضية ، فقالوا لسليم خان ان هذا الرجل يدعو بدعوى المهدوية ، وسيصير السلطان المهدى لكل البلاد ، وقد التف الجيش كله حوله وأنهم يسارعون فى الدخول فى دعوته ، وهناك احتمال للفساد فى الدولة ، ولم يستمع سليم خان لكلام مخدوم الملك ، وأرسل الشيخ علائى مرة ثانية الى بهار عند الشيخ بده طبيب دانشمند الذى كان يعتقد فيه شيرخان ، ووضع يده أمام قدمه حتى يعمل بفتواه ، وتوجه سليم خان الى البنجاب واهتم بتعمير مانكوت وعندما وصل الشيخ علائى الى بهار تبعه الشيخ بده ، وأرسل مخدوم الملك رسالة الى سليم خان ، وأصيب الشيخ علائى فى هذه الأثناء بمرض الطاعون الذى شاع فى ذلك الوقت ، وأصيب فى حلقه بجرح بمقدار ما كان يفتى ، وأحضروه متألما وعندما أحضروه الى سليم خان لم يكن لديه قوة للكلام ، فلم يسمع حديثه ، ويئس سليم خان فأمر أن يضربوه بالسوط ، وأسلمت روحه لقابض الأرواح فى السوط الثالث (٧٥٧) وكانت هذه القضية فى سنة ٩٥٥ هـ وتأريخها ، « ذاكر الله » (٧٥٨) .

ذكر أحوال السلطان محمد عدلى :

عندما توفى سليم خان جلس ابنه فيروز خان وكان فى سن الثانية عشر (٧٥٩) على العرش بموافقة الأمراء فى قلعة كواليار ، ولم تمر ثلاثة أيام حتى نهض مبارزخان ابن نظام خان سور وهو ابن اخو شيرخان وعم سليم خان واخو زوجته وقتل فيروز خان ابن اخته (٧٦٠) وتمكن من كرسى الحكم والبلاد بموافقة الوزراء والامراء ، وروى عن الثقاة أن سليم خان قبل أن يموت قال لزوجته المسماة « بىبى بانى » فى أكثر من مرة « اذا كنت تحبين ابنك فيروز خان فاسمحى لى ان اقضى على أخيك مبارزخان لأنهأذى فىطريقه ، ولو كنت تحبين أخيك

---

(٧٥٦) على حدود الدكن (بداونى ج ١ ص ٤٠٣) .

(٧٥٧) اضطرب سليم شاه عندما قرأ الشيخ قوله تعالى « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » فسأل سليم معنى قوله من الحاضرين فقالوا : « انه يدعوك بالكفر » فأمر بضرب مدة ساعة حتى لفظ أنفاسه (بداونى ج ١ ص ٤٠٥) .

(٧٥٨) هذا تاريخ خطأ لأنه يعادل سنة ٩٧٨ هـ .

(٧٥٩) العاشرة من عمره (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

فانفضى يدك من ابنك لأن الأخطار تكون عليه من مبارز خان » وكانت زوجته تقول « دع مبارز خان يقضى عمره النفيس فهو يقضى أوقاته فى التسبيح ، وليس له فى السلطنة شىء ، وكلما لامها سليم خان فى هذا الصدد ، لا فائدة ، وفى النهاية بعد وفاة سليم خان بثلاثة أيام اقتحم مبارز خان محل فيروز خان ، وأراد قتله ، وعلى الرغم من أن أخته كانت تتألم وتتشفع لابنها ، وتقول : « دع الطفل وسأحمله الى مكان بعيد ولن يحمل اسم السلطنة مطلقا » (٧٦١) ولم يرحمه مبارز خان الظالم ، وهذا هو المضمون :

« ان ملك العالم كله لا يساوى عند الانسان قطرة دم تقطر على الأرض »

وقتل هذا الطفل المسكين الضعيف بقسوة (٧٦٢) وقرأ الخطبة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان محمد عادل ، وكان عوام الناس يسمونه « عدلى وأندبلى » (٧٦٣) ٠

ولما كان قد سمع فى الأساطير والتواريخ من بذل وكرم السلطان محمد تغلق ، ففكر فى تقليده وفى أول جلوسه فتح الخزينة فترة ، وأنعم على الناس ، واستمال الناس ، وكان كل عقد يرميه من الذهب لا يقل عن خمسمائة قطعة من العملة ، وأرسل لكل بيت عقدا ، وأعطى كل صاحب بيت خمسمائة قطعة ٠

جعل (عدلى) وزارته فى يد شمسير خان غلام شيرخان ، وهو أخو خواص خان المشهور ، ودولت خان نوحانى « نومسلم » مربيه مسئولا عن النوحانيين ، وفي هذه الأيام رفع « هيموى » (٧٦٤) وهو يقال يقطن قصبة ريوارى من توابع ميوات ، الى درجة اوسئول (٧٦٥) عن الأسواق وأمور الجيش ونال مركز مرموق عند عدلى ، وصار من المقربين للبلاط ، ولم يكد يمر شهر واحد من جلوس عدلى حتى هبت الفتنة من سباتها فى أطراف ولايات الهند (٧٦٦) وقام ملوك الطوائف

---

(٧٦٠) بربربائى (بداونى ج ١ ص ٤١٦) ٠

(٧٦١) دع روح هذا الطفل البرىء وخذ روحا بدلا منه لأنه لا شأن له بالسلطنة (بداونى ج ١ ص ٤١٦) ٠

(٧٦٢) وقد سعى سليم شاه لقتل عادل خان عدة مارات وأثنته عن ذلك زوجته أخت عادل خان (بداونى ج ١ ص ٤١٦) ٠

(٧٦٣) حرفة العامة « أندهلى » بمعنى أعمى (بداونى ج ١ ص ٤١٦) ٠

(٧٦٤) هيمون (بداونى ج ١ ص ٤١٧) ٠

(٧٦٥) شحنكى (بداونى ج ١ ص ٤١٨) ٠

(٧٦٦) رفض الأمراء الافغان طاعته (بداونى ج ١ ص ٤١٨) ٠

عند استماع خبر وفاة سليم خان وقتل فيروز خان وعدم انتظام أمور عدلى حتى استقل كل واحد بولايته ، وذات يوم عقد عدلى حكومته فى قلعة كواليار ، وحضر الأمراء البارزين اليه ووزع عليهم المقاطعات ، وأمر عدلى أن يعزل شاه محمد فرملى الذى كان على ولاية قنوج وسلمها الى سرمست خان سربتى (٧٦٧) ، وأثناء الحديث نهض سكندر خان بن شاه محمد المذكور وكان شابا شجاعا وصاح فى الديوان قائلا « الآن تبدل حالنا ، تسحب منا الولاية وتسلمها لطـــائفة السويتين باعــــة الكلاب » وقامت معركة كلامية ، وكان أبو شاه محمد مريضا فى ذلك الوقت ، وكان يمنع ابنه عن الحديث الخشن والحاد ، وكان الابن يقول للأب ان شيرخان وضعك ذات مرة فى قفص حديدى قاصدا قتلك ، وفى النهاية تشفع لك سليم خان ليخلصك من الموت ، والآن فان طائفة سور تريد استئصالك ، ولا تريد أن تفهم هذا المعنى ، ولا يريدون أن يتركوك فى سلام ، فلماذا ينبغى أن تتحمل هذا الضرر عنهم » ووضع سرمست سربتى وكان طويل القامة قوى الجثة يده على كتف سكندر يتملقــــه ويداهنه وهو يقول « لماذا كل هذه الصحبة يابنى » وهو يقصد أن يقبض على سكندر بهذه الوسيلة ، فأدرك سكندر قصده فأمسك الخنجر بيده ، وطعن كتف سرمست عدة طعنات حتى مات بيد الأجل (٧٦٨) وفقد وعيه وقتل أيضا البعض وجرح البعض الآخر ، ونهض عدلى فى هذه الجلبة ، وفر الى الحرم ، وتعقبه سكندر ، وأغلق عـــدلى الباب من الداخــل بالمزلاج ، وتخلص بمائة حيلة وألقى اكثر أمراء عـــدلى فى الديوان سيوفهم ، وفروا ، وظل سكندر مثل المجنون فـكان يضرب ويقتل ويرمى فى كل مكان يذهب اليه ، وظل ساعة أو اثنين على هذا الحال ، وأثناء ذلك سل ابراهيم خان زوج أخت على سيفه وضرب سكندر (٧٦٩) وهجم عليه آخرون أيضا واقتصوا من سكندر ، وأنهى دولت خان نوحانى أيضا على شاه محمد فرملى بضربة سيف واحدة ٠

حدث أنه فى نفس هذا اليوم الذى وقعت فيه المعركة ، كان تاج خان كررانى أخو سليمان وعماد كررانى قد خرج من ديوان عدلى ، وخرج من قلعة كواليار ، وعندما سار فى الطريق مع شاه محمد سأل كــل منهما الآخر عن أحواله ، وقال تاج خان له « لقد خرجنا من هــذه المعركة تعال معى ورافقنى فان الأمر قد تغير » ، ولم يقبل شاه محمد

---

(٧٦٧) بداونى جـ ١ ص ٤١٩ ٠

(٧٦٨) بداونى جـ ١ ص ٤٢٠ ٠

(٧٦٩) ضرب اسكندر ابراهيم خان سور ودولت خان (بداونى جـ ١ ص ٤٢٠) ٠

حديثه وذهب الى عدلى (٧٧٠) وذكر له ما حدث ، ففر تاج خان من كواليار ، وتوجه الى البنغال ، وعين عدلى جيشا لتعقبه ، وسافر أيضا بنفسه ، ووصل عدلى الى تاج خان فى نواحى « جهترامو » (٧٧١) ، وهى على مسافة أربعين فرسخا من آكره ، وثلاثين فرسخا من قنوج ، وقاتل تاج خان ، ووقعت الهزيمة على تاج خان ، فذهب الى جنار وفى الطريق قبض على بعض عمال عدلى ، واستولى على ما وجده من نقد وأجناس أخرى ٠

كان عماد وسليمان وخواجه الياس يحكمون بعض قرى شاطىء نهر الجانج وخواصبور تانده ، فالتحقوا به ، وأعلنوا العصيان ، وذهب عدلى من كواليار الى جنار ، وقاد الجيش الى الكرانيين ، وتقابل الطرفان على شاطىء النهر ، وفى هذا الوقت قال هيمون البقال لعدلى ذات يوم : « اذا جعلت برفقتى قطيع الفيلة ، اعبر النهر ، واذهب الى الكرانيين ، واقضى عليهم » ، وفعل عدلى ما طلب ، وانتصر هيمون على الكرانيين ، وفى هذا المكان علم ابراهيم خان بن غازى خان سور ، وزوج أخت عدلى وهو من بنى أعمام شيرخان ، علم من زوجته أن عدلى بصدد سجنه ، ففر من جنار ، وتوجه الى أبيه غازى خان الذى كان يحكم حكومة بيانه وهندون ، وأرسل عدلى عيسى خان نيازى لتعقب ابراهيم والتقيا سويا بالقرب من كالبى ، وتقابلا ، وهزم عيسى خان نيازى ، وانتصر ابراهيم خان فتوجه الى دار الملك دهلى ، وقرأ الخطبة باسمه ، وتوجه من هناك الى آكره ، واستولى على أكثر البلاد (٧٧٢) ٠

عندما رأى عدلى أن ابراهيم استولى على نصف بلاده ، نفض يده من الكرانيين ، وتوجه الى ابراهيم خان ، وعندما وصل الى نهر جون ، أرسل ابراهيم رسولا الى عدلى ، « اذا أرسلت راى حسن جلوانى وبهادر خان سروانى ، الملقب بأعظم همايون وعدة أمراء كبار آخرين ، فاننى أستطيع أن أحضر اليك بناء على العهد والميثاق » ، وأرسل عدلى هذه الجماعة ، واتفق ابراهيم خان معهم جميعا على عصيان عدلى ، وعلم عدلى بهذا الأمر ، ولم يكن مستعدا للقتال ، وعاد الى جانب جنار ، ولقب ابراهيم خان نفسه بالسلطان ابراهيم ، ورفع لواء السلطنة ٠

---

(٧٧٠) بداونى ج ١ ص ٤٢٠ ٠

(٧٧١) جهيرا مئو (بداونى ج ١ ص ٤٢١) ٠

(٧٧٢) بعد معركة كالبس لقب نفسه بالسلطان ابراهيم ورفع لواء المعارضة ، وقرأوا الخطبة باسمه فى آكره وبعض الديار (بداونى ج ١ ص ٤٢٢) ٠

وفى هذه الأيام لقب أحمد خان سور نفسه بالسلطان سكندر (٧٧٣) وهو أيضا من بنى عمومة شيرخان ، وزوج الأخت الثانية لعدلى ، وكان من أمراء البنجاب الكبار ، وبمساعدة وعون تاتار خان كانسى وحبيب خان ونصيب خان ، وكانوا من امراء سليم خان الكبار ، رفع لواء الفتنة والفساد ، وذهب الى ابراهيم خان ، والتقى الفريقان قرب قرية « مزه » ، وهى على مسافة عشرة فراسخ من آكره ولما كان جيش سكندر لم يتعد العشرة آلاف (٧٧٤) وكان ابراهيم خان صاحب سبعين ألف فارس ، ويروون أن ابراهيم خان كان قد سلم الاعلام والطبول لمائتى شخص ، والتمس سكندر الدخول فى الصلح على أن يدع له البنجاب ، وكان ابراهيم خان مغرورا معتمدا على كثرة حشمه ، فلم يهتم بعرض سكندر ، وصف الصفوف للحرب ، وانتصر سكندر فى نهاية الأمر بمقتضى قوله تعالى : « كم من فئة قليلة (٧٧٥) ....الخ » وهزم ابراهيم ، وفر وذهب الى سنبل (٧٧٦) ، ووفق اسكندر واستولى على آكره ودهلى ٠

وعلم أن السلطان همايون قد خرج من كابل الى الهندوستان أثناء ذلك ، واستولى على لاهور ، ونظم سكندر الجيوش ، وتوجه الى لاهور ، وكان ابراهيم الذى ذهب الى سنبل (٧٧٧) قد أعد جيشا جديدا وتوجه الى كالبى ، وتصادف أنه فى ذلك الوقت أرسل عدلى هيمون البقال الذى كان وزيرا له بجيش جرار وخمسمائة فيل ضخم ومدفعية الى آكره ودهلى ، وعندما وصل هيمون الى نواحى كالبى أدرك أن صد ابراهيم أهم فأسرع لمواجهته ، ووقعت معركة حامية انتصر فيها هيمون ، وفر ابراهيم ، وذهب الى أبيه فى بيانه ، وتعقبه هيمون ، وحاصر بيانه ، وامتدت أيام الحصار ثلاثة اشهر ، وعندما رفع سكندر خان حاكم البنغال راية العصيان وكان قد توجه بجيوش هذه البلاد لتسخير جونبور وكالبى واكره ، واستدعى عدلى هيمون ، وترك هيمون الحصار ، وتوجه اليه (٧٧٨) وعندما وصل الى قرية منداكر على مسافة ستة فراسخ من آكره تعقبه ابراهيم من آكره ، ووقعت معركة ، هزم فيها

---

(٧٧٣) (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) ٠

(٧٧٤) اثنى عشر ألف فارس (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) ٠

(٧٧٥) البقرة : ٢٤٩ ٠

(٧٧٦) بداونى ج ١ ص ٤٢٥ ٠

(٧٧٧) ذكر بداونى هذا أيضا (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٢٥) ٠

ابراهيم فعاد الى أبيه ثانية (٧٧٩) ومن هناك دخل ولاية تهته (٧٨٠) وقاتل راجه مجند تهته ، وأسر ، وأجلسه الراجه على العرش بكل تعظيم ، وقدم له لوازم الخدمة على طريقة التابعين ، وظل ابراهيم خان هناك حتى استدعى جماعة من قوم « ميانى » ، الذين كانوا يقيمون على حدود رايسين بسبب النزاع الذى كان بينهم وبين بازبهادر حاكم مالوه ، وأرادوا أن يجعلوه حاكما ، واستعدوا لمواجهة بازبهادر ولحق ابراهيم وتحرك من ولايته ودركاوتى رانى حاكم ولاية كرهه أيضا لمساعدة ابراهيم ، وأرسل بازبهادر عدة أشخاص الى رانى لكى ترتد عن هذا الادعاء ، وأن تعود الى ولايتها فليس لابراهيم مصلحة أيضا فى هذا ، وذهب ابراهيم من هناك الى أوديسه أقصى البنغال حتى استولى سليمان كررانى على أوديسه سنة ٩٥٥ هـ ، وجاء اليه بالعهد وامان ، ورأى سليمان ، وقتل بيد سليمان (٧٨١) .

المهم ذهب هيمون الى عدلى منتصرا ظافرا ، ووصل عدلى ومحمد خان كوريه (٧٨٢) الى قرية جركته وهى على مسافة خمسة عشر فرسخا من كالبى ، ووقعت معركة حامية ، وقتل محمد خان (٧٨٣) وحظى عدلى بالنصر والفتح ، وذهب عدلى بعد ذلك الى جنار ، وأرسل هيمون لمقابلة جيش السلطان أكبر فى آكره ودهلى ، وترك سكندر خان اوزبك وقياخان كنك والأمراء الأخرون الذين كانوا فى آكره المدينة وتوجهوا الى دهلى ، وتوجه عيسى الى دهلى ، وتقاتل مع تردى بيكه وهزم (هيمون) فى بانى بت وقتل بيد رجال الدولة المغاوير ، طبقا لما ذكر فى محله ، وكان عدلى فى نواحى جنار حيث كان ابن محمد خان كوريه الملقب بخضر

---

(٧٧٨) ورد هذا عند بداونى ج ١ ص ٤٢٧ .

(٧٧٩) أسهب بداونى فى سرد المعارك التى وقعت بين ابراهيم خان وغازى خان واسكندر خان وهيمون بينما اقتصد نظام الدين أحمد فى روايته (بداونى ج ١ ٤٢٤ـ ٤٣٣) .

(٧٨٠) آلور (بداونى ج ١ ص ٤٣١) .

(٧٨١) استدعاه سليمان كرارنى بالعهد القسم وعندما ذهب اليه أسره وقتله سنة ٩٥٥ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٣٣) .

(٧٨٢) خضرخان بن محمد كوربيه الذى حل محل أبيه على كور (بداونى ج ١ ص ٤٣٣) .

(٧٨٣) أى سنة ٩٦٢ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٣٤) .

خان قد جعل الخطبة والسكة باسمه ، وسمى نفسه بالسلطان بهادر ، وجاء الى عدلى للانتقام لدماء أبيه وقاتل عدلى وقتله (٧٨٤) وزالت دولة الأفغان وصعد كوكب الدولة وعظمة جلالة السلطان أكبر على ممالك الهند ، وكانت مدة حكومته (عدلى) قرابة ثلاث سنوات ٠

---

(٧٨٤) تاريخها « كوريه بكشت » أى قتل كوريه وتعادل سنة ٩٦٣ هـ ٠ وقد أوردها بداونى سنة ٩٦٢ هـ (منتخب التواريخ) ٠

الفهـــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٣٤٢٥

ISBN — 977 — 01 — 4329 — 4